

# علوم الببلاغة

البيان والمعاني والبدائع



تأليف  
أحمد مصطفى المراغي

مكتبات  
مركز البحوث  
والدراسات  
دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

جمعداری اموال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

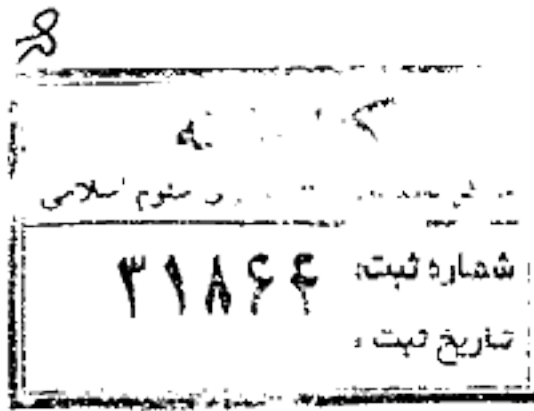
جمعداری شد

سن. اموال: ۶۳۰۰۹

# علوم البلاغة البيان والمعاني والبدیع

تألیف  
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی  
احمد مصطفی المرایغی

منشورات  
محمدرحمان بیاضی  
لنشر کتب الشیخ والجماعة  
دار الکتب العلمیة  
بکیروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©  
All rights reserved  
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة  
لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة  
تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على  
أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو  
برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة  
الناشر خطياً.

#### Exclusive Rights by

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Libanon

No part of this publication may be  
translated, reproduced, distributed in any  
form or by any means, or stored in a data  
base or retrieval system, without the  
prior written permission of the publisher.

#### Droits Exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle  
ou morale d'éditer, de traduire, de  
photocopier, d'enregistrer sur cassette,  
disquette, C.D, ordinateur toute  
production écrite, entière ou partielle,  
sans l'autorisation signée de l'éditeur.

#### الطبعة الرابعة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

#### دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطرife شارع البحتري، بناية ملكارت  
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)  
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor  
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98  
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beyrouth - Liban

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ère Étage  
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98  
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban



## المقدمة

حمداً لك اللهم ، بك المعونة والتوفيق ، ومنك الهداية لأفوم طريق ، اذا  
أظلمت الشبهات ، في دجنة الخطوب المدلهات ، وبفضلك نطلب يقيناً بلاء الصدر ،  
ويستولي على زمام القلب ، ويكبت سورة النفس ، فيردها عن غيها ، ويكبح  
جراح شهواتها ، فإنك الملجأ والنصير والمعين ، وصلاة وسلاماً على محمد عبدك  
ورسولك الذي آتيتك الحكمة وفصل الخطاب ، وعصمته من الخطأ وألهمته  
الصواب ، ومننت عليه بفضيلة البيان ، ففند بقاطع حجته قول من عارضه من  
أهل الزور والبهتان .

وبعد - فإن موضع علوم البيان من علوم العربية ، موضع الرأس من الإنسان ،  
او اليتيمة من قلائد العقيان ، فهي مستودع سرها ، ومظهر جلالها ، فلا فضيلة  
لكلام على كلام ، إلا بما يحويه من لطائفها ، ويودع فيه من مزاياها وخصائصها ،  
ولا تبريز لتكلم على آخر ، إلا بما يحوكه من وشيها ، ويلفظه من درها ، وينفثه  
من سحرها ، ويحنيه من يانع ثمرها .

إلى أن بها نعرف وجه إعجاز القرآن ، ونذكر ما فيه من خصائص البيان ،  
ونفهم براعة أسلوبه ، وانسجام تأليفه ، وسهولة نظمه وسلامته ، وعذوبته  
وجزالته ، الى أمثال تلك المحاسن التي أسالت على العرب الوادي عجزاً ، حتى  
حارت عقولهم ، وقصرت عن بلوغ شأوه جهابذتهم وفحولهم ، حتى اضطر ذلكم  
المتكبر الجاحد ، والصلف المعاند ، الوليد بن المغيرة ، أن يقول فيه مقالته الماثورة :  
« والله إن لكلامه لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفل لمقدق ، وإن أعلاه  
لمورق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وما هو بقول البشر ، فالجاهل بأسرارها ،

والمحروم من اقتطاف جنى ثمارها ، لا يعرف وجه الإعجاز إلا بالتقليد ،  
ولا يعلم ذلك إلا بالسماع ، فسواء في قضية النظر ، هو والزنجي والبربري ،  
والفارسي والنبطي ، إذ كل أولئك يتلقونه سماعاً ، وبصل إليه علمه مشافهة .

مما تقدم تعلم جليل خدورها ، وعظيم منزلتها ، وأنها لا تدانيها منزلة علم آخر  
من علوم العربية ، فلا غرو إذا اتجهت هم العلماء والباحثين في مختلف العصور  
إلى التأليف فيها ، وبسط القول في بيان مغازيها ومراميها ، وقد رأينا أن ندلي  
دلونا بين الدلاء ، ونضرب بسهم في هذا الميدان ، والله ولي التوفيق ، والهادي  
لأقوم طريق .

أحمد مصطفى المراغي



مركز تحقيقات علوم إسلامي

## نبذة في تاريخ علوم البيان ...

### ١ - الحاجة الى وضع قواعدها

( أ ) اشتملت نار الجدل صدر الدولة العباسية حتى اندلع لهيبها وتطايير شررها الى جميع أنحاء البلاد الإسلامية ردحاً من الزمن غير قليل بين أئمة الأدب وأرباب المقالات من علماء الكلام في بيان وجه إعجاز القرآن ، واختلفوا في ذلك طرائق قدداً ، وتفرقوا أيدي سباً ، وتعددت نزاعاتهم ، وتضاربت مذاهبهم وآراؤهم كما هو مسطور في زبر المتكلمين كالمواقف لعضد الدولة ، والمقاصد لسعد الدين التفتازاني .

وكان الرأي الآفن من بين هذه الآراء وأبعدها عن الصواب ، رأي إبراهيم النظام صاحب المذهب الذي ينسب اليه (مذهب الصرفة) إذ قال : إن القرآن ليس معجزاً بفصاحته وبلاغته ، وإن العرب كانوا قادرين على أن يأتوا بمثله ، لكن الله صرفهم عن ذلك تصديقاً لنبيه ، وتأيداً لرسوله حتى يؤدي رسالات ربه ، فانبرى للرد عليه جم غفير من العلماء من بينهم الجاحظ والباقلاني ، وإمام الحرمين ، والفخر الرازي ، وناضلوا نضالهم الحمود الذي خلد لهم في بطون الأسفار فكتبوا الفصول الممتعة مبينين خطئ رأيه وفساد مذهبه ، بما أملت عليه قرائنهم الوقادة ، وأفكارهم النقادة ، حتى لم يبق في القوس منزع ، ولا زيادة لمستزبد .

(ب) كذلك قامت سوق نافقة للحجاج والمناظرة ، بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر الجاهلي ، الذين رأوا أن الخير كل الخير في المحافظة على أساليب العرب وأوضاعها ، والأدباء والشعراء أنصار الشعر المحدث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم من العرب ، ورأوا أنهم في حل من كل قديم ، لا يشاكل بيئة

الحضارة التي غُذوا بلبانها ، وربوا في أحضانها ، ولم يكن الغرب ليحلموا بها من قبل ، ولو أن القدر أتاح لهم أن يروا زخارف تلك المدنية ، وطرائف لطائفها ، لكان لهم شأن في آدابهم ، ومهيم في أساليبهم غير شأنهم هذا .

( ج ) أضف الى تلك الضوضاء وذلك اللجج ، ما شجر من الخلاف بين أئمة الأدب وأساطينه ، في بيان وجوه تحسين الكلام حقيقى يرقى في سلم البلاغة ، وينال قسطه من الفصاحة ، وتناقضت آراؤهم في ذلك أيما تناقض ، وفريق مال الى رصين الكلام الجامع بين العذوبة والجزالة ، وفريق أولع بالمنطق الموشى المشتمل على صنعة البديع ، يرشد الى ذلك ما تراه في كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ حين حكم على تلك الأبيات المشهورة لكثير عزة بأنها موقفة خلافة في لفظها ، لكنك اذا فتشتها وبجشت عن ذات نفسها لم تحل منها بطائل ، وهي :

ولما قضينا من منى كل حاجة  
وشدت على حذب المهارى رحالنا  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا  
وصالت بأعناق المطي الأباطح  
ومستح بالأركان من هو ماسح  
ولم ينظر الفادي الذي هو رائح

ثم ما تجده في كتاب « الصناعتين » لأبي هلال العسكري من استحسان هذه الأبيات ونقد حكم ابن قتيبة واتهام ذوقه ، ووافقه على نقده أبو الفتح بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ في كتاب « الخصائص » ، والإمام عبد القاهر في « أسرار البلاغة » ، وأطال الإطار لثالثها الى غير ذلك من مختلف الآراء مما لسنا بصدد سرده الآن .

كل أولئك لفت أنظار أئمة البلاغة الى أن يضعوا قوانين وضوابط يتحاكمون اليها عند الاختلاف ، وتكون دستوراً للناظرين في آداب العرب ، منشورها ومنظومها ، ونشأ من ذلك البحث في علوم البيان ، أو علوم البلاغة .

## ٢ - أول من دونها

لا نعلم أحد سبق أبا عبيدة معمر بن المثنى الراوية تلميذ الخليل بن أحمد المتوفى سنة ٢١١ هـ . فقد وضع كتاباً في علم البيان سماه « مجاز القرآن » ، لكنه لم يرد بالمجاز الوصف الذي ينطبق على ما وضع من القواعد بعد ، بل هو أشبه بكتاب

في اللغة توخى فيه جمع الألفاظ التي أريد بها غير معانيها الوضعية ، ألا تراه وقد سئل مرة عن قول الله عز وعلا : ﴿ طلعها كانه رؤوس الشياطين ﴾ (١) ، فقال : هو مجاز كقول امرئ القيس : « ومسنونة زرق كأنياب أغوال » .

كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني ، وإنما أثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكتاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ إمام الأدباء وسلطان المذشرين في عصره ، والقدوة في أساليبه التي اختص بها ، وتجداه فيها الأئمة من بعده .

فقد أشار الى مسائل منه في كتابه « إعجاز القرآن » وعنه في كتابه « البيان والتبيين » بدرس بعض القواعد التي كثر ولوع القوم بها في عصره ، كبيان معنى الفصاحة والبلاغة ، وحسن البيان والتخلص من الخضم ، وحسن الاسجاع ، ثم قفاه ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » والمبرد في كتابه « الكامل » فتعرضا لبعض تنف من هذه العلوم .

وغني عن البيان أن المتكلمين بداءة ذي بدء في أي فن من الفنون لا يحيطون بأطرافه ، ولا يتغلغلون في استقصاء مباحثه .

لكننا نعلم أن أول من دون البديع الخليفة عبدالله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ هـ فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات ، وألف كتاباً سماه « البديع » ذكر فيه سبعة عشر نوعاً منها الاستعارة والكناية والتورية والتجنيس والسجع ، الى غير ذلك ، وقال : « ما جمع قبلي فنون البديع أحد ، ولا سبقني الى تأليفه مؤلف ، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليعمل ، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن اليه فله اختبار » .

ومن البين أن اسم البديع بهذا الإطلاق يتناول ما سماه المتأخرون بعلم البيان ، ثم ألف معاصره 'قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتاباً في نقد الشعر سماه « نقد قدامة » ذكر فيه ثلاثة عشر نوعاً من البديع زيادة على ما أملاه ابن المعتز فتممها ثلاثين نوعاً .

(١) سورة الصافات الآية ٦٥ .

تلا هذين العالمين أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٥٣٩٥ هـ وألف كتابه «الصناعتين» صناعاتي النثر والنظم، جمع فيه خمسة وثلاثين نوعاً من البديع، وبحث فيه عن عدة مسائل أخرى كاللفصاحة والبلاغة والإيجاز والإطناب والحشو والتطويل وعدة أبواب في نقد الشعر، إلى غير ذلك من جليل المباحث.

وكتابه يعتبر أول مصنف أشير فيه إلى مسائل علوم البيان الثلاثة (المعاني والبيان والبديع).

### ٣ - رقي هذه العلوم بتأليف الامام عبد القاهر

تمخض القرن الخامس فولد نادرة البطن، وثابغة البلغاء، وإمام حلبة الفصحاء أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ الذي نظر بمنة ويسرة فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلا نتفاً مبعثرة لا تسمن ولا تغني من جوع فشرع عن ساعد الجهد، وجمع متفرقاتها، وأقام بناءها على أسس متينة، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنهار، وأملى من القواعد ما شاء الله أن يملئ في كتابيه «أسرار البلاغة»، و«دلائل الإعجاز»، وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد، حتى أناف بها على اليفاع، وقرن فيها بين العلم والعمل، إذ رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار إلا بكثرة الأمثلة والنماذج، فالصور الإجمالية التي تؤخذ من القواعد، إن لم تؤيدها الصور التفصيلية التي تستفاد من النماذج، لا تتمثل في الأذهان حق التمثل، ولا تنجلي حقيقتها تمام الإنجلاء.

وقد ساعده على ذلك ما آتاه الله من عذوبة للبيان، وما تجلى به قلمه من الطلاوة الخلابة، والبلاغة الساحرة للألباب.

### ٤ - الامام جبار الله الزمخشري

نبغ إثر عبد القاهر أستاذ المفسرين، جبار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وألف تفسيره «الكشاف»، نحاً فيه نحو الغرض المقصود من تفسير التنزيل، وهو إظهار أسرار، وشرح وجه إعجازه، ببيان وفاء دلالاته على المراد، وكشف خصائصه ومزاياه التي استأثر بها، حتى بلغ هذه المرتبة، وحتى تحدى البشر بأنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وغني عن البيان أنه لن يصل الى تلك المنزلة إلا من أتاه الله فطرة سليمة ، ورأياً حصيفاً ، وفكراً ثاقباً ، وبرهاناً ساطعاً ، وقلماً أطوع له من بذائه حتى يتاح له بوضح البرهان ، وبديع البيان ، أن يوضح خصائص التراكيب ولطائف الأساليب التي هي من أسرار التنزيل ، وبذا أبان في 'عرض كلامه كثيراً من قواعد هذه الفنون التي اتخذها من جاء بعد ، دستوراً للكلام في كثير من مسائلها .

#### ٥ - أبو يعقوب يوسف السكاكي

جاء بعد من تقدم ذكرهم العلامة أبو يعقوب ، يوسف السكاكي ، المتوفى سنة ٦٢٦هـ وألف كتابه 'مفتاح العلوم' ، وجمع في القسم الثالث منه زبدة ما كتبه الأئمة قبله في هذه الفنون ، ونظم لآلتها المتفرقة في تضاعيف كتبهم ، وأحاط بكثير من قواعدها المبعثرة في الأمهات ، ورثتها أحسن ترتيب ، وبوبها خير تبويب ، وفصل فنون البيان الثلاثة بعضها من بعض ، لما كان له من واسع الاطلاع على علوم المنطق والفلسفة .

مركز تحقيق كتب التراث

ولولا أن المؤلف أوقع بتطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم مع ما بينها من 'بعد الدار' ، وشط المزار واختلاف البيئات وتباين المعتقدات ، لكان خير كتاب أخرج للناس في هذه الفنون ، لجمعه شتاتها ، وضمه ما تفرق من قواعدها .

وقد اختصر مؤلفه في كتاب آخر سماه 'التيان' ، ولخصه بعض المتأخرين في أمهات مشهورة ، كما فعل ابن مالك في كتابه 'المصباح' ، والخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩هـ في كتابه 'تلخيص المفتاح' ، و 'شرح الإيضاح' ، والآخر مؤلف جليل ، جمع فيه مؤلفه خلاصة 'المفتاح' ، و 'دلائل الإعجاز' ، و 'أسرار البلاغة' ، و 'سر الفصاحة' ، لابن سنان الخفاجي .

#### ٦ - الوزير ضياء الدين ابن الأثير

بينما السكاكي يؤلف كتابه 'مفتاح العلوم' ، اذا بالوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر بن محمد الموصل الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٧هـ

وزير الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي، يصنف كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وهو كتاب فريد في بابيه يفوق أنداده وأترابه ، جمع فيه فأوعى ، ولم يترك شاردة ولا واردة ، لها مساس بالكتابة والقريض إلا ذكرهما بشرح واف ، يدل على طول باع ، وسعة اطلاع ، مع قدرة على النقد ، وبديهة حاضرة في إدراك خصائص البلاغة ، ومن ثمة اشتمل كتابه على كثير من أبواب تلك الفنون ، وطبق عليها كثيراً من آي الكتاب والسنة النبوية ، وتلك منقبة امتاز بها من بين هاتيك المؤلفات في تلك العلوم .

وكانت يحاكي في أسلوبه أسلوب القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وزير صلاح الدين الأيوبي ( على ما بينها من شاسع البون ) وطريقة القاضي معروفة بين المتأدبين وهي من النوع الذي يغلب عليه السجع والجناس وغيرهما من المحسنات اللفظية ، وكانت براعة الكتاب في هذا العصر وما بعده تظهر في استعمال تلك الطلاوة اللفظية ، وبها يفوق كاتب كتاباً ، ويبرز الأقران في هذا الميدان .

## ٧ - عصور الاختصار ووضع الشروح والخواشي

طلق المؤلفون من القرن الثامن وما بعده يوسعون الشروح والخواشي على المفتاح وتلخيصه للقزويني ، وصرفوا جل همتهم في تفسير ما أشكل من عبارات المؤلفين ، والجمع بين ما تناقض من آرائها .

ومن أجل تلك الشروح شروح مسعود سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ وشروح السيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، ثم تتابعت التقارير والخواشي توضح ما انبهم من تلك التراكيب الجملة ، والعبارات الغامضة ، وليس علينا من غضاضة في التصريح بأن أساليب التأليف في تلك العصور قد ملكت عليها المعجزة أمرها ، وجلبت عليها أنواع التعقيد بخيلها ورَجَلها ، فلم تكن هي الأساليب التي يحذر أن تكتب بها علوم البلاغة ، أو بالأحرى علوم خصائص اللسان العربي المبين .

ومن ثمة لم يكن القارىء ليَجعلها قدوة في أساليبها ، أو نماذج في تراكيبها ، فهي أخرى أن تكون أساليب اصطلاحية علمية ، لا لغوية أدبية ، تشرح خصائص كلام العرب وتبين مزايا أساليبها ، وما زالت تتدلى وتتدهور حتى وصلت الى ما تراه اليوم ، تتضائل في أطهارها البالية وتزوي أمام أهل الجيل الحاضر .

## ٨ - تأليف معاصرنا في هذه الفنون

أنشئت المدارس العالية والثانوية بمصر في نهاية القرن الغابر ، وسلكت في التربية والتعليم طريقاً سويماً ، لا مشاكلة بينه وبين ما تقدمه في معهد العرفان ، وكان في مقدمة تلك المدارس التي شيدت ، مدرسة دار العلوم من نحو أربعين سنة ونيف ، فألف أساتذتها مختصرات تناسب تلك البرامج المدرسية ، ويسهل على الطلبة أن يحصلوا على بغيتهم منها ، فحمد لهم الناس جميل صنعهم وأوفوهم حقهم في الثناء والتقريظ مقدار ما كان لمؤلفاتهم من الميزة إبان ظهورها .

وفي الحق أن تلك الرسائل وإن اختلف ترقيبها ، وتنوع تبويبها ، تنحو على الجملة في أسلوبها ، منحى ما كتبه صاحب التلخيص وشراحه ، وتسير على خطتهم وتحذو حذوهم ( وقد عرفت حال هذه التأليف ) فضلاً عن خلوها من الأمثلة المنوعة التي تتضح بها مجملات تلك القواعد .

وأفضل تلك المختصرات كتاب (دروس البلاغة) فهو على إيجازه الذي لوحظ فيه حال النشء ، وهم في بدء تحصيل مختلف العلوم ، كفيل بتصوير القواعد في أذهانهم جهد المستطاع .

## ٩ - طريقنا في التأليف

رأينا أن نضع كتاباً يجمع بين طريق المتقدمين ، من سعة الشرح والبيان ، والاعتماد على الأمثلة والشواهد ، حتى تستبين للقارئ خصائص البلاغة مرموقة محسوسة ، ولطائف الكلام بجسمة ملموسة ، ويسهل تطبيق العلم على العمل ، والإجمال على التفصيل ، وذلك أمثل الطرق ، لبنائه على قواعد علم النفس ، من تعويد الناظر الركون إلى الوجدان والحس ، وطريق المتأخرين من حسن الترتيب والتبويب ، وجمع ما تفرق من قواعد هذه الفنون ، ليكون أنجع في الدرس ، وأقرب إلى التناول .

فإذا كنا قد وفقنا إلى ما قصدنا وهدينا إلى الغرض الذي توخينا ، فذلك من فضل الله علينا ، وإن كنا تنكبنا عن جادة الحق وأخطأنا شاكلة الصواب ، فليغض القارئ الطرف عما يراه من الهفوات ، ويعثر عليه من الزلات ،

فإن الطريق وعر ، والمركب غير ذلول ، وقديماً قال الأول : « كفى المرأة نبلاً  
أن تُعدّ معايبه » .

وليعلم أننا لم ندخر وسعاً في تمحيص ما كتبنا وتهذيبه ، وتنقيح ما رتبنا  
وتجويده ، بعد أن قضينا زمناً طويلاً في البحث والتنقيب ، في الأمهات المؤلفات  
في هذه القنون وغيرها المتقدمين والمتأخرين ، واطلعنا على الرسائل التي  
صنفها معاصروننا ، ومن تقدمهم ، جزى الله الجميع خيراً ، وعليه التكلان ،  
وبه المستعان .

أحمد مصطفى المراغي



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

## المقدمة

### في حقيقة الفصاحة والبلاغة لغة واصطلاحاً

للفصاحة لغة ومعان متعددة كلها تشف عن الظهور والإبانة ، فيقال :

١ - فصّح اللبّ وأفصح إذا أخذت عنه الرغوة ، قال نضلة السلمي :  
وتحت الرغوة اللبّ الفصيح <sup>(١)</sup>

٢ - أفصح الصبح : بدا ضوؤه ، ومنه المثل : «أفصح الصبح لذي عينين» <sup>(٢)</sup>.

٣ - يوم مفصح وفصح لا غم فيه ولا قر.

٤ - أفصح الأعجمي بالعربية ، وقصّح لسانه بها إذا خلصت لغته من اللكنة  
وفي التنزيل : ﴿ وأخي هرون هو أفصح مني لساناً ﴾ <sup>(٣)</sup> أي أبين مني قولاً .

وبالبلاغة لغة : تنبىء عن الوصول والانتهاء .

يقال : بلغتُ الغاية إذا انتهيت إليها ، ومبلغ الشيء منتهاه ، ورجل بليغ  
وبلّغ وبلّغ ، حسن الكلام فصيحاً يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، وبلغ  
بالضم بلاغة : صار بليغاً ، وتبالغ في كلامه تعاطى البلاغة وما هو ببليغ ،  
وتبالغ به الفرح والحزن : تناهى .

أما البلاغة اصطلاحاً فالبلغاء في ذلك فريقان :

١ - المتقدمون كالإمام عبد القادر الجرجاني ومن لف لفه ، وهؤلاء يرون

(١) يضرب مثلاً للامر ظاهره غير باطنه .

(٢) يقال للشيء ينكشف بعد استتاره .

(٣) سورة القصص الآية ٣٤ .

أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات ، وإنما يوصف بها الكلام بعد توخي<sup>(١)</sup> معاني النعوى فيما بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ لها ، وإلى ذلك أشار في دلائل الإعجاز في مواضع عدة منها قوله : « فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ، ومن المعلوم أنه لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعوت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه ، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتامها فيما له كانت دلالة » ، ثم قال : « ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية » .

وقال قبله أبو هلال العسكري في الصناعتين : « الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة على المعنى والإظهار له » .

وقال الفخر الرازي في نهاية الإيجاز : « وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الشئيين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما » .

وبشهد لذلك قول الجوهري في الصحاح : الفصاحة : البلاغة .

وعلى هذا الرأي فترجمها وما شاكلها النظم والكلام دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة .

٢ - المتأخرون كابن يعقوب يوسف السكاكي وابن الأثير ، ومن شايعها ، وأولئك يرون إخراج الفصاحة من كَنَف<sup>(٢)</sup> البلاغة ، ويجعلونها اسماً لما كان بنجوة<sup>(٣)</sup> من تنافر الحروف وغرابة الألفاظ ومخالفة القياس ، إلى آخر ما سيذكر

(١) الطلب والتعري .

(٢) الناحية والجانب .

(٣) يقال : هو بنجوة من كذا إذا كان بعيداً .

بعد ، ويجعلون البلاغة اسماً لما يطابق مقتضى الحال مع الفصاحة ، وعلى هذا الرأي فالبلاغة كل " والفصاحة جزؤه ، وعليه أيضاً فالفصاحة من صفات المفرد كما هي من صفات المركب بحسب الاعتبارات الآتية :

والى هذا أشار صاحب الصناعتين حيث قال ، وقيل : الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى الى القلب ، فكأنها مقصورة على المعنى ، اهـ  
وها نحن أولاء نشرحها لك على الرأي الأخير فقد استقر عليه البحث ، وبالله التوفيق ، ومنه الهداية لأقوم طريق .

### الفصاحة

تقع الفصاحة وصفاً للمفرد والكلام والمنكلم .

#### فصاحة المفرد

فصاحة المفرد تتمتعق بسلامته من أربعة عيوب<sup>(١)</sup> :

- ١ - تنافر الحروف .
- ٢ - غرابة اللفظ .
- ٣ - مخالفة القياس .
- ٤ - الكراهة في السمع .

#### تنافر الحروف

صفة في الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها ، ولا ضابط لذلك غير الذوق السليم والشعور الذي ينشأ من مزاوله أساليب البلغاء ، وليس منشؤه قرب مخارج الحروف كما قيل ألا ترى أنك تجد الحسن في لفظ الجيش مع تقارب مخارج حروفه ، ونحوه ، القم والشجر ، وتجد لفظ ملع بمعنى أسرع متباعد المخارج وهو متنافر ، ولا طول الكلمات لأنه إن صح ذلك في نحو

---

(١) لتسلم من الخلل مادته وصيغته ومعناه .

صَهْدَلَقُ<sup>(١)</sup> وَخَنْشَلِيلُ<sup>(٢)</sup> وَمَا جَرَى بِجَرَاهِمَا ، فَلَيْسَ بِصَحِّحٍ فِي نَحْوِ لَيْسْتَخْلَفْنَهُمْ  
فِي الْأَرْضِ فَسَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ .

ولكن يمكن وضع ضابط إجمالي أساسه المشاهدة ، وهو أن أصول الأبنية  
لا تحسن إلا في الثلاثي وفي بعض الرباعي نحو : عَذِبَ وَعَسَجَدَ . أما الخماسي  
الأصول نحو : صَهْدَلَقُ وَجَحْمَرَشْ ، وَمَا جَرَى بِجَرَاهِمَا ، فإنه قبيح ، ومن ثمة  
لم يوجد شيء من هذا الضرب في القرآن الكريم إلا مَا كَانَ مَعْرَبًا مِنْ أَسْمَاءِ  
الْأَنْبِيَاءِ كَأِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ .  
والتنافر ضربان :

- ١ - شديد متناه في الثقل كالصمم<sup>(٣)</sup> والطساسيج<sup>(٤)</sup> والظشش<sup>(٥)</sup> .
- ٢ - خفيف كالنقاخ<sup>(٦)</sup> والنقنقة<sup>(٧)</sup> والمتفنج<sup>(٨)</sup> ومستشزرات في قول  
أمرئ القيس :  
غداثه مستشزرات<sup>(٩)</sup> إلى العلا تفل المدارى في مُثْنِيٍّ ومرسل<sup>(١٠)</sup>  
والضمير في غداثه يرجع إلى فرع في قوله قبله :  
وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كفنو النخلة المتعشکل<sup>(١٠)</sup>

(١) الشديد من الاصوات .

(٢) السيف .

(٣) الصغير الرأس .

(٤) جمع طسوج القرية ونحوها .

(٥) الموضع الحشن .

(٦) الماء العذب .

(٧) صوت الضفادع .

(٨) السائل من ماء أو دمع .

(٩) غداثه أي ذوائبه جمع غديرة وهي الشعر المشدود بخيوط على الرأس ومستشزرات  
أي مرتفعات وتضل تغيب والمداري جمع مدارة آلة تعمل من حديد أو خشب على شكل سن  
من أسنان المشط أو أطول منه يسرح بها الشعر المتلبد ، والثني المقتول وضده المرسل .

(١٠) الفرع الشعر والاثيث الكثير والفنو الكباسة والمتعشکل كثير العناكيل أي العيدان  
التي عليها البسر ومراده من كل ذلك الدلالة على وفرة شعرها ، وكان من عادة نساء العرب أن  
تشد قسما من الشعر كالرمانة ، ثم ترسل فوقه المثني والمرسل .

## الغرابية

هي كون الكلمة غير ظاهرة للمعنى ، ولا مألوفة الاستعمال عند خلص العرب ( لا عند المولدين لأن كثيراً مما في المعاجم غريب عندهم ) .  
ولذلك سبيان<sup>(١)</sup> :

١ - احتياجها الى بحث وتفتيش في كتب اللغة ، ثم يعثر على معناها بعد كُـسْحَنَفَرَة<sup>(٢)</sup> وُبَـعَاق<sup>(٣)</sup> وجرّدَـحِل<sup>(٤)</sup> وجعّيش بمعنى فريد مستبد برأيه في قول تأبط شراً يصف ابن عم له بكثرة الترحال :

يظل بمومة ويمسي بغيرها جعّيشاً ويعروري ظهور المسالك<sup>(٥)</sup>

ومرجلة وزيزم في قول ابن جعدّر :

حلفت بما أرقلت حوله مرجلة خلّقتها شيطم<sup>(٦)</sup>  
ومما شبرقت من قنوفية بها من وحي الجن زيزم<sup>(٧)</sup>

وربما لا يعثر على معناها كجعّلتجع ، قال في اللسان : قال أبو تراب : كنت سمعت من أبي الهميسع حرفاً وهو جعّلتجع فذكرته لشمر بن حمدويه وثبرأت اليه من معرفته ، وكان أبو الهميسع من أعراب مدين لا نفهم كلامه ، وأنشدته ما كان أنشدني :

(١) لأن الغرابية أما في الجوامد والصادر المشتقات باعتبار مبادئها أي أصولها وهو القسم الاول ، وإما في المشتقات باعتبار هيئاتها ، وهو القسم الثاني .

(٢) أي متسعة .

(٣) المطر .

(٤) الوادي .

(٥) المومة المفازة ويقال للمستبد برأيه جعّيش وحده بالتصغير عند إرادة الذم واعروري الفرس ركه عربانا .

(٦) الأرقال ضرب من السير والمرجلة الناقة السريعة والشيطم الشديد الطويل من الابل ، والخيّل وشبرقت قطعت ، والتنوفية المفازة والوحي الصوت الخفي وزيزم حكاية صوت الجن اذا قالت زي زي على زعمهم . يريد أنه حلف بما سارت حوله الناقة الشديدة السير العظيمة الخلق وبما قطعت من مفازة لا يسمع فيها إلا صوت الجن .

إن تمنمي صوبك صوب المدمع      يجري على الحد كضئب الشعع  
وطمعة صيرها جحانجم      لم يحضها الجدول بالتنوع<sup>(١)</sup>

قال في المثل السائر : ومن الغريب من يعاب استعماله في النثر دون النظم  
كلفظ مشمخر في أبيات بشر في وصف الأسد :

وأطلقت المهند من يميني      فقد له من الأضلاع عئرا  
فخر مخرجاً بدم كاني      هدمت به بناء مشمخر<sup>(٢)</sup>

ولفظ الشدنية ، وهي ضرب من النوق في قول أبي تمام :

يا موضع الشدنية الوجناء      ومصارع الأدلاج والاسراء<sup>(٣)</sup>

ثم قال : واعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنشور يسوغ استعماله في  
المنظوم دون العكس ، وذلك شيء استنبطته ودلني عليه الدوق .

وقال الجاحظ في البيان والتبيين : رأيت الناس يديرون في كتبهم ، أن امرأة  
خاصمت زوجها الى يحيى بن يعمر ، فأنشدها مراراً فقال له يحيى : أن سألتك  
مئن شكرها وشبرك أنشأت تطلبها وتضلها<sup>(٤)</sup> ، فإن كانوا قد رءوا هذا الكلام  
لكي يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صفة البلاغة ، وإن كانوا فعلوا ذلك  
لأنه غريب فأبيات من الشعر المعجاج والطرماع تأتي لهم مع الوصف الحسن على  
أكثر من ذلك .

٢ - احتياجها الى التخريج على وجه بعيد حتى يفهم منها المعنى المقصود نحو  
مخرجاً وصفاً للأنف في قول رؤبة بن المعجاج (شاعر إسلامي) :

(١) الصوب المطر المنصب والضئب حب التؤلؤ والطمعة النظرة والصير السحابة البيضاء  
وحضا النار حركها والجدول النهر والتنوع تحريك الريح الغصن والتذبذب وصيرورة الشيء أنواعاً .

(٢) قد قطع والمخرج الملائخ بالدم والمشمخر العالي .

(٣) الإيضاع نوع من السير ، والوجناء عظيمة الوجنتين ، والأدلاج والاسراء من  
سرى الليل .

(٤) الشكر بفتح الشين وكسرهما عضو التناسل ، والشبر النكاح ، وضهل فلان حقه نقصه  
وطله مطله .

أيام أبدت واضحاً مفلجاً      أغر بواقاً وطرفاً أبرجاً  
ومقلةً وحاجباً مزججاً      وفاحماً ومرسناً مسرجاً<sup>(١)</sup>

فالمرسن الأنف ولا يدري ماذا أراد بوصفه بمسرج ، ومن ثم اختلف أئمة اللغة في تفسيره ، فابن دريد قال : هو من قولهم للسيف سريحية أي منسوبة الى حداد يسمى 'سريحاً' فهو يريد تشبيهه بالسيف السريحي في الدقة والاستواء ، وابن سيده صاحب (المحكم) قال : هو من السراج فهو يقصد أنه شبيه به في البريق واللعان ، وهذا قريب من قولهم : سرج وجهه بالكسر ، أي حسن ، وسرج الله وجهه ، بهجته وحسنه .

وعلى كلا الحالين فهو غير ظاهر الدلالة على ذلك المعنى ، لأن مادة فعل بالتشديد إنما تدل على مجرد نسبة شيء الى آخر لا على التشبيه ، فدلالتها عليه بعيدة ، وقريب من هذا امتناع استعمال اللفظ المشترك بين معنيين فأكثر بدون قرينة لما فيه من دخول الحيرة على السامع كاستعمال اللفظ المشترك بين المعنى وضده ، إلا إذا وجدت قرينة تخصصه بالمراد ، نحو عزّز ، فإنه لفظ مشترك بين التعظيم والإهانة فلا تقول لقيت فلاناً فعزّزته إلا بقرينة ، ومن ثم لم يستعمله القرآن الكريم إلا مع القرينة فقال : ﴿ قَالِذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَعَزَّرُوا وَنَصَرُوهُ ﴾<sup>(٢)</sup> فذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم

### مخالفة القياس

كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب كجمع ناكس على نواكس ، بمعنى مطأطئي الرموس في قول الفرزدق :  
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيته      خضع الرقاب نواكس الأبصار  
مع أن فواعل إنما تنقاس في وصف لمؤنث عاقل ، لا لمذكر كما هنا ، وكفك الادغام في أجلل من قول أبي النجم بن قدامة من رجّاز الإسلام :

(١) الضمير في أبدت يعود الى محبوبته ليلي في الابيات قبله وواضعا ، أي فما فيه أسنان واضحة والفالج تباعد ما بين الأسنان والأغر الأبيض والبريق اللعان والبرج بالتحريك عظم العين وحسنها والرجيح للتدقيق مع تقويس ، وفاحماً أي شعر اسود كالنعم .  
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

الحمد لله العلي الأجلل أنت ملوك الناس رباً فاقبل

واستعمال همزة القطع بدل همزة الوصل في قول جميل :

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمة<sup>(١)</sup> على حدثان الدهر مني ومن يُجمل<sup>(٢)</sup>

وعكسه في قوله : إن لم أقاتل فالبسوني برقماً .

فهذا وأمثاله قبيح يشين الكلام ويذهب بمآله<sup>(٣)</sup> .

قال في الصناعتين : وإنما استعمل ذلك القدماء لأنهم كانوا أصحاب بداية ،  
والبداية مزلة ، مع أن أشعارهم لم تكن تُنقد عليهم ، ولو نقدت كما تنقد على  
شعراء هذه الأزمنة ويُبهرج<sup>(٤)</sup> من كلامهم ما كان فيه أدنى عيب لتجنبوه .

وقال القاضي عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه :  
ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام  
الحجة لوجدت كثيراً من أشعارهم معيباً متردلاً ومردوداً منقياً ، لكن هذا الظن  
الجميل ستر عليهم ونفى الظنة عنهم فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب  
وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام . اهـ

ويستثنى من ذلك ما ثبت عن العرب من الشواذ نحو : أبي ، يأبى<sup>(٥)</sup> ،  
وعور<sup>(٦)</sup> واستحوذ<sup>(٧)</sup> وقطط<sup>(٨)</sup> شعره .

### الكراهة في السمع

هي أن تجم الكلمة الأسماع وتأنف منها الطباع لو حشيتها وغلظتها كالجرشي<sup>(٩)</sup> ،  
بمعنى النفس في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة :

(١) الشيمة الخلق والحدثان نواصب الدهر وجمل قرسه أو جملة .

(٢) حسنه وروثقه .

(٣) البهرج الرديء .

(٤) قياس مضارعه الكسر ، لأن المفتوح العين لا يكون إلا إذا كانت عين ماضية أو لامة  
حرف حلق كسأل ونقع .

(٥) القياس فيه عار لتحريك الواو وانفتاح ما قبلها .

(٦) القياس استحاذا .

(٧) تجعد .

مبارك الاسم أغرّ اللقب كرم الجرشي شريف النسب<sup>(١)</sup>  
وكان نقاخ فيما أنشده شمر:

وأحق ممن يلحق الماء قال لي دع الحمر واشرب من نقاخ مبرّد<sup>(٢)</sup>

لكن البصير بصنعة الكلام يعلم أن استئصال الطبع لما يسمع، إنما يتصور من جهة غرابة الكلمة ووحشيتها، ففي ذكر الغرابة غنية عن ذكرها.

### تدريب أول

بيّن ما أدخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

قال المتنبي يمدح سيف الدولة :

- ١ - وما أرضى لقلته بحلم إذا انتبعت تومئة (ابتشاكاً)<sup>(٣)</sup>
- ٢ - لم يلقها إلا بشكة باسل يخشى الحوادث حازم (مستعد)<sup>(٤)</sup>
- ٣ - يا نفس صبراً كل حي لاق وكل (اثنين) إلى افتراق
- ٤ - فلا يبرم الأمر الذي هو (حالل) ولا (يحلل) الأمر الذي هو 'برم
- ٥ - أن بني للثام زهده مالي في صدورهم من (مودّاه)
- ٦ - كتب بعض أمراء بغداد رقعة طرحها في المسجد الجامع حين مرضت أمه فقال : صين أمرو ورعى دعا لامرأة (إنقحلة) ، (مقسّنة) فقد منيت بأكل الطرموق فأصابها من أجله (الاستمصال) أن يمن الله عليها (بالاطرغشاش) ، و (الابرغشاش)<sup>(٥)</sup> .

(١) مبارك الاسم لأن اسمه علي من العلوي، وأغرّ اللقب أي مشهوره لأنه سيف الدولة .

(٢) يلحق يلحس ، والنقاخ العذب من الماء .

(٣) الابتشاك الكذب والحلم والرؤيا التي يراها الناس .

(٤) الضمير يعود الى الحرب ، والشكة الحصلة ، والبائل الشجاع .

(٥) أنقحلة يابسة ومقسّنة مسنة عجوز ومنيت ابتليت والطررموق الخفاص والاستمصال

الاسهال والاطرغشاش والابرغشاش البرء من المرض .

## الاجابة

| الكلمة     | الحكم         | السبب                                                                            |
|------------|---------------|----------------------------------------------------------------------------------|
| الابشاك    | غريبة         | لقلّة استعمالها ومن ثم قال الصاحب بن عباد لم يسمع هذا اللفظ في شعر قديم ولا محدث |
| مستعد      | مخالف للقياس  | إذ الواجب في هذه الحالة الادغام                                                  |
| إثنين      | مخالف للقياس  | إذ جعل همزة الوصل همزة قطع وأثبتها                                               |
| حائل       | مخالف للقياس  | إذ الواجب الادغام في مثل هذا                                                     |
| يحلل       | مخالف للقياس  | إذا الواجب الادغام في مثل هذا                                                    |
| مودد       | مخالف للقياس  | إذا الواجب الادغام في مثل هذا                                                    |
| إنفحلة     | غريبة متنافرة | لقلّة الاستعمال وثقل النطق                                                       |
| مقسنة      | غريبة         | لقلّة الاستعمال وثقل النطق                                                       |
| الاستمصال  | غريبة متنافرة | لقلّة الاستعمال وثقل النطق                                                       |
| الاطر غشاش | غريبة متنافرة | لقلّة الاستعمال وثقل النطق                                                       |
| الابر غشاش | غريبة متنافرة | لقلّة الاستعمال وثقل النطق                                                       |

### تدريب ثان

بيّن ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

١ - قال ابن نباتة في خطبة له يذكر أهوال يوم القيامة :

(أقمطر) وبأها ، و (اشمخر) نكالها ، فما ساغت ولا طابت<sup>(١)</sup>.

٢ - يوم (عصبصب) و (هلوف) ملا السجسج طلا<sup>(٢)</sup>.

٣ - قد قلت لما (اطلخم) الأمر وانعمت عشواء ثاليسه غبسا (دهاريسا)<sup>(٣)</sup>

٤ - نعم متاع الدنيا حباك به أروع لا (جيدر) ولا جيس<sup>(٤)</sup>

(١) أقمطر اشتد والوبال الثقل والوخامة واشمخر طال.

(٢) والمصصب الشديد الجمر والهلوف الذي يستر غمامه شمسه والسجسج الارض السهلة والطل المطر الندى أو المطر القليل .

(٣) اطلخم اشتد وعظم والدهاريس الدواهي والعشواء الناقة الضعيفة البصر والغبس جمع أغبس وغبساء وهي الشديدة الظلمة وهو لأبي تمام وبعده :

لي حرمة بك أضحى حق فازها وقفا عليك فدتك النفس محبوبا

(٤) حباك أعطاك والاروع المعجب والجيدر القصير والجيس الثقيل .

٥ - تقى تقى لم يكثر غنيمته بنهكة ذي قربى ولا (بحقلاَد)<sup>(١)</sup>

٦ - قال امرؤ القيس حين أدركته المنية وكان قد ذهب الى ملك الروم يستنجده على قتلة أبيه : رب جفنة (مثنججـه) ، وطعنة (مسحنفره) ، وخطبة مستحضره ، وقصيدة محبرة ، تبقى غداً بأنقره<sup>(٢)</sup> .

### الاجابة

| الكلمة  | الحكم                | السبب                         |
|---------|----------------------|-------------------------------|
| انمطر   | متنافرة              | لثقل النطق بها                |
| اشمخر   | غريبة                | لثقل الاستعمال                |
| عصصب    | غريبة                | لثقل الاستعمال                |
| هلوف    | غريبة                | لثقل الاستعمال                |
| اطلخم   | غريبة غليظة في السمع | لثقل استعمالها ووحشتها        |
| دهاريس  | غريبة غليظة في السمع | لثقل استعمالها ووحشتها        |
| جيدر    | غريبة                | لثقل استعمالها ووحشتها        |
| حفلد    | غريبة                | لثقل استعمالها ووحشتها        |
| مثنجر   | متنافرة              | لثقل استعمالها وثقل النطق بها |
| مسحنفرة | متنافرة              | لثقل استعمالها وثقل النطق بها |

### تمارين (١)

بيِّن ما أدخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

- ١ - تشكو الوجى من (أظلل وأظلل) من طول إملال وظهر 'ممل' <sup>(٣)</sup>
- ٢ - فأرحام شمر تتصلن (لدننه) وأرحام مال ما تني تقطع <sup>(٤)</sup>
- ٣ - رواق المز حولك (مسيطر) وملك علي ابنك في كمال <sup>(٥)</sup>

(١) النهكة الغلب والحقلد الاثم .

(٢) المثنججـة الملاءى والمسحنفرة التسعة ، وأنقرة بلد بآسيا الصغرى .

(٣) الوجى الحفي والأظلل باطن خف البعير ويعبر ممل أكثر ركوبه حتى دبر ظهره .

(٤) تنا تناخر ، وتنقطع تنمق .

(٥) مسيطر ممتد .

- ٤ - لا نسب اليوم ولا خلة ( إتسع ) الفتق على الراقع<sup>(١)</sup>  
 ٥ - فأيقنت أني عند ذلك فائر غدا تئذ أو هالك في (الهوالك)<sup>(٢)</sup>  
 ٦ - قال أبو علقمة يوماً لحاجه : أرهف 'ظبات المشارط' ، وأمر 'المسح' ،  
 واستنجل الرشح ، وخفف الوطء ، وعجل النزع ، ولا تكرهن ألبا ،  
 ولا تردن ألبا ، فقال له الحجام : ليس لي علم بالحروف<sup>(٣)</sup>.

## تمرين (٢)

بيّن ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

- ١ - جرت سحاً فقلت لها (اخبريني) نوى مشمولة فعق اللقاء<sup>(٤)</sup>  
 ٢ - اعاذل قد جربت من 'خلقي' أني أجود لأقوام وإن (ضننوا)  
 ٣ - من كلام أم الهيثم الأعرابية لأبي عبيدة الراوية ، وقد عادها في علة أصابتها ،  
 كنت وحي (سدكة) ، وشهدت مأكوبة ، فأكلت (جبيجة) ، من صفيف  
 (هلمة) فاعترتني (زخخة) ، فقيل لها أي شيء تقولين ، فقالت أو للناس  
 كلامان ، والله ما كلفتمكم إلا بالعربي الفصيح<sup>(٥)</sup>.  
 ٤ - يا نرجس الدنيا أقم أبدا (للاقتراح) ودائم النخب<sup>(٦)</sup>  
 ٥ - قال بعض الأدباء لكتابه يوصيه بحسن الجلسة للكتابة والاستماع لما يلي  
 عليه ، ألصق روائفك (بالجبوب) ، وخذ الأسطر (بشناترك) ،

(١) الخلة للصداقة والفتق الشق والراقع مصلح الفتق .

(٢) الثابر الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره .

(٣) أرهف رقق ، والظبات جمع ظبة وهي السيف والموسى ، والمشارط جمع مشرط وهو  
 مبضع الحجام الذي يشترط به الجلد واستنجل استخرج والرشح القز والأبي الممتنع والأتي الجائي  
 والحروف هنا اللغات .

(٤) السح الشديدة والنوى البعد وهو خبر مبتدأ محذوف أي هذه والمشمولة العامة .

(٥) سدكة مشتهية للطعام والجبيجة كرش يحشى باللحم المقطع ، والصفيف الشواء ، والملمى  
 أنشى الممز ، والزخخة وجمع في الظهر .

(٦) الاقتراح الابتداء والاختيار ، والنخب الشربة العظيمة من الخمر وغيرها .

واجل ( 'خندورتيك ) الى ( قيهلى ) حق لا أنفى نفيسة" ، إلا أودعتها  
( 'حماطة 'جلجلانك ) (١) .

### فصاحة الكلام

يراد بالكلام هنا ما يشمل المركب للتام والناقص (٢)  
وفصاحته تكون بسلامته من كل ما ينفلق به معناه وينبهم مغزاه ، وإلا كان  
مردوداً خارجاً عن حدود البلاغة ، ورسوم الفصاحة ، ولو احتوى على أجل  
المعاني وأشرفها ، وإنما يتم له ذلك اذا عرى عن الأشياء الآتية :

- ١ - تنافر الكلمات مجتمعة ، ويدخل فيه كثرة التكرار وتتابع الإضافات .
- ٢ - ضعف التأليف .
- ٣ - التعقيد اللفظي .
- ٤ - التعقيد المعنوي .

### تنافر الكلمات - المعازلة (٣) اللفظية

هو وصف يعرض للكلمات مجتمعة فيوجب ثقام واضطراب اللسان عند  
النطق بها ، وقد علم بالاستقراء أن منشأه إما :

- ١ - تكرير حرف أو حرفين من كلمة في المنشور أو المنظوم ، وهو قسمان :

( ١ ) ما اشتد ثقله وتناهى كالذي أنشده الجاحظ :

وقبرُ حرب بمكان قفرُ وليس قربَ قبر حرب قبرُ (٤)

فأنت ترى أن قافاته وراءاته قلقة نابية ، وكأنها سلسلة تتبرأ بعض حلقاتها  
من بعض .

---

(١) الررانف جمع رانقة الالية والجبوب الأرض ، والقلم والشنائر الأصابع ، والخندورتان  
حدثتا العين ، والتقييل الوجه ، والحماطة حبة القلب ، والجلجلان الصدر .

(٢) كالركب الإضافي ، والمركب التقييدي ، وهو مجاز من اطلاق الخاص على العام .

(٣) عاظل الكلام عقده ووالى بعضه فوق بعض .

(٤) حرب هو حرب بن أمية بن عبد شمس ولشدة الثقل فيه زعموا أنه من شعر الجن قاله  
لما قتلوه بثأر حبة منهم ودفنوه بناحية بعيدة وقفر ، نعمت مقطوع للضرورة أو هو خبر ، والباء  
بمعنى في أي مكان .

(ب) ما كان فيه بعض الثقل كقول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى ممي وإذا ما لمسه لمته وحدى<sup>(١)</sup>  
وقول المتنبي :

كيف ترثي التي ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راق<sup>(٢)</sup>

فتكرار الحاء والهاء المتقاربتي المخرج في بيت أبي تمام ، والجيم والراء في أكثر كلمات بيت المتنبي ، أوجب الثقل فيها .

وقال بعض الوعاظ في كلام أورده : (حق جنات' وَجَنَات جنات الحبيب)  
فلما سمعه بعض الحاضرين صاح وقال : سمعت جيماً في جيم فصاحت .

٢ - إيراد أفعال يتبع بعضها بعضاً بدون عطف ، سواء اختلفت بين الماضي والمستقبل نحو قول القاضي الأرجاني يحدث عن الشمع :

بالنار فرقت الحوادث بيننا وبها نذرت أعود أقتل روحي<sup>(٣)</sup>

أم لم تختلف كقول المتنبي يدح سيف الدولة :

أفل أنل أقطع احمل على سل أعد زدهش بش تفضل أدن سر صل<sup>(٤)</sup>

فورود نذرت أعود أقتل محاربة على تلك الشاكلة في البيت الأول جاء ثقيلًا متعاطلاً ، كما أن مجيء أفعال الأمر متكررة في البيت الثاني جعل للثقل فيها حظاً عظيماً ، فإن جاءت الأفعال مع حرف العطف لم تكن في الثقل كالأول نحو قول عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن :

احمل وامرر وضر وانفع ولن واخشن وأبرر ثم انتدت للمعالي<sup>(٥)</sup> .

---

(١) وفيه عيب آخر وهو مقابلة المدح باللوم وإنما يقابل بالذم ، وكأنه أراد أن ينفي الذم عنه بنفيه اللوم بالطريق الأولى .

(٢) وراءها راءها فعصل فيه إعلال بالقلب بتقديم الألف وتأخير الميمزة ورقا الدمع والدم انقطع ، يريد أنها لا ترحم باكباً لأنها تحسب الدمع في أجفان العشاق خلقياً .

(٣) يقول بلسان الشمع أنه ألف العسل وهو أخوه الذي ربي معه لكن النار فرقت بينه ، وأنه نذر أن يقتل نفسه بها أيضاً من ألم الفراق .

(٤) أقل من الاقالة وأقطع من الأقطاع لأرض ونحوها وعلى من العلو وصل ، أي بالمعطية .

(٥) أبرر من قولهم أبر اليمين أمضاها على الصدق واقتدب لكفذا ماسها .

٣ - إيراد صفات متعددة على طريق واحدة كقول المتنبي في المديح ، وقد أولع كثيراً بهذا النوع :

دان بعيد محب مبغض بهج      أغرّ حلو ممرّ لسين شرس  
ند أبي غرّ واف أخى ثقة      جمعد سرّنه نذب رضى ندّس<sup>(١)</sup>  
ولا يخفي ما فيه من الثقل فما أشبه بسلسلة طويلة متصلة الحلقات .

٤ - تعاقب الأدوات وبحي ، بعضها إثر بعض كمن وإلى ، وفي وعن وعلى كقول أبي تمام :

كانه في اجتماع الروح فيه له      في كل جارحة من جسمه روح<sup>(٢)</sup>  
وقول المتنبي يصف فرساً :

وتسعدني في عمرة بعد عمرة      سبوح لها منها عليها شواهد<sup>(٣)</sup>

فجيء في بعد له في البيت الأول ، ولها منها عليها في البيت الثاني ، أورث فيها ثقلاً حمل اللسان يتعثر عند النطق بها ، قال صاحب الصناعتين : وسبيل تلافي ذلك أن تفصل بين الحرفين كأن تقول : أقمت به شهيداً عليه .

٥ - تتابع الإضافات كما تقول : سرج فرس تابع الأمير ، وعليه ورد قول ابن بابك :

حمامة جرجي حومة الجندل اسجمي      فأنت بمرأى من سعاد ومسمع<sup>(٤)</sup>

قال في دلائل الإعجاز : ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الإستكراه ، قال صاحب بن عبادة : إياك والإضافات المنداخلة ، وذكر أنه يستعمل في الهجاء كقوله :

(١) الشرس الصلب هنا والقرى المغرى بفعل الجميل وجعد الماضي في الأمور والسري الشريف والنهي العاقل والندب السريع في أموره ، والندس العارف البعائث ، يريد أنه محب لأهل الفضل مبغض لأهل التقص يبهج بالقصايد ويحلو لأرليائه ويمر على أعدائه .

(٢) الجارحة العصور يريد أن يقظ نشيط .

(٣) الغمرة الشدة ، والسبوح الفرس الحسن العدو الذي لا يتعب راكبه كأنه يسبح في الماء يريد أنه يعينه على الشدائد ، وله شواهد دالة على كرم خصاله .

(٤) الجرجى تأنيث الأجرع وهي الرملة لا تنبت شيئاً ، والحمومة معظم الشيء ، والجندل الهجارة ، والسجع هديل الحمام المعنى اطربي لأن الحبيبة تراك وتسمعك .

يا علي بن حمزة بن عمارة أنت والله ثلجة<sup>(١)</sup> في خيارة<sup>(٢)</sup>  
(تنبيه) لا يقبح القسمان الأخيران إلا إذا أوجبا ثقلاً على اللسان ،  
وإلا فلا يخلان بالفصاحة ، فقد تكررت الأدوات وكانت حسنة مليحة في قول  
قطري بن الفجاءة :

ولقد أراني للرماح دريئة<sup>(٣)</sup> من عن يميني مرة وأمامي<sup>(٤)</sup>  
كما تكررت الإضافة ولطفت في قوله تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ  
زَكْرِياً ﴾<sup>(٥)</sup> وقول ابن المعتز :

وطلت تدير الراح أيدي جاذر عتاق دنابر الوجوه ملاح<sup>(٦)</sup>  
ومن ذلك تعلم أنه لا وجه لعد هذين القسمين بعيدين عن التنافر .

#### ضعف التأليف

هو أن يكون تأليف الكلام مخالفاً لما اشتهر من قوانين النحو المشهورة ،  
كوصل الضميرين ، وتقديم غير الأعراف ( مع وجوب الفصل في نحو هذا ) ،  
كقول المتنبي :

خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزننا<sup>(٥)</sup>  
وكنصب المضارع بلا ناصب نحو :

أنظرا قبل تلوماني الى طلل بين النقا والمنحنى<sup>(٦)</sup>

وكحذف نون يكن في الجزم حين يلبيها ساكن نحو :

---

(١) قوله ثلجة في خيارة في أي خيارة ثلجة ، وفي هذا اشتباه من عبد القاهر ، لأنه ليس فيه  
تتابع اضافات .

(٢) الدريئة الحلقة التي يتعلم عليها الطعن والرمي (النشان) .

(٣) سورة مريم .

(٤) الراح الحمر ، والجاذر جمع جؤذر ولد البقر الوحشية تشبه به الحسان لجمال عينيه ،  
والعتاق النجائب ودنابر الوجوه أي وجوههم متألثة كالذنابير .

(٥) الغزاة الشمس ، يريد أن البلاد اذا خلّت من الشمس ليلا جعلك الله عوضاً منها .

(٦) الطلل ما بقي من آثار الديار ، والنقا والمنحنى موضعان .

لم يك الحق سوى أن هاجه رسم دار قد تعفست بالمرز<sup>(١)</sup>  
وكلاضمار قبل الذكر لفظاً ومعنى وحكماً<sup>(٢)</sup> في قول حسان بن ثابت:  
ولو أن مجدأ أخلد الدهر واحداً من الناس أبقي مجده الدهر مطعماً<sup>(٣)</sup>

### التعقيد

هو ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد ، ولذلك سببان ،  
أحدهما يرجع الى خلل في النظم والتركيب وهو التعقيد اللفظي ، وثانيهما يرجع  
الى المعنى وهو التعقيد المعنوي .

### التعقيد اللفظي<sup>(٤)</sup>

حقيقته أن تكون الألفاظ مرتبة لا على وفق ترتيب المعاني ، فيفسد نظام  
الكلام وتأليقه بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير ونحو ذلك ، كتقديم الصفة  
على الموصوف ، والصلة على الموصول .  
وهو مذموم مرفوض عند أهل البيان لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه ،  
وذلك ضد الفصاحة التي هي ظهور وإبانة ، ومن ثم قال العتابي : الألفاظ أجساد  
والمعاني أرواح ، وإنما تراها بعين القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخراً أو أخرت  
منها مقدماً ، أفسدت الصورة وغيبت المعنى ، كما لو حول رأس الى موضع يد  
أو يد الى موضع رجل ، فإن الخلقة تتحول والحلية تتغير .  
وأكثر من استعماله الفرزدق وكأنه كان يقصده لأن مثله لا ينجيء إلا متكلفاً ،  
إذ لو خلى الإنسان ونفسه تجري على سجيتها في الاسترسال لم يعرض لها شيء من  
هذا النوع ، فمن ذلك قوله يمدح الوليد بن عبد الملك :

(١) هاج نار ورسم الدار أثرها وتعفت درست واضمعلت والمرر موضع .  
(٢) فإن تقدم الضمير لفظاً وتأخر معنى جاز نحو ضرب غلامه محمد ، وكذا إن تقدم لفظاً  
وتأخر حكماً نحو نعم رجلاً على .  
(٣) يرثي مطعم بن عدي أحد رؤساء الشركين وكان يدافع عن النبي عليه الصلاة والسلام .  
(٤) قد يحصل التعقيد باجتماع عدة أمور موجبة لصعوبة فهم المعنى وإن كان كل منها جازياً  
على قانون النحو ، فلا يغني ذكر ضعف التأليف عنه .

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره<sup>(١)</sup>

يريده الى ملك أبوه ليست أمه من محارب ، فقدم وأخر حتى أتهم المعنى .  
وقوله في البيت المشهور الذي جرى مجرى المثل في التعقيد يمدح به إبراهيم  
ابن هشام بن إسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه<sup>(٢)</sup>

مراده : وما مثل هذا الممدوح في الناس حي يقاربه ويشبهه في الفضائل  
إلا مملكا أبو أم ذلك المملك أبو الممدوح ، فيكون الممدوح خال الملك ،  
وخلاصة ذلك أنه لا يماثله إلا ابن أخته .

فانظر رعاك الله كيف عقد المعنى ، وصار به الى النعمية دون الافصاح ،  
ولهذا قال الرماني : قد اجتمع في البيت أسباب الإشكال الثلاثة : سوء الترتيب  
وبه تغير نظام الكلام ، وسلوك الطريق الأبعد في قوله : أبوه أمه أبوه ، وكان  
يجزئه أن يقول : خاله ، وإبقاء مشترك الألفاظ في قوله : حي يقاربه ، لأنها  
لفظة تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان بالحياة .

قال في المثل السائر ومن أقبح هذا النوع قول الآخر :

فأصبحت بعد خط بهجتها كأن قفرا رسومها قلما<sup>(٣)</sup>

يريد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلماً خط رسومها ، ففصل بين الفعل  
الناقص وخبره ، وبين كأن واسمها ، وبين المضاف والمضاف اليه ، وقدم خبر  
كأن عليها ، وعلى اسمها .

### التعقيد المعنوي

هو خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد من أجل ما عاقها من اللوازم البعيدة  
والكنايات المفتقرة الى وسائط ، أو اللوازم القريبة الخفية العلاقة ، مع عدم

(١) محارب وكليب قبيلتان .

(٢) فصل فيه بين المبتدأ والخبر وهو أبو أمه أبوه بالأجنبي الذي هو حي ، وبين الموصول  
الصفة ، أعني حي يقاربه بالأجنبي الذي هو أبوه ، وتقديم المستثنى أعني مملكا على المستثنى  
منه ، وهو حي ، وفصل كثير بين البدل وهو حي ، والبدل منه وهو مثله .

(٣) الظاهر أنه يصف دياراً درست وعفت آثارها .

ظهور القرائن الدالة على المقصود ، فبمعجز الكلام عن أداء المعنى ، كقول  
العباس ابن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

يريد أنه يتحمل الفراق وآلامه ، ويوطن النفس على الحزن والأسى ، عليه  
يحظى بوصل يدوم ، وسرور لا ينقطع ، فطالما نال الصابرون أمانتهم ، وفرجت  
كروبهم . وهذا المعنى مطروق لهجت به ألسن الشعراء والكتاب ، قال  
عروة ابن الورد :

تقول سليمى لو أمت بأرضنا ولم تدر أنى المقام أطوف

وقال أبو تمام :

أألفه النحيب كم افتراق ألم فكان داعية اجتماع<sup>(١)</sup>

وقيل للربيع بن خيثم ، وقد صلى ليلة حتى أصبح : أتعبت نفسك ، فقال :  
راحتها أطلب .

إلا أن ابن الأحنف لم يتم له ما أراد على سنن قويم ، فإنه كنى عما قصد  
بكتائيتين أصاب في أولاهما ، المهر وطبقتي المفصل ، وأخطأ في آخرهما وجه  
الحقيقة ، ولم يسلك الميسر الواضح في الرمز والإيحاء الى ما أراد ، بيان هذا أنه  
دل بديئاً بسكب الدمع على ما يلزم فرقة الأحباب من الحزن والكمد والتعب  
والنصب ، فأصاب شاكلة الصواب ، فإن البكاء عنوان الحزن والأمانة الدالة  
عليه ، فيرمز به اليه حتى قالوا : « أبكاني وأضحكني » على معنى ساءني وسرني ،  
كما قال الحماسي :

أبكاني الدهر يا ربما أضحكني الدهر بما يرضى<sup>(٢)</sup>

ثم تلا ذلك فدل يجمود العين على ما يوجبه دوام التلاقي ، من الفرح والسرور ،  
لكن التوفيق لم يكن حليفه في هذا ، إذ الجمود إنما هو خلو العين من البكاء عند  
الداعية اليه ، فهو كناية عن البخل بالدموع حين الحاجة اليها ، كما قال أبو عطاء  
يرثي أبي هبيرة :

(١) ألم نزل ، ولنحيب البكا .

(٢) قبله : أترثني الدهر على حكمه من شامخ عال الى خفض .

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط عليك مجاري دمعها لجود  
لا كناية عن السرور لأنه لو صح ذلك لجاز أن يدعى به فيقال : لا زالت  
عينك جامدة ، كما يقال : لا أبكى الله عينك ، ولا خفاء في بطلان ذلك ،  
كما يرشد إليه قول أهل اللغة : سنة جماد لا مطر فيها وثاقه جماد لا لبن فيها ،  
على معنى أن السنة بخيلة بالقطر ، والثاقه لا تسخو بالدر .

وهكذا حال الكنايات التي استعملها العرب ، لأغراض إذا غيرها المتكلم  
وأراد بها أغراضاً أخرى ، كما إذا استعمل قولهم : بيته كثير الجرذان ، كناية  
عن وسخ المنزل وسوء نظامه ، وقولهم : أبيض سربال الطباخ ، كناية عن نظافة  
الطاهي وحسن هندامه ، كان ذلك خروجاً من سنن العرب واستعمالاتهم ، وعد  
ذلك تعقيداً ، إذ هذا غير ما يتبادر إلى الفهم ، لأن العرب كنت بالأولى عن كثرة  
الطعام ، وبالثانية عن البخل .

### تدريب أول

أذكر ما أخلّ بفصاحة الكلام فيما يلي :

- ١ - تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
- ٢ - لما رأى طالبوه مُصعباً دَعَرُوا وكاد لو ساعد المقدور ينتصر
- ٣ - لو كنت كنت كتمت السر كنت كما كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن
- ٤ - لما عصى أصحابه مُصعباً أدوا إليه الكيل كيلا بصاع
- ٥ - ولم أر مثل جيرانى ومثلى لمثلى عند مثلهم مقام

### الاجابة

- ١ - في البيت تعقيد لفظي ، إذ تقديره : نكن يا ذئب مثل من يصطحبان .
- ٢ - فيه ضعف التأليف ، لأن الضمير في طالبوه يعود إلى مصعب وهو متأخر لفظاً ومرتب .
- ٣ - فيه تنافر في الكلمات ، أوجبه تكرار لفظ كنت عدة مرات .
- ٤ - فيه ضعف التأليف ، لأن الضمير في أصحابه يعود إلى مصعب المتأخر لفظاً ومرتب .
- ٥ - فيه تنافر في الكلمات ، سببه تكرار لفظ : مثل .

## تدريب ثان

اذكر ما أخلّ بفصاحة الكلام فيما يلي:

- ١ - ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل
- ٢ - تجمعت في فؤادم هم ملء فؤاد الزمان إحداها
- ٣ - ألا ليت شعري هل يلومن قومه زهيراً على ما جرّ من كل جانب
- ٤ - لو لم تكن من ذا الوري اللذ منك هو عقت بولد نسلها حواء
- ٥ - قبيل أنت أنت أو كنت منهم وجدك بشر الملك الهمام
- ٦ - جواب مسألي له نظير ولا لك في سؤالك لا ألا

## الاجابة

- ١ - فيه تعقيد لفظي، لأن تقديره من أجل أن العيون عوامل عمل السيوف سميت أغطيتها جفونها .
- ٢ - فيه تنافر، أوجبه ثقل النطق بالهاء والميم مجتمعتين في كلمتين .
- ٣ - فيه ضعف التأليف، لأن الضمير في قومه يعود الى متأخر لفظاً ورتبة .
- ٤ - فيه تنافر، لثقل تأليف البيت وركة صوغه .
- ٥ - فيه تعقيد وتنافر، لأن تقديره قبيل أنت على شرف قدرك، أنت منهم، وأنت أنت ، وإذا كنت أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخراً .
- ٦ - فيه تنافر، أوجبه تكرار لا عدة مرات ، حتى قال الصاحب بن عباد: ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعاً، وقد سمعت الفأفاء ولم أسمع بالألاء حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف الذي لا يقف حيث يعرف .

## تموين (١)

أذكر سبب خروج ما يأتي من الأساليب الفصيحة :

- ١ - وازور من كان له زائراً وعاف عافي العرف عرفانه<sup>(١)</sup>
- ٢ - لم تر من ندمت إلا كا لا لسوى ودك لي ذا كا

(١) ازور عدل وعاف كره والعافي طالب المعروف والعرف التوال والعطاء .

- ٣ - وبه يضمن على البرية لا بها      وعليه منها لا عليها يوسى<sup>(١)</sup>  
 ٤ - هو السيف الذي نصر بن أروى      به عمان مروان المصابا  
 ٥ - ونهنت نفسي بعدما كدت أفعله<sup>(٢)</sup>  
 ٦ - الطيب أنت اذا أصابك طيبة      والماء أنت اذا اغتسلت الغاسل<sup>(٣)</sup>

## تمرين (٢)

- (١) وقلقلت' بالهم الذي قلقل الحشا      فلاقل عيسى كلهن قلاقل<sup>(٤)</sup>  
 (٢) ليس إلاك يا علي' ممام      سيفه دون عرضه مسلول  
 (٣) ومن جاهل بي وهو يجهل جهله      ويجهل علمي أنه بي جاهل  
 (٤) صان اللثيم وصنت وجهي ماله      ووني فلم يبذل ولم أقبذل<sup>(٥)</sup>  
 (٥) فما من فتى كنا من الناس واحدا      به نبتغي منهم عديلا نبادله<sup>(٦)</sup>  
 (٦) ففتنتني فجنتني تجنني      بتجن يفتن غب تجنني<sup>(٧)</sup>  
 (٧) زار داود أروى وأروى      ذات دل اذا رأت داودا<sup>(٨)</sup>

## فصاحة المتكلم

هي صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التعبير عما يحول في خاطره من الأغراض والمقاصد .

- (١) الضن البخل والبرية الخلق ، يوسى يحزن ، يريد أنه يبخل بالمعروف على الناس كلهم لا بهم يبخل عليه .  
 (٢) نهنت كف وزجر :  
 (٣) يريد أنك أطيّب من الطيب وأطهر من الماء اذا اغتسلت به .  
 (٤) قلقل حرك والحشا داخل الجوف وقلقل الأولى جمع قلقلة وهي الناقة السريعة والثانية جمع قلقة وهي الحركة ، وخمير كلهن للعيس لا للقلقل ، والمعنى : حركت بسبب الهم الذي حرك نفسي نوقاً حفافاً في السير سريعاً الحركة .  
 (٥) الأصل صان اللثيم ماله ووني ، فلم يبذل وصنت وجهي ولم أقبذل .  
 (٦) تقديره فما فتى واحداً من الناس كنا نبتغي به عديلاً نبادله منهم ، أي أنه لا نظير له يكون عوضاً منه .  
 (٧) تجنني آخر المصراع الأول اسم امرأة وتجن ، أي بدعوى ذنب ، ويفتن بتنوع ، وغب عقب .  
 (٨) أروى اسم امرأة ، والدل الدلال .

وبتلك الصفة يتمكن من صياغة ضروب الكلام ، من مديح وهجاء وتهان ومراث ، وخطب محبرة ، ورسائل منمقة في الوعظ والإرشاد ، والمفاخرات والمنافرات .

ولن يبلغ شاعر أو نثر هذه المنزلة إلا إذا كان ملماً باللغة كثير الاطلاع على كتب الأدب ، محيطاً بأسرار أساليب العرب ، حافظاً لعيون كلامهم من شعر جيد ونثر مختار ، عالماً بأحوال الشعراء والخطباء ، ومجالس الملوك والأمراء ، محيطاً بعمدات العرب وأخبار أيامهم .

### البلاغة

تقع البلاغة وصفاً للكلام ، والمتكلم ، ولم يسمع وصف الكلمة بها .

### بلاغة الكلام

بلاغة الكلام مطابقتها لمقتضى الحال التي يورد فيها مع فصاحته<sup>(١)</sup> . ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين واعتبار طبقاتهم في البيان وقوة المنطق ، فلاسوقة كلام لا يصح غيره في موضعه والغرض الذي يبني له ، ولسراة القوم والأمراء فن آخر لا يستعمله سواه ، ولقد أفصح عن ذلك الخطيئة حين خاطب عمر بن الخطاب فقال :

تحن على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

قال صاحب الصناعتين : وربما غلب سوء الرأي وقلة العقل على بعض علماء العربية ، فيخاطبون السوقي والمملوك والأعجمي بألفاظ أهل نجد ، والسراة كأبي علقمة إذ قال لطبيب : « أجد رسيماً في أسناني وأرى رجلاً فيما بين الوابلة إلى الأطرة من دأيات العنق »<sup>(٢)</sup> فقال له الطبيب (متكماً) : هل من وجع القرشي ؟ قال له : وما يبعدنا منهم يا عدوي نفسه ، نحن من أرومة واحدة ونجل واحد . قال الطبيب : كذبت ، وكلما خرج هذا الكلام من جوفك كان أمون لك . قال : بل لك الهوان والخسارة والسباب .

(١) فإذا قلت: فلان مستعد للامر، لم يكن بليفاً .

(٢) الرئيس ابتداء الحمى إذا فتر الجسم، والاسناخ منابت الأسنان، والوابلة طرف الكتف والأطرة كل ما أحاط بشيء ، ودأيات العنق فقراتها .

وبما سبق تعلم أن :

(١) الحال (المقام) هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية في التركيب .

(٢) المقتضى (الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة .

(٣) مقتضى الحال هو إيراد الكلام على تلك الصورة .

فمثلاً الوعظ حال ومقام يقتضي البسط والأطناب ، وذلك البسط مقتضى ، وإيراد الكلام على صورة الأطناب مطابقة للمقتضى .

وكذا كون المخاطب منكراً يوم البعث حال يقتضي التأكيد ، والتأكيد مقتضى ، وكونك تخاطبه بقولك : إن يوم الساعة لا شك فيه ، مطابقة لمقتضى الحال ، وهكذا مقام الذكي يخالف في الخطاب مقام الغبي ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، لأن لكل منها من الاعتبارات واللطائف وما يخالف ضده .

### مراتب البلاغة

بلاغة الكلام متفاوتة ، لأن الألفاظ إذا ركبت لإفادة المعاني المرادة منها حصل لها بالتركيب صور مختلفة لا يحصرها العدد ، ألا ترى أن طلبه الفرقة إذا كتبوا في موضوع واحد في منشئاتهم تناولوا معاني متقاربة ، أو متشابهة ، لكنهم يتفاوتون في الأشياء الآتية :

(١) العبارة التي ينشئونها .

(٢) ترتيب المعاني .

(٣) بسط الألفاظ أو إيجازها .

وكلما كان المتكلم أكثر مراعاة للمقتضيات والاعتبارات ازداد الكلام حسناً وكلما كان أوفى بها كان أبلغ ، وبالعكس إذا قل وفاءه بتلك الخصوصيات المعتبرة عند البلغاء كان أقل مرتبة في البلاغة ، ولا يزال ينزل حتى يصل إلى المرتبة السفلى ، فيلتحق عند البلغاء بأصوات الحيوان ، وإن كان صحيح الإعراب .

والمرتبة العليا وما يقرب منها هي مرتبة المعجز ، وهو كلام الله تعالى الذي عجز البشر قاطبة أن يأتوا بأقصر سورة من مثله ، وقد نزل في أرقى العصور

فصاحة وأكملها بلاغة ، ومع ذلك وجم العرب ، وخرست شقاشقهم مع طول التحدي وشد النكير عليهم ، وحقت له الكلمة العليا .

ثم يليه في الرتبة كلام رسوله ﷺ ، فقد أوتي من جوامع الكلم ما حارت في أمره جمابذة الفصاحة وأساطين البلاغة ، ثم كلام البلغاء من العرب جاهليين وإسلاميين .

### شواهد

#### من فصيح الكلام تشرح أسرار الفصاحة وتبين مراتب البلاغة

القرآن الكريم هو ينبوع الذي لا يفيض ماؤه والشجرة التي لا ينقطع ثمرها والجديد الذي لا تبلى جدته ، فقد ضرب الأمثال ، وتفجرت منه ضروب الحكمة وقص علينا من أخبار الماضين وسير الغابرين ما فيه العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وبسط ذلك برائع الأساليب ، وبديع التراكيب ، انظر الى ما جاء فيه عند ذكر الحساب والصراط والميزان ، **﴿ تَجِدُ اللَّفْظَ الْجَزَلَ ، وَالْقَوْلَ الْفَصْلَ ، نَحْوُ : وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَقَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يُنْظَرُونَ . وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَادَةِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾** <sup>(١)</sup> . كما تجد السهل الملهل خطاباً لنبيه ﷺ نحو : **﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾** <sup>(٢)</sup> الى آخرها .

وقد اغترفت السنة النبوية من ذلك البحر وقطفت من تلك الرياض فأوتيت من موجز الحكم وجامع الكلم ما لا يزال نجمة الرائد وكعبة القاصد ، فمن جزلها قوله ﷺ : **« يَا بَنِي آدَمَ تَوَتَّى كُلُّ يَوْمٍ بِرِزْقِكَ وَأَنْتَ تَحْزَنُ وَيَنْقُصُ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ عَمْرِكَ وَأَنْتَ تَفْرَحُ ، أَنْتَ فِيمَا يَكْفِيكَ ، وَتَطْلُبُ مَا يَطْفِيكَ ، لَا بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ وَلَا بِكَثِيرٍ تَشْبَعُ »** .

(١) سورة الزمر .

(٢) سورة الضحى .

ومن مهلهلها وسهلهلها قوله ~~عنه~~ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل  
واعدد نفسك في الموتى ، فإذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح ، وإذا أصبحت  
فلا تحدثها بالمساء ، وخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن  
فراغك لشغلك » .

وإن شئت إيضاحاً وبياناً ، وعلماً وعرفاناً ، فوازن بين قول النمر بن قولي  
يذم الحياة :

|                             |                           |
|-----------------------------|---------------------------|
| يود الفق طول السلامة والغنى | فكيف ترى طول السلامة يفعل |
| يكاد الفقى بعد اعتدال وصحة  | ينوء إذا رام القيام ويحمل |

وقول الفند الزماني :

|                 |                   |
|-----------------|-------------------|
| أيا تملك يا تمل | وذات الطوق والحجل |
| ذريني وذري عذلي | فإن العذل كالقتل  |

تجد المدى واسعاً والهوة بينها سحيقة والتفاوت لا حد لغايته ، أو اقرون بين  
قول معن بن أوس في الفخر :

|                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| لعمرك ما أهويت كفي لربة     | ولا حملتني نحو فاحشة رجلي     |
| ولا قادني سمعي ولا بصري لها | ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي  |
| وأعلم أني لم تصبني مصيبة    | من الدهر إلا قد أصابت فق قبلي |

وقول بشار بن برد :

|                 |                   |
|-----------------|-------------------|
| ربابة ربة البيت | تصب الخل في الزيت |
| لها عشر دجاجات  | وديك حسن الصوت    |

ترى عجباً عجباً وتفاوتاً في الصنعة لا يحتاج الى مرأ أو جدل .

وإن شاقك أن تعرف فاخر الكلام ورصينه ، وما يسابق معناه ولفظه ،  
ولفظه معناه ، وما لا يكون لفظه أسبق الى سمعك من معناه الى قلبك ، وما قالوا  
في مثله إنه يدخل في الأذان بلا استئذان فانظر قول الرقاشي في العظة والاعتبار :  
« سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجبك حواراً  
أجابتك اعتباراً » . وقول بعض الكتاب : مثلك أوجب حقاً لا يحب عليه ،  
وسمح بحق وجب له ، وقبل واضح العذر ، واستكثر قليل الشكر ، لا زالت  
أياديك فوق شكر أوليائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

## بلاغة (١) المتكلم

هي ملكة يقتدر بها على التصرف في فنون الكلام وأغراضه المختلفة ،  
ببديع القول وساحر البيان ، ليلبغ من المخاطب غاية ما يريد ، ويقع لديه الكلام  
موقع الماء من ذي الغلة الصادي ، وتلك الملكة لا يصل اليها إلا من أحاط  
بأساليب العرب خبراً ، وعرف سنن مخاطبتهم في منافراتهم ومفاخراتهم ومدحهم  
وهجومهم واعتذارهم وشكرهم ، ليلبس لكل حال لبوسها ، ويراعي الخصائص  
والمقتضيات التي تناسبها .

انظر الى النبي ﷺ تجده راعى حال من يخاطبه ، فكتب الى أهل فارس  
بما يسهل ترجمته ، فقال : « من محمد رسول الله الى كسرى أبرويز عظيم فارس ،  
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، فأدعوك بداعية الإسلام فإني أنا  
رسول الله الى الخلق كافة ، لينذر من كان حياً ويحق للقول على الكافرين ، فأسلم  
تسلم ، فإن أبيت فإثم الجحوس عليك » .

وكتب بضدها الى وائل بن حجر الحضرمي وقومه ففخم لهم اللفظ لما عرف  
من فضل قوتهم على فهمه ، وعادتهم سماع مثله فقال : « من محمد رسول الله الى  
الأقبال العباهلة من أهل حضرموت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، على النية الشاة ،  
والتيمة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس ، لا خلط ولا وراط ، لا شناق ولا شغار ،  
ومن أجبى فقد أربى ، وكل مسكر حرام » (٢) .

---

(١) قال صاحب الصناعتين : وصف المتكلم بالبلاغة من قبل التوسع ، والمجاز ، وحقيقته  
بليغ الكلام كما تقول رجل محكم وتعني لإحكام أفعاله كما قال تعالى : « حكمة بالغة » فوصف  
الحكمة بالبلاغة ولم يصف بها الحكيم .

(٢) الأقبال واحدة قيل بفتح القاف وهو الملك ، والعباهلة الذين أقرؤا على ملكهم ، والنية  
الأربعون من النعم ، والتيمة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، والسيوب المغادن ،  
ولا خلط أي لا يخلط رجل إبله بأبل غيره أو بقره ليمنع الصدقة ، والوراط الحديدية والغش ،  
والشباق ما بين الفريضتين حتى تنم ، والشغار أن يزوج كل واحد صاحبه امرأة على أن يزوجه  
أخرى بلا مهر ، والاجباء بيع الزرع قبل أن يمدو صلاحه .

## متممات

أولاً : علمت مما سبق في بيان تعريف الفصاحة والبلاغة ، ما يعتور الكلام من العيوب ، ويزري بقيمته ويحط من قدره ، فوجب أن تعرف بهم تداوي هذه العيوب ، فتقول :

( أ ) مخالفة القياس - يمكن تجنبها بالاطلاع على علم التصريف ، فهو الكفيل بمعرفة سنن المفردات العربية ونهج استعمالها ، ألا ترى أن نافع بن أبي نعيم ، وهو من أكابر القراء السبعة قدراً وأفخمهم شأنًا ، قال في معاش ، معاش بالهمز ، مع أن الباء<sup>(١)</sup> فيها ليست زائدة لأنها من العيش ، فعيب عليه ذلك ، حتى إن أبا عثمان المازني قال : إن نافعاً لم يدر ما العربية .

( ب ) ضعف التأليف والتعقيد اللفظي - يتباعد عنها بملاحظة قواعد النحو ، إذ هو الباحث عن كيفية استعمال المركبات على وجه الصواب . وقد يشذ عن قانونه الخاصة بلك العامة فينزل كلامهم إلى الدرك الأسفل ويكون عرضة للقادح ، انظر ما وقع فيه أبو نواس حيث يقول في مدح الأمين :

يا خير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر اليمون

فرفع المستثنى في موجب الكلام ، ومعرفة هذا من ظواهر النحو لا من خوافيه .

( ج ) الغرابة - يسهل التبعاد عنها بالاطلاع على متن اللغة ، فإذا تتبع المتكلم مشهور الكتب وأحاط بمعاني المفردات المأثورة ، عرف أن ما سواه مما يفتقر إلى بحث وتنقير ، أو تخريج على وجه بعيد فغريب .

( د ) الأحوال ومقتضياتها - تعلم من دراسة علم المعاني .

( هـ ) التعقيد المعنوي - يمكن التجافي عنه بدراسة علم البيان .

( و ) وجوه تحسين الكلام التي تكسوه طلاوة وتكسبه رقة ، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة - تعرف من علم البديع .

( ز ) التنافر - وملاك معرفته الذوق السليم والشعور النفسي .

---

(١) ظن أن مفرداً فعلية فجمعها على فاعل ، وليس كذلك ، بل هي مفعلة بكسر العين ، فأصلها معيشة بكسر الياء ، فيأوما ليست كياء صحيفة فلا تنقلب في الجمع همزة .

ثانياً : علم البيان في اصطلاح المتقدمين اسم جامع للعلوم الثلاثة ( المعاني والبيان والبديع ) وعليه قول الجاحظ : البيان اسم جامع لكل ما كشف لك المعنى ، وقول ابن المعتز : البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول .

بعض الأئمة يسمي الثلاثة علم البديع لما فيها من بديع الصنعة ، كما يسمي بعضهم الأول علم المعاني ، والأخيرين علم البيان .

ثالثاً : للمتقدمين في حدود البلاغة ورسومها ، كلمات مجملة تقرب لك بعضاً مما فصلناه ، منها قول محمد بن الحنفية : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه بأيسر العبارة . وقول ابن المعتز : البلاغة البلوغ الى المعنى ولما يطل سفر الكلام ، وقول ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير . وقول بعضهم : هي قلة اللفظ ، وسهولة المعنى ، وحسن البديهة .

### علم المعاني

هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له ، فيه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، فنعرف السبب الذي يدعو الى التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والإيجاز حيناً والاطناب آخر ، والفصل والوصل ، الى غير ذلك مما سنذكر بعد .

فمنه نعرف مثلاً :

- (١) أن العرب توجز إذ شكرت أو اعتذرت .
- (٢) أن العرب تطنب إذا مدحت .
- (٣) أن الجملة الاسمية تأتي لإفادة الثبات بمقتضى المقام .

فمق وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزغ عن أساليبهم ونهج تراكيبهم وجاء كلامه مطابقاً لمقتضى الحال التي يورد فيها ، فالشكر حال يقتضي الإيجاز وإيراد الكلام على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال .

واضحة : أول من بسط قواعده الإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، فهو الذي هذب مسائله وأوضح قواعده ، وقد وضع فيه الأئمة قبله تنقلاً كالجاحظ وأبي هلال العسكري ، إلا أنهم لم يوفقوا الى مثل ما وفق اليه ذلكم الحبر الجليل .

## فائدته

(١) الوقوف على أسرار البلاغة في منشور الكلام ومنظومه ، فنحتذي  
حذوهما ، ونفسج على منوالهما ، ونعرف السر في افتخار النبي ﷺ بقوله :  
« أنا أفصح من نطق بالضاد » . وقوله : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي  
الكلام اختصاراً » . ونفهم وجه تعجب الصحابة من فصاحته عليه السلام ،  
فقد روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال له : ما بالك يا رسول الله ؟ أفصحنا  
ولم تخرج من بين أظهرنا .

(٢) معرفة وجه إعجاز القرآن من وجهة ما خصه الله به من حسن التأليف  
وبراعة التركيب ، وما اشتمل عليه من عذوبة وجزالة وسهولة وسلامة ، فنقتنع  
ببلاغته وندرك السر في فصاحته ، وكيف كان معجزة خالدة على وجه الدهر  
لا يبليها كر الجديدين ولا مرور المتأولين .

وقد رتبنا الكلام في هذا الفن على اثني عشر باباً :

مركز تحقيق الكتب التراثية

## الباب الاول في الخبر

وفيه خمسة مباحث

### المبحث الأول في تعريف الخبر

الخبر ما احتمل الصدق والكذب لذاته ، قولنا ليدخل فيه الأخبار الواجبة الصدق ، كأخبار الله وأخبار رسله ، والواجبة الكذب كأخبار المتنبيين في دعوى النبوة ، والبدعيات المقطوع بصدقها أو كذبها ، فكل هذه إذا نظر إليها لذاتها دون اعتبارات أخرى احتملت أحد الأمرين ، أما إذا نظر فيها الى خصوصية في الخبر ، أو في الخبر تكون متعينة لأحدهما ، وإن شئت قلت الخبر ما لا تتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو : الصدق فضيلة ، وإنفاق المال في سبيل الخير محمود . وبضد هذين التعريفين الإنشاء .

### صدق الخبر

لكل خبر تتلفظ به نسبتان :

- (١) نسبة تفهم من الخبر ، ويدل عليها الكلام ، وتسمى النسبة الكلامية .
- (٢) نسبة أخرى تعرف من الخارج والواقع بقطع النظر عن الخبر وتسمى بالنسبة الخارجية ، فإن طابقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية في الإيجاب أو في النفي كان الكلام صدقاً ، وإلا كان كذباً . مثلاً إذا قلنا : الشمس طالعة ، وكانت هي في الواقع والخارج كذلك سمي الكلام صدقاً ، وإن لم تكن طالعة سمي الكلام كذباً ، فصدق الخبر إذا مطابقته الواقع والخارج ، وكذبه عدها .

### تنبيه

ما تقدم من انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، ومن تعريف الصدق والكذب بما ذكر هو مذهب الجمهور الذي عليه المعول .

ويرى إبراهيم النظام ومن تابعه أن صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر به ، ولو كان خطأ غير مطابق للواقع ، وكذبه عدمها ، فإذا قال قائل : الشمس أصغر حجماً من الأرض ، معتقداً ذلك ، كان صدقاً ، وإذا قال : الشمس أكبر من الأرض ، وكان غير معتقداً ذلك ، كان كذباً .

واحتج لذلك بوجهين :

(١) أن من اعتقد أمراً فأخبر به ، ثم ظهر خبره مخالفاً للواقع فإنه يقال : ما كذب ولكنه أخطأ ، كما روى أن عائشة قالت فيمن شأنه كذلك : ما كذب ولكنه وهم ، ورد بأن المنفي تعمده الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيبنا اليهودي إذا قال : الإسلام باطل ، وتصديقنا إياه إذا قال : الإسلام حق .

(٢) قوله تعالى : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ <sup>(١)</sup> ، فقد كذبهم في قولهم : إنك لرسول الله ، وإن كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه . وأجيب عن ذلك بوجوه :

( أ ) أن المعنى نشهد شهادة وافقت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يرشد إلى ذلك التأكيد بأن واللام والجملة الأخيرة في قولهم : إنك لرسول الله ، فالتكذيب راجع إلى الشهادة باعتبار تضمنها خبراً كاذباً ، وهو أنها من صميم القلب ، وخلوص الاعتقاد .

( ب ) أن التكذيب متجه إلى تسمية إخبارهم شهادة ، لأن الإخبار إذا خلا عن المواطأة للاعتقاد لم يكن شهادة في الحقيقة .

( ج ) أن المراد لكاذبون في قولهم : إنك لرسول الله ، لا في الواقع ، بل في زعمهم واعتقادهم لأنهم يعتقدون أنه غير مطابق للواقع ، فيكون كذباً باعتبار اعتقادهم ، وإن كان صادقاً في الواقع والحقيقة ، فكأنه قيل إنهم يزعمون أنهم كاذبون في هذا الخبر الصادق .

ويرى تلميذه الجاحظ أن الخبر غير منحصر في القسمين الصادق والكاذب ، بل الأقسام الثلاثة : صادق وكاذب وواسطة بينهما ، لأن الحكم إن طابق الواقع مع اعتقاد المخبر أنه مطابق فهو صدق ، وإن لم يطابق الواقع مع اعتقاده أنه

غير مطابق ، فهو كذب ، وغير هذين <sup>(١)</sup> ليس بصدق ولا كذب .  
واحتج لذلك بقوله تعالى : ﴿ افترى على الله كذباً أم به جنة ﴾ <sup>(٢)</sup> ،  
فقد حصر المشركون إخبار النبي بالحشر والنشر في الافتراء ، والأخبار حال  
الجنون على طريق منع الخلو والاجتماع معاً . ولا شك أن أخباره حال الجنون  
ليس كذباً لجهلهم الافتراء <sup>(٣)</sup> في مقابلته ، ولا صدقاً لأنهم اعتقدوا عدم صدقه .  
وقد رد هذا المعنى قولهم : ﴿ أم به جنة ﴾ أم لم يفتر فيكون مرادهم أن  
أخباره عليه السلام إما مختلفة قصداً أو مختلفة بلا قصد ، فعبهروا عن الأول بالإفتراء  
وعن الثاني بوجود الجنة لاستلزامه <sup>(٤)</sup> عدم الافتراء ، وعلى هذا يكون حصر  
الأخبار في الافتراء وعدمه من قبيل حصر الكذب في نوعية العمد وغيره لا حصر  
الخبر مطلقاً .

### المبحث الثاني في تأليف الجمل

لكل جملة ركنان أساسيان لا بد منها في تكوينها ( وهما المسند إليه ) وهو  
المبتدأ ونحوه ( والمسند ) الخبر ونحوه ، وما زاد عليها من مفعول وحال وتمييز  
فهو قيد زائد إلا صلة الموصول والمضاف إليه .

| المسند                           | فالمسند إليه هو                                                 |
|----------------------------------|-----------------------------------------------------------------|
| (١) المبتدأ المستغنى عن الخبر    | (١) فاعل الفعل التام نحو جاء على                                |
| (٢) خبر المبتدأ                  | (٢) المبتدأ الذي له خبر نحو الصدق نافع                          |
| (٣) أخبار النواسخ وإن وكان وظن   | (٣) أسماء الأدوات الناسخة نحو إن الصادق محبوب                   |
| (٤) الفعل التام                  | (٤) فاعل الوصف نحو أسافر أخوك                                   |
| (٥) المفعول الثاني لظن وأخواتها  | (٥) المفعول الأول لظن وأخواتها نحو أظن<br>خدمة الوطن فضيلة      |
| (٦) المفعول الثالث لأرى وأخواتها | (٦) المفعول الثاني لأرى وأخواتها نحو<br>أريت علياً الصدق نافعاً |
| (٧) اسم الفعل نحوي بمعنى أعجب    |                                                                 |

- (١) وهو أربعة أقسام : المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة ، أو بدون الاعتقاد أصلاً ، وعدم  
المطابقة مع اعتقاد المطابقة ، أو بدون الاعتقاد أصلاً .  
(٢) سورة سبا الآية ٨ .  
(٣) وهو الكذب .  
(٤) على طريق المجاز المرسل فقد أطلق اسم 'اللزوم' وأراد اللزوم .

### المبحث الثالث في الغرض من إلقاء الخبر

الأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين :

(١) إفادة المخاطب بالحكم الذي تضمنته الجملة ، ويسمى ذلك فائدة الخبر ،  
نحو : حروب المستقبل جوية .

(٢) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم ، ويسمى ذلك لازم  
الفائدة ، كما تقول لشخص أخفى عليك سفره فعلته من طريق آخر:  
أنت سافرت أمس . .

وربما لا يقصد من إلقاء الخبر أحد ذينك الغرضين ، بل يلقي لأغراض أخرى  
تستفاد من سياق الكلام ، أهمها :

( أ ) إظهار الأسف والحسرة على فائت نحو:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

(ب) إظهار الضعف نحو :

فقد كنت عدتي التي أسطوي بها وبدي إذا اشتد الزمان وساعدي

(ج) الاسترحام والاستعطاف نحو:

رب إني لا أستطيع اصطباراً فاعف عني يا من يقيل العثارا

(د) التوبيخ كما تقول للطالب المهمل الذي رسب في الإمتحان: وأنت رسبت  
في الإمتحان .

(هـ) إظهار الفرح ، كما يقول من نجح في الإمتحان لمن يعرف ذلك :  
« فزت في الإمتحان » .

(و) التنشيط وتحريك الهمة لنيل ما يلزم تحصيله نحو : الناس يشكرون  
المحسن .

(ز) التذكير بما بين المراتب من التفاوت نحو : لا يستوي كسلان ونشيط .

(ح) الوعظ والإرشاد نحو : ﴿ كل من عليها فان ﴾<sup>(١)</sup> .

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٦ .

## نموذج اول

اذكر ما يستفاد من هذه الأخبار:

- (١) هتاءٌ محاذُ ذاك العزاء المقدما
- (٢) أصبت بسادة كانوا عيوناً
- (٣) إلهي عبدك العاصي أفاكا
- (٤) أفا القائد الحامي الذمار وإنما
- (٥) تقول للعائر : المصباح في يدك
- (٦) الحياة كطيف الخيال

## الاجابة

- (١) الفرح بالمقبل ونسيان الأحزان المدبرة .
- (٢) الأسف والحزن على فقدان أولئك السادة الأجداد .
- (٣) الخشوع والضعف .
- (٤) الفخر والشجاعة والحمية .
- (٥) التوبخ والتأنيب لوجود حال تقتضي ضد ما حصل .
- (٦) العظة والاعتبار .

## نموذج ثان

- (١) أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا
- (٢) ذهب الشباب فما له من عودة
- (٣) ما أنت بالذي يعمل عليه
- (٤) قيمة كل امريء ما يحسنه
- (٥) كل امريء بما كسب رهين
- (٦) تقول لضيف زارنا الغيث

---

(١) كانوا يطلبون الماء اذا انقطع الغيث بالاشادة بذكر العظماء والأشراف .

## الاجابة

- (١) الأسف والحسرة على قوات ما كان مرجواً .
- (٢) الأسف والحسرة على ما فات .
- (٣) التوبيح وإغظة المخاطب .
- (٤) تنشيط السامع ، وحثه على صالح العمل .
- (٥) الحث والتنشيط على العمل .
- (٦) الفرح والسرور بمقدمه .

### تمرين (١)

ماذا يراد من هذه الأخبار:

- (١) ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾<sup>(١)</sup> .
- (٢) وأنت الذي رببتَ ذا الملك مرضعاً وليس له أم سواك ولا أب
- (٣) ذل من يغيظ الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
- (٤) تقول لمن يحث على الحرب : الحرب متلفة للعباد . ذهابه بالطارف والنلاد .
- (٥) يقول الطالب لأهله : نلت الجائزة الأولى .
- (٦) يقول التاجر الذي خسر : ضاعت أتعالي سدى .
- (٧) أودى الشباب فما له منقفر وفقدت أترابي فأين المغبر<sup>(٢)</sup>

### تمرين (٢)

- (١) كل نفس ذائقة الموت .
- (٢) ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً .
- (٣) الظلم ظلمات يوم القيامة .
- (٤) من حفر حفرة لأخيه المؤمن وقع فيها .
- (٥) مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت
- (٦) رزقنا أبا عمرو ولا حي مثله فله ريب الحادثات بمن وقع
- (٧) دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت تريدك لم نستطع لها عنك مَدْفَعاً<sup>(٣)</sup>

(١) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٢) المنقفر المنتبج ، والأتراب جمع ترب ، وهو من في سنك ، والمغبر المهورب .

(٣) مدفعاً أي دفعاً .

## المبحث الرابع في طريق إلقاء الخبر

من مزايا اللغة العربية دقة التعبير واختلاف الأساليب ، بتنوع الأغراض والمقاصد ، فمن الخطأ عند ذوي المعرفة البسط والأطناب ، إذا لم تكن الحاجة ماسة إليه ، والإيجاز حيث تطلب الزيادة ، وقد خفيت هذه الدقائق على الخاصة بله العامة ، ويرشد إلى ذلك ما رواه الثقات من أن المتفلسف الكندي ركب إلى أبي العباس المبرد ، وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً ، فقال أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبدالله قائم ، ويقولون أن عبدالله قائم ، ثم يقولون أن عبدالله لقائم ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فالأول إخبار عن قيامه والثاني جواب عن سؤال سائل والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني ، فما أحرار المتفلسف جواباً .

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة لا زائداً عليها ، وإلا كان عبثاً ، ولا ناقصاً وإلا أخل بالعرض ، وهو الإفصاح والبيان ، وتعلم أيضاً أن المخاطب لا يخلو من أن يكون واحداً من ثلاثة :

(١) خالي الذهن من الحكم ، ومن التردد فيه فيلقي إليه الكلام ساذجاً غفلاً من أدوات التوكيد التي سترد عليك ، ويسمى هذا الضرب ابتدائياً ، نحو : محمد مسافر .

(٢) المتردد في ثبوت الحكم وعدمه بالألا يترجح عنده هذا على ذلك ، وحينئذ يحسن تقوية الحكم بمؤكد ليزيل ذلك التردد ، ويسمى هذا الضرب طلبياً .

ويرى عبد القاهر أنه إنما يحسن التوكيد إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكمك ، وله تشوف إلى الوقوف على الحقيقة ، فيحسن تقوية الحكم له بأن ونحوها ليمكن المعنى المراد في نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره .

ثم قال : ومن ثم يحسن موقع إن إذا كان الخبر بأمر يبعد في الظن مثله لأن العادة جرت بخلافه كقول أبي نواس :

عليك باليأس من الناس إن غنى نفسك في اليأس

لما كان في مجرى العرف والعادة ألا يدع الناس الطمع والرجاء ويحملوا أنفسهم على اليأس ويجعلوا فيه الغنى كما ادعى ، أكد به بأن .

(٣) المنكر للحكم ، وهذا يجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره ، قوه وضعفاً ، ذاك أن المتكلم أحوج ما يكون الى الزيادة في تثبيت خبره إذا كان هناك من ينكره ويدفع صحته ، فهو حينئذ يبالغ في تأكيد خبره حتى يزبل إنكاره ، يدل على ذلك ما قصه الله تعالى علينا حكاية عن رسل عيسى عليه السلام حين بعثهم الى أهل أنطاكية فكذبوهم فقالوا لهم في المرة الأولى : ﴿ إنا إليكم مرسلون ﴾ <sup>(١)</sup> وفي الثانية : ﴿ ربنا يعلم أننا إليكم لمرسلون ﴾ <sup>(٢)</sup> فأكدوا لهم أولاً بأن واسمية الجملة ، وثانياً بالقسم ( إذ ربنا يعلم في حكم ، علم الله وشهد الله ) وان اللام والجملة الاسمية لما رأوا من شديد إنكارهم ، ويسمى هذا الضرب إنكارياً <sup>(٣)</sup> .

والجري على هذا المنهج والسير على تلك الطريق في الأضرب الثلاثة يسمى : إخراج الكلام على مقتضى الظاهر .

وقد يلاحظ المتكلم اعتبارات أخرى خفية ، فيخرج كلامه على اعتبارها ، ويسمى ذلك إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، ولذلك صور كثيرة ، منها :

(١) أن ينزل غير السائل منزلة السائل ، فيؤكد له الكلام إذا تقدم ما يشير الى حكم الخبر فتستشرف نفسه وتتطلع اليه استشراف الطالب المتردد ، وذلك كثير في القرآن الكريم وكلام العرب ، نحو قوله تعالى : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ <sup>(٤)</sup> فحين تقدم قوله : واصنع الفلك بأعيننا ، وقوله : ولا تخاطبني ، صار المقام مقام تردد بأن القوم هل حكم عليهم بالإغراق ؟ فقبل : إنهم مغرقون ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ <sup>(٥)</sup> . وقوله : ﴿ وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ <sup>(٦)</sup> .

(١ و ٢) سورة يس الآية ١٤ و ١٦ .

(٣) واعتبارات النفي كاعتبارات الاثبات فيجود عن المؤكدات في الابتدائي ويقوي بمؤكد استحصاناً في الطلبي ويجب التوكيد في الإنكاري .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٢٧ .

(٥) سورة الحج الآية ١ ، فان أمرهم بالتقوى يشير الى جنس الخبر الآتي بعده وأن هناك أمراً لا تؤمن التقوى من فزعها في ذلك اليوم ، فكان المقام مقام تردد في أنه هل هناك أمامهم أمرهم يقع لهم أن لم يتقوا ، فقبل أن زلزلة الخ ، وهكذا يقال فيما بعده .

(٦) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

وقول بعض العرب :

فغنمها وهي لك الفداء إن غناء الإبل الحداء

وقول بشار :

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التكبير

(٢) أن ينزل من لا ينكر الخبر منزلة من ينكره تهكماً به إذا لاح عليه شيء

من أمارات الإنكار كقول حجل بن نضلة القيسي ، وهو من أولاد عم شقيق :

جاء شقيق عارضاً ربحه إن بني عمك فيهم رماح

فمجيء شقيق هكذا مدلاً بنفسه معجباً بشجاعته ، واضعاً ربحه عرضاً<sup>(١)</sup> ،

دليل على صلفه وزهوه ببسالته ، واعتقاده أنه لن يجد مقاوماً من بني عمه ،  
حتى كأنهم عزل ليس معهم ما يدافعون به ، ومن ثم نزل منزلة المنكر ،  
وخطابه بالشطر الثاني خطاب التفات بعد غيبة ، تهكماً به ، ورمياً له بالنزق ،  
وخرق الرأي .

(٣) أن يجعل المنكر كأنهم غير منكر ، فلا يعتد بإنكاره ، لأن أمامه من

الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة ، مما فيه مقتنع له لو أزال تلك الفشاوة عن  
عينه والتفت إلى ما يحيط به ، وعليه قوله تعالى خطاباً لمنكري الوحدانية :  
﴿ وإلهكم إله واحد ﴾<sup>(٢)</sup> إذ العقل قاض بأن تعدد الآلهة يقتضي تخالف  
أفعالهم لاختلاف علومهم وإرادتهم ، وكل منهم له التصرف في السموات والأرض ،  
والقدرة على إيجاد الممكنات فتتضارت أفعالهم ويفسد نظام الكون ، والمشاهد  
أنه على أتم نظام ، فهو الواحد لا شريك له .

(٤) أن ينزل العالم بالفائدة ولازمها منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب

العلم (وهو العمل به) كما تقول لمن يسيء إلى أبيه ويقسو عليه : هذا أبوك  
فأحسن إليه . فكأنك تقول له : إن هذه المعاملة لتدل على أنك تجهل أبوتك لك .

وهذا كله اعتبارات الإثبات ، وقس عليه اعتبارات النفي كقولك : ليس

زيد منطلقاً ومنطلق ، والله ليس على المنطلق ، وهكذا .

(١) بأن يحمل الرمح على فخذه وهو راكب بحيث يكون عرضه جهة العدو .

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٣ .

## تنبيهات

(١) التوكيد تمكين الشيء في النفس وتقويته ، لإزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه ، والمراد به في هذا الباب تأكيد الحكم ، لا تأكيد المسند إليه ، ولا تأكيد المسند ، فلو قلت : على نفسه قائم ، أو جاء علي\* ، لا يكون مما نحن فيه .

(٢) التوكيد في الجمل الإسمية يكون بأن ، أو بأن ، واللام ، أو بأن واللام والقسم كما قد عرفت ، وفي الجمل الفعلية يكون بقد ، أو بقد والقسم ، كقول العباس بن مرداس :

لقد عظم البعير بغير لبٍ فان يستغن بالعظم البعير

(٣) المؤكدات المشهورة هي : إن ، أن ، لام الابتداء ، نونا التوكيد ، القسم ، أما الشرطية ، أحرف التنبيه ، أحرف الزيادة ، ضمير الفصل ، تقديم الفاعل في المعنى ، نحو : محمد يقوم ، السين وسوف الداخلتان على فعل دال على وعد ، أو وعيد ، نحو : سأمنح المجتهد جائزة ، وسأعاقب المسيء ، قد التى للتحقيق ، تكرير النفي ، إنما .

(٤) الخطاب بالجملة الإسمية وحدها أكد من الخطاب بالجملة الفعلية ، فإذا أريد مجرد الأخبار فقط أتى بالفعل ، وإن أريد التأكيد بالإسمية وحدها ، أو بها مع إن أو بها وباللام ثم بالثلاثة والقسم .

هذا والتأكيد كما يأتي في الخبر يأتي في الإنشاء كقول الشاعر :

هلا تمن بوعد غير مخلفة كما عهدتك في أيام ذي سلم

ولكنه لا يكون فيه لدفع التردد ، أو الإنكار ، لكن لدلالته على استبعاد الحكم من الخبر ، كما في قوله تعالى : ﴿ رب إن قومي كذَّبُون ﴾<sup>(١)</sup> .

(٥) من فوائد إن غير التوكيد :

( أ ) ربط الجملة بما قبلها ، كما تقدم في قوله : إن غناء الإبل الحداء ، فلو أسقطت إن ، لم يقل إلا بالفاء ، فيقال : فغناء الإبل الحداء .

(١) سورة الشعراء الآية ١١٧ .

(ب) تهية النكرة وصلاحتها ، لأن تكون مسنداً اليه كقوله :

إن دهرأ يلف شملي بسعدي      لزمان هم بالإحسان

(ج) غناؤها عن الخير في بعض المواضع كقولهم : إن مالا ، وإن ولداً ،  
وإن عدداً يريدون إن لهم مالا ، وإن لهم عدداً ، وعليه قول الأعشى :

إن محلاً وإن مرتجلاً      وإن في السفر إذ مضوا مهلاً<sup>(١)</sup>

(د) الدلالة على أن الظن كان من المتكلم في الذي كان أنه لا يكون كقولك  
لشيء هو بمرأى ومسمع من المخاطب : إنه كان من الأمر ما ترى ، وأحسن  
إلى فلان ثم إنه جعل جزائي ما ترى ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ربّ إني وضعتها  
أنثى ﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿ ربّ إني قومي كذّبون ﴾<sup>(٣)</sup> . قاله عبد القاهر في  
« دلائل الإعجاز » .

(هـ) أن لضمير الشأن معها حسناً لا يكون بدونها ، نحو : أنه من يتق ويصبر .  
أنه من يعمل سوءاً يجز به . أنه لا يفلح الكافرون .

مركز تحقيقات علوم اسلامی  
تدریب اول

اذكر أضرب الخبر فيما يلي ، وبين المؤكدات التي في كل جملة :

- |                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) ما أن ندمت على سكوتي مرة  | ولقد ندمت على الكلام مراراً    |
| (٢) وإني لصبر على ما ينوبني   | وحسبك أن الله أثنى على الصبر   |
| (٣) فما الحداثة عن حلم بمانعة | قد يوجد الحلم في الشبان والشيب |
| (٤) ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي | والنصح أغلى ما يُباع ويوهب     |
| (٥) فيوم علينا ويوم لنا       | ويوم نساء ويوم نسر             |
| (٦) وإني لحلو تعتريني مرارة   | وإني لتراك لما لم أعود         |

(١) تقدير الحذف إن لنا في الدنيا محلاً ، ولنا عنها إلى الآخرة مرتجلاً .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٦ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١١٧ .

## الاجابة

| الرقم | الجملة                           | المؤكدات                           | الضرب             |
|-------|----------------------------------|------------------------------------|-------------------|
| (١)   | ما أن ندمت<br>ولقد ندمت          | إن الزائدة<br>لام القسم وقد        | طلبي<br>إنكاري    |
| (٢)   | إني لصبار<br>وحسبك أن الله الخ   | إن ولام الابتداء<br>أن             | إنكاري<br>طلبي    |
| (٣)   | فما الحداة الخ<br>قد يوجد الخ    | الباء الزائدة<br>قد                | طلبي<br>طلبي      |
| (٤)   | ولقد نصحتك الخ<br>فيوم الخ       | القسم وقد<br>التكرير               | إنكاري<br>طلبي    |
| (٥)   | والنصح أعلى الخ<br>وإني لحلو الخ | إن ولا الابتداء<br>إن ولا الابتداء | ابتدائي<br>إنكاري |
| (٦)   | وإني لثراك الخ                   |                                    | إنكاري            |

## تدريب ثان

- (١) إن الحياة لثوب سوف تخلفه وكل ثوب إذا ما رث ينخلع  
 (٢) أنتك الخلافة متفاداة إليك تجرر أذيالها  
 (٣) إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة  
 (٤) قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه خلق  
 (٥) ألا إن أخلاق الفتى كزمانه منهن بيض في العيون وسود

## الاجابة

| الجملة                                                                                                                                                                              | المؤكدات                                                                        | الضرب                                                                         |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------|
| ان الحياة لثوب الخ<br>وكل ثوب الخ<br>أنتك الخلافة الخ<br>أن من البيان لسحرا<br>إن من الشعر لحكمة<br>قد يدرك الشرف الفتي الخ<br>ألا إن أخلاق الفتى كزمانه<br>منهن بيض في العيون وسود | إن ولام الابتداء<br>إن ولا الابتداء<br>إن ولا الابتداء<br>قد<br>حرف التنبيه وإن | إنكاري<br>ابتدائي<br>ابتدائي<br>إنكاري<br>إنكاري<br>طلبي<br>إنكاري<br>ابتدائي |

## تمرين (١)

من أي الأضرب الجمل الآتية ، وأيهما جرى على خلاف مقتضى الظاهر؟

- ١ - ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ <sup>(١)</sup>.
- ٢ - ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>.
- ٣ - قال أبو بكر رضي الله عنه : أن البلاء موكل بالمنطق .
- ٤ - ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ <sup>(٣)</sup>.
- ٥ - الإسلام حق .
- ٦ - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُنْعَمُونَ﴾ <sup>(٤)</sup>.

## تمرين (٢)

- (١) ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليابس
- (٢) ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ <sup>(٥)</sup>.
- (٣) إن على سائلنا أن نسأله <sup>والعبء</sup> لا نعرفه أو تحمله
- (٤) ولقد علمت لتأتين منبقي إن المنايا لا تطيش سهامها
- (٥) إن السلاح جميع الناس تحمله وليس لكل ذوات الخلب السبع
- (٦) هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

### المبحث الخامس في الجملة الاسمية والفعلية

مما تمس الحاجة الى معرفته ، الفرق بين الجملة الاسمية والفعلية في الاستعمال ،  
لوعورة المسلك ودقة الصنع ، إذ قلما يفظن له الفصحاء دور الدراية في المنطق ،  
وبيان ذلك أن الجملة قسيان :

- 
- (١) سورة القصص الآية ٧٦ .
  - (٢) سورة يونس الآية ٦٢ .
  - (٣) سورة البقرة الآيتان ١ و ٢ .
  - (٤) سورة المؤمنون الآية ١٦ .
  - (٥) سورة آل عمران الآية ١٠١ .

(١) اسمية وتفيد بأصل وضعها ثبوت الحكم فحسب ، بلا نظر الى تجدد ولا استمرار ، فلا يستفاد من قولنا : علي مسافر ، سوى ثبوت السفر فعلاً لعلي دون نظر الى تجدد ولا حدوث ، فالمعنى فيه شبه بالمعنى في قولنا : محمد طويل ومحمود قصير ، فكما لا يقصدها هنا الى أن يجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث ، بل يقصد إيجابها وثبوتها فقط ، كذلك لا يتعرض في قولنا : علي مسافر لأكثر من إثبات السفر فعلاً لعلي .

ولكن قد تحف بها قرائن أخرى تستفاد من سياق الكلام ، كأن يكون في معرض مدح أو ذم أو حكمة ، أو نحو ذلك ، فتفيد الدوام والاستمرار حينئذ ، وعليه قول النضر بن جويرية يتمدح بالغنى والكرم :

لا يألف الدرهم المضروب صرعتنا لكن يمر عليها وهو منطلق<sup>(١)</sup>

فهو يريد أن دراهمهم دائمة الانطلاق ترق من الكيس مروق السهام من قسيها لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات ، كما يرشد الى ذلك ما قبله :

إنا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا ظلت الى طرق المعروف تستبق

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْخُلُقِ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فسياق الحديث في معرض المدح دال على إفادة الاستمرار والدوام .

(٢) فعلية ، وتدل بأصل وضعها على التجدد في زمن معين مع الاختصار ، فلا يستفاد من نحو : طلعت الشمس ، إلا إثبات الطلوع فعلاً للشمس في زمن مضى .

تفسير هذا أن الفعل يدل على أحد الأزمنة الثلاثة بذاته لا بقرينة<sup>(٣)</sup> خارجة عنه ، وهذا الزمن الذي هو أحد مدلوليه ( مدلوله الثاني الحدث ) لا تجتمع أجزاءه في الخارج ، بل تنصرف وتنقضي شيئاً فشيئاً ، ومن ثم كان الفعل مع إفادته الزمن يفيد أيضاً تجدد الحدث وحصوله بعد أن لم يكن ، بخلاف الاسم ، فإنه إنما يدل على الزمن المعين بقرينة أخرى ، كأن يقال : أمس أو الآن أو غداً .

(١) الصورة كيس الدراهم .

(٢) سورة القلم .

(٣) أما احتياج الفعل المضارع الى قرينة في تعيين الحال أو الاستقبال فهو تعيين للمراد لا تعيين للزمن لأنه دال عليه بالوضع .

وقد تفيد الاستمرار التجديدي شيئاً فشيئاً بمعونة القرائن اذا كان الفعل مضارعاً ، ومن البين في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فالقصد الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال آنأ إفر آن ، وحالاً بعد حال . ونحوه قول طريف بن تميم العنبري يتمدح بجرأته وشجاعته :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عَكَازَ قَبِيلَةٍ      بِمَشَا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُ <sup>(٢)</sup>  
إذ يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ليتفرس في وجوه القوم مرة بعد أخرى ، ويتوسمها وقتاً بعد وقت ، لعله يهتدي الى معرفتي . وقول المتنبي :  
تدبر شرق الأرض والغرب كفهُ      وليس لها يوماً عن الجود شاغل  
فقريئة المدح تدل على أن تدبير الملك ديدنه وحاله المستمرة التي لا يحميد عنها .

### تنبيهات

١ - الجملة الاسمية إنما تفيد الدوام والثبات بقريئة المقام اذا كان خبرها مفرداً أو جملة اسمية ، نحو : محمد كريم ، على أبوه حواد . أما اذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد .

٢ - المسند ثارة يكون مفرداً فعلاً كان أو اسماً ، وطوراً يكون ظرفاً للاختصار ، نحو : البركة في البكور . وحيناً يكون جملة للأسباب الآتية :

( أ ) اذا قصد تقوية الحكم بتكرير الإسناد ، نحو قول المتنبي :

والله يسعد كل يوم جده      ويزيد من أعدائه في آله

( ب ) اذا قصد قصر الحكم وتخصيصه بالمسند ، نحو : أنا سميت في حاجتك ، أي لا غيري .

( ج ) اذا كان سبباً أي جملة معلاقة على مبتدأ بعائد لا يكون مسنداً اليه في تلك الجملة ، نحو : محمد أخوه نبيه - إبراهيم نجح ابنه .

(١) سورة ص الآية ١٨ .

(٢) عكاظ أكبر الأسواق العربية التي كانت من أسباب تهذيب اللغة ، وفيها كانوا يجتمعون للتفاخر والتنافر ليلاً ولتصريف المتاجر نهاراً .

## تدريب أول

بيّن فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التراكيب الآتية :

- ١ - قال تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٢ - نروح ونغدو لحاجاتنا      وحاجة من عاش لا تنقضي
- ٣ - وعلى إثرهم تساقط نفسي      حشرات وذكرهم لي مقام
- ٤ - الحلف منفعة للسلعة محقة للبركة<sup>(٢)</sup>
- ٥ - يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه ، أمن الحلال أم من الحرام
- ٦ - وتحى له المال الصوارم والقنا      ويقتل ما تحي التبسم والجدا<sup>(٣)</sup>

## الاجابة

| الجملة             | نوعها   | ما تفيد     | الايضاح                                     |
|--------------------|---------|-------------|---------------------------------------------|
| يمحو الله          | مضارعية | الاستمرار   | إذ محو بعض الخلائق وإثبات البعض مستمر متجدد |
| وعنده أم الكتاب    | اسمية   | الدوام      | أم الكتاب اللوح المحفوظ                     |
| نروح ونغدو         | مضارعية | الاستمرار   | والقرينة قوله : وحاجة من عاش لا تنقضي       |
| وحاجة من عاش الخ   | اسمية   | تفيد التجدد | لأن خبرها فعل                               |
| وعلى إثرهم تساقط   | مضارعية | الاستمرار   | القرينة الحالية وهي الحزن والأسى            |
| وذكرهم لي مقام     | اسمية   | الاستمرار   | القرينة الحالية وهي الحزن                   |
| الحلف منفة         | اسمية   | الدوام      | القرينة الحالية وهي الذم                    |
| يأتي على الناس الخ | مضارعية | التجدد      | بقرينة المدح                                |
| وتحي له المال      | مضارعية | الاستمرار   | التجدد                                      |

(١) سورة الرعد الآية ٣٩ .

(٢) نفقت السلعة راجت في السوق ، والمحق الزوال.

(٣) الصوارم السيوف والقنا الرماح والجدا العطاء .

## تدريب ثان

- ١ - سلام على القبر الذي لا يحينا ونحن نحيا تربي ونحاطبه
- ٢ - لا خير في ود امرئ متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
- ٣ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلْصَاد﴾<sup>(١)</sup>
- ٤ - ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة
- ٥ - لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار باليفساع تحرق
- ٦ - الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة منذ كانت النار

## الاجابة

| الاجابة            | نوعها   | ما تفيد            | الايضاح                       |
|--------------------|---------|--------------------|-------------------------------|
| سلام على القبر     | اسمية   | الدوام             | بقربة الحزن والاسى            |
| ونحن نحيا          | اسمية   | التجدد             | لان خيرها فعل                 |
| لا خير في ود امرئ  | اسمية   | الدوام             | لان المقام للذم               |
| ان ربك الخ         | اسمية   | الدوام             | بقربة الاستناد الى الله تعالى |
| ثمرة القناعة الخ   | اسمية   | الدوام             | بقربة انها حكمة               |
| لعمرى لقد لاحت الخ | ماضوية  | التجدد والحدوث     | بقربة المدح                   |
| تحرق               | مضارعية | الاستمرار التجديدي | في معرض الحكمة                |
| الأرض مظلمة        | اسمية   | الدوام             |                               |

## تمرين (١)

بيّن ما يستفاد من الجمل فيما يلي واذكر أضرب الخبر:

- ١ - فدعوت ربي بالسلامة جامداً ليصعني فإذا السلامة داء
- ٢ - ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْقَامِ وَتُزَلُّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ، الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾<sup>(٢)</sup>
- ٣ - يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان

(١) سورة الفجر الآية ١٤ .

(٢) سورة الفرقان الآيتان ٢٥ و ٢٦ .

- ٤ - بك اجتمع الملك المبدد شمله وضمت قواص منه بعد قواصي  
 ٥ - ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>(١)</sup>  
 ٦ - العين ترى كل شيء ، ولا ترى نفسها إلا بمرآة .

### تمرين (٢)

- ١ - يكفكف غيلة إحدى يديه ويبسط لوثوب على أخرى  
 ٢ - المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك الى اعدائك السقم  
 ٣ - السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب  
 ٤ - ليس الزمان وإن حرصت مسلماً خلق الزمان عداوة الأحرار  
 ٥ - والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه  
 ٦ - هناك بما ذاك العزاء المقدما فما عبس المهزون حتى تبسما



مركز تحقيقات علوم إسلامی

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

## الباب الثاني في الانشاء

وفيه مئة مباحث

### المبحث الأول في تعريف الانشاء

الإنشاء في اللغة الإيجاد والاختراع في الاصطلاح يطلق بأحد إطلاقين :

١ - المعنى المصدري وهو إلقاء الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه .

٢ - المعنى الاسمي وهو نفس الكلام الملقى الذي له الصفة المتقدمة .

وينقسم بالاعتبار الأول الى :

(١) طلبي وهو خمسة <sup>(١)</sup> أنواع : الأمر والنهي والتمني والاستفهام والنداء ، ويعرف بأنه ما يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب .

(٢) غير طلبي وهو ما يستدعي مطلوباً حاصلًا .

وأنواعه كثيرة ، منها صيغ المدح والذم ، نحو : نعم الخليفة عمر ، وبشس الظالم الحجاج ، والعقود كبعث واشتريت ووهبت ، والقسم نحو : قاتله لاصدقك ، والتعجب نحو : ما أجل الصدق ، والرجاء بمعنى ولعل ونحوها نحو : لعل الله يأتي بالفرج ، ورب وكم الخبرية .

والذي يهتم بالبليغ بالبحث عنه هو القسم الأول <sup>(٢)</sup> لأن فيه من المزايا واللطائف ما ليس في القسم الثاني .

---

(١) لأن المطلوب إن كان غير متوقع الحصول فهو التمني وإن كان متوقفاً ، فاما حصول صورة شيء في الذهن فهو الاستفهام وإما حصول صورة شيء في الخارج فإن كان انتفاء فهو النهي ، وإن كان ثبوتاً فاما بأخرف النداء فهو المنادي ، وإما بنفيها فهو الأمر .

(٢) ولأن كثيراً من الانشاءات غير الطلبية أخبار في الأصل نقلت الى الانشاء .

## المبحث الثاني في التمني

هو طلب حصول شيء محبوب لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلاً ،  
كقول المتنبي :

فليت وقارك فرقتك وحملت أرضك ما تحمل

وأما لكونه بعيد التحقق والحصول نحو : ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي  
قارون إنه لذر حظير عظيم﴾<sup>(١)</sup> ، فإن كان منتظر الحصول قريب الوجود  
كان ترجياً ويعبر فيه بعسى ولعل . كقوله :

عسى الله أن يجري المودة بيننا ويوصل حبلاً منكمو بحبالها  
وقوله :

تأن ولا تعجل بلومك صاحباً لعل له عذراً وأنت تلوم

وقد يعبر فيه بليت كقول قريظ من بليتغبر بهجو قومه :

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شدوا الإغارة فرساناً وركباناً

والفاظ التمني أربعة : واحدة أصلية ، وهي ليت ، وثلاثة نائية عنها ، وهي :

١ - (هل) نحو : ﴿هل لنا من شفاء فيشفعوا لنا﴾<sup>(٢)</sup> ويبرز بها  
التمني في شكل المستفهم عنه الذي لا يعجزم بانتفائه ، إظهاراً لكمال العناية به  
حتى لا يستطيع الاتيان به إلا في صورة الممكن المطموع في وقوعه .

٢ - (لو) نحو : ﴿لو﴾<sup>(٣)</sup> أن لنا كرة فنكون من المؤمنين<sup>(٤)</sup> ،  
ويتمنى بها إشعاراً بعزله التمني حيث أبرز في صورة ما لا يوجد<sup>(٥)</sup> .

٣ - (لعل) ويتمنى بها إذا كان المرجو بعيداً ميثوساً من حصوله ، فصار  
شبيهاً بالمحالات والممكنات التي لا طمعية في حصولها ، نحو :  
أسرب القطا هل من يعبر جناحه لعلني إلى من قد هويت أطير

(١) سورة القصص الآية ٧٩ .

(٢) دليل أنها للتمني أنهم يعلمون عدم الشفيع .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٠٢ .

(٤) دليل أنها للتمني نصب الجواب والكرة والرجعة .

(٥) سورة الأعراف الآية ٥٣ .

(٦) لأن لو بحسب أصلها حرف امتناع .

( تنبيه ) يتمنى بهلا وألا ولو لا ولو ما ، وهي ألفاظ مركبة من هل ولو مع لا وما ، والشرط ألا هلا ، قلبت الهاء همزة ، لتقنين دلالتها على التمني ، ويزول احتمال الاستفهام والشرط ، ويتولد من التمني معنى التنديم في الماضي ، نحو : هلا <sup>(١)</sup> سافرت ، ومعنى التحضيض في المستقبل ، نحو : هلا تخلص في عملك <sup>(٢)</sup> .

ولا استعمال هذه الأدوات في التمني ينصب المضارع في جوابها .

### تمارين

بيّن الأدوات التي تفيد التمني والتي تفيد الترجي في التراكيب الآتية :

- ١ - ليت المدائح تستوفي مناقبه      فما كليب وأهل الأعصر الأول
- ٢ - لعل رحمة ربي حين يقسمها      تأتي على حسب العصيان في القسم
- ٣ - فيا ليت ما بيني وبين أحبي      من البعد ما بيني وبين المصائب
- ٤ - فليتك إذ لم ترع حق أبوتي      فعلت كما الجار المجاور يفعل
- ٥ - لعل عتبك محمود عواقبه      وربما صحت الأجسام بالعلل
- ٦ - فيا ليتني من بعد موتي ومبعثي      أكون رفاقاً لا علي ولا ليلا
- ٧ - فلو نشر المقابر عن كليب      فيخبر بالذئاب أي زير <sup>(٣)</sup>
- ٨ - ﴿ هل إلى مُردٍّ من سبيلٍ ﴾ <sup>(٤)</sup>

### المبحث الثالث في الاستفهام

الاستفهام هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به ، بأداة من إحدى أدواته وهي : الهمزة وهل ومن ومتى وأيان وأين وأنى وكيف وكم وأي . وتنقسم بحسب الطلب ثلاثة أقسام :

(١) فالمعنى ليتك سافرت .

(٢) تقصد حثه على الاخلاص .

(٣) قاله مهمل في رثاء أخيه كليب وذلك أن مهلاً زير نساء ولا يأخذ بثأر ، فلما أدرك ثأر أخيه قال ذلك ، والذئاب موضع ، وأي رفع على الابتداء ، والخبر محذوف ، فكأنه : أي زير أنا .

(٤) إذ أهل النار يعلمون أنه لا مرد لهم ، الآية ٤٤ من سورة الشورى .

١ - ما يطلب به التصور قارة ، والتصديق أخرى ، وهو الهمزة .

٢ - ما يطلب به التصديق فحسب وهو هل .

٣ - ما يطلب به التصور فحسب ، وهو الباقي .

### الكلام على الهمزة

للهمزة حالتان :

١ - أن تكون لطلب تصور المفرد ومعرفته ، كطلب معرفة المسند إليه ، أو المسند أو غيرهما فتقول : أحمد مسافر أم محمود ، إذا كنت تعتقد أن أحدهما مسافر ، ولا تعلم عينه فتطلب تعيينه فتجيب بأنه محمود مثلاً ، وتقول : أمسافر محمود ، أم مقيم ؟ فتجيب بأنه مقيم مثلاً . وهذه الهمزة لا يليها إلا المسئول عن سواء أكان :

( أ ) مسنداً كما تقول : أبليت الدار التي كنت أزمعت أن تبنيها ؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ تبدأ في مثل هذا بالفعل ، لأنك متردد بين وجوده وانتفائه .

( ب ) أم مسند إليه نحو : أنت ابتكرت هذه الخطبة ؟ أنت بنيت هذه الدار ؟ تبدأ في هذا بالفاعل ، لأنك لم تشك في الفعل أنه كان ، وكيف يحول الشك بخاطرك وأنت ترى داراً مبنية ، وتشير إلى خطبة مكتوبة ، وإنما أنت تشك في الفاعل من هو ، فلو قلت : أنت أنشأت الخطبة التي كان في نفسك أن تكتبها ، خرجت عن سنن التخاطب ، وكذا لو قلت : أبليت هذه الدار ، أقلت هذا الشعر ، تكون قد قلت ما لا يصح أن يقال لفساد أن تقول في شيء مشاهد نصب عينيك أموجود أم لا .

( ج ) أم مفعولاً نحو : إياي تريد ؟

( د ) أم حالاً نحو : أمستبشراً جاء على .

( هـ ) أم ظرفاً نحو :

أبعد بني عمرو أسره بمقبل  
من العيش أو آسي على إثر مدبر  
وهكذا قياس سائر المتعلقات .

( تنبيه ) يجوز أن يذكر مع همزة التصور معادل بعد لفظ أم كما تقدم ، ويجوز حذفه ، نحو : أراغب أنت في إنجاز حاجتي ، إذ تقديره : أم راغب عنها وكاره إنجازها .

٢ - أن يطلب بها التصديق أي إدراك نسبة يتردد العقل بين ثبوتها ونفيها ، والكثير أن يكون ذلك بحملة فعلية نحو : أقدم صديقك ؟ <sup>(١)</sup> ويقل أن يكون بحملة اسمية نحو : أقدم صديقك ؟ ويجاب في هذين بلا أو بنعم .

ويمتنع أن يذكر مع هذه معادل ، فإن جاءت أم بعدها قدرت منقطة بمعنى بل <sup>(٢)</sup> .

### اللام في هل

هل حرف لطلب التصديق فحسب أي معرفة وقوع النسبة أم عدم وقوعها فتقول : هل قدم أخوك من السفر ؟ فتجاب بنعم أو بلا .

ولأجل اختصاصها بالتصديق لأصل الوضع :

١ - امتنع أن يذكر معها معادل بعد أم ، لأن ذلك يؤدي إلى التناقض ، فإن هل تفيد أن المسائل جاهل بالحكم ، لأنها لطلبه ، وأم المتصلة تفيد أن السامع عالم به ، وإنما يطلب تعيين أحد الأمرين ، فإن جاءت بعدها أم كانت منقطة بمعنى بل التي تفيد الأضراب كقول قتيلة ترثي أباها النضر :

هل يسمعن النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق

٢ - وقبح استعمالها في التراكيب التي هي مظنة العلم بمضمون الحكم ، نحو : هل محمداً كلمت ؟ إذ تقديم المفعول على الفعل يكون للتخصيص غالباً <sup>(٣)</sup> ، وهذا يفيد علم المتكلم بالحكم ، وإنما يطلب التخصيص فحسب ، وحينئذ تكون هل لطلب تحصيل ما هو حاصل وهو عبث .

(١) فقد تصورت القديوم والصديق والنسبة بينها ومالت عن وقوع النسبة بينها هل هو محقق خارجياً ، فإذا قيل : قدم ، حصل التصديق ، فالسائل في مثل هذا يطلب تعيين النسبة .

(٢) لم تر شاهداً عربياً يؤيد استعمال أم بعد همزة التصديق ، بل سمع ذلك بعد هل فقط .

(٣) ومن غير الغالب يكون التقديم للاهتمام بالمقدم وحينئذ فلا يفيد التقديم العلم بالحكم .

## تنبيهات

١ - هل كالسين وسوف تخلص المضارع للاستقبال ، فلا تستعمل فيها هو للحال فلا يقال : هل تنهر هذا وهو أبوك ، بل يقال : أنتهر هذا وهو أبوك .

٢ - الراجح أن توصل هل بفعل لفظاً أو تقديرأ ، نحو : هل يقدم هاشم من السفر ؟ وهل هاشم يقدم من السفر ؟ وذلك لاختصاصها بالتصديق وتخليصها المضارع للاستقبال ، فإن عدل عنها الى الاسمية كان ذلك لنكتة تلاحظ لدى البلغاء ( وهي جعل ما سيحصل كأنه حاصل موجود اهتماماً بشأنه ) ومن ثم كان قوله تعالى : ﴿ فهل أنتم شاكرون ﴾ <sup>(١)</sup> أدل على طلب شكر العباد من : ( أفأنتم شاكرون <sup>(٢)</sup> فهل تشكرون ، فهل انتم تشكرون <sup>(٣)</sup> ) .

٣ - هل نوعان :

( أ ) بسيطة <sup>(٤)</sup> وهي ما يستفهم بها عن وجود الشيء أو عدم وجوده نحو : هل الحل الوفي موجود ؟

( ب ) مركبة ، وهي ما يستفهم بها عن وجود شيء لشيء ، نحو : هل المريح مسكون ؟

٤ - علم مما سبق أن همزة التصور يليها المسئول عنه ، وليس كذلك همزة التصديق وهل ، لأن السؤال بها إنما يكون عن النسبة .

٥ - بين الهمزة ، وهل الفروق الآتية :

لا تدخل هل على

( أ ) النفي فيمتنع هل لم يسافر علي .

( ب ) المضارع الذي للحال فيمتنع هل تحتقر علياً وهو مؤدب ؟

( ج ) الشرط فيمتنع هل إن نجحت أكافأ .

(١) سورة الأنبياء الآية ٨٠ .

(٢) لأن الجملة وإن كانت اسمية تفيد الثبوت لكن هل أدعى للفعل من الهمزة فتركه معها أدل على كمال العناية بحصول ما سيتجدد .

(٣) إذ هي داخلة على الفعل تقديرأ لأن أنتم فاعل فعل معذوف يفسره المذكور .

(٤) إذا اعتبر في هذا وجود الحل فقط ، بخلاف الذي بعده ، فإنه يلاحظ فيه وجود المريح وسكنائه ، ولهذا ماغ أن تسمى الاولى بسيطة والثانية مركبة .

- (د) إن فيمتنع هل إنك مسافر .  
 (هـ) حرف المطف، فيمتنع هل فيتقدم بعد ذلك وتدخل الهمزة على جميع ما ذكر .

### من وما

- (من) يطلب بها تعيين أحد العقلاء ، نحو : من شيد الهرم الأكبر .  
 (ما) للاستفهام عن غير العقلاء ، وهي أقسام :  
 ( أ ) ما يطلب بها إيضاح الاسم وشرحه ، نحو : ما اللُّجَيْنُ ؟ فيجواب بأنه الفضة .  
 (ب) ما يطلب بها بيان حقيقة <sup>(١)</sup> المسمى نحو : ما الحسد ؟ فيجواب : بأنه تني زوال نعمة المحسود .  
 (ج) ما يطلب بها بيان حال الشيء نحو قولك لقدام عليك وأنت لا تعرفه : ما أنت ؟ وقول المتنبي :  
 ليت المدائح تستوفي مناقبه فما كليبُ وأهل الأعصر الأول

### متى وأين وأنى

- (متى) يطلب بها تعيين الزمان ماضياً كان أو مستقبلاً ، نحو : متى قدمت ؟ ومتى تسافر ؟  
 (أين) يطلب بها تعيين الزمان المستقبل خاصة ، وتكون في مقام التنفيم والتهويل ، نحو : ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
 (أنى) يطلب بها تعيين المكان نحو : أين تسافر ؟  
 (أنى) تكون :  
 ( أ ) بمعنى كيف ، نحو : أنى تتقدم الصناعة ، ولم تعرها الأمة عناية ؟  
 (ب) بمعنى من أين نحو : أنى لك هذا المال ، وقد عهدتك معدماً ؟  
 (ج) بمعنى متى ، نحو : أنى يفيض نهر النيل ؟

(١) تقع هل البسيطة في الترتيب بين الأولى والثانية، لأن الترتيب الطبيعي يقتضي أن يطلب أولاً شرح الاسم ثم وجود الشيء معرفة ماهيته وحقيقته .  
 (٢) سورة القيامة الآية ٦ .

## كيف كم وأي

( كيف ) يطلب بها تعيين الحال ، نحو : كيف التعليم بمصر ؟

( كم ) يطلب بها تعيين عدد منهم ، نحو : كم مملكة اشتركت في الحرب العظمى ؟

( أي ) يطلب بها تعيين أحد المتشاركين في شيء يعمها نحو : أي البلدين أدياً جو القاهرة أم الإسكندرية ؟ وهي بحسب ما تضاف اليه فيسأل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد ، الى غير ذلك ، في أي يوم تسافر ؟ في أي مكان تقيم ؟ أي صاحبك أحسن خلقاً أم علي ؟ بأي ذنب قتلت ؟

( تنبيه ) قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن أصل وضعها فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض تستفاد من سياق الحديث ودلالة الكلام ، أهمها :

- ١ - الاستبطاء ، نحو قوله تعالى : ﴿ وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه مق نصر الله ﴾ <sup>(١)</sup> . وقول أبي العلاء :  
إلامَ وفيم تنقلن بنا ركاب وتأمل أن يكون لنا أوان <sup>(٢)</sup>
- ٢ - التمجيد ، نحو : ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وقول الآخر :

أنشأ يمزق أثوابي يؤدبني أبعد شئني عندي الأدباء

- ٣ - التنبيه على ضلال المخاطب ، نحو : فأين تذهبون <sup>(٤)</sup> ؟

٤ - الوعيد والتخويف ، نحو قوله تعالى : ﴿ ألم نهلك الأولين ﴾ <sup>(٥)</sup> .

٥ - الأمر ، نحو : ﴿ فهل من مدكر ﴾ ، ونحو : أتصون يديك عن الأذى ؟

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٤ .

(٢) الى متى تسير هذه المطايا وترجو أن يكون لنا وقت نجزيها فيه على إحسانها بنا .

(٣) سورة المائدة الآية ٨٤ .

(٤) فليس المقصد الاستفهام عن مذهبهم بل التنبيه عن ضلالهم وأنه لا مذهب لهم ينجون به .

(٥) سورة المرسلات الآية ١٦ .

٦ - النهي ، نحو : ﴿التخشونهم فالله أحق أن تحشوه﴾<sup>(١)</sup> .

٧ - التقرير بحمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإجائه إليه .

وحكم الهمزة فيه حكمها في همزة الاستفهام من إيلاء المقربة الهمزة ، فإذا قلت : أفعلت هذا ؟ كان غرضك أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وإذا قلت : أنت فعلت هذا ؟ كان غرضك أن تقرره بأنه هو الفاعل ، وعليه قوله تعالى حكاية عن قوم نمرود : ﴿أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾<sup>(٢)</sup> إذ غرضهم أن يقرّ لهم بأنه قد كسر أصنامهم لا أن يقرّ لهم بأنه هل حصل كسر ، يدل على ذلك جواب إبراهيم بقوله : ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾<sup>(٣)</sup> ، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أم لم أفعل .

٨ - الإنكار ، ويشترط فيه أن يلي المنكر الهمزة ، ويكون :

( أ ) إما للتوبيخ على الفعل بمعنى ما كان ينبغي أن يكون كقوله تعالى : ﴿أتأمرونَ الناسَ بالبرِّ وتنسونَ أنفسكم﴾<sup>(٤)</sup> وأما بمعنى لا ينبغي أن يكون كقوله للرجل يضيع الحق : أتنتسى قديم إحسان فلان اليك ؟ وقوله للرجل يركب الخطر : أتنخرج في هذا الوقت ؟ والفرض في مثل هذا تنبيه السامع حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتدع عن فعل ما هم به .

( ب ) وإما للتكذيب في الماضي بمعنى لم يكن ، نحو : ﴿أفأصطفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً﴾<sup>(٥)</sup> : ﴿اصطفى البنات على البنين﴾<sup>(٦)</sup> أو في المستقبل بمعنى لا يكون نحو : ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾<sup>(٧)</sup> .  
وقول امرئ القيس :

(١) سورة التوبة الآية ١٣ .

(٢ و ٣) سورة الأنبياء الآيتان ٦٢ و ٦٣ .

(٤) سورة البقرة الآية ٤٤ .

(٥) سورة الاسراء الآية ٤٠ .

(٦) سورة الصافات الآية ١٥٣ .

(٧) أي أنلزمكم تلك الحجة ونفسركم على قبولها وأنتم كارهون لها .

أبقتني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب أغوال<sup>(١)</sup>  
وقول الآخر :

أترك أن قلت درهم خالد زيارته إني إذا للئيم  
ومن مجيء الهمزة للإنكار قوله تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح<sup>(٣)</sup>

إذ المعنى : الله بكاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطايا ، لأن نفي النفي  
إثبات ، وهذا مراد من قال : إن الهمزة فيه للتقرير ، أي للتقرير بما دخله النفي ،  
لا للتقرير بالانتفاء .

٩ - التهم ، نحو : أراك يرشدك الى ما تقول ؟ وعليه قوله تعالى :  
﴿ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾<sup>(٤)</sup> . وقوله :

وما أدري ولست إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

١٠ - الاستبعاد ، نحو : أنى يرى ذلك وهو أكمه ، وعليه قوله تعالى :  
﴿ أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم  
مجنون ﴾<sup>(٥)</sup> .

١١ - التحويل ، نحو : ﴿ القارعة القارعة ﴾ وما أدراك ما القارعة<sup>(٦)</sup> .

١٢ - التحقير ، نحو : أهذا الذي كنت تطنب في مدحه ، أهذا الذي كنت  
تركن اليه .

١٣ - التعميم ، نحو قول أبي نواس :

---

(١) الشرقي منسوب الى مشارف اليمن ، وهي بلاد تعمل فيها السيوف وسهام مسنونة حادة  
النصال ، وزرق صافية مجلوة كانياب الأغوال في الحدة .

(٢) سورة الزمر الآية ٣٦ .

(٣) المطايا جمع مطية ، وأندي من الندى وهو الكرم ، والراح جمع راحة باطن الكف .

(٤) كان شعيب كثير الصلوات اذا رآه قومه تضاحكوا واستهزؤا به (سورة هود الآية ٨٧) .

(٥) سورة الدخان الآية ١٣ .

(٦) القارعة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم وبه سمي يوم القيامة (سورة القارعة) .

إذا لم تطلأ أرض الحصب ركبنا      فأني فتى بعد الحصب تزور<sup>(١)</sup>  
١٤ - النفي :

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي      بما كان فيها من بلاء ومن خفض  
١٥ - التمني ، نحو :

هل بالطول لسائل رد<sup>١</sup>      أم هل لها بتكلم عهد<sup>٢</sup>  
١٦ - التشويق ، نحو : ﴿ أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب  
أليم ﴾<sup>(٣)</sup>.

١٧ - التكثير ، نحو قول أبي العلاء المعري :

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ      ب فأن القبور من عهد عاد

١٨ - التسوية ، نحو : ﴿ سواء علينا أوعظت أم لم تكن من  
الواعظين ﴾<sup>(٣)</sup>.

### تدريب أول

- ١ - أنلمو وأيامنا تذهب      ونكسب والموت لا يلعب
- ٢ - متى يبلغ البنيان يوماً تمامه      إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
- ٣ - فعلام يلتمس العدو مساءتي      من بعد ما عرف الخلائق شاني
- ٤ - وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى      ورأى أمير المؤمنين جميل
- ٥ - وهل نفعي أن ترفع الحجب بيننا      ودون الذي أملت منك حجاب
- ٦ - أضاعوني وأي فتى أضاعوا      ليوم كربة وسداد ثغر
- ٧ - ومن مثل كافور إذ الخيل أحجمت      وكان قليلاً من يقول لها اقدمي
- ٨ - متى يستقيم الظل والعود أعوج      وهل ذهب الأبريز يحكيه بهرج

(١) الحصب من ولاية مصر .

(٢) سورة الصف الآية ١٠ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٣٦ .

## الاجابة

- (١) التوبيخ بمعنى لا ينبغي أن يكون .
- (٢) النفي أي لا يبلغ التمام مطلقاً .
- (٣) الاستبعاد .
- (٤) النفي أي لا أخاف الفقر .
- (٥) النفي .
- (٦) التعظيم لشأنه .
- (٧) التعظيم لشأن المدوح .
- (٨) النفي .

## تدريب ثان

- ١ - أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ويحرم ما دون الرضا شاعرٌ مثلي
- ٢ - أعندي وقد مارست كل خفية بصديق واش أو يخيب سائل
- ٣ - فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير<sup>(١)</sup>
- ٤ - ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيه مصلت<sup>(٢)</sup>
- ٥ - ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه
- ٦ - ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

## الاجابة

- (١) الإنكار وبيان أن ذلك ما كان ينبغي أن يكون .
- (٢) التهم أو الإنكار لا ينبغي أن يكون .
- (٣) التحقير لشأن المخاطب بضرب المثل .
- (٤) التعظيم لشأن ذلك الموقف .
- (٥) التعظيم لشأن ذلك الجامع الجميل الخصال .
- (٦) التقرير وبيان أنه قد أعطى البطش والقوة .

---

(١) الطنين صوت أجنحة الذباب ، وبضير يضير .

(٢) مصلت مسلول .

### تدريب ثالث

سل عما يأتي :

- (١) حال الزراعة بالسودان .
- (٢) مكان اصطياد الحيوانات المفترسة .
- (٣) معنى القند .
- (٤) مخترع البرق الأثري (التلغراف اللاسلكي) .
- (٥) 'مدخل زراعة القطن بمصر .
- (٦) موسم الحج وإقامة شعائره .
- (٧) عدد الناجحين في الامتحان .
- (٨) ترددت في محبي علي في عربة أو سيارة .
- (٩) ترددت في زرع القطن في يناير أو فبراير .
- (١٠) الفائز في لعب الكرة الخديوية ، أو التوفيقية .

### الاجابة

- (١) كيف الزراعة بالسودان ؟
- (٢) أين تصطاد الحيوانات المفترسة بالسودان ؟
- (٣) ما القند (عسل السكر) ؟
- (٤) من اخترع البرق الأثري ؟
- (٥) من أدخل زراعة القطن بمصر ؟
- (٦) متى موسم الحج ؟
- (٧) كم الناجحون في الامتحان ؟
- (٨) أفي عربة جاء علي أم في سيارة ؟
- (٩) أفي يناير أم فبراير يزرع القطن ؟
- (١٠) الخديوية فازت أم التوفيقية ؟

### تمرين أول

بيّن المعاني التي تستفاد من الاستفهام في الجمل الآتية :

- (١) قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تُرَبِّكُ فِينَا وَلِيداً ﴾<sup>(١)</sup> .

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٨ .

- (٢) ﴿أَحْسِبُ الْإِنْسَانَ أَن يَتْرَكَ سَدًى﴾<sup>(١)</sup> .  
 (٣) ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 (٤) أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي .  
 (٥) هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه .  
 (٦) ألا تحبون أن يغفر الله لكم .  
 (٧) أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً .  
 (٨) أهذا الذي بعث الله رسولا .

### تمرين ثان

- ١ - أتراني وقد طويت حياتي في مراس لم أبلغ اليوم رشدي  
 ٢ - من ذا يعبرك عينه تبكيها أرأيت عيناً للبكاء تعبر  
 ٣ - كيف ترقى رقيقك الإنبياء يا سماء ما طاولتها سماء  
 ٤ - شرف العصا من صنع نفوسهم من ذل يقيس بهم بني الأشراف  
 ٥ - مالي أراكم تنكرون مكاني الشمس لا تخفى مع الإشراف  
 ٦ - أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع  
 ٧ - أعندكم نبأ عن أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبان  
 ٨ - ما أنت يا دنيا أرؤيا قائم أم ليل عرس أم بساط سلاف

### تمرين ثالث

سل عما يأتي :

- (١) إقامة مهرجان المولد النبوي .  
 (٢) شككت في اسم المأمون .  
 (٣) حال المعادن بمصر .

(١) سورة القيامة الآية ٣٦ .

(٢) سورة مريم الآية ٢٠ .

- (٤) فأكهة على المائدة لا تعرف اسمها .  
 (٥) عن الوقت لتضبط ساعتك .  
 (٦) نزل مطر لا تعلم زمن نزوله .  
 (٧) بدء نزول الأمطار بالسودان .  
 (٨) قدم أحد أخويك ولا تدري من هو .  
 (٩) عدد صفحات الكتاب .  
 (١٠) وقت دخول المجلس النيابي بمصر .  
 (١١) مكان المدرسة .  
 (١٢) مستقبل مصر .

### المبحث الرابع في الأمر

- هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء<sup>(١)</sup> ، وله صيغ أربع :
- ١ - فعل الأمر كقوله تعالى : ﴿واصنع الفلّك بأعيننا ووحينا﴾<sup>(٢)</sup> .  
 ٢ - المضارع المقترن بلام الأمر نحو : ﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾<sup>(٣)</sup> .  
 ٣ - اسم فعلي الأمر ، نحو : **وحذار أن ترضى مودة من يقلي المقل ويعشق المثري**  
 ٤ - المصدر النائب عن فعله ، نحو : **فصبراً معين الملك إن عن حادث فعاقبه الصبر الجميل جميل**  
 والأصل في صيغة الأمر أن تفيد الإيجاب أي طلب<sup>(٤)</sup> الفعل على وجه اللزوم وهذا هو المفهوم منها عند الإطلاق ، نحو : قم وسافر . ومما عداه يحتاج الى قرائن أخرى تستفاد من سياق الحديث ، وأهمها ما يأتي :
- (١) الدعاء ، نحو :

فأسلم أمير المؤمنين ولا تزل مستعلياً بالنصر والتأييد

(١) وهو عد الأمر نفسه عالياً سواء كان عالياً في الواقع أم لا .  
 (٢) سورة هود الآية ٣٧ .  
 (٣) سورة الطلاق الآية ٧ .  
 (٤) ويستفاد الفور أو التراخي من القرائن .

- (٢) الإلتباس : كما تقول لمن هو في منزلتك : أعطني كتابك .
- (٣) الإرشاد ، نحو : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ (١) .
- (٤) التمجيز كقول الفرزدق يخاطب جريراً :  
أولئك آبائي فبحسني بملهم إذا جمعنا يا جرير الجامع
- (٥) الإهانة والتحقير ، كقول أبي العلاء المعري في الفخر :  
أرى النقاء تكبر أن تصطادا فعاثد من تطيق له عنادا (٢)
- (٦) التهديد ، نحو :  
إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
- (٧) الاعتبار ، نحو : ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر ﴾ (٣) .
- (٨) التمني ، نحو :  
يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي (٤)
- (٩) التخيير ، نحو :  
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود (٥)
- (١٠) الإباحة ، نحو : اختر ما تشاء .
- (١١) الدوام ، نحو : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ (٦) .
- (١٢) التأديب ، وهو ما يكون لتهديب الأخلاق والعادات نحو : كل مما يليك .
- (١٣) التعجب ، نحو : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ (٧) .

(١) العفو نقيض الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس ولا تكلفهم ما يشق عليهم العرف الجميل من الأفعال ، والاعراض عن الجاهلین يكون بالحلم عنهم (سورة الأعراف الآية ١٩٩) .

(٢) العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم .

(٣) سورة الأنعام الآية ٩٩ .

(٤) عبلة بنت عمه ، والجواء واد بديار بني عيس ، وعمي صباحاً كلمة تحية .

(٥) البنود جمع بند العلم الكبير ، وخفقها اضطرابها .

(٦) سورة الفاتحة الآية ٥ .

(٧) سورة الاسراء الآية ٤٨ .

## نموذج أول

بيّن ما يراد بصيغ الأمر في التراكيب الآتية :

- ١ - قال ﷺ : « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلّوا الأرحام ، وصلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .
- ٢ - امشي بنا أو أحسنني لا ملومة<sup>(١)</sup> لدينا ولا مقلبة إن قفلت
- ٣ - عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور
- ٤ - ﴿ وأسرّوا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾<sup>(٢)</sup> .
- ٥ - قف بتلك القصور في المِ غرقي ممكاً بعضها من الذعر بعضاً
- ٦ - انظر الى القبة الغراء مذهباً كأنما الشمس أعطتها عجاها

## الاجابة

| صيغة الأمر                                         | الغرض منها                   | صيغة الأمر                             | الغرض منها                           |
|----------------------------------------------------|------------------------------|----------------------------------------|--------------------------------------|
| (١) أفشوا السلام<br>(٢) أسبني بنا<br>(٣) عش سالماً | الارشاد<br>النسوية<br>الدعاء | أسرّوا قولكم<br>قف بتلك القصور<br>انظر | التخبر<br>الاعتبار والعظة<br>التمجيد |

## نموذج ثان

- ١ - أريني جواداً مات هزلاً لعلي أرى ما ترين أو بخيلاً مخلداً
- ٢ - قال تعالى : ﴿ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾<sup>(١)</sup> .
- ٣ - قد رشحوك لأمر إن فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الحمل
- ٤ - ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ﴾<sup>(٢)</sup> .
- ٥ - ليس هذا بعشك فادرجي .
- ٦ - اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

(١) سورة الملك الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١١ .

(٣) سورة طه الآية ٢٥ .

## الاجابة

| صفة الأمر                                              | الفرض منها                    | صفة الأمر                            | الفرض منها                   |
|--------------------------------------------------------|-------------------------------|--------------------------------------|------------------------------|
| (١) أرني جواداً<br>(٢) هاتوا برهانكم<br>(٣) أربأ بنفسك | التعجيز<br>التعجيز<br>الارشاد | أشرح لي صدري<br>ادرجي<br>اعمل لدنياك | الدعاء<br>الإهانة<br>الارشاد |

### تموين (١)

بيّن ما يستفاد من صيغ الأمر فيما يلي :

- ١ - غفرانك ربنا وإليك المصير .
- ٢ - فاتوا بسورة من مثله .
- ٣ - ادخلوها بسلام آمنين .
- ٤ - تمتعوا فإن مصيركم الى النار .
- ٥ - فاقض ما أئنت قاض .
- ٦ - ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق .

### تموين (٢)

- ١ - فانهض الى صهوات المجد معتلياً
- ٢ - الما على معن وقولا لقبره
- ٣ - حاول جسيمات الأمور ولا تقل
- ٤ - فيا موت زر إن الحياة كريمة
- ٥ - ليدع المدعون العلم والأدبا
- ٦ - أيتها النفس أجلي جزعا
- فالباز لم يأو إلا عالي القلل
- سقتك الفوادي مربعا ثم مربعا
- إن الهامد والعلأ أرزاق
- ويا نفس جدي إن دهرك هازل
- فقد تغيب عبد الله واحتجبا
- إن الذي تحذرين قد وقعا

## المبحث الخامس في النهي

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، وليس له إلا صيغة واحدة ؛ هي : المضارع ، مع لا الناهية ، نحو : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

ومدلوله طلب الكف عن الفعل فوراً كما يستفاد من تتبع فصيح التراكيب ، وقد يستعمل منه معان أخرى تفهم بالقرائن من سياق الحديث تجوزاً واتساعاً في الاستعمال ، وأهمها :

١ - الدعاء ، نحو : ﴿ رَبَّنَا لَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢ - الإرشاد ، نحو :

إذا نطق السفية فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

٣ - التهديد ، نحو : لا تفتنه عن غيبك .

٤ - التوبيخ ، نحو :

فلا يخذعك لموع السراب ولا تأت أمراً إذا ما اشتبه

٥ - الالتئام ، نحو :

لا تطويا السر عني يوم تأتيه فأن ذلك ذنب غير مغفر

٦ - التمني ، نحو :

أعيني جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى

٧ - التوبيخ ، نحو :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

٨ - التسلية والصبر ، نحو : ولا تجزع فإن الله رحيم بعباده .

## نموذج

أذكر ما يراد بصيغ النهي الآتية :

١ - ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأعراف الآية ٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ٤٢ .

- ٢ - لا تكن رطباً فتعصر ، ولا يابساً فتكسر .  
 ٣ - لا تعتذروا اليوم .  
 ٤ - لا تحسب الجهد قوماً أنت آكله لن تبلغ الجهد حق تلحق الصبرا  
 ٥ - لا تحتجب عن العيون أيا القمر .  
 ٦ - لا تعرضن الجعفر متشبهاً بندي يديه فلست من أنداده

### الاجابة

- (١) التوبيخ لهم على خلطهم الحق بالباطل .  
 (٢) الإرشاد الى حسن الخلق .  
 (٣) التيسيس .  
 (٤) التوبيخ والتقريع .  
 (٥) التمني .  
 (٦) التوبيخ والتأنيب .

### تمرين (١)

ماذا يراد بصيغ النهي الآتية :

- (١) ولا تمش في الأرض مَرَحاً .  
 (٢) ولا يضار كاتب ولا شهيد .  
 (٣) ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك .  
 (٤) ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا .  
 (٥) لا تسألوا عن أشياء إن تبدل لكم تسؤكم .  
 (٦) ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

### تمرين (٢)

- ١ - ولا يغرنك بشر من أخي ملق  
 فرونق الآل لا يشفى من الغلل  
 ٢ - لا تلهينك عن معادك لذة  
 تفنى وتورث دائم الحسرات  
 ٣ - لا تودع السر مشاء به مذلاً  
 فما رعى غنماً في الدرة سرحان<sup>(١)</sup>

(١) المشاء كثير الوشاية ، والمذل المفسد ، والدرة الفلاة ، والسرحان الذئب .

- ٤ - لا تلتصق من عيوب الناس ما ستروا .  
 ٥ - لا تحسبن سروراً دائماً أبداً .  
 ٦ - لا تعاد الناس في أوطانهم .

### المبحث السادس في النداء

هو دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كأدعو ونحوه ، وأدواته ثمان :  
 يا والهمزة وأي وآي وآ وأيا وهيا ووا .  
 وهي في الاستعمال قسمان :

- ١ - الهمزة وأي للقريب .  
 ٢ - باقي الأدوات للبعيد .

وقد ينزل البعيد منزلة القريب فينادي بالهمزة أو أي تنبيهاً على أنه لا يغيب عن القلب ، بل هو مالك الفؤاد واللب ، فكأنه حاضر الجثمان ، ليس بناء عن العيان ، كقول الضبي في رثاء ابنه :

أبي لا تبعد وليس بخالد حي ومن تصب المنون بعيد

كما قد يعكس فينزل القريب منزلة البعيد فينادي بإحدى أدواته إما :

( أ ) للدلالة على أن المنادي رفيع القدر عظيم الشأن فيجعل بعد المنزلة كأنه بعد في المكان كقول أبي بكر بن النطاح في مدح أبي دلف العجلي :

أبا دلف بورككت في كل بلدة كما بورككت في شهرها ليلة القدر<sup>(١)</sup>

( ب ) للإشارة إلى أنه وضع ، منعط الدرجة ، وعليه قول الفرزدق يهجو جريراً :

أولئك آبائي فجثني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير الجامع

( ج ) للإشعار بأن السامع غافل لاه ، فتعتبره كأنه غير حاضر في مجلسك ، وعليه قول البارودي :

يأبها السادر المزور<sup>٢</sup> من صلف مهلا فإنك بالأيام منخدع<sup>(٢)</sup>

(١) أبو دلف العجلي أحد القواد الشجعان في عهد المأمون والمعتصم ، توفي سنة ٢٦٢ هـ .

(٢) السادر الذهاب عن الشيء ترفعاً ، والزور المنحرف ، والصلف الكبر .

وقد تخرج ألفاظ النداء الى معان أخرى تستفاد من القرائن ، ومن ذلك :

١ - التحسر والتوجع ، كقول حافظ في الرثاء :

يا درة نزع من تاج والدها فأصبحت حلية في تاج رضوان

وقول من رثى معن بن زائدة :

فيا قبر معن كيف وارتبت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا<sup>(١)</sup>

٢ - التعجب ، كقول طرفة :

يا لك من 'قبرة' بعمر خلا لك الجو فيبضي واصفري<sup>(٢)</sup>

٣ - الاختصاص ، كقوله :

إنا بني نهشل لا ندعي لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

٤ - الندبة ، كقول أبي العلاء :

فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل

٥ - الإغراء ، كقولك للجندي المتردد في الدفاع : يا شجاع تقدم .

٦ - الزجر والملامة ، نحو : متخبطك في طريق الموتى

أفؤادي متى المتأب ألما تصح والشيب فوق رأسي ألما<sup>(٣)</sup>

٧ - الاستغاثة ، نحو :

يا للرجال ذوي الأبواب من نَفَر لا يبرح السفينة المردى لهم ديننا<sup>(٤)</sup>

٨ - التحير والتذكر ، وقد كثر ذلك في نداء الأطلال والمنازل والمطايا ، كقوله :

أيا منازل سلى أين سلاك من أجل هذا يكيئها بكيئناك<sup>(٥)</sup>

---

(١) المترع الملوأ .

(٢) الشطر الثاني يضرب مثلا للحاجة يتمكن منها صاحبها .

(٣) ألم الثانية بمعنى نزل .

(٤) المردى المهلك ، والدين العادة .

(٥) فيه حذف حرف العطف ، أي وبكيئناك ، يريد أنه بكى على سلى ، وبكى على المنازل

لعدم وجود سلى بها .

وقول أبي العلاء :  
يا ناق جدي فقد أفنت أناثك بي صبري وعمري وأحلاسي وأنساعي<sup>(١)</sup>

### تنبيه

الأكثر أن يصحب النداء أمر أو نهي ، نحو : ياها الناس اعبدوا ربكم .  
ياها الذين آمنوا لا 'تقدّموا بين يدي الله ورسوله<sup>(٢)</sup> .  
ويقل أن تصحبه الجملة الخبرية ، نحو : يا عباد لا خوف عليكم اليوم .  
أو الاستفهامية ، نحو : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر .

### نموذج

بيت المعاني التي تستفاد من النداء :

- ١ - يا ليل قد طلّت فهل مات السحر أم استحسالت شمس إلى القمر
- ٢ - يا راحلاً أخلي الدنيا رَوْفُضْله أم يرحل
- ٣ - صاوح الشرق قد سكت طويلاً وعزّيزٌ عليه ألا تقولا
- ٤ - أبا الهول طال عليك العصور وبلّغت في الأرض أقصى العمر
- ٥ - يا ابن أمي ويا حبيب نفسي أنت خلفتني لدهر شديد
- ٦ - يا أها القمر المباهي وجهه لا تكذبني فلست من أشكاله

### الاجابة

- (١) المراد بالنداء التحير والتضجر .
- (٢) يراد به التحسر .
- (٣) التذكر والتضجر .
- (٤) التعجب .
- (٥) التحسر والتأسف .
- (٦) الزجر والملامة .

(١) الأناة الثأني والتأخر ، والاحلاس جمع حلس وهو كساء يطرح على ظهر البعير ، والانساء جمع نسع وهو سير عريض يوضع في صدر البعير .  
(٢) أي لا تقطعوا أمراً إلا بعدما يحكم به ويأذن فيه ، فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل وإما مقتدين برسول الله (ص) .

## تمرين

بيّن المعاني المستفادة من النداء فيما يلي :

- ١ - وبك يا قبرُ صرتَ للفضل مثوىً      لا يسامى وللنبوغ مقيلاً
- ٢ - أحجّاج لا يقلل سلاحك إنما      المنايا بكف الله حيث يراها
- ٣ - أحمدٌ والجود فيك سجيةٌ      هنيئك طيب ذكرها هنيئكا
- ٤ - فيصاحي رحلي دنا الموت فانزلا      برابية إني مقيمٌ لياليا
- ٥ - ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي      بصبح وما الأصباح منك بأمثل
- ٦ - يا موته لو أفلتت عثرته      يا يومه لو تركه لفد



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامي

## الباب الثالث في الذكر

لم يتعرض لهذا الباب كثير من أئمة هذا الفن كأبي هلال العسكري والإمام عبد القاهر، وكأنهم لم يروا فيه من اللطائف والمزايا ما يسيغ البحث عنه في علوم الفصاحة إذ هو بمباحث علم النحو أشبه .

ولكن المتأخرين كالسكاكي وشيعته ذكروا فيه نكات ومزايا لم يستطيعوا أن يردفوها بآي من التنزيل ، أو بشواهد من كلام ذوي اللسان والفصاحة ، وقصارى ما قالوه إن المسند اليه يذكر وجوباً إذا لم تقم قرينة تدل عليه كان الكلام معمى لا يستبين المراد منه ، ويترجح إذا وجدت القرينة لمزية من المزايا الآتية :

١ - أنه الأصل وليس هناك ما يقتضي العدول عنه ، كما تقول : هذا أخي وذلك صديقي .

٢ - زيادة الكشف والإيضاح ، كما تقول : اللبيب من فكّر في العواقب ، اللبيب من خالف نفسه الأمانة بالسوء .

وعليه قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ <sup>(١)</sup> . ففي تكرير اسم الإشارة تنبيه إلى أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضاً ، فجعلت كل واحدة منها في تمييزهم بها عن غيرهم بالمشابة التي لو انفردت كفت مميزة على حياها ، قاله في «الكشاف» .

بسط الكلام في مقام الافتخار ، كقول سامي البارودي :

|                         |                       |
|-------------------------|-----------------------|
| أنا مصدر' الكلم البوادي | بين المسحاضر والنوادي |
| أنا فارس' أنا شاعر'     | في كل ملحمة ونادي     |

(١) سورة البقرة الآية ٥٠ .

٤ - التسجيل على السامع حق لا يتأني له الإنكار ، كقول الفرزدق يمدح  
زين العابدين :

هذا ابن خير عباد الله كلهم<sup>١</sup> هذا التقى النقي الطاهر العلم  
٥ - الاستلذاذ بذكر الاسم المحبوب ، كما يكرر المادحون ذكر ممدوحهم ،  
كقوله :

فعباس<sup>٢</sup> يصد الخطب عنا وعباس<sup>٣</sup> يحير من استجارا  
٦ - التهويل ، كما تقول : ملك البلاد يأمر بكذا .  
٧ - التعظيم ، اذا كان اللفظ يفيد ذلك ، كما يقال في جواب أحضر الملك ؟ :  
حضر سيف الدولة .

٨ - التحقير ، اذا كان اللفظ يشعر بالإهانة ، نحو : حضر المحرم في جواب :  
هل حضر فلان ؟

٩ - التعجب ، اذا كان الحكم غريباً في مجرى الالف والعادة ، نحو :  
علي يصرع الأسد في جواب : هل يصرع علي الأسد ؟

١٠ - ضعف القرينة ، فتقل الثقة بها فلا يعتمد عليها ، نحو : أول الإنسان  
نطفة مذرة ، وآخره جيفة قدرة .

ويذكر المسند اللطائف ومزايا تشبه ما ذكر في المسند اليه ، أهمها :  
(١) كون الذكر هو الأصل ولا داعي للعدول عنه ، نحو : الأدب خير  
من العلم .

(٢) الرد على المخاطب ، اذا كان ينكر صحة ما يقال له ، كقوله تعالى :  
﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ بعد قوله ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾<sup>(١)</sup> .  
(٣) الاحتياط لضعف التعويل على القرينة نحو : ﴿ولئن سألتهم من خلق  
السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾<sup>(٢)</sup> .

(٤) التعريض بغباوة المخاطب ، نحو : ﴿ويل فعله كبيرهم هذا﴾ بعد  
قوله ﴿أأنت فعلت هذا بآل هتنا يا إبراهيم﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة ياسين الآية ٧٩ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٩ .

(٣) سورة الانبياء الآية ٦٢ .

(٥) إفادة أنه فعل فيفيد التجدد والحدوث مقيداً بأحد الأزمنة على أخصر طريق أو اسم فيفيد الثبوت مطلقاً مثل: ﴿أتخادعون الله وهو خادعهم﴾<sup>(١)</sup>، فإن يخادعون يفيد التجدد حيناً بعد آخر مقيداً بالزمان بدون حاجة الى قرينة تدل عليه ، وقوله : وهو خادعهم ، يفيد الثبوت مطلقاً من غير نظير الى زمان مخصوص .

### نموذج

بيّن السر في ذكر المسند اليه أو المسند ، فيما يلي :

- ١ - وقد علم القبائل من مَعَد إذا قَبِب بأبطحها بنينا  
بأنا المطعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا ابتلينا
- ٢ - قال عيسى عليه السلام : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .
- ٣ - أعيني جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى  
ألا تبكيان الجواد الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
- ٤ - قال الحافظ في وصف الشمس :  
هي أم الأرض في نسبتها هي أم الكون والكون جنين  
هي أم النار والنور معاً هي أم الريح والماء المعين
- ٥ - أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .
- ٦ - الرجال المخلصون هم الذين يذودون عن الوطن ، الرجال المخلصون هم الذين يظهرون عند الشدائد .
- ٧ - ملكك البلاد يأمر بالعدل والانصاف .

### الاجابة

- (١) ذكر المسند اليه لبسط الكلام في معرض الفخر .
- (٢) ذكر المسند اليه لزيادة التقرير والإيضاح .

(١) سورة النساء الآية ١٤٢ .

- (٣) ذكر المسند لإفادة التجدد بالجملة الفعلية .  
 (٤) ذكر المسند اليه لأن المقام مقام تعظيم وتفخيم .  
 (٥) ذكر المسند اليه لأن المقام للافتخار .  
 (٦) ذكر المسند اليه لتعظيم شأن الرجال العاملين .  
 (٧) ذكر المسند اليه للتمويل .

### تمارين

بيّن أسباب ذكر المسند اليه أو المسند ، فيما يلي :

- ١ - إن حل في روم ففيها قبصر      أو حل في 'عرب ففيها تبع
- ٢ - ونحن النار كون لما سخطنا      ونحن الآخذون لما رضينا
- ٣ - وإني لحلو تعتريني مرارة      وإني لترك لما لم أعود
- ٤ - إلهي نصيري ، يحفظني شر الهمازين المشائين بنميم
- ٥ - أجنبتنا بالحق أم أنت من اللاعبين
- ٦ - ﴿فهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾<sup>(١)</sup>
- ٧ - إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة      تتبع أقصى دائها فشفاهما
- شفاهما من الداء العضال الذي بها      غلامٌ إذا هز القناسة سقاها

(١) سورة الطارق الآية ١٧ .

## الباب الرابع في الحذف

وفيه أربعة مباحث

### المبحث الأول في مزايا الحذف وشروطه

من دقائق اللغة ، وعجيب سرها ، وبديع أساليبها ، أنك قد ترى الجمال والروعة تتجلى في الكلام إذا أنت حذف أحد ركني الجملة أو شيئاً من متعلقاتها ، فإن أنت قدرت ذلك المحذوف وأبرزته صار الكلام الى غث سفساف ونازل ركيك لا صلة بينه وبين ما كان عليه أولاً .

ومن ثم قال في « دلائل الإعجاز » : « هذا باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجهدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر » ، وتدفعها حتى تنظر . اهـ .

ومن شرط الحذف أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف ، وإلا كان تعمية وإلغازاً ، ومن شرط حسنه أنه متى أظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة ، وهو على ضربين :

١ - ضرب يظهر فيه المحذوف عند الاعراب كقولهم : أهلاً وسهلاً ، فإن نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف يقدر بنحو : جئت أهلاً ونزلت مكاناً سهلاً ، وليس لهذا الحذف من الحسن والاريجية ما تجده في قسميه الثاني .

٢ - ضرب لا يظهر بالاعراب ، وإنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى ووجدته لا يتم إذا لم يراع ذلك المحذوف كما يقال : فلان يحل ويعقد ، ويعطي ويمنع ، إذ من البين أن المعنى يحل الأمور ويعقدها ، ويعطي ما يشاء ويمنع ما يشاء ، ولكن لا سبيل الى إظهار ذلك المحذوف ، ولو أظهرته زالت تلك البهجة وضاع ما تشعر به من رواء وجمال .

## المبحث الثاني في حذف المسند اليه

يحذف المسند اليه لأغراض ، أهمها :

- ١ - ظهوره بدلالة القرائن عليه ، فذكره يعد حينئذ عبثاً في الظاهر<sup>(١)</sup>  
كقوله تعالى : ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> أي أنا .
- ٢ - ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب التوجع والتضجر ، نحو :  
قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل
- ٣ - إخفاء الأمر عن غير المخاطب ، كما تقول : (انتهت) ، أي المسألة  
المعمودة بينكما .

- ٤ - خوف فوات فرصة سانحة ، كقول من رأى طياراً مقبلاً : طيار .
- ٥ - المحافظة على سجع أو قافية ، فالأول نحو : من طابت سريرته حمدت  
سيرته ، أي حمد الناس سيرته . والثاني نحو :  
وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع<sup>(٣)</sup>
- ٦ - اتباع الاستعمال الوارد بالحذف كقولهم في المثل : رمية من غير رام<sup>(٤)</sup> ،  
أي هذه رمية ، أو الوارد على ترك نظائره ، كما في الرفع على المدح ، أو الذم أو  
الترحم ، فإن المسند اليه لا يكاد يذكر في هذه المواضع ، فيقولون بعد أن  
يذكروا<sup>(٥)</sup> الممدوح : غلام من شأنه كذا وكذا ، وفقى من شأنه كيت وكيت ،  
كما قال ابن عنقاء الفزاري يمدح عميلة ، وقد شاطره ماله لما رآه معوزاً :  
رآني على ما بي عميلة فاشتكي إلى ماله حالي أسركما جهر  
غلام رماه الله بالخير يافعا له سيمياء لا تشق على البصر<sup>(٦)</sup>

(١) وإلا فلا عبث في ذكره على الحقيقة لأنه أحد ركني الاسناد .

(٢) سورة الزاريات الآية ٢٩ .

(٣) إذ لو قيل أن يرد الثامن الودائع لاختلفت القافية .

(٤) يريد رمية مصيبة من رام غير محسن ، يضرب مثلاً لمن صدر منه فعل حسن ليس أهلاً  
لأن يصدر منه . قاله الحكم بن عبد يغوث المضري .

(٥) قال الرازي : يشبه أن يكون السبب في ذلك أنه بلغ في استحقاق الوصف إلى حيث أنه  
لا يكون إلا للموصوف ، سواء أكان في نفسه كذلك ، أم بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة .

(٦) رماه الله وضع فيه ، واليافع الشاب ، والسيمياء العلامة والهيئة ، ولا تشق على البصر  
أي تفرح به من ينظر اليه .

وكما قال عبد الله الأسدي يمدح عمرو بن عثمان بن عفان :

سأشكر عمرأ إن تراخت منيتي      أيادي لم تئن وإن هي جلست  
فقد غير محجوب الغنى عن صديقه      ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت  
رأى خلاني من حيث يخفى مكانها      فكانت قذى عيذه حتى تجلست<sup>(١)</sup>

وبعد أن يذكروا الديار والمنازل ربيع كذا وكذا كما قال :

اعتاد قلبك من ليلى عوائده      وهاج أهواءك المكنونة الطلل  
ربيع قراء أذاع المعصرات به      وكل حيران سار ماؤه خضل<sup>(٢)</sup>

٧ - تعيينه وعدم احتمال غيره ، إما بحسب الحقيقة والواقع ، كما تقول :  
خلق لما يشاء ، أي الله تعالى ، وإما بحسب المبالغة والادعاء ، كما يقول المادح  
وهنا الألف أي المدوح .

٨ - تكثير الفائدة باحتمال أمرين عند الحذف ، نحو قوله تعالى :  
﴿ فصر جميل ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي فأمرى صبر جميل ، أو فصر جميل أجمل بي وأولى .

٩ - تأتي الإنكار عند الحاجة إلى ذلك ، كما يقال : ﴿ همار مشاء بنميم ﴾<sup>(٤)</sup>  
إذا قامت القرينة على أن المراد محالاً مثلاً .

١٠ - إيهام المدول إلى أقوى الدليلين ، وهو الدليل العقلي دون اللفظي ،  
فإن الاعتماد عند الذكر على دلالة اللفظ وعند الحذف على دلالة العقل وهي أقوى  
وإنما قيل لإيهام ، لأن الدال في الحقيقة عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة  
ويحتمله ( قال لي : كيف أنت ؟ قلت : عليل ) .

ومن حذف المسند إليه ما إذا أسند الفعل إلى نائب الفاعل لاعتبارات منها :

١ - جهل الفاعل ، كقول المرقش الأكبر :

إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة      تلق السوابق منا والمصلينا

(١) زلت النعل كناية عن الخسارة والفاقة .

(٢) أذاع المعصرات أنزلت ماءها بكثرة ، والحيوان الساري هو المزن يجري ليلاً ، والخضل  
الصافي ، وربع قواء لا أنيس به .

(٣) سورة يوسف الآية ١٨ .

(٤) سورة القلم الآية ١١ .

٢ - الخوف عليه ، كقول النابغة يعتذر إلى النعمان :

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زار من الأسد<sup>(١)</sup>

٣ - العلم به ، كقول ليلي الأخيلية تمدح الحجاج :

أحجاج لا يقلل سلاحك إنما الـ منايا بكف الله حيث يراها

٤ - احتقاره ، كقول النابغة :

لئن كنت قد بلغت عني وشاية لمبلغك الواشي أغش وأكذب

٥ - الخوف منه ، كما تقول : صودرت أموال فلان ، إذا كان ظالم ذو سطوة .  
قد أخذها .

### المبحث الثالث في حذف المسند

يحذف المسند لأغراض ، منها :

١ - قصد الاختصار والاعتزاز عن العبث ببناء على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر والتوجع كقول ضابقي البرجمي من أبيات قالها في الحبس :  
ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار<sup>(٢)</sup> بها لغريب<sup>(٣)</sup>

تقديره فإني لغريب وقيار كذلك ، والباعث على تقديم قيار على خبر إن قصد التسوية بينهما في التحسر على الاغتراب حتى كأن قياراً تأثر بما تأثر هو به أيضاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾<sup>(٤)</sup> تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك .

٢ - الثقة بشهادة العقل دون الاعتماد على اللفظ كما تجيب من قال : هل لك أحد ؟ إن الناس إلبي<sup>(٥)</sup> عليك ( إن محمداً وإن علياً ) أي إن لي محمداً ، وإن لي علياً ، وعليه قول الأعشى :

إن محلاً وإن مرتحلاً وإن في السفر إذ مضوا أمهلاً

يريد أن لنا محلاً في الدنيا ، وإن لنا مرتحلاً عنها إلى الآخرة .

(١) أبو قابوس كنية النعمان بن المنذر والنيء له عصام حاجب النعمان ، وقد أسر له بذلك .

(٢) في الأساس الماء في رحله أي منزله ومأواه ، وقيار اسم جمل ، والبيت خبر أريد به إنشاء التحسر والتوجع من الغربة .

(٣) سورة التوبة الآية ٦٢ .

(٤) مجتمعون على عداوتك .

٣ - الدلالة على الاختصاص ، نحو : قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي .  
تقديره لو تملكون تملكون بال تكرار للتوكيد ، ثم حذف الفعل فانفصل الضمير  
وأفاد الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشح المتناهي ، ونظيره قول حاتم :  
لو ذات سوار لطمتني<sup>(١)</sup> .

ولا بد للحذف من قرينة دالة على المحذوف ليفهم المعنى كوقوع الكلام جواباً  
عن سؤال محقق نحو : ﴿ وَلئن سألتهم مّن خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾<sup>(٢)</sup>  
أو مقدر ، نحو : يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال<sup>(٣)</sup> ، في قراءة من بني الفعل  
للمجهول ، كأنه قيل : من يسبح ؟ فقيل : يسبحه رجال ، ونحو قول ضرار بن نبشل  
يرثي يزيد أخاه :

لبيك يزيد ضارع<sup>(٤)</sup> لخصومة      ومختبط<sup>(٥)</sup> مما تطيح الطوائح<sup>(٦)</sup>  
كأنه قيل : من يبكيه ؟ فقال : ضارع ذليل لخصومة إذ هو ملجأ الأذلاء  
وعون الضعفاء .

### المبحث الرابع في حذف المفعول

للفعل رابطة بكل من الفاعل والمفعول ، وإن تنوعت جهتها ، فارتباطه  
بالفاعل لإفادة وقوعه منه لا إفادة وجوده في نفسه فحسب ، وارتباطه بالمفعول  
ليبيان وقوعه عليه .

ولاختلاف نوع الارتباط اختلف العمل ، فعمل الفعل في الفاعل الرفع ، وفي  
المفعول النصب ، أما إذا أريد الإخبار بوقوع الفعل في ذاته من غير إرادة أن  
يعلم من وقع ، أو على من وقع ، فالعبارة التي تدل على ذلك أن يقال : كان ضرب ،  
أو وقع أو وجد أو نحو ذلك من الألفاظ التي تدل على الوجود المجرد .  
إذا علمت ذلك نقول : الفعل المتعدي إذا أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول  
فهو على ضربين :

(١) يضرب مثلاً للشريف يهينه الوضيع ، والعرب تكنى بذات السوار عن الحرة .

(٢) سورة الزمر الآية ٣٨ .

(٣) الضارع الدليل ، والمختبط هو الذي يطلب منك المعروف من غير وسيلة ، والاحاطة  
الانهاك ، والطوائح جمع مطيعة على غير قياس ، وما متعلق بمختبط وما مصدرية أي يبكي  
ضارع لا ذهاب المنيا يزيد .

١ - أن يكون الغرض إثبات المعنى في نفسه للفاعل من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه ، وسيند أن يكون المتعدي بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول لثلا يتوهم السامع أن الغرض الإخبار به ، باعتبار تعلقه بالمفعول ، ألا ترى أنك إذا قلت : فلان يعطي الدنانير ، كان المقصد بيان جنس المعطي لا بيان كونه معطياً ، ويكون كلاماً مع من أثبت له إعطاء ولا يدري ما معطاه ، كما لا يقدر له مفعول أيضاً ، لأن المقدر في حكم المذكور ، وهذا الضرب نوعان :

( أ ) أن يجعل الفعل حال كونه مطلقاً عن اعتبار للعموم والخصوص كناية<sup>(١)</sup> عنه متعلقاً بمفعول مخصوص بدلالة سبق ذكر أو دليل حال إلا أنك تنسبه نفسك وتوهم أنك لم تذكر الفعل إلا لأن تثبت معناه من غير أن تقصد تعديته الى مفعول مخصوص ، وعليه قول البحري يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله :

شجوا حساده وغيظ عداه  
أن يرى مبصر<sup>(٢)</sup> ويسمع واع<sup>(٣)</sup>

فالمعنى المراد أن يرى مبصر آثاره ويسمع واع أخباره ، ولكنه أغفل هذين المفعولين وأبعدهما عن وجه<sup>(٤)</sup> لتسني له أن يبين أن محاسن المدوح قد ذاع صيتها واشتهر أمرها فلا تخفى على ذي بصر وسمع ، فيكفي في معرفة أنها سبب في استحقاقه الإمامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم الرائي والسامع أنه لا يليق لمقام الخلافة غيره ، ومن ثم ترى الحساد والعدا يتمنون ألا توجد عين تبصر ولا أذن تسمع لتخفي هذه الفضائل فيجدوا الى منازعته فيها سبيلاً .

(١) فالطلق يجعل كناية عن المقيد فالفعل عند تنزيله منزلة اللازم يكون مدلوله الماهية الكلية ، ثم بعد ذلك يكون كناية عن شيء مخصوص ، فيكون مدلوله جزئياً ، والمقيد وإن لم يكن لازماً للمطلق يدعى فيه اللزوم بالقريضة .

(٢) شجاء الأمر أحزته .

(٣) ونزلها منزل اللازمين أي تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص ثم جعلها كناية عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص هو محاسنه وأخباره بادعاء اللازمة بين مطلق الرؤية ورؤية محاسنه وبين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الشهرة مبلغاً لا يستطيع خفاؤها معه فلا يرى الرائي إلا آثاره ولا يسمع إلا أخباره ، فذكر اللزوم وأراد اللازم على ما هو طريق الكناية .

(ب) ألا يجعل كناية عن مفعول مخصوص ، بل يقصد إثبات المعنى في نفسه من غير تعرض لمفعول كقولهم : فلان يحل ويعقد ويأمر وينهي ويضر وينفع ، فالمتصود أن له حلاً وعقداً وأمراً ونهياً وضراً ونفعاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾<sup>(١)</sup> ، فالمعنى : هل يستوي من له علم ومن لا علم له ، وقوله عز اسمه : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا ﴾<sup>(٢)</sup> .

٢ - أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول ، ويجب تقديره بحسب القرائن ، ويحذف حينئذ لداع من الدواعي الآتية ، وهي :

١ - البيان بعد الإيهام ليكون أوقع في النفس كما فعل في المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، فنقول : لو شئت جئت ولو شئت لم أجيء ، علم السامع أن هاهنا شيئاً تعلقت المشيئة بوجوده أو عدمه ، فإذا قلت : جئت أو لم أجيء عرف ذلك الشيء ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقول البحتري :

لو شئت لم تفسد سماحة حياتي      كرماً ولم تهدم مآثر خالد  
فإن كان تعلق الفعل به غرابة ذكر المفعول ليتقرر في نفس السامع ويأنس به كما يقول الرجل مخبراً عن عزه : لو شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته ، وعليه قوله تعالى : ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقول إسحاق الحزيمي يرثي حفيده :

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيتته      عليه ولكن ساحة الصبر أوسع  
لأنه لما كان من البدع العجيب أن يقابل أحد الخليفة كل يوم ، وأن يريد رب العالمين ولداً ، وأن يشاء الإنسان بكاء الدم صرح فيها بذكر المفعول .

٢ - دفع توهم السامع من أول وهلة إرادة شيء غير ما هو مراد ، كقول البحتري يذكر ذود الممدوح ومساعدته إياه :

- 
- (١) سورة الزمر الآية ٩ .  
(٢) سورة النجم الآية ٤٣ .  
(٣) سورة الأنعام الآية ١٤٩ .  
(٤) سورة الزمر الآية ٤ .

وكم زدت عني من تحامل حادث وسورة أيام حزن الى العظم  
إذ لو قال : حزن اللحم ، لجاز أن يدور في خلد السامع قبل ذكر ما بعده  
أن الحزن كان في بعض اللحم ولم يصل الى العظام ، فترك ذكر اللحم لينفي عن  
فكره ما ربما يختلج في خاطره بأذى ذي بداءة .

٣ - إرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه لكمال  
البنية به والاهتمام بوقوعه ، كقول البحري :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً  
إذ تقديره طلبنا لك مثلاً فلم نجده ، لكنه حذف المثل ليوقع نفي الوجود  
على لفظ المثل صراحة .

(الملاحظة) مثل هذا الغرض عكس ذو الرمة في قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعري لئيماً أن يكون أصاب مالا  
فأعمل الفعل الأول وهو أمدح في لفظ اللئيم وأعمل أرض في ضميره ، لما كان  
غرضه إيقاع نفي المدح على اللئيم صريحاً دون الإرضاء ، ولو عكس لأبهم الأمر  
فما هو الأصل وأبانه فيما ليس بأصل .

٤ - قصد التعميم مع الاختصار<sup>(١)</sup> ، كما تقول : قد كان منك ما يؤلم ، أي  
ما الشأن في مثله أن يؤلم كل أحد ، وعليه قوله تعالى : ﴿ والله يدعو الى دار  
السلام ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي جميع عبادته .

٥ - رعاية السجع وروي الفاصلة كقوله تعالى : ﴿ والضحى والليل إذا سجي  
ما ودّعك ربك وما قلا ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي ما قلاك وأبغضك .

ويرى صاحب « الكشف » أن حذف المفعول في مثل هذا الاختصار  
اللفظي لعلم به .

٦ - استمجان ذكره ، كقول عائشة رضي الله عنها : ما رأيت منه ولا رأي  
مني (تعني العورة) .

(١) أي إن هذا التعميم ، وإن استفيد من ذكر المفعول بصيغة المفعول ، يفوت الاختصار .

(٢) سورة يونس الآية ٢٥ .

(٣) سورة الضحى الآية ١ .

٧ - مجرد الاختصار كقولك: أصغيتُ إليه أذني وأغضيت عليه أي بصري ومنه قوله تعالى: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾<sup>(١)</sup>، أي بعثه الله.

٨ - تعينه ، كقوله تعالى: ﴿لينذر بأساً شديداً﴾<sup>(٢)</sup>، أي لينذر الذين كفروا.

وكثير من الأغراض السابقة تجري هنا كإخفائه على غير السامع أو التمكن من إنكاره عند الحاجة أو ادعاء تعينه أو نحو ذلك.

### تدريب

بيِّن أسباب حذف المسند إليه أو المسند أو المفعول ، فيما يلي :

١ - برّد حشاي إن استطعتَ بلفظة فلقد تضر إذا تشاء وتنفع

٢ - قال تعالى: ﴿ألم يحذك يتيماً فأوى ، ووجدك ضالاً فهدى﴾<sup>(٣)</sup>.

٣ - لسن إذا صعد المنابر أو نضا قلماً شأى الخطباء والكتّاب<sup>(٤)</sup>

٤ - ﴿وقبل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء﴾<sup>(٥)</sup>.

٥ - حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما في بيته بمضيع

٦ - ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾<sup>(٦)</sup>.

٧ - خليل لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء

٨ - وإني رأيت البخل يزري بأهله فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

### الاجابة

(١) حذف المفعول ، أي تضرني وتنفعني لتنزيل الفعل منزلة اللام ، إذ المراد أنه يحصل منك نفع وضرر .

(٢) حذف المفعول رعاية لحسن الكلام ، وتجانس الفواصل ، وتقديره : آواك وهداك .

(١) سورة الفرقان الآية ٤١ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢ .

(٣) الضلال هنا الجهل بالشرائع وما طريقه السمع ... الايتان ٦ و ٧ من سورة الضمى .

(٤) نضا أمسك ، وشأى سبق .

(٥) سورة هود الآية ٤٤ .

(٦) سورة الزخرف الآية ٥٧ .

- (٣) حذف المسند اليه أي هو لسن لا دعاء العلم به .  
 (٤) حذف المسند اليه وهو الله تعالى للعلم به في باب المدح .  
 (٥) حذف المسند اليه لا دعاء العلم به في باب الذم .  
 (٦) حذف المسند اليه للعلم به وهو الله تعالى .  
 (٧) حذف المسند اليه للعلم به ادعاء في باب المدح .  
 (٨) حذف المسند اليه للجهل به .

### تدريب ثان

- ١ - على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخرج منه لا علي ولا ليا  
 ٢ - وعد بالحضور ليلاً (تقصد شخصاً معهوداً) .  
 ٣ - يقول مبصر اللص : لص .  
 ٤ - شريرٌ غبي مشاء بنميم .  
 ٥ - أرني أنظر اليك .  
 ٦ - ﴿ ولما وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أمةً من الناسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِم امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ، قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (١) .  
 ٧ - ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتَمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (٢) .  
 ٨ - فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الزمّاح أجرت

### الاجابة

- (١) حذف المسند للمحافظة على الوزن والأصل : لا علي شيء ولا لي شيء .  
 (٢) حذف المسند اليه لإخفاء الأمر على غير المخاطب .  
 (٣) حذف المسند اليه لانتهاز الفرصة والأصل : هذا لص .  
 (٤) حذف المسند اليه لتأتي الإنكار عند الحاجة .  
 (٥) حذف المفعول للاختصار والأصل : أرني ذائقك .

(١) سورة القصص الآيتان ٢٢ و ٢٣ .

(٢) سورة الشورى الآية ٢٤ .

(٦) حذف المفعول هنا في مواضع ، فحذف مفاعيل : يسقون وتذودان ونسقي ، لتنزيل الفعلة منزلة اللازم ، لأنه إنما رجمها لأنها كانتا على الذباد وهم على السقي ولم يرحمها لأن مذودهما غنم ومستقيمهم إبل مثلاً ، وكذلك قولهما : لا نسقي ، المقصود منه السقي لا المسقى .

(٧) حذف المفعول في باب المشيئة للبيان بعد الإيهام .

(٨) حذف المفعول هنا لجعل الفعل المطلق كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول معين ، لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن مدحهم والافتخار بهم ليتوصل الى مطلوبه وهو أنها أجرتة .

### تموين

بيّن أسباب الحذف فيما يلي :

- ١ - جزى الله عنا جعفرأ حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت<sup>(١)</sup>  
أبوا أن يملونا ولو أن أمننا تلاقي الذي لاقوه منا مللت  
هم خلطونا بالنفوس وأجئوا إلى حجرات أدفأت وأظلت
- ٢ - فإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت<sup>(٢)</sup>  
فإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت<sup>(٢)</sup>
- ٣ - قوم اذا أكلوا أخفوا حديثهم واستوثقوا من رتاج الباب والدار
- ٤ - وما أدراك ما هي نار حامية
- ٥ - ﴿ وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم رشداً ﴾<sup>(٣)</sup>
- ٦ - كل عذر من كل ذنب ولكن أعوز العذر من بياض العذار<sup>(٤)</sup>
- ٧ - رماني بأمر كنت منه ووالدي بريناً ومن أجل الطوي رماني<sup>(٥)</sup>
- ٨ - قد قال عزولي مناك أتى فأجبت وقلت كذبت متى  
فقال حبيبك ذو خفّر وكبير السن قلت فتي

(١) زلت النعل كناية عن الفقر .

(٢) الأرقال سرعة السير ، والقدر جلد غير مدبوغ ، والملوى المقتول ، والمخصد المحكم القتل .

(٣) سورة الجن الآية ١٠ .

(٤) أعوز ضاق .

(٥) الطوي البشر البنية ، وقد كان خصمه رماء باللصوصية .

## الباب الخامس في التقديم

وفيه أربعة مباحث

### المبحث الأول في مزايا التقديم وأقسامه

الألفاظ قوالب المعاني ، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي بحسب ترتيبها الطبيعي ، ومن البين أن رتبة المسند اليه التقديم لأنه المحكوم عليه ، ورتبة المسند التأخير ، إذ هو المحكوم به ، وما عداها فتوابع ومتعلقات تأتي تالية لها في الرتبة .

ولكن قد يعرض لبعض الكلام من المزايا ما يدعو الى تقديمه ، وإن كان حقه التأخير ، فيكون من الحسن تغيير هذا النظام ليكون المقدم مشيراً الى الغرض الذي يراد ، ومترجماً عما يقصد منه . ومن ثم قال في «دلائل الإعجاز» : إن هذا التقديم كثير الفوائد ، جم المحاسن لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك الى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك سجعاً ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك ، ان قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان الى مكان . اهـ .

وللتقدم أحوال أربع :

١ - ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ ، وذلك هو الغاية القصوى ، وإليه المرجع في فنون البلاغة ، والمعمدة في هذا هو الكتاب الكريم انظر قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ الى ربها ناظرة ﴿ (١) تجد أن تقديم الجار والمجرور في هذا قد أفاد التخصيص ، وأن النظر لا يكون إلا لله ، مع جودة الصياغة وتناسق السجع .

---

(١) سورة القيامة الآية ٢٢ .

٢ - ما يفيد زيادة في المعنى فحسب نحو: بل الله فاعبد وكن من الشاكرين، فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة دون سواه، ولو أخر لم يفد الكلام ذلك.

٣ - ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحظة، نحو: وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت (بحمد إلهي) وهي منه سليب<sup>(١)</sup> فتقديره: ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد الله.

٤ - ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي، أو المعاظلة التي تقدمت كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، ونحو ذلك، كقول الفرزدق:

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره  
إذ تقديره إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، أي ما أم أبيه منهم، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى، بل يحتاج إلى تأمل ورفق حتى يفهم المراد منه.

### المبحث الثاني في تقديم المسند إليه

يقدم المسند إليه لأغراض، منها:

١ - أنه الأصل إذ هو المحكوم عليه ولا مقتضى للعدول عنه، نحو: العدل أساس الملك.

٢ - ليتمكن الخبر في ذهن السامع، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقول أبي العلاء:

والذي حارت البرية فيه حيوانٌ مستحدث من جماد  
يريد أن الحلائق تحيرت في المعاد الجسدي، كما يرشد إلى ذلك ما قبله:  
بأن أمرُ الإله واختلف الناس فداع إلى ضلال وهادي  
فإتيانه بالمسند إليه على تلك الشاكلة موصوفاً بحيرة البرية فيه، يستدعي تشويق السامع إلى أن يعرف ما حكم به عليه، فإذا جاء الخبر تمكن في النفس لما تقدمه من التوطئة له.

(١) سليب بمعنى مسلوب، أي منتزع مأخوذ.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣.

٣ - تعجيل المسرة للتفاؤل ، لأن السامع اذا قرع سمعه في ابتداء الكلام ما يشعر بالسرور هش وفرح به ، نحو : الهدى في قلوب المخلصين .

٤ - تعجيل المساء ليتطير السامع ويتبادر الى ذهنه حصول الشر باديء ذي بدء ، نحو : السجن على جهة التأيد حكم به عليك اليوم .

٥ - التبرك به نحو : اسم الله اهتديت به .

٦ - إيهام أنه لا يزول عن البال لكونه مطلوباً ، نحو : رحمة الله ترجى ، نصر الله قريب .

٧ - إفادة التخصيص إذا كان الخبر فعلاً وولى المسند اليه حرف النفي ، نحو : ما أنا قلت هذا ، أي لم أقله وهو مقول لغيري . لا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول ، لكن تريد أن تنفي كونك قائلاً له . ومنه قول المتنبي :

وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب ناراً

إذ المعنى : ما أنا الجالب لهذا السقم الموجود والضرر الثابت ، ولأجل هذا لا تقول : ما أنا قلت هذا ولا أحد غيري للتناقض بين أول الكلام وآخره ، ولا ما أنا رأيت كل أحد ، لأنه يفيد أن غيرك رأى كل أحد ، ولا ما أنا كلمت إلا محمداً ، لأنه يقتضي أن يكون إنسان غيرك قد كلم كل أحد سوى محمد<sup>(١)</sup> .

فإن لم يل المسند اليه حرف النفي<sup>(٢)</sup> ، فلما أن يكون معرفة أو نكرة ، فإن كان معرفة أفاد تقديمه أحد أمرين :

( أ ) تخصيصه بالمسند رداً على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه ، كما تقول : أنا سمعت في حاجة فلان ، وعلى الأول يؤكد بنحو : لا غيري ، وعلى الثاني بنحو : وحدي . ومن الواضح في ذلك قولهم في المثل : أتعلمني بضب<sup>(٣)</sup> أنا حرشته<sup>(٣)</sup> .

---

(١) لأن المستثنى منه مقدر عام وكل ما نفى عنه المذكور على وجه الحصر يجب ثبوته لغيره تحقيقاً لمعنى الحصر سواء كان على وجه الخصوص أو على وجه العموم .

(٢) بالألا يكون في الكلام حرف نفي ، أو يكون حرف النفي متأخراً عن المسند اليه .

(٣) حرش الضب صاده ، فهو حارش ، وهو أن يحرك يده على باب حجره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها وبذلك يأخذه ، يضرب مثلاً لمن يريد أن يعلم المتعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ومن أهل المدينة مردوا<sup>(١)</sup> على النفاق ولا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي : لا يعلم أسرارهم ولا يطلع على دخائل ما أبطنوا من الكفر إلا نحن .

(ب) تقوية<sup>(٣)</sup> الحكم وتقريره لدى السامع بدون تخصيص ، كقولك : هو يعطى الجزيل ، وهو يحب الثناء . ألا ترى أنك لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا يحب الثناء .

يرشد الى ذلك أن هذا الضرب يحىء فيما سبق فيه إنكار منكر ، نحو أن يقول الرجل : ليس لي علم بالذي تقول ، فتقول له : أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ولكنك تميل الى خصمي ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾<sup>(٤)</sup> ، والفعل المنفي كالمثبت في ذلك ، فتارة يفيد التخصيص ، كما تقول : أنت ما سمعت في حاجتي ، وتارة يفيد التقوية نحو : أنت لا تكذب ، وعليه قوله تعالى : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾<sup>(٥)</sup> .

وإن كان نكرة أخبر عنه بفعل أفاد تخصيص الجنس أو الواحد به ، نحو : رجل جاءني أي لا امرأة ولا رجلاً ، ذاك أن أصل النكرة أن تكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة الى الجنس فحسب ، كما اذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن قد أفاك آت من هو جنس الرجال ولم يدر أرجل هو أم رجلاً أو اعتقد أنه رجلاً .

(تنبيه) مما رأت العرب تقديمه كاللزام لفظ (مثل) : اذا استعمل كناية من غير تعريض ، نحو : مثلك لا يبخل ، ومثلك رعى الحق والحرمة ، ونحو قول ابن القبعثري<sup>(٦)</sup> مجيباً للحجاج ، على سبيل المغالطة ، حينما نوعده ، بقوله :

(١) مرنوا واستمروا .

(٢) سورة التوبة الآية ١٠١ .

(٣) علة التقوية ما ذكره عبدالقاهر من أن الاسم لا يؤثر به معرى عن العوامل إلا لحديث قد نوى إسناده اليه ، فاذا جئت بالحديث دخل على القلب دخل المأنوس .

(٤) سورة آل عمران الآية ٧٥ .

(٥) سورة المؤمنون الآية ٥٩ .

(٦) هو الغضبان بن القبعثري الشيباني ، وكان ممن خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأراد بالأدع الأول القيد ، وبالثاني الفرس الأدع .

لأحملنك على الأدم ، مثل الأمير يحمل على الأدم والأشهب . ونحو قول المتنبي  
يعزي عضد الدولة بعمته :

مثلك يشنى المزن عن صوبه      ويستود الدمع عن غربه<sup>(١)</sup>

فلا يقصد في كل هذا وأشباهه بمثل الى إنسان سوى الذي أضيف اليه ، بل  
يريدون أن كل من كان هذا شأنه وتلك حاله كان من موجب العرف والعادة أن  
يفعل أو لا يفعل ، ولأجل إفادتها ذلك المعنى قال المتنبي في تلك القصيدة :

ولم أقل مثلك أعني به      سواك يا فرداً بلا مشبه

وكمثل (غير) اذا سلك بها هذا المسلك تقول : غيري يفعل كذا ، على معنى  
أنك لا تفعله ، لا أن تعرض بإنسان آخر ، وعليه قول أبي تمام :

وغيري يأكل المعروف سُحْتاً      وتشعب عنده بيض الأيادي<sup>(٢)</sup>

فهو لم يرد أن يعرض بشاعر سواه فيزعم أن الذي اتهم به من هجو الممدوح  
كان من ذلك الشاعر ، لا منسب ، بل أراد أن ينفي عن نفسه كفران النعمة  
وجحدها ، لا غير .

واستعمال (مثل وغير) على تلك الشاكلة مما ركز في الطباع وجرى على جميع  
اللسن ، فمن نحا بها غير هذا النحو ، فقد قلب الكلام عن جهته ، وغيره عن  
صورته ، وما ذاك إلا لأنه قد غفل عن سر تقدمها ، وهو إفادة تقوية الحكم  
وتأكيد .

٨ - إفادة التعميم والنص على شمول النفي (عموم السلب) وذلك حين تتقدم  
أداة العموم ككل وجميع ونحوهما على أداة النفي ، وهي غير معمولة للفعل المنفي  
فيتوجه النفي إذ ذاك الى أصل الفعل ، ويعم كل فرد من أفراد ما أضيف إليه  
كل ، نحو : كل ظالم لا يفلح ، فالمعنى : لا يفلح أحد من الظلمة . وعليه قول  
أبي النجم :

قد أصبحت أم الخيار تدعي      عليّ ذنباً كله أصنع

(١) الغروب مجازي الدموع ، والصوب القصد ، ويشني يدفع ، يريد أنك قدير على دفع الحزن  
ورد الدموع الى مجازيها إذ لا مشبه لك .

(٢) السحت المال الحرام ، وتشعب تتغير .

وعلة ذلك أنك اذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه ، وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه وذلك يقتضي ألا يشذ عنه شيء .  
 أما إن قدم النفي على أداة العموم لفظاً ، كقول أبي الطيب :  
 ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن<sup>(١)</sup>  
 أو تقديرأ بأن قدمت أداة العموم على الفعل المنفي وأعمل فيها ، كقولك :  
 كل الدراهم لم آخذ ، توجه النفي الى الشمول خاصة دون أصل الفعل ، وأفاد الكلام نفي المجموع (سلب العموم) فيحتمل ثبوت البعض ، كما يحتمل نفي كل فرد ، يدل على ذلك الذوق والاستعمال ، وهذا الحكم أكثرى ، وليس بكلي ،  
 بدليل قوله تعالى : ﴿ والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾<sup>(٣)</sup> ، ﴿ ولا تطع كل حلافٍ مهين ﴾<sup>(٤)</sup> .  
 الى غير ذلك .

### المبحث الثالث في تقديم المسند

يقدم المسند لأغراض ، منها :  
 ١ - تخصيصه بالمسند إليه ، نحو : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾<sup>(٥)</sup> ،  
 ﴿ لله ملك السموات والأرض ﴾<sup>(٦)</sup> ، ﴿ لا فيها غول ﴾<sup>(٧)</sup> .

- (١) وفي رواية يشتهي بالياء ، والسفن بفتح فكسر ، أي ربان السفينة .  
 (٢) سورة البقرة الآية ٢٧٦ .  
 (٣) يرى أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده أن مثل هذا من عموم السلب لا من سلب العموم حيث قال : قد يعدل بحسب الظاهر عما يدل على عموم السلب الى ما يفيد سلب العموم والسلب عام بحسب الحقيقة تعريضاً بأن الخطأ شر هذا النوع فالمعنى في هذه الآية أن محبة الله لا تعم المختالين الفخورين حتى تشمل هؤلاء فلو تعلقت محبته بمختال فخور لم تتعلق بأولئك لأن مختالهم وفخورهم شر مختال وفخور ، وهكذا باقي الآي التي جاءت على النمط .  
 (٤) سورة لقمان الآية ١٨ .  
 (٥) سورة القلم الآية ١٠ .  
 (٦) دينكم مقصور على الاتصاف بلكم لا يتصف بلي وديني مقصور على الاتصاف بلي ، فهو من قصر الصفة على الموصوف (سورة الكافرون) .  
 (٧) ملك السموات مقصور على الاتصاف بالله (سورة المائدة) .  
 (٨) أي أن عدم الغول مقصور على الاتصاف بفي خمور الجنة لا يتجاوزها الى الاتصاف بفي خمور الدنيا ، وان اعتبر النفي في جانب المسند ، فالمعنى أن الغول مقصور على عدم الحصول في خمور الجنة لا يتجاوزها الى عدم الحصول في خمور الدنيا فهو قصر غير حقيقي .

أي بخلاف خمر الدنيا فإنها تفتال العقول وتوجب دوار الرأس وثقل الأعضاء ،  
ومن ثم لم يقدم الظرف في قوله تعالى : ﴿ لا ريب فيه ﴾ <sup>(١)</sup> لأنه لو قدم لاقتضى  
ثبوت الريب في سائر كتب الله تعالى ما عدا القرآن .

٢ - التنبيه ابتداء دون حاجة إلى تأمل في الكلام على أنه خبر لا نعت ،  
كقوله تعالى : ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقول أبي بكر  
ابن النطاح في وصف أبي دلف العجلي :

له همم لا منتهى لكبارها      ومهته الصغرى أجل من الدهر  
له راحة لو أن معشار جودها      على البر كان البر أندى من البحر

٣ - التفاؤل بسماع ما يسر المخاطب ، نحو :

سعدت بغرة وجهك الأيام      وتزينت بلقائك الأعوام

٤ - التشويق <sup>(٣)</sup> إلى ذكر المسند إليه ، ويكثر ذلك في باب المدح ، كقول  
محمد ابن وهيب يمدح المعتصم :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها      شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

وفي باب الوعظ كقول أبي العلاء المعري :

وكلنار الحياة فمن رماد      وأخرها وأولها دخان

### المبحث الرابع في تقديم متعلقات الفعل

الأصل في العامل أن يقدم على المفعول ، وقد يعكس ذلك فيقدم المفعول  
ونحوه من الجار والمجرور والظرف والحال لأغراض أهمها :

١ - رد الخطأ في التعمين كقولك : محمداً كلمت ، رداً على من اعتقد أنك  
كلمت إنساناً غير محمد ، وتقول لنا كيده : محمداً كلمت لا غيره . أو في ظن  
الاشتراك ، نحو : علياً رأيت ، أي وحده ، رداً على من اعتقد أنك رأيت علياً  
ومحمداً . ومن ثم لا يقال : ما محمداً كلمت ولا غيره ، لتناقض دلالتى الأول والثاني ،

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٤ .

(٣) إذا كان في المسند المتقدم طول يشوق النفس إلى ذكر المسند إليه ، فيكون ذكره بعدئذ  
أوقع وأتم .

ولا أن تعقب الفعل المنفي بإثبات ضده ، كقولك : ما محمداً ضربت ، ولكن أكرمه <sup>(١)</sup> ، وقولك : بمحمد مررت ، لمن اعتقد أنك مررت بإنسان وأنه غير محمد ، وكذا سائر المعمولات ، نحو : يوم الجمعة سرت ، وفي المسجد صليت ، وماشياً جئت .

٢ - التخصيص ، وهو لازم للتقديم غالباً بشهادة الاستقراء ، وحكم الذوق ، ومن ثم قال المفسرون في قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ <sup>(٢)</sup> ، إن المعنى نخضع بالعبادة والاستعانة ولا نعبد غيرك ولا نستعين به ، وفي قوله : إلى الله تحشرون ، أي لا إلى غيره .

وفي التقديم فائدة أخرى ، وهي الاهتمام بشأن المقدم ، ومن ثم قدر المحذوف في : باسم الله مؤخراً ، أي باسم الله أفعل كذا ، بياناً لاهتمام الموحّد بالاسم الكريم ورداً على المشركين الذين كانوا يبدعون بأسماء آلهتهم ، فيقولون : باسم اللات ، أو باسم العزى .

ولا يشكل على هذا آية : اقرأ باسم ربك ، بتقديم الفعل على اسم الله ، لأن الأمر بالقراءة في ذلك الموضع أهم ، إذ بالقراءة حفظ المقروء عادة ، وذلك هو المقصود من الإنزال أو بأن باسم الله متعلق بإقرأ الثاني ، ومعنى اقرأ الأول ، أوجد القراءة كقولك : فلان يعطي . وإنما قلنا لازم غالباً لأن التقديم قد يكون .

٣ - للاهتمام بالمقدم نحو : حسن الخلق لزم .

٤ - التبرك به نحو : محمداً عليه السلام اتبعت .

٥ - الاستلذاذ به نحو : ليلي كملت .

٦ - موافقة كلام السامع نحو : محمداً أكرمت ، في جواب : من أكرمت ؟

٧ - ضرورة الشعر نحو :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه      وليس إلى داعي الندى بسريع

(١) لأن الكلام لم يبن على الخطأ في الفعل وهو الضرب حتى يرد إلى الصواب بأنه الأكرام وإنما بني على الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه محمد ، فرده إلى الصواب أن يقال : لكن علياً مثلاً .

(٢) سورة الفاتحة الآية ٢ .

٨ - رعاية السجع والفاصلة نحو: خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فاسلكوه . فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فسلا تنهر ، الى غير ذلك مما لا يحسن فيه اعتبار التخصيص ، لأن المقام يندب عنه ، كما بينه ابن الأثير في المثل السائر .

٩ - أن يكون المقدم محط الإنكار ، كما يقول: أبعدَ طول عشرة فلان تخدع بمواعيده . وعليه قول أبي العلاء :

أعندي وقد مارست كل خفية      يصدق واش أو يخيب سائل

ويقدم بعض معمولات الفعل على بعض لأسباب ، منها :

( أ ) أن التقديم هو الأصل ولا داعي للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول ، نحو: كلم محمد علياً . وتقديم المفعول الأول على الثاني ، نحو: أعطيت محمداً درهماً .

( ب ) أن ذكره أهم والعناية به أتم ، فيقدم المفعول على الفاعل اذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه ، كما إذا عاث لص فأتك في البلاد وكثره أذاه فأمسك وأردت أن تخبر بذلك فتقول: أمسك اللص فلان ، إذ ليس للناس كبير فائدة في أن يعرفوا المسك ، وإنما الذي يهمهم عمله هو من أمسك ليتخلصوا من شره .

ويقدم الفاعل اذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه ، كما اذا كان شخص خامل الذكر لا يظن به أن يقوم بعمل جليل فاخترع شيئاً مفيداً وأردت أن تخبر بذلك فتقول: اخترع فلان كذا . لأن الذي يهم الناس من شأن هذا الفعل استبعاد صدوره من ذلك الفاعل .

( ج ) ان التأخير يوهم غير المعنى المراد كما في قوله تعالى : ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ <sup>(١)</sup> ، إذ لو أخر (من آل فرعون) عما بعده لتوهم أنه متعلق ببيكتهم ، فلا يفيد أن ذلك الرجل منهم .

( د ) أن التأخير يخل بتناسب الفواصل نحو: ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ <sup>(٢)</sup> ، بتقديم الجار والمجرور والمفعول على الفاعل إذ فواصل الآي على الألف .

(١) سورة غافر الآية ٢٨ .

(٢) سورة طه الآية ٦٧ .

(تتمة) من سنن العرب أن يبدءوا في باب المديح بالصفة الدنيا ثم يثنوا  
 بما هو أعلى منها ، وهكذا وعلى ذلك قول البحاري يصف نحول الركاب :  
 يترقرقن كالسراب وقد خضن غماراً من السراب الجاري  
 كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار  
 فقد ترقى في تشبيه نحولها فشبهها بالقسي ، ثم بالأسهم المبرية ، ثم بالأوتار ،  
 وهي أشد الثلاثة نحولاً ، كما يعكسون في باب الذم .

### تدريب أول

اذكر الأسباب التي دعت إلى تقديم المسند إليه ، أو المسند ، أو متعلقات  
 الفعل ، فيما يلي :

- ١ - فيا لك من ذي حاجة حيل دونها وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله
- ٢ - أنا لا اختار تقبيل يد قطعها أفضل من قلبك القبل
- ٣ - أبعد أن بات عبد الله مرتهاً تحت الثرى يرتجي صفوً ويفتنظر
- ٤ - عند الصباح يحمد القوم السبيري وتنجلي عنهم غياهب الكرى
- ٥ - جنات عدن يدخلونها
- ٦ - النار وعدّها الله الذين كفروا
- ٧ - خير الصنائع في الأنام صنعة تنبو بحاملها عن الأذلال
- ٨ - بيد العفاف أصون عز حجابي وبمصمتي أسموا على أترابي

### الاجابة

- (١) وقع المسند إليه بعد حرف النفي لإفادة سلب العموم في شرطه الثاني .
- (٢) قدم المسند إليه على حرف النفي لإفادة التخصيص .
- (٣) قدم الظرف لكونه محط الإنكار .
- (٤) قدم متعلق الفعل وهو الظرف لإفادة التخصيص .
- (٥) قدم المفعول لتعجيل المسرة .
- (٦) قدم المسند إليه لتعجيل المساءة .
- (٧) قدم المسند إليه لتعجيل السرور .
- (٨) قدم الجار والمجرور لإفادة التخصيص في شطري البيت .

## تدريب ثان

- اذكر أسباب تقديم المسند اليه ، أو المسند ، أو متعلقات الفعل ، فيما يلي :
- ١ - وما كلُّ هاءٍ للجميل بفاعل ولا كلُّ فعال له يتم
  - ٢ - ثلاثةٌ ليس لها إيجاب الوقت والجسم والشباب
  - ٣ - نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا يفتقر<sup>(١)</sup>
  - ٤ - قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا
  - ٥ - وبالأخرة هم يوقنون
  - ٦ - قل أغير الله أبغي رباً وهو ربُّ كل شيء
  - ٧ - سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري بالذات يلهم ويلعب
  - ٨ - لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً .

## الاجابة

- (١) وقع المسند اليه بعد حرف النفي ليفيد سلب العموم .
- (٢) قدم الخبر للتشويق الى ما بعده .
- (٣) قدم المسند اليه لتقوية الحكم وتوكيده .
- (٤) قدم المسند اليه للتخصيص .
- (٥) قدم الجار والمجرور لإفادة التخصيص .
- (٦) قدم المفعول لكونه محط الإنكار .
- (٧) قدم المسند اليه لإفادة تقوية الحكم وتوكيده .
- (٨) آخر الجار والمجرور بعد شهداء في الأول لأن الغرض إثبات شهادتهم على الأمم ، وقدم في الثاني لاختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم .

## تمرين (١)

- بيّن السبب في تقديم المسند اليه ، أو المسند ، أو متعلقات الفعل ، فيما يلي :
- ١ - ﴿ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) المشتاة مكان الشتاء أو زمانه ، والجفلى الدعوة العامة الى الطعام ، والتقرى الدعوة الخاصة ، والأدب من يدعو الناس للأدبة يفتخر بجودهم وكرمهم .  
(٢) سورة يونس الآية ٤١ .

- ٢ - ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ <sup>(١)</sup>.
- ٣ - ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ <sup>(٢)</sup>.
- ٤ - ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ <sup>(٣)</sup>.
- ٥ - ﴿ إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup>.
- ٦ - جميع المصريين لا يرغبون في أذى الضيف .
- ٧ - ﴿ فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا ﴾ <sup>(٥)</sup>.

### تمرين (٢)

- بيِّن السبب في تقديم المسند اليه ، أو المسند ، أو متعلقات الفعل ، فيما يلي :
- ١ - إن في عدلك وكرمك ورأفتك رحمة بالضعفاء
  - ٢ - بك اقتدت الأيام في حسناتها <sup>وسببها لولاك هم وتخريب</sup>
  - ٣ - أكفراً بعد رد الموت عني <sup>وبعد عطائك المائة الرقاعا</sup>
  - ٤ - إذا نطق السفية فلا تنجب <sup>فغير من إجابته السكوت</sup>
  - ٥ - إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة <sup>فبالحم سد لا بالتسرع والشم</sup>
  - ٦ - ونحن التاركون لما سخطنا <sup>ونحن الآخذون لما رضينا</sup>
  - ٧ - ما كل رأي الفتى يدعو الى رَشَد

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٦ .  
 (٢) سورة الإخلاص الآية ٣ .  
 (٣) سورة الأنبياء الآية ٩٧ .  
 (٤) سورة الأعراف الآية ١٩٦ .  
 (٥) سورة التوبة الآية ١٠٨ .

## الباب السادس في التعريف

وفيه ثمانية مباحث

### المبحث الأول في الفرق بين النكرة والمعرفة والداعي الى التعريف

كل من النكرة والمعرفة يدل على معين وإلا امتنع الفهم ، إلا أن النكرة تدل على معين من حيث ذاته لا من حيث هو معين ، أي ليس في لفظ النكرة ما يشير إلى أن السامع يعرفه فليس في اللفظ دلالة على ملاحظة التعمين ، والمعرفة تدل على معين أي إن في لفظ المعرفة ما يشير إلى أن السامع يعرفه ، وإذا فالنكرة يفهم منها ذات المعين فعسب ولا يفهم منها كونه معلوماً للسامع ، والمعرفة يفهم منها ذات المعين وكونه معلوماً للسامع .  
والتعمين في المعرفة ، إما أن يكون بنفس اللفظ ، كما في الاعلام ، وإما بقرينة خارجية ، كما في غيره من بقية المعارف .

ويعدل عن التنكير الى التعريف لتزداد الفائدة وتتم ، فإن فائدة الخبر أو لازمها كلما ازداد متعلقها معرفة زاد غرابة ، واعتبر ذلك بما تراه من عظيم الفرق بين قولنا : ثوب نفيس اشترى في السوق ، وقولنا : ثوب حرير مطرز من صنع بلدة كذا اشتراه فلان أمس بألف دينار .

### المبحث الثاني في تعريف المسند اليه بالاضمار

يعرف المسند اليه بالاضمار ، لأن المقام مقام تكلم ، كقوله عليه السلام يوم بدر : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » وقول بشار :

أنا المرعث لا أخفى على أحد      ذرت بي الشمس للقاصي وللداني<sup>(١)</sup>

(١) الرعثة القرط يعلق في شعمة الأذن ، ولقب بشار بالمرعث لرعثة كانت له في صفراء ، وذرت طلعت .

أو مقام خطاب كقول الحماسية :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

أو مقام غيبة ، ولا بد من تقدم ذكره إما لفظاً نحو : ﴿ واصبر حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقول أبي تمام :

بيمن أبي إسحاق طالت يد العلا وقامت قناة الدين واشتد كاهله  
هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والبحر ساحله

وإما معنى لدلالة لفظ عليه ، نحو : ﴿ وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ <sup>(٢)</sup> لما في ارجعوا من معنى الرجوع ، أو لقرينة حال كقوله تعالى : ﴿ ولأبويه لكل واحد منها السدس ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أي ولأبوي الميت ، وإما حكماً كما في باب رب نحو ربه فتى ، وباب ضمير الشأن نحو : ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ <sup>(٤)</sup> .

والأصل في الخطاب أن يكون لمُشاهد معين نحو : أنت استرقتني بإحسانك ، وقد يخاطب :

١ - غير المشاهد إذا كان مستحضراً في القلب كأنه 'نصب' العين ، كما في :  
إياك نعبد .

٢ - غير المعين ليعم كل من يمكن خطابه على سبيل البديل لا على طريق التناول دفعة واحدة ، كما تقول : فلان لئيم إن أحسنت إليه أساء إليك ، فلا يراد في مثله مخاطب معين ، بل يراد أن سوء معاملته ، غير مختص بواحد دون آخر . وعليه قول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ﴾ <sup>(٥)</sup> أخرج الكلام في صورة الخطاب ، مع إرادة العموم ، تنبيهاً إلى تقطيع حالهم ،

(١) سورة يونس الآية ١٠٩ .

(٢) سورة النور الآية ٢٨ .

(٣) سورة النساء الآية ١١ .

(٤) سورة يوسف الآية ٩٠ .

(٥) سورة السجدة الآية ١٢ .

من تنكيس الرموس والحجل ، من أهوال يوم القيامة ، وبياناً لثمنها بلغت الغاية في الظهور ، بحيث لا تخفى على أحد ، ولا تختص بها رؤية راي ، بل كل من يتأني منه الرؤية يدخل في الخطاب ، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم ، نحو : ﴿ وإذا رأيتَ ثم رأيتَ نعيماً وملكاً كبيراً ﴾ (١) .

### المبحث الثالث في تعريف المسند اليه بالعلمية

يؤتى بالمسند إليه لأغراض ، منها :

١ - إحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاص ليمتاز عما عداه كقوله تعالى : ﴿ وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ (٢) .

٢ - التعظيم في الاعلام التي تشعر بمدح كسيف الدولة وصلاح الدين .

٣ - الاهانة في الاعلام التي تشعر بدم نحو صفوان وصخر .

٤ - الاستلذاذ بذكره كما يذكر المحبون أسماء من يحبون ، ومن ثم يقول المتنبي مادحاً عضد الدولة :

أسماء لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرها

وعليه قول مجنون ليلى تقيتكم بغير علم

يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

٥ - الكناية عن معنى يصلح العلم له بحسب معناه قبل العلمية ، كما يقال : أبو الفضل وأخو الحرب ، فاطلاق ذلك اطلاقاً علمياً يجوز أن يلاحظ فيه الأصل مع القرينة ، فيلمح في الأول أنه ملابس للفضل فهو صاحب المكارم ، وفي الثاني أنه ملاصق للحرب ، فهو شجاع فائق .

٦ - التفاؤل في الاعلام التي تشعر بذلك نحو : سعد وسعيد .

٧ - التطير والتشاؤم نحو : السفاح والجراح .

٨ - التسجيل على السامع حتى لا يتأني له الإنكار ، كما يقول القاضي لشخص : هل أقرت إبراهيم بكذا ، فيقول إبراهيم : أقر بكذا ، فلم يقل هو لتسجيل الحكم وضبطه لئلا يجد المشهود عليه سبيلاً للإنكار .

(١) سورة الانسان الآية ٢٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٧ .

## المبحث الرابع في تعريف المسند إليه باسم الإشارة

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة لأغراض كثيرة يلاحظ البلغاء منها :

١ - تعين اسم الإشارة طريقاً الى إحضار المشار إليه بعينه في ذهن السامع بأن يكون حاضراً محسوساً ، والمتكلم والسامع لا يعرفان اسمه الخاص ولا معيناً آخر .

٢ - تمييزه أكمل تمييز لإحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة الحسية ، كأن يكون المقام للمدح فيكون أعون على كماله ، وعليه قول الخطيب :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى

وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا<sup>(١)</sup>

٣ - التعريض بغباوة السامع حتى كأن الأشياء لا تتميز لديه إلا بالإشارة الحسية ، كقول الفرزدق يهجو جريراً ويفخر بأبائه :

أولئك آبائي فجئني بمنهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع<sup>(٢)</sup>

٤ - قصد تحقيره بالقرب ، نحو : ﴿ هذا الذي يذكر آلهتكم ﴾<sup>(٣)</sup> ، ومنه في غير المسند إليه : ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾<sup>(٤)</sup> .

٥ - قصد تعظيمه بالقرب نحو : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾<sup>(٥)</sup> وذلك كثير في التنزيل .

٦ - قصد تحقيره بالبعد نحو : ﴿ فذلك الذي يدع اليتيم ﴾<sup>(٦)</sup> .

٧ - قصد تعظيمه بالبعد نحو : ﴿ فذلك الذي لمتني فيه ﴾<sup>(٧)</sup> من حيث لم تقل : فهذا ، وهو حاضر رفعاً لمنزله في الحسن وتمهيداً لعذر الإفتتان به .

(١) البنى جمع بنية كرشوة ورشى .

(٢) يظهر أن فككة التعبير باسم الإشارة التعظيم أو تمييزهم .

(٣) حكاية لقول المشركين حينما كانوا يستهزمون به (وردت في سورة الأنبياء) .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٦ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٩ .

(٦) يدع : يقهر (الماعون) .

(٧) سورة يوسف الآية ٣٢ .

٨ - قصد التنبيه على أن المشار اليه المعقب بأوصاف جدير بما يذكر بعد اسم الإشارة نحو : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ (١) ، فقد عقب المشار اليه وهم المنقون بأوصاف ، وهي الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وما بينهما ، ثم عرف المسند اليه بالإشارة تنبيهاً على أن المشار اليهم أحقاء أجل تلك الحاصل بأن يفوزوا بالهداية عاجلاً أو آجلاً ، قال في «الكشاف» ، ونظيره قول حاتم :

|                              |                                   |
|------------------------------|-----------------------------------|
| ولله صعلوك يساورهم           | ويمضي على الأحداث والدهر مقدماً   |
| إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت | تيمم كبراهن ثمت صماً              |
| إذا الحرب أبدت ناجذها وشمرت  | وولت هدان القوم أقبل معاملاً      |
| فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه     | وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمماً (٢) |

فقد قال : لله صعلوك ، ثم عدد له خصالاً فاضلة من المضاء على الأحداث مقدماً وتيمم كبرى المكرمات والتأهب للحرب ، الى غير ذلك مما ذكره بعد ، ثم عقبه بقوله : فذلك إن يهلك .

٩ - التهمك والسخرية كقوله : من يهزأ بأعمى هذا الهلال في السماء .

١٠ - الإشارة الى فظانته وذكره حق كان غير المحسوس عنده كالمحسوس ، نحو : هذا ما تشير اليه عبارتك .

### المبحث الخامس في تعريف المسند اليه بالموصلية

يعرف المسند اليه بالموصلية لدواع ، منها :

١ - عدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة ، نحو : من دخل هذا الحصن استحق أكبر ألقاب الشرف .

٢ - التفعيم ، أي التحويل والتعظيم ، نحو قوله تعالى : ﴿ فغشيه من اليم ما غشيه ﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة الآية ٦ .

(٢) صعاليك العرب فقرائهم ومتلصصوهم ، والساورة المواتية ، والهم الغزيمة والقصد ، وأعرضت ظهرت ، والهدان الأحقق الثقيل .

(٣) سورة طه الآية ٧٨ .

٣ - تنبيه المخاطب الى خطئه ، كقول عبدة بن الطبيب ، من قصيدة يعظ فيها ابنه :

إِن الذين ترونهم إخوانكم يشفي غليل صدورهم أن تُصرَعوا<sup>(١)</sup>

٤ - زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾<sup>(٢)</sup> فالغرض الذي سبق له الكلام نزاهة يوسف عليه السلام وبعده عن مظنة الريبة ، وهذا التعبير أوضح في الدلالة على هذا الغرض مما لو قيل امرأة العزيز أو زليخا أو نحو ذلك ، لأنه اذا امتنع عن الفحشاء ولم ينخدع مع كونه غلامها وفي بيتها مع كمال قدرتها عليه ، كان ذلك غاية النزاهة ونهاية الطهارة وعليه قول أبي العلاء المعري :

أعباد المسيح يخاف صعبى ونحن عبيد من خلق المسيح<sup>(٣)</sup>

فقوله : عبيد من خلق المسيح أدل على تقرير غرضه وهو نفي خوف أصحابه من قوله : عبيد الله .

٥ - الإيمان والإشارة الى نوع الخبر من مدح أو ذم أو عقاب أو غير ذلك فيتنبه الفطن من فاتحة الكلام الى خاتمته ، ويدرك ما تومىء اليه من المقاصد ، كقوله تعالى : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾<sup>(٤)</sup> ففي مضمون الصلة وهو الاستكبار عن العبادة ، تلميح الى أن الخبر المترتب عليه من جنس الإذلال والعقوبة .

قال السكاكي : ثم يتفرع على هذا اعتبارات لطيفة ، فربما جعل ذريعة الى التعريض بالتعظيم لشأن الخبر كقولك : الذي يرافقك يستحق الإجلال ، والذي يفارقك يستحق الإذلال ، وعليه قول الفرزدق :

إِن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول<sup>(٥)</sup>

---

(١) أن تصرعوا أي تهلكوا أي فمن تظنونهم إخوانكم يتمنون لكم الهلاك والدمار فأنتم مخطئون في هذا الظن .

(٢) سورة يوسف الآية ٢٣ .

(٣) المراد يخاف أصحاب المسلمون من عباد المسيح مع افتنا عبيد الإله الذي خلق المسيح .

(٤) داخرين صاخرين (سورة المؤمن) .

(٥) سمك رفع ، والبيت بيت العز والشرف قاله يفخر بقبيلته على قبيلة جرير .

فهو مع كونه يشير الى أن الخبر المبني عليه من جنس الرفع والبناء، يعرض بتعظيم بناء بيته لأنه فعل من رفع السماء ، أو ذريعة الى تحقيق الخبر نحو :  
 إن التي ضربت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند غالت ودّها غول<sup>(١)</sup>  
 ففي ضربها البيت في مكان المهاجرة تحقيق للحكم بزوال محبتها وودها .  
 ٦ - الحث على التعظيم نحو : جاء الذي أدبك ، ورباك فأحسن تربيتك .  
 ٧ - التهم ، نحو : ﴿ قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 ٨ - الحث على الترحم ، نحو : الذي سبى أولاده ، ونهب طريقه وتلاده ، يستحق المعونة .

٩ - تعليل الحكم ، نحو : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴾<sup>(٣)</sup> .  
 ففي ذكر الإيمان والعمل الصالح بيان لسبب فوزهم بالجنات ورفع الدرجات ، وعلى الجملة ، فلطائف هذا الباب لا تكاد تنحصر .

### المبحث السادس في تعريف المسند اليه باللام

يؤتى بالمسند اليه معرفاً باللام ، لإفادة معنى من المعاني التي تفيدها اللام ، ذلك أنها تنقسم قسمين : لام العهد الخارجي ، وهي ثلاثة أنواع : صريحي ، وكنائي ، وعلمي . ولام الحقيقة ، وهي أربعة أقسام : لام الحقيقة أو لام الجنس ، ولام العهد الذهني ، ولام الاستغراق الحقيقي ، ولام الاستغراق العرفي :

١ - لام العهد الصريحي هي ما يتقدم مدخولها صراحة ، كما في قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نور كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة والزجاجة كأنها كوكب دري ﴾<sup>(٤)</sup> ، فقد ذكر المصباح والزجاج منكسرين ثم أعيدا معرفين .

(١) سميت الكوفة كوفة الجند لاقامة جند العرب بها عند تمصيرها ، وغالته غول ، أي أزالته وأهلكته .

(٢) سورة الحجر الآية ٦ .

(٣) سورة الكهف الآية ١٠٨ .

(٤) سورة النور الآية ٣٥ .

٢ - لام العهد الكنائسي : هي ما يتقدم ذكرها كناية ، أي مبهماً ، تعيينه القرائن ، كقوله تعالى : ﴿ وليس الذكر كالأُنثى ﴾ <sup>(١)</sup> فالذكر ، وإن لم يتقدم صريحاً ، قد استفيد من (ما) في قولها : ﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً ﴾ <sup>(٢)</sup> إذ التحرير وهو العتق لخدمة بيت المقدس لم يكن إلا للذكور فهو المعنى بـ (ما) في كلامها .

٣ - لام العهد العلمي : هي ما علم مدخولها عند المخاطب سواء أكان حاضراً أم لا ، نحو : ﴿ إذ يباعدونك تحت الشجرة ﴾ <sup>(٣)</sup> (إذ هما في الغار) أي الشجرة والغار المهودين لك ، وكما تشير إلى حاضر ، وتقول : هذا الخطيب تكلم فأحسن الكلام .

٤ - لام الحقيقة : هي ما يشار بها إلى الحقيقة ، بقطع النظر عن عمومها ، وخصوصها ، وتسمى لام الجنس ، كقولهم : أهلك الناس الدينار والدرهم ، وشربت الماء . وقول أبي العلاء :

والخل كلام يبيدي لي ضائقه مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ <sup>(٤)</sup> إذ المراد : جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس وهو الماء .

٥ - لام الحقيقة في ضمن فرد مبهم : إذا قامت القرينة على ذلك ، وتسمى لام العهد الذهني ، كنا في قوله تعالى : ﴿ أخاف أن يمسه الذئب ﴾ <sup>(٥)</sup> ومدخولها في المعنى كالنكرة فيعامل معاملة موصوف بالجملة ، كما توصف النكرة ، كقول عميرة بن جابر الحنفي :

ولقد أمرت على اللثم يسبني فمضيت ثم قلت لا يعنيني

أما في اللفظ فتجري عليه أحكام المعارف من وقوعه مبتدأ وذا حال ووصفاً للمعرفة وموصوفاً بها ، وإنما لم تقل نكرة لما بينها من التفاوت إذ النكرة معناها

(١) سورة آل عمران الآية ٣٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٥ .

(٣) سورة الفتح الآية ٢٨ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٠ .

(٥) سورة يوسف الآية ١٣ .

بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة ، وأما المعرف باللام فمعناه نفس الحقيقة ، وتستفاد البعضية من القرائن كالأكل في الآية ، وإذا فالجرد وذو اللام مع القرينة<sup>(١)</sup> سواء ، وبالنظر إلى أنفسها مختلفان .

٦ - لام الحقيقة ، في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة ، وتسمى لام الاستغراق الحقيقي ، ودليل الشمول والاستغراق ، إما :

( أ ) قرينة حالية نحو : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي كل غيب وشهادة .

( ب ) قرينة مقالية نحو : ﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي كل إنسان ، بدليل الاستثناء الذي هو علامة إرادة العموم ، إذ شرطه دخول المستثنى في المستثنى منه ، لو لم يذكر .

٧ - لام الحقيقة في ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب متفاهم المعرف كما تقول : جمع الملك الوزراء وألقى عليهم نصائح ذهبية ، فإن المقصود وزراء مملكته ، لا وزراء العالم أجمع .

( تنبيه ) من القضايا المشهورة قولهم ( استغراق المفرد أشمل ) ، ومعنى ذلك أن اسم الجنس المفرد إذ دخلت عليه أداة الاستغراق كحرف التعريف أو النفي كان شموله للأفراد وتناولها إياها أكثر من شمول المثنى والجمع الداخلة عليهما تلك الأداة .

بيان ذلك أن المفرد يتناول كل واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ، ودليل ذلك صحة قولك : لا رجال في الدار ، إذا كان فيها رجل أو رجلان ، وعدم صحة قولك : لا رجل إذا كان فيها واحد أو اثنان من هذا الجنس ، وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها ، وإنما تصح في النكرة المنفية دون الجمع المعرف باللام ، لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد ، بل هو في المفرد أقوى كما دل عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير في كل ما وقع في القرآن الكريم ،

(١) في أن كلا منها يفيد بعضاً غير معين وضعاً في النكرة وبالقرينة في ذي اللام .

(٢) سورة التوبة الآية ٩٤ .

(٣) سورة العصر الآية ٢ .

نحو: ﴿أعلمُ غيب السموات والأرض﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿واللهُ يحب المحسنين﴾<sup>(٢)</sup> ،  
﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾<sup>(٣)</sup> ، إلى غير ذلك مما لا يحصى .

### المبحث السابع في تعريف المسند اليه بالاضافة

يعرف المسند اليه بالإضافة لمزايا كثيرة ، منها :

١ - أن تكون أخصر طريق لإحضاره في ذهن المخاطب والمقام يقتضي ذلك  
لفرط الضجر والسآمة ، كقول جعفر بن عتبة حين حبس بمكة :  
هو أي مع الركب اليانين مصعد جنيبٌ وجثناني بمكة موثق<sup>(٤)</sup>  
فهو أي مهوى أخصر من الذي أهواه ونحوه ، مع كون الاختصار مطلوباً  
لضيق المقام .

٢ - أن تغني عن تفصيل متعذر نحو : أجمع أهل الحق على كذا ، وقول  
حسان بن ثابت :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل<sup>(٥)</sup>  
أو متعسر إما باعتبار الكثرة نحو : أهل القاهرة فعلوا كذا ، أو باعتبار لزوم  
تقديم بعض على بعض بدون مرجح نحو : علماء البلد اتفقوا على كذا .

٣ - أن تتضمن تعظيم شأن المضاف ، أو المضاف اليه ، أو غيرهما ، نحو :  
﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾<sup>(٦)</sup> ، ونحو : خادمي اليوم عمل كذا ،  
ونحو : رسول السلطان زار فلاناً ، وعليه من غير المسند اليه قوله :  
لا تدعني إلا بياعبدها فإنه أشرف أسمائي

٤ - أن تتضمن تحريضاً على الإكرام نحو : صديقك عندك .

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ٣١ .

(٤) اليانين جمع يمان ، ومصعد من أصد في الارض ، سار فيها . والجنيب الجنوب المستبغ  
والجثنان الشخص ، والموثق للقيد .

(٥) أولاد جفنة من الغسانة الذين مدحهم حسان بالشام .

(٦) سورة الحجر الآية ٤٢ .

٥ - أن تتضمن تحريضاً على الإذلال نحو : عدوك ببابك .

٦ - أن تتضمن استهزاء وتهكماً نحو : ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾<sup>(١)</sup> .

### المبحث الثامن في تعريف المسند

يعرف المسند لإفادة السامع حكماً على أمر معلوم بإحدى طرق التعريف بآخر<sup>(٢)</sup> مثله في كونه معلوماً للسامع بإحدى طرق التعريف سواء اتحد الطريقتان نحو : الراكب هو المنطق ، أم اختلفا نحو : علي هو المنطق .

بيان ذلك أن الشيء قد يكون له صفتان من صفات التعريف يعلم المخاطب اتصافه بإحدهما دون الأخرى فتعبره باتصافه بها فتفيد ما كان يحمله من اتصافه بالأخرى ، كما إذا كان للمخاطب أخ يسمى علياً وهو يعرفه بعينه واسمه لكن لا يعرف أنه أخوه وأردت أن تعرفه ذلك فتقول : علي أخوك ، وإن عرف أن له أخاً وأردت أن تعينه عنده باسمه قلت : أخوك علي . ومن البين في اختلاف المعنى إذا تقدمت إحسدى المعرفتين ، أو تأخرت ، قولهم : (الحبيب أنت) (وأنت الحبيب) فمعنى الجملة الأولى أنه لا فرق بينك وبين من تحب إذا صدقت المحبة ، فما مثل المتحابين إلا مثل روح حل في جسمين ، كما قيل : الحبيب أنت إلا أنه غيرك ، ومعنى الثانية أنك أنت الذي اصطفتيه من بين الناس بمحبتتي واجتبيته بمودتي ، كما قال المتنبي :

أنت الحبيب ولكني أعوذ به من أكون محباً غير محبوب

واعلم أن التعريف بلام الجنس قد يفيد قصر الخبر على المبتدأ ، وذلك على وجوه<sup>(٣)</sup> :

١ - أن يقصر المبتدأ على الخبر على سبيل الحقيقة نحو : محمد الرئيس في البلد إذا لم يكن هناك رئيس غيره .

(١) سورة الشعراء الآية ٢٧ .

(٢) في هذا إشارة إلى وجوب تباين المسند اليه والمسند بحسب المفهوم ليكون الكلام مفيداً أما نحو : «أنا أبو النجم ، وشعري شعري» فمؤول أي شعري الآن مثل شعري فيما مضى .

(٣) أما التعريف بلام العهد فيفيد ما هو معهود للمخاطب كقولك : محمد هو المحقر .

٢ - أن يقصر عليه على سبيل المبالغة وعدم الاعتداد بما سواه ، كما تقول :  
على الشجاع ، أي الكامل في الشجاعة ، فقد أخرجت الكلام في صورة توهم  
أن الشجاعة لا توجد إلا فيه ، لأنك لا تعتمد بشجاعة غيره لقصورها عن  
رتبة الكمال .

٣ - أن يقصر عليه على سبيل الحقيقة ، لكن لا باعتبار ذاته ، بل باعتبار  
القيد بظرف أو حال ، كما تقول : هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيراً ،  
فالقصد هو الوفاء في هذا الوقت لا مطلقاً ، ونحوه : هو الشجاع حين يحجم  
الأبطال ، قال الأعشى :

هو الواهب' المائة المصطفاة إما مخاضاً وإما عشاراً<sup>(١)</sup>

فقد قصر هبة المائة من الإبل في إحدى الحالين لا هبتها مطلقاً ، ولا الهبة  
مطلقاً ، وفي كل هذه الأحوال يمتنع العطف بالواو ونحوها على ما حكم عليه  
بالمعرف فلا يقال : محمد الأمير ، وعمر ، ولا إبراهيم الشجاع فخالد .  
وربما لا يفيد قصر المعرف على ما حكم عليه به ، كقول الخنساء ترثي  
أخاها صخرأ :

إذا قبُح البكاء' على قتيل رأيت' بكاءك الحسن' الجميلاً

فهي لم ترد أن ما عدا البكاء عليه ليس بحسن ولا جميل ، لكنها أرادت  
أن تقره في جنس ما جنسه الحسن الظاهر الذي لا ينكره أحد ، ونحوه  
قول الآخر :

أسود' إذا ما أبدت الحرب' نأها وفي سائر الدهر الغيوث المواطر

### تدريب

بيّن الأغراض التي اقتضت تعريف المسند اليه ، أو المسند بإحدى طرق  
التعريف :

١ - أبو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه

(١) المخاض الحوامل من التوق أجمع ، والعشار جمع عشاء وهي من التوق كالنفساء .

- ٢ - مضى بها ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باق يطلب الباقي<sup>(١)</sup>
- ٣ - إن الذي الوحشة في داره تؤنسـه الرحمة في لحده
- ٤ - ولا يقيم على ضم يراد به هذا على الحسف مربوط برمته
- ٥ - ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ﴾<sup>(٢)</sup>
- ٦ - بنو مطر يوم اللقا كأنهم أسودٌ لها في غيل خفان أشبل<sup>(٣)</sup>
- ٧ - ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾<sup>(٤)</sup>
- ٨ - أخوك الذي إن تدعه للمة يحبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

### الاجابة

- (١) أتى بالمسند اليه علماً لإحضاره باسمه المختص به .
- (٢) أتى بالمسند اليه اسم موصول للتفخيم وتعظيم شأن ذلك الزاهب من العقل .
- (٣) أتى بالمسند اليه اسم موصول للإيحاء الى وجه بناء الخبر وكونه مدحاً للمحدث عنه .
- (٤) أتى بالمسند اليه اسم إشارة للتحقير بالقرب .
- (٥) أتى بالمسند اليه اسم إشارة للتحقير بالقرب .
- (٦) أتى بالمسند اليه مضافاً لإغناء الإضافة عن تفصيل متعذر .
- (٧) أتى بالمسند اليه مضافاً لتعظيم شأن المضاف .

### تمارين

اذكر الغرض من تعريف المسند اليه أو المسند بإحدى طرق التعريف :

- ١ - ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

- (١) في وصف الخمر .
- (٢) المعير الحمار، والرمة الحبل يربط به ، والحسف الالهانة .
- (٣) سورة العنكبوت الآية ٦٣ .
- (٤) الغيل الاجمة وخفان مأسدة مشهورة بضراوة أسدها ، والأشبل جمع شبل ولد الأسد .
- (٥) سورة الفرقان الآية ٤١ .

- ٢ - ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(١)</sup>
- ٣ - ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>
- ٤ - هو الكريم حين يبخل كل جواد
- ٥ - وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد<sup>(٣)</sup>
- ٦ - أبو لهب آذى محمداً ﷺ
- ٧ - إن الناس لفي شغل عن عمل الآخرة




---

(١) سورة الإخلاص الآية ١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

(٣) قاله حسان يهجو أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وجعل الحرث عبداً لأن أمه ليست قرشية ولم تلدها قبيلة مشهورة .

## الباب السابع في التنكير

لم يتعرض لهذا الباب كثير من كتب في هذا الفن ، وأول من فتن أحكام زهاره صاحب «الكشاف» وتبعه من جاء بعده من علماء البيان . وقصارى ما قالوه : إن المسند اليه ينكر لأغراض منها :

١ - ألا يعلم المتكلم جهة من جهات التعريف من علمية أو صلة أو غيرها ، فتقول : جاء هذا رجل يسأل عنك ، إذا لم تعرف له اسماً ولا نحوه .

٢ - أن يقصد فرد غير معين مما يصدق عليه اسم الجنس نحو : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسمى ﴾ (١) أي فرد من جنس الرجال .

٣ - أن يمنع من التعريف مانع ، كقوله :  
إذا سئمت مهندة يمين لطلول الحمل بدله شمالاً (٢)  
لم يقل يمينه تحاشياً من نسبة السامة الى يمين المدح .

٤ - أن يقصد نوع مخصوص نحو :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة أعيت من يداوها

يريد لكل نوع من أنواع الأدوية ما يناسبه من أصناف الأدوية ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ ولهم عذاب عظيم (٣) .

قال في «الكشاف» : معنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغشية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله ، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله .

(١) سورة ياسين الآية ٢٠ .

(٢) الهند السيف .

(٣) سورة البقرة الآية ٧ .

ويرى السكاكي أن التنكير في هذا التعظيم أي غشاوة عظيمة تحجب أبصارهم دفعة واحدة ، وتحول بينهم وبين الإدراك ، وعذاب عظيم لا يقدر قدره .

٥ - أن يقصد التكثير نحو : ﴿ قالوا أئن لنا لأجراً ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقولهم : أن له الأبلق وأن له لغنماً ، إذ المقام للمدح .

٦ - أن يقصد التقليل نحو : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أي فشيء مما من رضوانه أكبر من الجنة ونعيمها ، فإن العبد إذا علم رضى مولاه عنه عد ذلك من أعظم النعم وعاش عيشة راضية .

٧ - التعظيم والتحقير ، وقد اجتمعا في البيت الثاني من قول مروان ابن أبي حفصة :

ففى لا يبالى المدجون بنوره      إلى بابيه ألا تضيء الكواكب <sup>(٣)</sup>  
له حاجب عن كل أمر يشينه      وليس له عن طالب العرف حاجب <sup>(٤)</sup>

فمقام المدح يفيد أن له مانعاً عظيماً عن كل قبيح وشين وليس له أي مانع ولو حقيراً عن طلاب المعروف فهم يحصلون على مقاصدهم بلا كد ولا تعب .  
والفرق بين التعظيم والتكثير أن الأول ينظر فيه لارتفاع الشأن وعلو القدر ، والثاني يلاحظ فيه الكميات والمقادير ، وهكذا الحال في الفرق بين التحقير والتقليل .

٨ - قصد إخفائه عن المخاطب نحو : سمعت رجلاً يقول : إنك حدثت عن الصواب . وينكر المسند لأغراض ، منها :

١ - عدم الحصر والمهد الدال عليها التعريف ، كما تقول : محمد كاتب ، وعلي شاعر .

٢ - قصد التفضيم والتعظيم ، نحو : ﴿ هدى للمتقين ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أي هدى لا يكتنه كنهه .

(١) سورة الشعراء الآية ٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥ .

(٣) أدلج سار ليلا .

(٤) حاجب أي مانع ، ويشينه أي يعيبه .

(٥) سورة البقرة الآية ٢ .

٣ - قصد التحقير ، نحو : ما محمد شيئاً . وينكر غير المسند اليه والمسند ،  
للدلالة على :

١ - الافراد ، نحو : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ <sup>(١)</sup> ، أي خلق كل  
فرد من أفراد الدواب من نقطة معينة .

٢ - النوعية ، نحو : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أي نوع  
من الحياة المتطاولة ، فهم أحرص الناس على أن يزدادوا الى حياتهم الماضية حياة  
في المستقبل .

٣ - التحقير ، نحو : ﴿ إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ﴾ <sup>(٣)</sup> .

٤ - التقليل ، كقول المتنبي :

فيوماً بخيل تطرد الروم عنهم      ويوماً يحود يطرد الفقر والجداً  
يريد بعدد يسير من خيولك ونزر من فيض جودك .

٥ - عدم التعين ، نحو : ﴿ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً ﴾ <sup>(٤)</sup> .

### تدريب

بيّن دواعي تنكير المسند اليه ، أو المسند ، أو غيرهما ، فيما يلي :

(١) قال تعالى : ﴿ فأذنوا بحرجه من الله ورسوله ﴾ <sup>(٥)</sup> .

(٢) ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ﴾ <sup>(٦)</sup> .

(٣) ﴿ ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ﴾ <sup>(٧)</sup> .

(٤) وفي السماء نجومٌ لا عداد لها      وليس يكسف إلا الشمس والقمر

(٥) إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً      ندمت على التفريط في زمن البذر

(١) سورة النور الآية ١٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٩ .

(٣) سورة الجاثية الآية ٣٢ .

(٤) سورة يوسف الآية ٩ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٧٩ .

(٦) سورة الشعراء الآية ١٧٣ .

(٧) سورة الانبياء الآية ٤٦ .

٦ - ومن طلب العلوم بغير كد سدر كها متى شاب الغراب

٧ - ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلكم ﴾ (١).

٨ - والله مني جانب لا أضيعه والله مني والخلاعة جانب

### الاجابة

(١) نكر حرب للدلالة على التعظيم .

(٢) نكر المطر للدلالة على النوعية ، أي مطراً عجيباً من الحجارة .

(٣) نكرت النفحة للدلالة على التحقير .

(٤) نكرت النجوم للدلالة على التكثير .

(٥) نكر الحاصد للدلالة على عدم التمين أو للدلالة على الافراد .

(٦) نكر كد للدلالة على التعظيم .

(٧) نكرت رسل للدلالة على التعظيم والتكثير ، أي رسل ذوو عدد كثير وآيات عظام .

(٨) نكر جانب الأول للدلالة على التعظيم ، وجانب الثاني للدلالة على التحقير .

### تمريين

بين دواعي تنكير المسند إليه أو المسند أو غيرها ، فيما يلي :

١ - ﴿ يا أبتِ إني أخافُ أن يمسك عذابٌ من الرحمن ﴾ (٢).

٢ - ﴿ ولكم في القصص حياةٌ يا أولي الألباب ﴾ (٣).

٣ - رجلٌ قال إنك اغتبتني

٤ - دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت

٥ - آراؤه وعطاياه ونعمته

٦ - وللغزاة شيءٌ من تلفته

٧ - قلت ثقلت إذ أتيتُ مرارا

٨ - لئن صدفت عنا فربتُ أنفس

٩ - لئن صدفت عنا فربتُ أنفس

(١) سورة فاطر الآية ٤ .

(٢) سورة مريم الآية ٤٥ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٩ .

(٤) صدفت أعرضت ، وصواد جمع صادية أي عطشى .

## الباب الثامن في التقييد

وفيه خمسة مباحث

### المبحث الأول في فوائد التقييد

اعلم أن التقييد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة وتقويتها لدى السامع لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ، ازداد إيضاحاً وتخصيصاً ، فتكون فائدته أتم وأكمل ، لا فرق في ذلك بين تقييد المسند إليه والمسند ، ولا بين التقييد بتابع ومفعول ، ونحو ذلك .

وكثير من مسائل هذا الباب ذكر في كتب النحاة على النحو الذي يشاكل بحسبهم دون نظر إلى غامض الفروق وأطراف المزايا ، فإن تينك الفائدتين من مقاصد علماء البيان الذين قصروا مباحثهم على تعريف خواص التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع وباهر الصنع .

### المبحث الثاني في التقييد بالمفاعيل ونحوها

التقييد بالمفاعيل ونحوها من الحال والتمييز لزيادة التخصيص المستلزم كثرة الفائدة ، وبالنواسخ للأغراض التي تؤديها معاني ألفاظها كالاستمرار وحكاية الحال الماضية في كان<sup>(١)</sup> ، والتوقيت بزمن معين في ظل وأخواتها ، والمقاربة في كاد وكرب ، والتأكيد في أن ، والتشبيه في كأن ، إلى نحو ذلك .

### المبحث الثالث في التقييد بالتوابع

سنبجل الكلام في هذا المبحث ، لأنه قد بين في علم النحو ببسط واطناب فينعت المسند إليه لنكات ، منها :

---

(١) فالقيد في كان محدد منطلقاً هو منطلقاً لا كان إذ هو المسند ، وكان قيد له .

١ - تمييزه بتخصيصه ، إن كان نكرة ، وتوضيحه إن كان معرفة .

٢ - الكشف عن حقيقته ، كما يقال : الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله ، ومنه في غير المسند اليه قول أوس بن جحتر التميمي في مرثية فضالة ابن كعدة :

الأممي الذي يظن بك المظن كان قد رأى وقد سمعا

فالأممي هو المتوقد ذكاء وفطنة ، ومن لوازمه أنه اذا ظن بك ظناً طابقت فراسته الواقع ، وقد روي أن الأصمعي سئل عن الأممي فأشدد البيت .

٣ - التأكيد ، نحو : أمس الدابر ، وكان يوماً عظيماً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۝ ﴾ (١) .

٤ - بيان المقصود وتفسيره نحو : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ (٢) ، قال في «الكشاف» : فإن قلت : هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم ، وما معنى الزيادة ؟ قلت : معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كأنه قيل : وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع ، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها .

٥ - المدح ، نحو : حاتم في محمد الأديب .

٦ - الذم ، نحو : سافر إبراهيم الأحمق .

ويؤكد لاعتبارات ، منها :

(١) تحقيق المراد ، بحيث لا يحتمل الكلام غيره ، كما تقول : جئت أنا .

(٢) دفع توم السامع تجوز المتكلم أو سهوه نحو : قدم صديقك نفسه .

(٣) دفع توم عدم الشمول نحو : جاء القوم كلهم ، إذ لو قلت : جاء القوم وسكت ، لكان يجوز أن يخطر ببال السامع أن بعضهم قد تخلف ، إلا أنك لم تعتد به أو جعلت الواقع من البعض كأنه واقع من الجميع ، كما يقال للقبيلة :

(١) سورة البقرة الآية ١٩٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٨ .

صنعتهم وفعلمت ، ويراد فعل قد كان من البعض ، يرشد الى ذلك قوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، والعاقرة لها قدار<sup>٢</sup> ، لكنهم نزلوا منزلته لرضاهم بفعلته .

وبيين لمزايا ، منها :

١ - المدح ، نحو : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فالبيت الحرام عطف بيان على الكعبة لغرض مدحها بأنها حرم آمن .

٢ - الإيضاح والتفسير بما يختص بالمتبوع ويوضح ذاته ، نحو : قال أبو الحسن علي كرم الله وجهه .

ويبدل لأغراض ، أهمها :

زيادة التقرير ، إذ البدل كالتفسير بعد الإبهام ، فيزداد به تقرير المقصود في ذهن السامع ، ومنه في غير المسند اليه : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ <sup>(٤)</sup> .

أما في بديل الكل فللذكر مرتين ، وأما في بديل البعض ، فلأن المتكلم لما أتى بالمبدل منه أولاً ثم أتى بالمبدل ثانياً كان كالنبيه على التجوز والإجمال في المبدل منه فيؤثر في النفس تأثيراً لا يوجد عند الإختصار على الثاني ، وأما في بديل الاشتمال فلأن البدل تشعر به النفس في الجملة قبل ذكره وتتشوف لشيء يطلبه الكلام السابق فإذا ذكر صار متكرراً ، ويعطف عليه لدواع ، منها :

١ - تفصيل المسند اليه باختصار ، نحو : جاء محمد وعلي ، فإنه أخصر من جاء محمد وجاء علي ، مع إفادة التفصيل بالنسبة لقولك : جاءني رجلان ، ولا يعلم منه تفصيل المسند ، إذ الواو لمطلق الجمع ، ولا دلالة فيه لجهي أحدهما قبل الآخر أو بعده أو معه .

٢ - تفصيل المسند ، مع الاختصار ، نحو : جاء محمد فعلي ، أو ثم علي ، أو جاء القوم حتى خالد . فهذه الثلاثة الحروف ، وإن اشتركت في تفصيل المسند ،

(١) سورة الأعراف الآية ٧٧ .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٧ .

(٣) سورة الفاتحة الآية ٥ .

فالأول يدل على التنقيب من غير مهلة ، والثاني مسح المهلة ، والثالث يفيد ترتيب أجزائه من الأضعف الى الأقوى ، أو بالعكس ، نحو :

و كنت فقي من جند إبليسَ فارتقى بي الحال حتى صار إبليسُ من جندي

٣ - الشك من المتكلم اذا كان لا يدري الحقيقة .

٤ - التشكيك ، أي إيقاع السامع في الشك .

٥ - التجاهل ، نحو : ﴿ وأنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ <sup>(١)</sup> .

٦ - التخيير أو الإباحة نحو : ليدخل الدار محمد أو علي ، والفرق بينهما أنه يجوز الجمع في الإباحة دون التخيير .

٧ - رد السامع عن الخطأ في الحكم الى الصواب ، نحو : جاءني علي لا خالد لمن اعتقد أن خالداً جاءك دون علي ، أو أنها جاءك معاً .

### المبحث الرابع في التقييد بضمير الفصل

يؤتى بعد المسند اليه بضمير الفصل لأغراض منها :

١ - التخصيص ، أي قصر المسند على المسند اليه ، إذا لم يكن في الكلام ما يفيد القصر سواه نحو : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ <sup>(٢)</sup> .

٢ - تأكيد التخصيص إذا كان في التركيب مخصص آخر ، نحو : ﴿ إن الله هو الرزاق ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ومنه قول أبي الطيب :

إذا كان الشباب السكر والشيد      ب' همّا فالحياة هي الحمام

يريد أنه إذا كان الشخص إبان الشباب كالسكران غافلاً عن العواقب ، وفي الشيب حزناً بسبب ضعفه ، فلا خير في الحياة ، بل هي الموت .

٣ - تمييز الخبر عن المصفة ، نحو : الفصيح هو جيد البيان طلق اللسان .

(١) سورة سبأ الآية ٢٤ .

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٤ .

(٣) سورة الذاريات الآية ٥٨ .

## المبحث الخامس في التقييد بالشرط

يقيد الفعل بالشرط للأغراض التي تستفاد من معاني الأدوات كالزمان في : متى ، والمكان في : أين ، والحال في : كيفما ، إلى آخر ما استوفى بيانه علم النحو ، لكن نذكر هنا ما بين : إن ، وإذا ، ولو ، من الفروق الدقيقة التي تشاكل مباحث هذا الفن .

بيان هذا أن المقصود من الجملة الشرطية عند علماء العربية ، إنما هو النسبة التي يدل عليها الجزاء سواء أكانت خبرية أم إنشائية ، والشرط قيد لها وسبب فيها لا يغيرها عن حالها الأولى من الخبرية أو الإنشائية ، وقد خرج بدخول الأداة عليه عن كونه خبراً محتمل صدقاً وكذباً ، فقولك : إن نجحت أكافئك ، معناه أكافئك حين نجاحك ، وقولك : إن جاء محمد فأكرمه ، أي أكرمه وقت مجيئه . (إن) و (إذا) تشتركان في الدلالة على تعليق حصول الجزاء على حصول الشرط في المستقبل ، وتمتاز كل منهما بما يلي :

( أ ) تتماز (إن) بدلالاتها بحسب الوضع اللغوي على عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط في الزمن المستقبل ، نحو : ﴿ وإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴾ <sup>(١)</sup> ، ومن ثم لا تقع في كلام الله تعالى إلا على سبيل الحكاية أو التأويل فالأول كقوله تعالى حكاية عن يوسف : ﴿ وإن لا تصرف عني كيدهن أصب إليهن ﴾ <sup>(٢)</sup> ، والثاني نحو : ﴿ وإن نصبهم سيئة بطيروا بموسى ومن معه ﴾ <sup>(٣)</sup> فقد جاءت في التنزيل على غلط أساليبهم ، وعلى الطريقة التي يعبر بها المتكلم منهم حينما يكون غير جازم بوقوع الشرط .

(ب) تتماز (إذا) باستعمالها لغة في كل ما يحزم المتكلم بوقوعه في الزمن المقبل نحو : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ومن أجل ما بينها من الفرق كانت الأحكام النادرة الوقوع مع لفظ المضارع مواقع لإن ، والأحوال الكثيرة الوقوع ولفظ الماضي الدال على تحقيق الوقوع

(١) سورة المائدة الآية ٤٢ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٣ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٣١ .

(٤) سورة الزلزلة الآية ١ .

قطعاً نظراً إلى نفس لفظه ( وإن كان قد نقل بعد دخول الأداة عليه إلى معنى الاستقبال ) مواقع لإذا ، وقد اجتمعتا في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أي إذا جاء آل فرعون حسنة كخصب ورخاء وكثرة أولاد قالوا نحن أحقاء بها ، وإن أصابهم جدد وبلاء تشاءوا من موسى ومن آمن معه ، فعبّر بإذا في جانب الحسنه ، لأن المقصود منها الجنس ، وهو مقطوع بحصوله لكثرة ، وبأن في جانب السيئة لندورها ، ولهذا أنكرت للدلالة على القلة .

قال في «الكشاف» : وللجهل بمواقع إن وإذا يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون ، ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بها الموقع في قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضاها :

ذمت ولم يحمد وأدركت حاجتي      تولى سواكم أجراها واصطناعها  
أبى لك كسب الحمد رأي مقصر      ونفس أضاق الله بالخير باعها  
إذا هي حثته على الخير مرة      عصاها وإن همت بشر أطاعا  
ولو عكس في استعمال الأداتين لأصاب الغرض .

( تنبيه ) قد تستعمل كل من الأداتين موضع الأخرى فتستعمل (إن) في الشرط المجزوم بشبوته لأغراض ، منها :

( ١ ) التجامل إذا اقتضاه المقام ، كما يقول المعتذر : إن كنت فعلت هذا فعن غير قصد .

( ٢ ) تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لأنه لم يجر على مقتضى علمه كما يقال للابن الذي لا يراعي حقوق الأبوة : إن كان هذا أباك فراع حقوقه عليك .

( ٣ ) التوبيخ على الفعل ، تنبيهاً على أنه لقيام البراهين المقتضية وقوع خلافه ، كأنه محال الوقوع ، فيفرض كما يفرض المحال نحو : ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صَفْحاً إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> في قراءة الكسر ، إذ إسرافهم محقق ،

(١) سورة الأعراف الآية ١٣١ .

(٢) المعنى : أنهيكم ونضرب عنكم القرآن بترك القرآن بترك إنزاله لكم وترك ما فيه من وعد أو وعيد إعرافاً عنكم إن كنتم مسرفين (سورة الزخرف) .

لكنه عبر عنه بأن توبيخاً لهم وإشارة الى أنهم لو تأملوا الآيات الظاهرة لصار الإسراف كأنه محال الحصول إذ هو لا يصدر عن عاقل في مثل هذه الحال .

(٤) تغليب غير من اتصف بالشرط على من اتصف به ، نحو : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ <sup>(١)</sup> ، فقد غلب من لم يرتب من المخاطبين على من ارتاب وكان يعرف الحق وينكره عناداً ، كما تستعمل أيضاً في المستحيل المجزوم بنفيه على سبيل المساهلة وإرخاء للعنان لإلزام الخصم وتبكيته نحو : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنأ أول العابدين ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وتستعمل (إذا) في مواضع الشك لأغراض ، أهمها :

١ - الإشارة الى أن مثل ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكاً فيه ، نحو قولك لمن قال : لا أدري أيتفضل عليّ الأمير بالنوال ، إذا تفضل عليك فكيف يكون شكرك .

٢ - عدم شك المخاطب .

٣ - تنزيل المخاطب منزلة الجازم الذي لا شك عنده .

٤ - تغليب الجازم على غير الجازم .

ولما كانت الأداتان لتعليق الجزاء بالشرط في الاستقبال التزم في جملتيهما الفعلية والاستقبال ، ذاك أن الشرط مفروض الحصول في المستقبل فيمتنع ثبوته ومضيه والجزاء معلق عليه ، ولا يعدل عن الاستقبال في اللفظ والمعنى إلى المعنى فقط ، إلا لنكتة ، كإبراز غير الحاصل في معرض ما هو حاصل ، وذلك اما :

(١) للتفاؤل نحو : إن عشت نفعت أمتي وبلادي .

(٢) لقوة الأسباب وتوافرها ، كأن تقول حين انعقاد الشراء : إن اشتريت كان كذا .

(٣) لإظهار الرغبة في وقوعه ، فيكثر تصور المتكلم إياه ، حتى يخيل اليه ما ليس بالحاصل حاصل ، كما تقول : إن ظفرت بحسن العاقبة فذاك ما أبغي ،

(١) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٨١ .

وعليه قوله تعالى : ﴿ ولا تكرر هوا فتيا تكم على البغاء إن أردن تحصناً ﴾ (١) ،  
جاء بلفظ الماضي للدلالة على توافر الرغبة في تحصينهن .

(٤) للتعريض ، نحو : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم  
إنك إذا لمن الظالمين ﴾ (٢) ، قال في «الكشاف» : هذا كلام وارد على سبيل  
الفرض والتقدير ، وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك  
الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى .

ونظيره في التعريض : ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ﴾ (٣) ،  
إذ المراد : ومالكم لا تعبدون الذي فطركم ، كما يدل عليه (ترجعون) .

ووجه حسن التعريض وملاحظته إسماع المخطبين الحق على وجه لا يورثهم  
مزيد غضب ، وذلك لأنك تترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل ، وذلك أنفذ في  
أعماق القلوب ، حيث لا يريد المتكلم لهم إلا ما يريد لنفسه ، وهذا النوع كثير  
جداً في القرآن الكريم ، نحو : ﴿ قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل  
عما تعملون ﴾ (٤) .

( تنبيه ) قد تستعمل إن في غير الاستقبال قياساً مطرداً في موضعين :

١ - إذا كان الشرط لفظ كان ، نحو : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على  
عبدنا ﴾ (٥) الآية .

٢ - إذا جاء بها في مقام التأكيد بعد واو الحال لمجرد الربط دون الشرط  
نحو : علي وإن كثر ماله بخيل ، وقليلاً في غير ذلك ، كقول أبي العلاء :

فيا وطني إن فإني بك سابق من الدهر فلينعم بساكتك البال (٦)  
كما إذا إما :

(١) الفتياث الأما ، وكان من عاداتهم في الجاهلية أن يكرهون من على تلك الفعل الشتماء .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٠ .

(٣) سورة يس الآية ٢٢ .

(٤) سورة سبأ الآية ٢٥ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٦) الغرض من ذلك التحسّر وجواب إن محذوف ، أي : فلا لوم علي لأنني تركتك كرمها  
يدل عليه فلينعم .

١ - للماضي ، نحو : ﴿ حق إذا سارى بين الصديقين ﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - أو للاستمرار ، نحو : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾<sup>(٢)</sup>.

(لو) للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط ، فيلزم انتفاء الجزاء ، بمعنى أن الجزاء كان يمكن أن يقع لو وجد الشرط ، فإذا قلت : لو جئتني لأكرمك ، فهم منه أن المجيء شرط في الإكرام ، وأنه على تقدير وقوعه يقع الإكرام ، ولهذا قيل : ان (لو) لامتناع الثاني لامتناع الأول ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾<sup>(٣)</sup> أي إن انتفاء الهداية ، إنما هو بسبب انتفاء المشيئة ونحوه قول الحماسي :

ولو طار ذو حافر قبلها      لطارت ولكنه لم يطر<sup>(٤)</sup>

فإن عدم طيران ذلك الفرس بسبب أنه لم يطر ذو حافر قبلها .

ونجى قليلاً لامتناع الأول لامتناع الثاني ، فتفيد الدلالة على أن العلم بانتفاء الثاني علة للعلم بانتفاء الأول ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم من غير التفات ، إلى أن انتفاء الجزاء في الخارج ما هي ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ﴾<sup>(٥)</sup> ، إذ المعنى أنه علم انتفاء تعدد الآلهة بسبب العلم بانتفاء الفساد ، ويكثر هذا في مقام الأدلة والبراهين ، لكن الاستعمال الأول هو الشائع المستفيض في القرآن والحديث وأشعار العرب .

ويجب كون جملتيها فعليتين ماضويتين ، فإن دخلت على مضارع كان ذلك لنكتة ، إما :

١ - قصد الاستمرار في الماضي حيناً فحيناً ، نحو : ﴿ لو يُطيعكم في كثير من الأمر لعنتكم ﴾<sup>(٦)</sup> . قال في «الكشاف» : إنما قيل : يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه ، وأنه كلما

(١) سورة الكهف الآية ٩٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤ .

(٣) سورة النحل الآية ٩ .

(٤) إن عدم طيران الفرس معلوم ، والمقصود بيان السبب ، وهو أنه لم يطر قبلها ذو حافر .

(٥) سورة الأنبياء الآية ٢٢ .

(٦) العنت : الهلاك (سورة الحجرات) .

عن<sup>١</sup> لهم رأي في أمر كان معمولاً عليه بدليل قوله في كثير من الأمر كما تقول :  
فلان يقري الضيف ، ويحمي الحريم ، تريد أنه مما اعتاده ووجد منه على طريق  
الاستمرار .

٢ - وإما لتنزيل المضارع منزلة الماضي لصدوره عن لا خلاف في وقوع  
أخباره ، نحو : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿ ولو ترى إذ المجرمون  
ناكسوا رؤسهم ﴾<sup>(٢)</sup> ، ونظيره ﴿ ربما يود الذين كفروا ﴾<sup>(٣)</sup> ، قال الزنجشري :  
فإن قلت : لم أدخلت ربما على المضارع ، وقد أبوا دخولها إلا على الماضي ، قلت :  
لأن المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة المقطوع به في تحققه ، فكأنه قيل :  
ربما ود .



مركز تحقيقات كليات علوم اسلامی

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

(٢) سورة السجدة الآية ١٢ .

(٣) سورة الحجر الآية ٢ .

## الباب التاسع في الخروج عن مقتضى الظاهر

ما مضى في الأبواب السالفة هي الأحوال التي يلاحظ فيها البليغ مقتضى ظاهر الحال، وقد يعدل عنها لنكتة، فعلى المخاطب أن يبحث عن سبب العدول مستعيناً بالقرائن، ويسمى ذلك: الخروج عن مقتضى الظاهر.

وقد سبق ذكر شيء من أحواله نبهناك عليه في حينه، كتنزيل العالم منزلة الجاهل، والمعقول منزلة المحسوس، وقد بقي منه أمور أهمها <sup>(١)</sup> تجاهل العارف (مزج الشك باليقين) وهو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزداد تأكيداً، والداعي إليه:

١ - إما المدح كقول ذي الرمة:  
أبا ظبية الوعاء بين جلاجل وبين النقي آ أنت أم أم سالم <sup>(٢)</sup>  
وقول أبي هلال العسكري:

أثغر ما أرى أم أقحوان وقد ما أرى أم خيزران  
٢ - وإما الذم كقول زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

٣ - وإما التمجيد كقوله تعالى: ﴿أفسحروا هذا أم أنتم لا تبصرون﴾ <sup>(٣)</sup>.

٤ - وإما التوبيخ كقول ليلى بنت طريف الخارجية في أخيها الوليد:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف <sup>(٤)</sup>

(١) ساء ابن رشيقي في العمدة التشكيك وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ولا ينخفى ما له من حسن الروعة وجمال الموقع.

(٢) الوعاء، وجلاجل، والنقي، مواضع.

(٣) سورة الطور الآية ١٥.

(٤) الخابور نهر بديار بكر يصب في الفرات.

الالتفات : وهو فن من البلاغة ، ملاكه الذوق السليم ، والوجدان الصادق ، ويلقب ( بشجاعة العربية ) لأن فيه ورود الموارد الصعبة واقتحام مضائق الأساليب .

وحقيقته التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة : التكلم ، والخطاب ، والغيبة ، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، وذلك ست صور :

١ - فمن التكلم الى الخطاب نحو : ﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون ﴾ <sup>(١)</sup> دون ( أرجع ) .

٢ - ومن التكلم الى الغيبة نحو : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ﴾ <sup>(٢)</sup> دون ( لنا ) .

٣ - ومن الخطاب الى التكلم نحو قول علقمة بن عبدة العجلي :

طعما بك قلب في الحسان طروب<sup>٣</sup> بعيد الشباب عصر حان مشيب<sup>(٣)</sup>  
تكلفني ليلى وقد شط ولها عادات عواد بيننا وخطوب  
وكان مقتضى الظاهر يكلفك أي القلب

٤ - ومن الخطاب الى الغيبة نحو : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴾ <sup>(٤)</sup> دون ( بكم ) .

٥ - ومن الغيبة الى التكلم نحو : ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه ﴾ <sup>(٥)</sup> دون ( فساقه ) .

٦ - ومن الغيبة الى الخطاب نحو : ﴿ مالك يوم الدين إياك نعبد ﴾ <sup>(٦)</sup> دون ( إياه ) .

(١) سورة يس الآية ٢٢ .

(٢) سورة الكوثر الايتان ١ و ٢ .

(٣) طعما ذهب ، وبعيد تصغير بعد ، وحان قرب ، والولي القرب ، وفاعل يكلف القلب ، أي بطالبي القلب بوصل ليلى .

(٤) سورة يونس الآية ٢٢ .

(٥) سورة فاطر الآية ٩ .

(٦) سورة الفاتحة الآية ٣ .

ووجه حسنه ما ذكره الزمخشري ، وهو أن الكلام إذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية وتجديداً لنشاط السامع وأكثر إيقاظاً للإصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد ، ومن ثم قيل : لكل جديد لذة ، وقد تختص مواقع بلطائف كما في سورة الفاتحة ، فإن العبد اذا افتتح حمد مولاه الحقيقي بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله : الحمد لله ، الدال على اختصاصه بالحمد ، وأنه حقيق به وجد من نفسه محركاً للإقبال عليه ، فإذا انتقل إلى قوله : رب العالمين ، الدال على أنه : مالك للعالمين ، لا يخرج منهم شيء عن ملكوته ، قوى ذلك المحرك ، وهكذا كلما أجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوى ذلك المحرك ، الى أن يؤول الأمر الى خاتمتها المفيدة أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء ، حينئذ يجد من نفسه إقبالاً عليه وتخصيصاً له بالخطاب بغاية الخضوع والاستعانة به في المهمات .

الأسلوب الحكيم : وسماه الإمام عبد القاهر : المبالطة ، وهو نوعان :

١ - تلقي المخاطب<sup>(١)</sup> بغير ما يتوقب بحمل كلامه على غير ما يريد تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد كقول ابن حجاج البغدادي :

فقلت ثقلت إذ أتيت مرارا      قال ثقلت كاهلي بالأيادي  
قلت طولت قال لا بل تطول      ت وأبرمت قال حبل ودادي

فلفظ ثقلت وقع في كلام المتكلم بمعنى حملتك المشونة فحملة المخاطب على تثقيل عاتقه بالمتن والأيادي .

٢ - تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأهم كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ الْآخِرِينَ وَالْأُولَى وَاللِّتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فقد سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصارف تنبيهاً على أن المهم هو السؤال عنها لأن النفقة لا يعتمد بها إلا أن تقع موقعها .

(١) التلقي المواجهة ، والمخاطب (بفتح الطاء) أي تلقي المتكلم بالكلام الثاني المخاطب به ، وهو التكلم بالكلام الاول .  
(٢) سورة البقرة الآية ٢١٥ .

الإضمار في مقام الإظهار ، وذلك في موضعين :

١ - باب ضمير الشأن والقصة ، ويكون مرفوعاً نحو: هي الدولة استعدت ، وهو الحق حصحص ، ومنصوباً نحو: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾<sup>(١)</sup> وسر هذا الأسلوب المبالغة وتعظيم تلك القصة وتفخيمها ، من قبل أن الشيء إذا كان مبهماً كانت النفوس متشوقة الى فهمه ، متطلعة الى علمه ، فإذا وضح وفسر حل محلاً رفيع القدر لديها ، ومن ثمة لا يكون إلا في المواضع التي يقصد فيها التهويل .

٢ - باب نعم وبئس ، نحو: نعم رجلاً محمد ، وبئس غلاماً سعيد ، وانتصاب ما بعدهما من النكرات يحوي على جهة التفسير ، والداعي اليه المبالغة في المدح أو الذم ، من حيث انه عند الإيهام يكون للأفئدة تطلع الى إيضاح المبهم وشغف إلى بيانه .

الإظهار في مقام الإضمار ، فإن كان المظهر اسم إشارة كان :

١ - اما لكمال العناية به لأجل اختصاصه بحكم غريب ، كقول ابن الراوندي<sup>(٢)</sup> :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا  
هذا الذي ترك الأوهام حائرةً وصير العالم النحرير زنديقاً<sup>(٣)</sup>

فأتى باسم الإشارة لأجل الحكم البديع الذي اختص به المشار اليه وهو تركه الأوهام حائرة وتصويره العالم النحرير زنديقاً .

٢ - وإما للتهكم بالسامع ، كما إذا كان فاقده الصبر ، فتقول له : هذا الهلال بين السحاب .

٣ - وإما لإظهار بلاهته ، كأن غير المحسوس عنده محسوس ، نحو : فجئتني بمثلهم .

(١) سورة الحج الآية ٤٦ .

(٢) هو أحمد بن يحيى الراوندي المتوفى سنة ٥٢٩١ هـ ، اتهم بالزندقة ونسب اليه أنه عارض القرآن ، وأتى بما تضحك منه الثكلى .

(٣) أعيت أعجزت ، ومذاهبه وسائل عيشه ، والزنديق من يبطن الكفر ويظهر الاسلام ، واسم الإشارة يعود الى الحكم السابق وهو حرمان العاقل ورزق الجاهل .

٤ - وإما لكمال فطنته حق كأن غير المحسوس عنده محسوس ، نحو :

تعاللت كي أشجى وما بك علة تريدن قتلي قد ظفرت بذلك<sup>(١)</sup>

أي بقتلي ، وكان من حقه أن يقول به لكنه ادعى أن قتله قد ظهر ظهور المحسوس ، وإن كان المظهر غير اسم إشارة ، فإما :

(١) لزيادة تمكينه في ذهن السامع نحو : ﴿ الله الصمد ﴾<sup>(٢)</sup> ، ونحو : ﴿ الحاقة ما الحاقة ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقول الحماسي :

شدتنا شدة الليث غدا والليث غضبان

(٢) وإما للاستعطاف والخضوع الموجبين للشفقة ، كقوله :

إلهي عبدك العاصي أنا كما مقرأ بالذنوب وقد دعا كما

(٣) وإما لادخال الروعة والمهابة في نفس السامع نحو : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾<sup>(٤)</sup> ، لاندراج كل كمال تحت لفظ الجلالة فأجدر به أن يكون موضع التشكلان .

(٤) وإما للنهكم والتعجب ، نحو : ﴿ ص والقرآن ذي الذكر ، بل الذين كفروا ﴾<sup>(٥)</sup> ، ثم قال بعد : ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾<sup>(٦)</sup> ، فالغرض شد النكير عليهم والتعريض بأنهم حقاً أهل التمرد والعناد .

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي للدلالة على تحقيق وقعه ، نحو : ونادى أصحاب النار ، فقد جعل المتوقع الذي لا يسد من وقوعه بمنزلة الواقع ، ومثله التعبير عنه باسم الفاعل نحو : ﴿ وإن الدين<sup>(٧)</sup> لواقع ﴾ بدل يقع ، أو باسم المفعول ، نحو : ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾<sup>(٨)</sup> بدل يجمع .

(١) تعاللت: ادعيت العلة ، أشجى: أحزن .

(٢) سورة الإخلاص الآية ٢ .

(٣) سورة الحاقة الآية ١ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٥ و ٦) سورة ص الآيات ١ و ٢ و ٤ .

(٧) أي الجزاء حاصل ، فوقوع الجزاء استقبالي (سورة للذاريات) .

(٨) سورة هود الآية ١٠٣ .

(القلب) ، وهو جعل جزء من أجزاء الكلام مكان الآخر ، والآخر مكانه ، على وجه (١) يثبت حكم كل منهما للآخر ، وهو قسمان :

١ - ما يكون موجه تصحيح حكم لفظي فقط والمعنى صحيح بدونه ، كقول القطامي :

قفي قبل التفرق يا ضباعا ولا يك' موقف' منك الوداعا (٢)

لما نكر موقفاً وهو في وضع المبتدأ وعرف الوداع وهو في موضع الخبر جعل من (باب القلب) .

٢ - ما يكون موجه تصحيح المعنى ، كقولهم : عرضت الناقة على الحوض ، وأدخلت القلنسوة في الرأس ، مكان : عرضت الحوض على الناقة ، وأدخلت الرأس في القلنسوة ، إذ الأصل أن يحاء بالمعروض الى المعروض اليه ، وأن ينقل المظروف الى الظرف لا بالعكس كما هنا .

والصحيح جوازه اذا اشتمل على مغزى شريف ومعنى حسن ، كقول رؤية :

ومهمة مغبرة أرجباؤه كان لون أرضه سماؤه (٣)

يريد كان لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، فعكس التشبيه لقصد المبالغة ، ونحوه قول أبي تمام يصف قلم المدوح :

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواصل (٤)

وإن لم يشتمل على اعتبار لطيف رد ، كقول عروة بن الورد :

(فديت بنفسه نفسي ومالي)

(التغليب) ، وهو إعطاء أحد المصطحبين أو المتشاكلين حكم الآخر ، وهو باب ذو شعب كثيرة ، فمن ذلك :

١ - تغليب المذكر على المؤنث ، نحو : وكانت من القانتين ، أدرجت مريم

---

(١) فإن لم يثبت ذلك الحكم نحو : في الدار علي ، وكلم محمداً علي ، فإن كلا منهما وإن جعل في مكان الآخر باق على حكمه ، لا يسمى ذلك قلباً .

(٢) قفي يا ضباعة ساعة حتى أودعك قبل التفرق فلا جعل الله لنا موقف الوداع موقفاً .

(٣) المهمة المفازة ، والمغبرة المملوءة بالغباء ، والأرجاء النواحي .

(٤) الأرى العسل ، واشتارته جنته ، والعواصل جمع عاسلة وهي جانبية العسل .

في القانتين من الرجال ، تغليباً لهم على القانتات ، وقد جروا على خلاف الغالب في ألفاظ معدودات فغلبوا المؤنث على المذكر .

٢ - تغليب الكثير على القليل نحو: فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ، غلب الملائكة على إبليس وهو ليس منهم ، وسمي الجميع ملائكة .

٣ - تغليب المعنى على اللفظ نحو: بل أنتم قوم تجهلون ، بدل يجهلون ، الذي ضميره للقوم ولفظه غائب مراعاة للخطاب بأنتم .

٤ - تغليب المخاطب على الغائب نحو: أنت وعلي صنعتما كذا .

٥ - تغليب أحد المتناسين على الآخر كالأبوين والقمرين للأب والأم والشمس والقمر ، وعليه قول المتنبي :

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معاً

٦ - تغليب العقلاء على غيرهم نحو: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .

يوضع الخبر موضع الإنشاء لأغراض ، منها :

(١) التفاؤل في الحمل الدعائية ، نحو: وفقك الله الى مسافيه الخير ، وقول النابغة :

أنا (أبيت اللعن) أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب<sup>(١)</sup>

(٢) التباعد عن صيغة الأمر تأديباً واحتراماً للسامع كما تقول لعظيم : ينظر مولاي في شأني ويقضي طلبتي ، مكان : انظر واقض .

(٣) التنبيه على تيسر المطلوب لوفرة الأسباب واستكمال العدة ، كما يقول القائد حاثاً جنده : تفتكون بالأعداء وتنزلونهم من حصونهم وتذيقونهم الردى ، مكان : افتكوا وأنزلوهم وأذيقوهم .

(٤) إظهار الرغبة في حصول المطلوب كما تقول في الكتاب لغائب : جمع الله الشمل وقرب أيام اللقاء .

---

(١) أبيت اللعن أي أبيت أن تفعل شيئاً فلعن به وكانت هذه تحية الملوك ، وأهتم أصير لأجلها ذاهم ، والنصب التعب .

(٥) التنبيه على سرعة الامتثال ، ولو ادعاء ، نحو : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> مكان : لا تسفكوا ، مبالغة في النهي بادعاء أنهم نهوا فامتثلوا ، ثم أخبروا .

(٦) حمل المخاطب على الفعل بالطف أسلوب ، كقولك لرجل لا تحب أن يكذبك : تجيء غداً ، مكان قولك : جيء ، لتحمله على المجيء لأنه إن لم يأت غداً صرت كاذباً من حيث الظاهر <sup>(٢)</sup> لكون كلامك في صورة الخبر .

بوضع الإنشاء موضع الخبر لاعتبارات ، منها :

١ - إظهار العناية بالشيء والاهتمام به ، نحو : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> لم يقل : وإقامة وجوهكم ، إشعاراً بالعناية بالصلاة لعظم خطرها وجليل قدرها في الدين .

٢ - التباعد عن مساواة اللاحق بالسابق ، نحو : ﴿ قُلْ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ <sup>(٤)</sup> لم يقل : وأشهدكم ، تحاشياً عن مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى <sup>(٥)</sup> مركزية تكوّن علوم إسلامية

٣ - الرضا بما هو حاصل كأنه مطاوع في قوله <sup>(٦)</sup> : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعِدّاً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » مكان يتبوا .

الانتقال من الماضي الى المضارع ، أو بالعكس :

(١) فالأول نحو : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَسْقِنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾ <sup>(٥)</sup> جاء ثثير ، بدل أثارت ، لتستحضر تلك الصورة الماضية ، حتى كأن الإنسان يشاهد أثارة الريح للسحاب ، فيستدل من ذلك على عجب قدرته ، وباهر حكمته .

(١) سورة البقرة الآية ٨٤ .

(٢) أما في الحقيقة فلا كذب ، لأنه كلام في معنى الإنشاء .

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٩ .

(٤) سورة هود الآية ٥٤ .

(٥) سورة الروم الآية ٤٨ .

(٢) والثاني كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ <sup>(١)</sup> عطف ففزع على ينفخ تأكيداً للثبوت ومبالغة في الحصول ودلالة على أن ذلك كائن لا محالة .

### تدريب

بَيِّن السر في خروج التراكيب الآتية عن مقتضى الظاهر :

- ١ - كل خليل كنت خالته (لا ترك الله له واضحة) <sup>(٢)</sup>  
كلهم أروغ من ثعلب (ما أشبه الليلة بالبارحة) <sup>(٣)</sup>
- ٢ - يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا <sup>(٤)</sup> من رحمة الله .
- ٣ - ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيمٌ ودودٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> .
- ٤ - أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيعتك الحياء  
كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
- ٥ - ألمع برق سري أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي <sup>(٦)</sup>
- ٦ - وقالوا قد صفت ميثا قلوب نعم صدقوا ولكن عن ودادي
- ٧ - يقول العبد للمولى إذا حول وجهه عنه : ينظر مولاي إلي هنيهة .
- ٨ - يكون مزاحها غسل وماء .

### الاجابة

- (١) وضع الخبر موضع الانشاء للدعاية عليه في قوله : لا ترك الله له واضحة .
- (٢) فيه التفات بالانتقال من الخطاب الى الغيبة في رحمة الله .
- (٣) فيه التفات بالانتقال من الخطاب الى التكلم .

(١) سورة يس الآية ٥١ .

(٢) الخليل الصديق ، والواضحة الأسنان تبدو عند الضحك .

(٣) مثل يضرب لتشابه الأمور .

(٤) القنوط : اليأس .

(٥) سورة هود الآية ٩٠ .

(٦) الضاحي : البارز .

- (٤) فيه التفات من الخطاب الى الغيبة .  
 (٥) فيه تجاهل المعارف .  
 (٦) فيه الأسلوب الحكيم ، فقد حمل صفاء القلوب على خلوها من الود .  
 (٧) وضع الخبر موضع الانشاء تأديباً في قوله : ينظر ، بدل : انظر .  
 (٨) فيه قلب ، والأصل يكون : مزاجها عسل وماء .

### تموين

- ١ - تطاول ليلك بالأئـمـد وثام الخلى ولم ترقـد<sup>(١)</sup>  
 وبات وبات له ليلة كلية ذي العائر الأرمد  
 وذلك من نبأ جـمـاني وخبرته عن أبي الأسود
- ٢ - ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ﴾<sup>(٢)</sup>
- ٣ - ﴿ يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾<sup>(٣)</sup>
- ٤ - ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾<sup>(٤)</sup>
- ٥ - فلما أن جرى سمن عليها كما طينت بالفدن السباعا<sup>(٥)</sup>
- ٦ - ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً ﴾<sup>(٦)</sup>  
 ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾<sup>(٧)</sup>
- ٧ - بكرأ صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

(١) قاله امرؤ القيس ، والأئـمـد موضع ، والعائر مرض العين .

(٢) سورة النساء الآية ٦٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٩ .

(٤) سورة الكهف الآية ٤٧ .

(٥) الفدن القصر ، وسباع الطين المخلوط بالتبن وجواب لما في البيت بعده .

(٦) سورة الأعراف الآية ٤ .

(٧) سورة النجم الآية ٨ .

## الباب العاشر في القصر

وفيه ستة مباحث

### المبحث الأول في تعريفه لغة واصطلاحاً

القصر في اللغة : الحبس ، وفي التنزيل : ﴿ حور مقصورات في الخيام ،  
وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾ <sup>(١)</sup> ، قال الفراء : قد قصرن أنفسهن على  
أزواجهن فلم يطمعن إلى غيرهم .

وفي الاصطلاح إثبات الحكم المذكور في الكلام ونفيه عما عداه ، أو هو  
تخصيص أمر بأمر بإحدى الطرق الآتية ، والتعريف الثاني أصح لشمول الأول  
لقولك : محمد مقصور على القيام ، وذلك لا يسمى قصرأ اصطلاحاً .

فإذا قلنا : ما سافر إلا علي ، استفيد من ذلك تخصيص السفر بعلي ونفيه عن  
غيره ممن بظن فيه ذلك ، فما قبل إلا مقصور وما بعدها مقصور عليه (ما وإلا)  
طريق القصر .

### المبحث الثاني في طرقه

طرق القصر والاختصاص كثيرة أوصلها السيوطي في كتابه « الاتقان » إلى  
أربعة عشر طريقاً <sup>(٢)</sup> أشهرها ستة تقدم الكلام على اثنين منها وهما توسط ضمير  
الفصل نحو : كلم الله هو موسى ، تعريف المسند بآل نحو : خير الزاد التقوى ،  
ومنتكلم هنا على الأربعة الباقية وهي :

(١) سورة الرحمن الآية ٧٢ .

(٢) منها التصريح بلفظ وحده أو لا غير أو فقط ، أو زيادة الاختصاص ، أو زيادة القصر ،  
وكل هذه ليست من الطرق الاصطلاحية .

| طريق القصر                                                                              | المثال                                                                                                                    | المقصود                                                        | المقصود عليه                                                                     |
|-----------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------|
| النفي والاستثناء<br>إنما<br>العطف (١) بلا<br>(ب) بل<br>(ح) ولكن<br>تقديم ما حقه التأخير | ماشجاع إلا علي<br>إنما الشجاع علي<br>علي شجاع لا خالد<br>ما خالد شجاع بل علي<br>ما خالد شجاع لكن علي<br>بالشجاعة يفوز علي | الشجاعة<br>الشجاعة<br>الشجاعة<br>الشجاعة<br>الشجاعة<br>الشجاعة | ما بعد إلا<br>الأخير<br>المقابل لما بعد لا<br>ما بعد بل<br>ما بعد لكن<br>المتقدم |

١ - ووجه إفادة النفي والاستثناء القصر أنه إذا قيل: ما محمد، توجه النفي إلى صفته لا إلى ذاته، لأن الذوات لا تنفي، ومن حيث إنه لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك، وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولها النفي، فإذا قيل: إلا شاعر جاء القصر، هذا في قصر الموصوف على الصفة، أما في قصر الصفة على الموصوف فإنه متى قيل: ما شاعر، فادخل النفي على الوصف المسلم بثبوته وهو الشعر لغير الشخصين اللذين الكلام فيها كمحمد وعلي مثلاً، توجه النفي إليهما فإذا قيل: إلا محمد، حصل القصر.

٢ - ووجه إفادة إنما القصر تضمنها معنى: ما وإلا، دليل ذلك البراهين الآتية:

- (أ) ما قاله النحاة من كون إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه.
- (ب) ما قاله المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾<sup>(١)</sup> بنصب الميئة من أن المعنى: ما حرم عليكم إلا الميئة، وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميئة لانحصار التحريم فيها، إذ ما في قراءة الرفع اسم موصول، فتقدير الكلام حينئذ إن المحرم الميئة والخبر معرف بلام الجنس فيفيد الحصر كما تقدم.
- (ج) صحة انفصال الضمير معها فتقول: إنما يسافر أنا، كما تقول: ما يسافر إلا أنا، كما قال الفرزدق:

أنا الزائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي<sup>(٢)</sup>

(١) سورة النحل الآية ١٥٥.

(٢) الذرد الطرد، والذمار العهد، وفي الأساس هو الحامي الذمار إذا حمى ما لو لم يحمه لم وعنف، والحسب ما بعده المرء من مفاخر نفسه وآبائه.

إذ لو كان المراد الإيجاب لم يستقم ، لأنك لا تقول : يدافع أنا ، وإنما تقول :  
أدافع ، ولكن لما كان المعنى : ما يدافع إلا أنا ، فصل الضمير كما يفصل مع النفي  
والاستثناء ليتأتى له ما قصد وهو تخصيص المدافع لا المدافع عنه ، إذ لو قال :  
وإنما أدافع عن أحسابهم لصار المعنى أنه يدافع عن أحسابهم لا عن غيرهم ،  
وليس ذلك بمقصود بما فيه من قصور المدح والمقام مقام مبالغة إذ هو في معرض  
التفاخر وعدا المآثر .

قال السكاكي ويذكر لذلك وجه لطيف يسند إلى علي بن عيسى الربعي ، وهو  
أنه لما كانت كلمة إن لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة  
لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ، ناسب أن يضمن معنى القصر  
لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد .

٣ - يراد بالتقديم تقديم ما كان حقه أن يؤخر ، كتقديم الخبر على المبتدأ ،  
وتقديم بعض معمولات الفعل عليه ، نحو : أنا أنجزت مسألتك ، أي وحدي ،  
لمن اعتقد أنك وغيرك أنجزتماها ، أو بمعنى : لا غيري ، لمن اعتقد أن غيرك  
أنجزها دونك .

مركز تحقيق كتب التراث  
وهذه الطرق تفرق من وجوه :

(١) أن التقديم يدل على القصر بفهوم الكلام ، فإن ذا الذوق السليم إذا تأمل  
في كلام فيه التقديم ، فهم منه القصر ، وإن لم يعرف اصطلاح البلغاء في ذلك ،  
والثلاثة الباقية بالوضع اللغوي ، لأن الواضع وضعها لتفيد ذلك .

(٢) أن الأصل أن ينص في العطف على المثبت والمنفي معاً ، فلا يترك ذلك  
إلا خوف التطويل ، كما إذا قيل : محمد يعلم الكيمياء والطب والهندسة والجبر  
والفلك ، أو محمد يعلم الكيمياء ، وإبراهيم وخالد إلى آخره . . فنقول فيها :  
محمد يعرف الكيمياء لا غير ، أي لا الطب ولا الهندسة إلى آخره في الأول ،  
ولا إبراهيم ولا خالد في الثاني ، وينص في الثلاثة الباقية على المثبت فقط .

(٣) أن النفي بلا العاطفة لا يجتمع مع النفي والاستثناء ، فلا تقول : ما محمد  
إلا مجتهد لا كسل ، لأن شرط جواز النفي بلا ، أن يكون ما قبلها منفيًا  
بغيرها ، ولذا عيب على صاحب «الكشاف» حيث قال في تفسير قوله تعالى :

فإذا عزمتم فتوكل على الله ، أي لأن الأصلح لك لا يعلمه إلا الله ، لا أنت ، وعلى الحريري في قوله :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلّى يومه لا ابن أمسه

ويجتمع مع إنما والتقديم فتقول : إنما محمد مجتهد لا كسلان ، وهو مجتهد لا علي ، لأن النفي فيها غير مصرح به ، بل المصرح به هو الاثبات ، فلا يقبح تأكيد ما تضمناه والنفي بلا ، بخلاف ما وإلا فإنه قد صرح فيها بالنفي ، والنفي الصريح ليس كالضمي .

(تنبيه) لا يحسن العطف بعد إنما إذا كان الوصف مختصاً بالموصوف كالتذكر الذي يعلم أنه لا يكون إلا من أولي الألباب في قوله تعالى : ﴿ إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ (١) ، فلا يحسن أن تقول : إنما يتذكر أولوا الألباب لا الجاهل ، كما يحسن أن تقول : إنما يحيى محمد لا علي .

(٤) أن الأصل في (النفي والاستثناء) أن يكون لأمر ينكره المخاطب أو يشك فيه أو لما هو منزل هذه المنزلة - بيان ذلك أنك لا تقول ما هو إلا مخطئ إلا لمن ينكر أن يكون الأمر على ما قلت ، وإذا رأيت شيعاً من بعد فقلت : ما هو إلا علي ، لم تقله إلا والمخاطب يتوهم أنه ليس بعلي .

وأما ما هو منزل هذه المنزلة فكقوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ (٢) أي مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبليغ والتباعد عن الهلاك ، نزل استفظاعهم هلاكه وشدة حرصهم على بقاءه منزلة إنكارهم ذلك .

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا ﴾ (٣) ، لأن الكفار جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشراً مثلهم . وأما قوله تعالى : ﴿ إن نحن إلا بشرٌ مثلكم ولكن الله ينزل على من يشاء من عباده ﴾ (٤) ، فمن باب مجازاة الخصم وتسليم بعض مقدماته لتقطع حجته

(١) سورة الرعد الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

(٣) سورة النحل الآية ٥٨ .

(٤) سورة إبراهيم الآية ١١ .

كما هي العادة فيمن ادعى على خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على وجهه ، كما اذا قال لك من يحاجك في مسألة : أنت من دأبك كيت وكيت ، فتقول : نعم أنا من دأبي كيت وكيت لكن لا ضير علي ولا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت ، فالرسل صلوات الله عليهم كانوا قالوا : إن ما قلتم هو كما قلتم ، لكن ذلك لا يمنع الرسل وفضل الله علينا .

(هـ) ان الأصل في إنما أن تجيء لأمر من شأنه ألا يحمله المخاطب ولا ينكره وإنما يراد تنبيهه فقط ، أو لما هو منزل هذه المنزلة .

تفسير هذا أنك تقول للرجل : إنما هو صاحبك القديم ، وإنما هو أخوك ، لمن يعلم ذلك ويعترف به ، لكنك تريد أن تنبيهه لما يجب عليه من حرمة الصاحب وحق الأخوة لترققه وتستعطف قلبه ، ألا ترى إلى أبي الطيب حين يقول :

إنما أنت والدٌ والأب القا طع أحني من واصل الأولاد

لم يرد أن يعلم كافوراً أنه لابن الأخشىد مولاه بمنزلة الوالد ، ولا كافور في حاجة إلى أن يُعلم بذلك ، لكنه أراد أن يذكره بالأمر المعلوم ليجمعه ذريعة إلى استدعاء ما يستوجبه من العطف والحنان ، ونظير ذلك قولهم : إنما يجعل من يخشى الفوت ، وقوله تعالى : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ﴾ (١) . وأما ما هو منزل هذه المنزلة فكقوله تعالى حكاية عن اليهود : ﴿ إنما نحن مصلحون ﴾ (٢) ، فهم قد ادعوا أن اصلاحهم أمر جلي ظاهر ، ولذا جاء الرد عليهم مؤكداً بأن واسمية الجملة وتعريف الخبر باللام وضمير الفصل وتصدير حرف التنبيه حيث قال : ﴿ ألا أنهم هم المفسدون ﴾ (٣) . ونحو ذلك قول ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

حيث ادعى أن ثبوت هذه الصفة لممدوحه أمر ظاهر ، لا يخفى على أحد ، كما هو دأب الشعراء اذا مدحوا أن يدعوا الشهرة فيما يصفون به ممدوحهم ، ألا ترى إلى البحتري حين يقول :

لا أدعي لأبي العلاء فضيلة حتى يسلمها اليه عداه

(١) سورة الأنعام الآية ٣٦ .

(٢ و ٣) سورة البقرة الايتان ١١ و ١٢ .

هذا وقد علم بالاستقراء أن أحسن موقع تستعمل فيه إنما إذا كان الغرض منها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها نحو: إنما يتذكر أولوا الألباب ، فإنه تعريض بدم الكافرين من حيث أنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بنبي عقل فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب ، ونظيره: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ﴾ (١) إذ المراد أن مَنْ لم تكن له من هذه الحشية ، فكأنه ليس له أذن تسمع ، ولا قلب يعقل ، فالإنذار وعدمه بيان . وعلى ذلك جاء قوله :

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد ما رزقا

فهذا تعريض بأنه لا مطمع له في وصلها فهو يائس منه .

(٦) لأنها مزية على العطف ، وهي أن يعقل منها إثبات الفعل للشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف ، فإنه يفهم منه أولاً الإثبات ثم النفي ، نحو : محمد قائم لا قاعد ، أو بالعكس نحو : ما محمد قائماً بل قاعد .

### المبحث الثالث في تقسيمه باعتبار الواقع والحقيقة (٢)

ينقسم القصر باعتبار الواقع والحقيقة إلى قسمين : حقيقي وإضافي :

| حقيقي                                                                                                                                                                                                                                                                                     | إضافي                                                                                                                                                                                                         |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| هو ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة .<br>والواقع نحو لا معبود بحق إلا الله ، إذ لا معبود بحق في الواقع غير الله تعالى وهو قسمان                                                                                                                                                            | هو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر معين بالنسبة إلى جميع ما عداه نحو ما علي إلا شجاع أي أنه مقصور على صفة الشجاعة لا يتجاوزها                                                                     |
| (١) حقيقي تحقيقاً وهو ما كان التخصيص فيه بالنسبة للحقيقة بحيث لا يتجاوز المقصور المقصور عليه أصلاً نحو : إنما الله كامل إذ لا صفة لله جامعة إلا الكمال في الواقع (٢) حقيقي بحسب الإدعاء والمبالغة يفرض أن ما عدا المقصور عليه في حكم المعدوم فهو : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي | إلى الجبن ، ولا إلى التهور مثلاً ونحو لا صادق إلا علي لمن يعتقد أن الصادق هو محمود ، أو هو محمود ، أو يتردد فيهما ، فيكون المراد نفي الصديق عن غير علي ممن يعتقد المخاطب ، أو يتردد فيه لا نفيه عن جميع الناس |

(١) سورة النازعات الآية ٤٥ .

(٢) لم يذكر هذا التقسيم صاحب «الفتاح» لقلة جدواه .

## المبحث الرابع في تقسيمه باعتبار حال المقصور

ينقسم كل من الحقيقي والإضافي باعتبار حال المقصور الى قسمين :

١ - قصر موصوف على صفة بألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة أخرى أصلاً (في القصر الحقيقي) نحو: ما الله إلا كامل ، وهذا التقسيم متعذر لا يكاد يوجد أو هو محال لتعذر<sup>(١)</sup> الاحاطة بصفات الشيء فلا يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداه ولذا لم يقع في التنزيل ، أو بألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة أخرى مخصوصة وإن أمكن أن يتجاوزها الى صفات أخرى غير تلك الصفة الأخرى المخصوصة (في القصر الإضافي) نحو: ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾<sup>(٢)</sup> فالمقصود قصره على الرسالة بألا يتعداها الى التباعد عن الموت الذي استعظموه ، وهذا لا ينافي أنه متصف بالصحة واليقظة ونحوهما .

٢ - قصر صفة على موصوف بألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف الى موصوف آخر أصلاً (في القصر الحقيقي) نحو: لا يعلم الغيب إلا الله ، أو بألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف الى موصوف آخر مخصوص ، وإن أمكن أن تتجاوزها الى موصوف غير ذلك الموصوف الآخر (في القصر الإضافي) نحو: لا محترم إلا الصادق فالمقصود قصر الاحترام على الصادق دون الكاذب فلا يمنع هذا من احترام الأمين والمخلص لوطنه ونحو ذلك .

## المبحث الخامس في تقسيمه باعتبار حال المخاطب

ينقسم القصر الإضافي<sup>(٣)</sup> باعتبار حال المخاطب الى ثلاثة أقسام:

(١) لأنك اذا قلت: ما محمد إلا كاتب وأردت القصر الحقيقي لزم إلا يتصف بالقيام والقعود مع أنه لا بد أن يتصف بواحد منها ضرورة أن النقيضين لا يجتمعان ، وأيضاً يبعد أن يكون للذات صفة واحدة ليس له غيرها .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

(٣) دون الحقيقي بنوعيه لأن العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات ، ولا اتصافه بجميعها إلا واحدة ، أو يتردد في هذا ، وكيف يكون ذلك وفيها صفات متقابلة ، فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفي عن الباقي أفراداً أو قلباً أو تعييناً ، وعلى هذا النوال قصر الصفة على الموصوف .

١ - قصر أفراد إذا اعتقد المخاطب<sup>(١)</sup> الشركة بين شيئين فأكثر ، نحو :  
إنما الله إله واحد ، خوطب به من يعتقد أن الله ثالث ثلاثة ، بدليل قوله قبلها :  
ولا تقولوا ثلاثة " انتهى خيراً لكم .

٢ - قصر قلب إذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم فتقلب عليه اعتقاده ،  
نحو : ما شاعر إلا شوقي ، ردأ على من زعم أن غيره أشعر منه .

٣ - قصر تعيين إذا كان المخاطب متردداً في الحكم نحو : ما شاعر إلا شوقي  
ردأ على من تردد في إثبات الشعر له ولبعض الشعراء الآخرين .

### المبحث السادس في مواقع القصر

كما يكون القصر بين المبتدأ والخبر ، كما رأيت ، يكون أيضاً بين الفعل  
والفاعل ، وبين الفاعل والمفاعيل بأنواعها إلا المفعول معه ، وكذا بين جميع  
المعمولات ، نحو : ما جاء إلا علي ، وما نال علياً إلا التعب ، وما أعطيت محمداً  
إلا ديناراً ، وما جاء علي إلا راكباً .

فإذا كان القصر : بما وإلا ، وجب تقديم المقصور وتأخير المقصور عليه ، مع  
إلا ونحوها من أدوات الاستثناء نحو : ﴿ وما قلت لهم إلا ما أمرتني به ﴾  
أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴿<sup>(٢)</sup> ، وهو قصر قلب لا أفراد إذ المعنى أني لم أترك  
ما أمرتني أن أقوله لهم إلى خلافه ، بدليل : أنت قلت للناس اتخذوني وأمي  
إلهين من دون الله ، وليس المراد أني لم أزد على ما أمرتني به شيئاً إذ ليس الكلام  
في زيادة أو نقصان في التبليغ .

ويحوز قليلاً تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء ومما بحالهما<sup>(٣)</sup> على المقصور  
نحو : ما كلم إلا محمد خالداً ، وما كلم إلا محمداً خالد ، وعليه قوله :

فيا رب هل إلا بك النصر يرجي عليهم وهل إلا عليك المعول

ووجه إفادة النفي والاستثناء القصر في كل ما تقدم أن النفي في الاستثناء المفرغ  
يتوجه إلى مقدر هو مستثنى منه ، إذ إلا للخارج ، وهو يتطلب مخرجاً منه ،

(١) شرطاً في قصر الموصوف على عدم تنافي الوصفين ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما .

(٢) سورة المائدة الآية ١١٧ .

(٣) فالاختصاص في الذي يلي إلا ، فالمقصود عليه هو الفاعل في الأول والمفعول في الثاني .

وذلك المقدر عام مناسب للمستثنى منه في جنسه وصفته ليتحقق الإخراج ففي نحو : ما فهم إلا محمد ، بقدر ما فهم أحد ، وفي نحو : ما كسوته إلا عبادة ، ما كسوته لباساً ، فإذا أخرج منه شيء جاء القصر ضرورة بقاء ما عدا ذلك الشيء على جهة الانتفاء . وإذا كان القصر بإنما أخطر المقصور عليه ، فيكون القيد الأخير بمنزلة الواقع بعد إلا ، فيكون هو المقصور عليه نحو : إنما محمد قائم وإنما أنشبه زجراً له . ولا يجوز تقديم المقصور عليه على غيره ، لئلا يؤدي إلى الإلباس ، إذ قولك : إنما كلم محمد علياً يفهم عنه عكس قولك : إنما كلم محمداً علي . ولا إلباس في النفي والاستثناء .

قال السكاكي : ومما ذكر تعثر على الفرق بين قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله إنما يخشى العلماء من عبادة الله فإن الأول يقتضي قصر خشية الله على العلماء ، والثاني يقتضي قصر خشية العلماء على الله .

### تدريب أول

بيّن نوع القصر وطريقه فيما يأتي :

- ١ - لا يألّف العلم إلا ذكي ، ولا يحفّوه إلا غبي .
- ٢ - قد علمت سلمى وجاراتها ما قطّر الفارس إلا أنا <sup>(٢)</sup> وعوار مسترده ورخاء بعد شدة
- ٣ - إنما الدنيا هبات شدة بعد رخاء
- ٤ - إن الجديدين في طول اختلافها
- ٥ - بك اجتمع الملك المبدد شمله
- ٦ - ليس اليتيم الذي قد مات والده
- ٧ - محاسن أوصاف المغنين جمّة
- ٨ - عند الامتحان يكرم المرء أو يهان .

(١) سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٢) قطر الفارس ألقاه على قطريه أي جانبيه .

(٣) المبدد المفرق ، والقواصي جمع قاصية : الناحية البعيدة .

(٤) مقن مشهور أيام بني أمية وبني العباس .

## الاجابة

| الجملة                | نوعه باعتبار المقصور | باعتبار الواقع | باعتبار المخاطب | طريقه      |
|-----------------------|----------------------|----------------|-----------------|------------|
| لا يالف العلم إلا ذكي | قصر صفة على موصوف    | حقيقي          |                 | لا والـ    |
| ما قطر الفارس إلا أنا | قصر صفة على موصوف    | اضافي          | تعيين           | ما والـ    |
| إنما الدنيا هبات      | قصر موصوف على صفة    | اضافي          | قلب             | إنما       |
| ان الجدين الى آخره    | قصر صفة على موصوف    | اضافي          | قلب             | العطف ولكن |
| بك اجتمع الملك        | قصر صفة على موصوف    | اضافي          | إفراد           | التقديم    |
| ليس اليتيم الخ        | قصر صفة على موصوف    | اضافي          | قلب             | العطف بيل  |
| ما قصبات السبق الخ    | قصر صفة على موصوف    | اضافي          | إفراد           | ما والـ    |
| عند الامتحان الخ      | قصر صفة على موصوف    | اضافي          | إفراد           | التقديم    |

### تدريب ثان

- ١ - هات جملة تفيد نجاح محمد وعدم نجاح خالد بواسطة إنما .
- ٢ - رد بطريق القصر بإنما على من ظن أن المطر يكثر شتاء في السودان .
- ٣ - اجعل الجملة الآتية دالة على قصر الصفة على الموصوف بطرق القصر الأربع ، وهي ( أكرم المؤدب ) .
- ٤ - ( أ ) من مخاطب بالجملة الآتية فيكون القصر قصر قلب .  
( ب ) من مخاطب بالجملة الآتية فيكون القصر قصر افراد .  
( ج ) من مخاطب بالجملة الآتية فيكون القصر قصر تعيين ، وهي :  
ما كتبت ' إلا ما طلبته مني .
- ٥ - غير الجملة الآتية ، بحيث تفيد للقصر بالعطف ( بك اجتمع الملك المبدد شمله ) .
- ٦ - اجعل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة النفي والاستثناء ( إن الطيور على أشكالها تقع ) .
- ٧ - اجعل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة إنما ( يحمد الناس الصادق ) .
- ٨ - اجعل الجملة الآتية مفيدة للقصر بواسطة العطف ( ينال المجد المجتهد ) .

## الاجابة

- ١ - إنما نجح محمد لا خالد .
- ٢ - إنما يكثر المطر في السودان ربيعاً لا شتاء .
- ٣ - ( أ ) لا أكرم إلا المؤدب .  
( ب ) إنما أكرم المؤدب .  
( ج ) أكرم المؤدب لا سيء الخلق .  
( د ) المؤدب أكرم .
- ٤ - ( أ ) إذا كان المخاطب يعتقد أنك كتبت غير ما طلب .  
( ب ) إذا كان المخاطب يعتقد أنك كتبت ما طلب وغيره .  
( ج ) إذا كان المخاطب متردداً في كتابتك ما طلب وغيره .
- ٥ - اجتمع الملك المبدد شمله بك لا بغيرك .
- ٦ - لا تقع الطيور إلا على أشكالها .
- ٧ - إنما يحمد الناس الصادق .
- ٨ - ينال المجد المجتهد لا الكسلان .

مركز تحقيق كتب علوم الدين  
تتميز أول

بين طريق القصر ونوعه باعتبار المقصود عليه وباعتبار الواقع وباعتبار المخاطب :

- ١ - وما الخوف إلا ما تخوفه الفقى
  - ٢ - وإنما البرء حديث بعده
  - ٣ - وللفقى من ماله ما قدمت
  - ٤ - ما افتريتنا في مدحه بل وصفنا
  - ٥ - ليس عار بأن يقال فقير
  - ٦ - وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
  - ٧ - سيد كرتي قومي إذا جد جدم
  - ٨ - وما بلد الإنسان غير الموافق
  - ٩ - عمر الفقى ذكره لا طول مدته
  - ١٠ - بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
- ولا الأمن إلا ما رآه الفقى أمنا  
فكن حديثاً حسناً لمن وعى  
يداه قبل موته لا ما اقتنى  
بعض أخلاقه وذلك يكفي  
إنما العار أن يقال بخيل  
فإن هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر  
ولا أهله الأدنون غير الأصدقاء  
وموته خزيه لا يومه الداني  
لا بين ملك على جهل واقلال

## تمرين ثان

- ١ - رد بطريق القصر على مَنْ زعم تأخر فن الطب بمصر .
- ٢ - ضع الجملة الآتية بإحدى طرق القصر المتقدمة : يحب الناس المخلص لوطنه .
- ٣ - مَنْ تخاطب بهذه الجملة على طريق قصر القلب : لا ينال العلا إلا مُجدّد .
- ٤ - -حوّل القصر في هذه الجملة الى قصر بإنما : وما قصبات السبق إلا لمعبد .
- ٥ - حوّل طريق القصر الآتي الى نفي واستثناء: وفي الليلة الظلماء يفقد البدر .
- ٦ - رد بطريق القصر على مَنْ زعم قلة الحر في الصعيد .
- ٧ - غيّر الجملة التالية بحيث تفيد القصر بالعطف : بك وثقت .
- ٨ - -ضع الجملة الآتية بحيث تفيد القصر بإنما ( 'يحل' الناس الجواد ) .



مركز تحقيقات كليات علوم وادب

## الباب الحادي عشر في الفصل والوصل

وفيه تمهيد وخمسة مباحث

### تمهيد في دقة مسلكه وعظيم خطره

الفصل والوصل هو العلم بمواضع العطف أو الإستئناف والتهدي الى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها ، أو تركها عند الحاجة اليها ، وذلك صعب المسلك لطيف المغزى كثير الفائدة غامض السر لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي حظاً من حسن الذوق وطبع على البلاغة ورزق بصيرة نقادة في إدراك محاسنها ، ولصعوبة ذلك جعل حداً للبلاغة ، ألا ترى الى بعض البلغاء وقد سئل عن البلاغة فقال : «هي معرفة الفصل والوصل» ، فجعل ما سواه تبعاً ومفتقراً إليه وليس بالخفي أنه لم يرد بذلك إلا التنبيه على غموضه وجليل خطره وأن أحداً لا يكمل في معرفته إلا كمل في سائر فنونها ، فإن سبك الكلام وقوة أسره وشدة ثلاحم أجزائه تحتاج الى صانع صنع وحاذق ماهر يبين بين أقسام الجمل التي تفصل والتي توصل فيرى الفرق واضعاً بين جملتين تترجان حد الامتزاج حتى كأن إحداها الأخرى وجملتين لا تناسب بينهما<sup>(١)</sup> فأحداها مشثمة<sup>(٢)</sup> والأخرى معرقة ، وجملتين هما وسط بين الأمرين فيحكم بوجود الفصل في النوعين الأولين والوصل في النوع الثالث ، واعتبر ذلك بما تراهم قد أجمعوا عليه من النعمي على أبي تمام وهو ما هو ، في قرض الشعر ، ورفيع المنزلة ، في صياغة الكلام ، في قوله يمدح أبا الحسين محمد الهيثم :

(١) المراد بذلك شدة التباين بينهما .

(٢) أي ناحية في الشام .

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت منها طول بالوى ورسوم  
 لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم<sup>(١)</sup>  
 إذ قد وصل (وأن أبا الحسين كريم) بما قبله ولا مناسبة بين كرم أبي الحسين  
 ومرارة النوى ، ولا تعليق لأحدهما بالآخر ، إذ لا يقتضي الحديث ،  
 بهذا الحديث ، بذلك .

### المبحث الأول في وصل المفردات وفصلها

البحث في وصل الجمل وفصلها لا يتضح إلا إذا سبقه الكلام على وصل  
 المفردات وفصلها ، وبيان هذا أن عطف مفرد على آخر يستفاد منه مشاركة  
 الثاني للأول في اعرابه من رقع ، ونصب ، وجر ، ولكن الأكثر في الصفات  
 ألا يعطف بعضها على بعض ، نحو : جاء محمد العاقل الفاضل الكريم ، وسر هذا  
 أن الصفة جارية مجرى موصوفها ، فهي تدل على ذات لها تلك الصفة ، ومن ثم  
 يمتنع عطفها على موصوفها ، فلا يجوز : جاءني محمد والكريم ، على أن الكريم هو  
 محمد ، لأنه لا يصح عطف الشيء على نفسه ، وجاء قليلا عطف بعضها على بعض  
 باعتبار المعاني الدالة عليها ، فنقول : نظرت إلى علي الفاضل ، والمؤدب والكريم ،  
 كأنك قلت : نظرت إلى من اتصف بالفضل والأدب والكرم ، وعلى ذلك  
 جاء قوله :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتبية في المزدحم

### المبحث الثاني في وصل الجمل

وصل الجمل عطف بعضها على بعض بالواو ، أو إحدى أخواتها ، وفائدته  
 تشريك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم ، ومن حروف العطف ما يفيد العطف  
 فمحسب ، وهو الواو ، ولذا قد تخفى الحاجة إليها فلا يدركها إلا من أوتي حظا  
 من حسن الذوق ، ومنها ما يفيد مع التشريك معاني أخرى كالترتيب من غير تراخ

(١) زعمت: أي محبوبته ، عفا: درس و زالت معالها ، والطلول جمع طلل آثار الديار التي  
 هجرها أهلها ، والصبر ثمر شجر مر ، والخطاب في هواك للنفس ، وجواب القسم ما ذكره في  
 البيت بعده :

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسي على إلف سواك تحوم

في الفاء ، وهو مع التراخي في ثم ، وهكذا ، ومن أجل ذلك لا يقع اشتباه في استعمال ما عدا الواو ، ولذا لا يبحث هنا إلا عنها .

والجمل المعطوف بعضها على بعض ضربان :

١ - أن يكون للجملة المعطوف عليها موضع من الاعراب ، وحكم هذه حكم المفرد لأنها لا تكون كذلك حتى تكون واقعة موقعه ، وحينئذ يكون وجه الحاجة فيها الى الواو ظاهراً ، والإشراك بها في الحكم موجوداً ، فإذا قلت : نظرت إلى رجل خلقه حسن ، وخلقه قبيح ، كنت قد أشركت الثانية في حكم الأولى ، وهو كونها في موضع جر صفة للنكرة ، ونظائر ذلك كثيرة ، وخطبها يسير .

٢ - ألا يكون لها موضع من الاعراب ، وتحت هذه نوعان :

( أ ) أن تتفق <sup>(١)</sup> الجملتان خبراً وإنشاءً ، وتكون بينهما مناسبة وجامع يصحح العطف مع عدم المانع ، نحو : ﴿ إِنْ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ونحو : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ ، ويسمى ذلك توسطاً بين الكمالين .

( ب ) أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً ، لكن لو ترك العطف لأوهم خلاف المقصود ، كما تقول : لا وشغاه الله ، جواباً لمن سألك : هل أبل محمد من مرضه ؟ فترك الواو حينئذ يوهم الدعاء عليه مع أن المقصود الدعاء له ، وقد روي أن هارون الرشيد سأل وزيره عن شيء فقال : لا وأيد الله الخليفة . فلما بلغ ذلك صاحب ابن عباد قال : هذه الواو أحسن من الواوات في حدود الملاح .

وقد ذكر صاحب المغرب أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه مر برجل في يده ثوب ، فقال له الصديق : أتبيع هذا ؟ فقال : لا يرحمك الله ، فقال له : لا تقل هكذا وقل لا ويرحمك الله .

ويسمى ذلك كمال الانقطاع مع إيهام خلاف المراد .

(١) المدار في ذلك على اتفاقها خبراً وإنشاءً في المعنى ، سواء كانتا خبريتين لفظاً ومعنى ، أو خبريتين معنى لا لفظاً أو الأولى خبرية معنى لا لفظاً أو بالعكس أو إنشائيتين لفظاً ومعنى أو معنى لا لفظاً أو الأولى خبرية لفظاً والثانية إنشائية أو بالعكس .

(٢) سورة الانقطار الآية ١٤ .

### المبحث الثالث في الجامع

لا بد في الضرب الأول والنوع الأول من الضرب الثاني من صور الوصل من وجود جامع بين الجملتين به تتجاذبان وعليه تعتمدان .

بيان هذا أنه لا يقع العطف موقعه ولا يحل المحل اللائق به إلا إذا وجد بين الجملة الأولى والثانية جهة جامعة نحو : محمد يعطي ويمنع ، ويكتب ويشعر ، ويقبح أن تقول : خرجت من داري ، وأحسن ما قيل من الشعر ، كذا إذا لا صلة بين الثانية والأولى ولا تعلق لها بها .

والجامع<sup>(١)</sup> أما عقلي أو وهمي أو خيالي ، فالعقلي أن يكون بين الجملتين اما :  
(١) اتحاد في المسند اليه أو في المسند ، أو في قيد من قيودهما نحو : محمد يكتب ويشعر ، وقوله :

يشقى الناس ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواماً بأقوام  
وخالد الكاتب أديب ومحمد الكاتب فقيه .

(٢) وإما تماثل واشتراك فيها أو في قيد من قيودهما ، ولا يكفي مطلق تماثل بل التماثل والمراد أن يكون في وصف له نوع اختصاص بالمسند اليه أو المسند أو القيد ، فتحو : محمد شاعر وعمر كاتب ، إنما يحسن إذا كان محمد وعمر أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة .

(٣) وإما تضاف بينهما بحيث لا يتمثل أحدهما إلا بالقياس الى الآخر كالأبوة مع النبوة والعلو مع السفلى والأقل مع الأكثر ، ونحو ذلك .  
والوهمي أن يكون بين الجملتين اما :

١ - شبه تماثل كلوني بياض وصفرة ، فإن الوهم ابرزهما في معرض المثلين ، لكن العقل يعرف أنها نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد وهو اللون ، ومن أجل هذا حسن الجمع بين الثلاثة في قوله :

---

(١) لا بد من وجود الجامع بين المسند اليه في الجملتين ، وكذا بين المسند فيها ، فلو وجدت مناسبة بين المسند اليه فيها فقط أو بين المسند فيها ، كذلك لم يكن ذلك كافياً ولم يصح العطف ، فقد صرح السكاكي بامتناع عطف قول القائل : خفي ضيق ، على قوله : خاتمي ضيق ، مع اتخاذ المسند فيها .

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبواسحاق والقمر<sup>(١)</sup>

٢ - أو تضاد وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف ويتعاقبان على محل واحد كالسواد والبياض والايمان والكفر والقيام والقعود .

٣ - أو شبه تضاد كالسواء والأرض فإنها وإن كان بينهما غاية الخلاف من جهة الارتفاع والانحطاط لا يتعاقبان على محل واحد كما في التضاد .

والخيالي أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الأمرين في الفكر لأسباب مختلفة باختلاف المتكلمين كصناعة خاصة أو عرف عام كالسيف والرمح في خيال الفارس والقلم والقرطاس في خيال الكاتب والدرس والسميرة في خيال الطالب، وهكذا. وللقرآن الكريم في هذا الباب القدح المعلن نحو: ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾<sup>(٢)</sup> ، فبين المسندين فيها تضاد وبين المسند اليه فيها اتحاد وبين القيدتين تضاد ، وقوله عز شأنه : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإنه وإن لم تكن مناسبة بين الإبل والسماء وبينها وبين الجبال والأرض بحسب الظاهر لكن لما كان الخطاب مع العرب والإبل شاعلة لأخيلتهم ، نكونها أعز أموالهم ، وكانت الأرض لرعيها والسماء لسقيها والجبال لالتجائهم اليها عند إلام الملأ ، ناسب إيراد الكلام طبق تخيلاتهم .

وهناك أمثلة تشرح لك ما مضى ، فإذا قلت : العدل نور ، الظلم ظلام ، كان هناك تقابل وتضاد بين كل من المسند اليه والمسند في الجملتين ، وإذا قلت : الأمير يصل ويقطع ، فيها اتحاد في المسند اليه فيها وتقابل بين المسند ، وإذا قلت : أقبل علي وأدبر أخوه ، كان فيها تماثل بين المسند اليه فيها وتقابل بين المسند ، وهم جراً .

(١) فالوهم يتبادر اليه أن هذه الثلاثة من نوع واحد كأن كلا منها شمس ، لكنها اختلفت بالموارد الشخصية .

(٢) سورة التوبة الآية ٨٢ .

(٣) سورة الفاشية الآيتان ١٧ و ١٨ .

## المبحث الرابع في محسنات الوصل

٤- يزيد الوصل حسناً بعد وجود المصحح المجوز للعطف ، اتحاد الجملتين في الكيفية كأن تكونا اسميتين أو فعليتين أو شرطيتين أو ظرفيتين ، ثم في الاسميتين اتفاقهما في كون الخبر اسماً أو فعلاً ماضياً أو مضارعاً ، وفي الفعليتين اتفاقهما في كونها ماضويتين أو مضارعيتين إلا لداع يدعو الى التخالف وذلك :

١ - بأن يقصد التجدد في إحداها والثبات في الأخرى كقوله تعالى حكاية عن قوم إبراهيم : ﴿ أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فهم كانوا يزعمون أن اللعب حال إبراهيم المستمرة فاستفهموا عن تجدد مجيئه لهم بالحق .

٢ - بأن يقصد المضي في إحداها والاستقبال في الأخرى كقوله تعالى : ﴿ ففريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فقد عبر بالمضارع في الثانية ، وإن كان القتل في الماضي لاستحضاره في النفوس وتصويره في القلوب بياناً لفظاً .

٣ - بأن يقصد الإطلاق في إحداها والتقييد في الأخرى ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فقد أطلقت الجملة الأولى وقيدت الثانية بالإنزال ، إذ الشرط قيد في الجواب .

## المبحث الخامس في الفصل

من حق الجمل اذا ترادفت ووقع بعضها في إثر بعض أن تربط بالواو لتكون متسقة منتظمة ، وقد يعرض لها ما يوجب ترك الواو ، ويسمى ذلك فصلاً ، ويكون في خمس أحوال :

١ - كمال الاتصال ، وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي ، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد ، وهذا يكون في :

( أ ) باب التوكيد ، لزيادة التقرير أو لدفع توهم تجوز أو غلط ، سواء أكان

(١) سورة الأنبياء الآية ٥٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٨٧ .

(٣) أي : ملا أنزل عليه ملك فتؤمن به ، ولكنه لو حصل ذلك لقضي الأمر بهلاكهم لعدم إيمانهم به (سورة الأنعام) .

تأكيداً لفظياً ، نحو : ﴿ فمهل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾ <sup>(١)</sup> أم تأكيداً معنوياً  
 نحو : ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريمٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فإنه إذا كان ملكاً  
 لم يكن بشراً ، فإثبات كونه ملكاً تأكيداً وتحقيقاً لنفي كونه بشراً . وعليه  
 قول الشاعر :

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

(ب) باب البديل والمقتضى له كون الثانية أوفى بالمطلوب من الأولى والمقام  
 يستدعي عناية بشأن المراد سواء أكان بديل كل نحو : ﴿ بل قالوا مثل ما قال  
 الأولون قالوا أنذا متنا ﴾ <sup>(٣)</sup> أم بديل بعض نحو : ﴿ أمدٌ كم بما تعلمون أمدٌ كم  
 بأنعام وبنين وجنات وعيون ﴾ <sup>(٤)</sup> أبدلت الثانية من الأولى تنبيهاً إلى نعم الله  
 على عباده وهي أوفى مما قبلها لدالاتها على المراد مع التفصيل من غير إحالة على  
 علم المخاطبين لعنادهم واستكبارهم ، أم بديل اشتغال نحو : ﴿ اتبعوا المرسلين  
 اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ <sup>(٥)</sup> أبدلت الثانية من الأولى بديل  
 اشتغال ، لأنها أبين في المراد وهو حمل المخاطبين على اتباع الرسل <sup>(٦)</sup> ، وعليه  
 قول الشاعر :

أقول له إرحل لا تقيم عندنا وإلا فكن في السر والظهر مسلماً <sup>(٧)</sup>

فسياق الحديث في إظهار كراهته وإقامته ، لأنه يسرّ غير ما يعلن ، وجلة  
 لا تقيم أدل على هذا الغرض ولا سيما مع التأكيد بالنون .

(ج) باب عطف البيان ، والداعي إليه خفاء الأولى ، والمقام يستدعي إزالة

(١) سورة الطارق الآية ١٧ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣١ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٨٢ .

(٤) سورة الشعراء الآيتان ١٣٢ و ١٣٣ .

(٥) سورة يس الآيتان ٢٠ و ٢١ .

(٦) إذ مفادها انكم لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وترجعون صعدة دينكم وينتظم لكم  
 خيرا الدنيا والآخرة .

(٧) يطلب منه الرحلة ، لأن باطنه ليس كظاهره لأنه يتناول أعراضهم .

هذا الخفاء ، نحو : ﴿ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْكٍ لا يَبْلَى ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ يسومونكم 'سوء العذاب يذبحون أبناءكم ﴾ <sup>(٢)</sup> . وعليه قول الشاعر :

كفى زاجراً للمرء أيام دهره      تروح له بالواعظات وتغتذى

٢ - كمال الانقطاع ، وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام دون إيهام خلاف المراد ، وتحت هذا نوعان :

( أ ) أن تختلفا خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى نحو قوله تعالى : ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وقول الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلانقه      في وجهه شاهد من الخبر

أو تختلفا معنى فقط ، نحو قولك : نجح فلان وفقه الله ، وقول الشاعر :

جزى الله الشدائد كل خير      عرفت بها عدوي من صديقي

( ب ) ألا تكون بينهما مناسبة في المعنى ، ولا ارتباط بين المسند اليه فيها ، ولا بين المسند ، نحو قوله :

إنما المرء بأصغريه      كل امريء رهن بما لديه

٣ - شبه كمال الاتصال ، وهو أن تكون الجملة السابقة كاللورد للسؤال أو المنشأ له ، فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال ، ويسمى الفصل لذلك استئنافاً ، وهو على ثلاثة <sup>(٥)</sup> أضرب ، لأن السؤال الذي تضمنته الجملة ، إما :

(١) سورة طه الآية ١٢٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٩ .

(٣) سورة الحجرات الآية ٩ .

(٤) سورة الفاتحة الآية ٣ .

(٥) لأن السامع إما أن يحل السبب من أصله ، فيسأل عنه ، وإما أن يتصور نفى جميع الأسباب إلا سبباً خاصاً يتردد في حصوله أو نفيه ، فيسأل عنه ، وأما عن غير السبب بأن ينبهم عليه شيء مما يتعلق بالجملة الأولى .

( أ ) عن سبب عام للحكم ، نحو :

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائسهم وحزن طويل

كان المخاطب لما سمع قوله عليل ، قال ما سبب علتك ، فقال : سهر دائسهم وحزن طويل .

( ب ) وأما عن سبب خاص كقوله تعالى : ﴿ وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ <sup>(١)</sup> ، كأنه قيل : هل النفس أمارة بالسوء ؟ فقيل : نعم إن النفس لأمارة بالسوء ، وهذا يقتضي تأكيد الحكم الذي في جملة الجواب ، كما سبق لك في أضرب الخبر ، وعليه قول الشاعر :

يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الكريم يرى في ماله سبلا

كأنه قيل : فماذا يرى الكريم من ماله ، فقيل : إن الكريم .. الخ .

( ج ) وأما عن غيرهما كقوله تعالى : ﴿ قالوا سلاماً قال سلام ﴾ <sup>(٢)</sup> كأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ، فقيل : « قال سلام » ، وعليه قوله :

زعم الموائل أنني في عمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي <sup>(٣)</sup>

إذ مساق الكلام في إظهار الشكوى من العذال ، وذلك مما يدعو السامع لأن يسأل : أصدقوا أم كذبوا ، فقيل : صدقوا .

وقد يحذف صدر الجواب ، اسماً كان أو فعلاً ، نحو : ﴿ يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال ﴾ <sup>(٤)</sup> فيمن قرأه بالبناء للمفعول ، كما قد يحذف الجواب كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول مساور بن هند هجو بني أسد :

زعمت أن إخوانكم قريش لهم ألف وليس لكم إلف <sup>(٥)</sup>

(١) سورة يوسف الآية ٥٣ .

(٢) سورة الذاريات الآية ٢٥ .

(٣) الموائل جمع عاذلة ، يراد هنا جماعة عاذلة بدليل قوله صدقوا ، والغمرة الشدة .

(٤) سورة النور الآية ٣٦ .

(٥) إلف في الرحلتين المعروفتين لهم في التجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام ، وبعده :

أولئك أومنوا جوعاً وخوفاً وقد جاءت بنو أسد وخافوا

فحذف الجواب وهو كذبت في زعمكم وأقام مقامه قوله لهم : إلف.. الخ ،  
لدلالته عليه .

قال عبد القاهر : واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصلاً غير  
معطوف هذا هو التقدير فيه والله أعلم ، أعني مثل قوله : ﴿ هل أتاك حديث  
ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون  
فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة  
قالوا لا تخف ﴾ <sup>(١)</sup> فقد جاء على ما يقع في أنفس المخاطبين إذا قيل : دخل قوم  
على فلان فقالوا كذا أن يقولوا فما قال هو ويقول المحيب قال كذا أخرج الكلام  
ذلك المخرج ، لأن الناس خوطبوا بما يتعارفون .

وقال السكاكي : وتنزيل السؤال المفهوم من الكلام السابق منزلة الواقع  
لا يصار إليه إلا لاعتبارات لطيفة كإغناء السامع عن أن يسأل ، أو ألا يسمع  
منه شيء تحقيراً له ، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى  
بتقليل اللفظ ، بترك السؤال ، وترك العاطف ، إلى غير ذلك ، مما ينخرط في هذا  
السلك . اهـ .

مركز تحقيق كتب التراث

٤ - شبه <sup>(٢)</sup> كمال الانقطاع ، وهو أن تسبق جملة يحملتين يصح عطفهما على  
إحدهما ، ولا يصح عطفها على الأخرى لفساد المعنى ، فيترك العطف دفعا لهذا  
الوهم ، ويسمى الفصل حينئذ قطعاً ، كقوله :

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهم

فبين الجملتين مناسبة ظاهرة لاتحاد المستدين ، لأن المعنى أراها أظنها ،  
وكون المسند إليه في الأولى محبوباً والثانية محباً ، ولكن ترك العطف لئلا يتوهم  
أنه عطف على أبغي ، فيكون من مظهرات سلمى ، كالمعطوف عليه ، وهو  
خلاف المراد <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة الذاريات الآيات ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ .

(٢) الفرق بينه وبين الانقطاع إن المانع هنا خارجي يمكن إزالته ، وهناك مانع ذاتي .

(٣) لأنه إنما يريد الحكم على سلمى بخطئها في الظن حين ظنت أنه يبغي بها بدلاً ، يدل على  
ذلك قوله قبله :

زعمت هوأك عفا الغداة كما عفا عنها طلال باللوى ورسوم

هـ - التوسط بين الكمالين ، وهو أن تكون الجملتان متناسبتين ، ولكن يمنع من العطف مانع وهو عدم قصد التشريك في الحكم كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَا إِلَى شَاطِئِنِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ <sup>(١)</sup> فجملة الله يستهزيء بهم لا يصح عطفها على إنا معكم لاقتضائه أنها من مقول المذافقين ، وليس ذلك كذلك ، ولا على جملة قالوا لأنه يكون المعنى ، فإذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم ، وهذا لا يستقيم ، لأن استهزاء الله بهم بأنت خذلهم وخلاهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجاً إياهم من حيث لا يشعرون إنما هو على نفس الاستهزاء وفعلهم له وإرادتهم إياه في قولهم آمنا ، لا على أنهم حدثوا عن أنفسهم بأنهم مستهزئون ، إذ المؤاخضة على اعتقاد الاستهزاء والتحديعة في إظهار الإيمان لا في قولهم : إنا استهزأنا ، من غير أن يقرن بذلك القول اعتقاد ونية .

( تنمة ) لما كانت الجملة الحالية نارة تجيء بالواو ، وأخرى بغيرها ، ناسب أن تذكر عقب الوصل والفصل ، وذلك أن الحال نوعان : لازمة <sup>(٢)</sup> ومنقلة <sup>(٣)</sup> ، ويفترقان في أن الأولى لا تقترب بوار التنة ، وتكون وصفاً غير ثابت كاسم الفاعل والمفعول ، نحو : جاء علي ضاحكاً ، ويمتنع جاء علي طويلاً أو أبيض ، ويشتركان في شيئين :

١ - أنهما يأتیان عاريين من حرف النفي ، تقول : هو الحق بينا ، وجاء علي مستبشراً ، ولا يجوز أن تقول : لا خفياً في الأول ، ولا عبوساً في الثاني .

٢ - أنهما يكونان بغير واو لأسباب ذكرها في الايضاح ، وهي :

( أ ) أن إعراب الحال أصلي ، ليس تبعاً لغيره ، ولا مجال للواو في المغرب أصالة ، إذ الاعراب دال على التعلق المعنوي ، المغني عن الاحتياج ، إلى تعلق آخر .

(١) سورة البقرة الآية ١٤ .

(٢) سواء وردت بعد جملة فعلية نحو : خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها ، أم اسمية نحو : هذا أبوك عطوفاً .

(٣) أي غير لازمة لصاحبها بل تفيد معنى حال نسبة العامل الى صاحب الحال .

(ب) أن حكم الحال مع صاحبها كحكم الخبر مع الخبر عنه <sup>(١)</sup> ، إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم يحصل به أصالة في ضمن شيء آخر ، والحكم بها إنما يحصل ضمن غيرها ، فإن الركوب في قولك : جاء خالد راكباً ، محكوم به على خالد ، لكن بالتبعية للرجيء ، وجعله قيداً له .

(ج) أن الحال وصف لذي الحال ، فلا تدخل عليها الواو كالنعت <sup>(٢)</sup> . لكن خولف هذا الأصل وجاءت الحال مقترنة بالواو إذا كانت جملة لأنها من حيث هي جملة <sup>(٣)</sup> مستقلة بالإفادة لا بد لها من ربطها بما جعلت حالاً عنه .

والصالح للربط شيان : الواو ، والضمير ، والثاني هو الأصل بدليل أنه يقتصر عليه في الحال المفردة والنعت والخبر .

والجمل التي تقع حالاً ضربان :

١ - خالية عن ضمير ما تقع حالاً عنه ، وهذه يجب أن تقترن بالواو حق لا تنقطع عما قبلها ، ويستثنى منها المضارع المثبت على ما سيجيء .

٢ - غير خالية عن ضمير ما تقع حالاً عنه ، وهذه تارة تجب فيها الواو ، وطوراً تمتنع فيها ، وحيناً يجوز الأمران .

( أ ) فإن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع فيها الواو كقوله تعالى : ﴿ وجاءوا أيام عشاء يبيكون ﴾ <sup>(٤)</sup> . وقول الشاعر :

ولقد أغتدي يدافع ركني أحوذني ذو ميعة إضريح <sup>(٥)</sup>

وسر هذا أن الحال المتنقلة تدل على حصول صفة غير ثابتة مع مقارنة حصولها لما جعلت قيداً له وهو عاملها .

---

(١) ما جاء من الأخبار بالواو كخبر باب كان في قول الحماسي :

فلسما صرح الشرر فأمسى وهو عريان

وقولهم : ما أحد إلا وله نفس أمارة بالسوء ، فمحمول على الحال لشبهها به .

(٢) ما جاء من الجملة الوصفية مصدراً بالواو ونحو : أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، فمحمول ومشبّه بالحال .

(٣) أما من حيث هي حال فهي متوقفة على التعليق بكلام سابق قصد تقييده بها .

(٤) سورة يوسف الآية ١٦ .

(٥) أغتدي أذهب غدرة مبكراً ، والأحوذني السريع ، والأضريح الفرس السريع .

والمضارع المثبت يفيد الأمرين فيدل على الحصول غير الثابت من قبل كونه  
فعلاً يدل على التجدد ، ويدل على المقارنة من جهة كونه مضارعاً وهو حقيقة في  
الحال ، وقد ورد قليلاً قرنها بالواو ، كقولهم : قمت وأصك وجهه ، وقول  
عبد الله بن همام السلوي :

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا<sup>(١)</sup>

فاختلفت الأئمة في تأويله ، ف قيل : إنه على حذف المبدأ ، أي : وأنا أصك  
وأنا أرهنهم ، فهي جملة اسمية .

وقال عبد القاهر : ليست الواو فيها للحال ، بل هي للعطف ، لأن أصك  
وأرهن بمعنى صككت ورهنت ، عبر فيها بلفظ المضارع حكاية للحال الماضية<sup>(٢)</sup>  
كما في قوله :

ولقد أمر على اللئيم يستحي فمضيت ثم قلت لا يعنيني

يدل لذلك أن الفاء قد تجيء مكان الواو في مثل هذا .

(ب) وإن كانت فعلية ذات مضارع منفي بلا أو ما استوى فيها الأمران ،  
فمن مجيئها بالواو قراءة بن ذكوان فاستقيا ولا تتبعان<sup>(٣)</sup> بالتخفيف ، وقول بعض  
العرب : كنت ولا أخشى الذئب<sup>(٤)</sup> ، وقول مسكين الدرامي :

أكسبته الورق البيض أبا ولقد كان ولا يدعى لأب<sup>(٥)</sup>

ومن ترك الواو قوله تعالى : ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقول خالد بن يزيد  
ابن معاوية :

لو أن قوماً لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

(١) الأظافير هنا الشوكة والقوة ، والمعنى : لما خفت منهم هربت وجعلت مالكا رهناً لديهم .

(٢) هي أن يفرض ما كان في الماضي واقعاً الآن لغرابته أو الإعجاب به .

(٣) وإنما لم تكن للعطف لامتناع عطف الخبر على الانشاء وعلى قراءة تشديد النون ، فالواو  
للعطف ، ولا نافية .

(٤) أخشى : أخوف .

(٥) الورق : الفضة .

(٦) سورة المائدة الآية ٦٤ .

وسبب ذلك دلالة على المقارنة لكونه مضارعاً ، ويناسب ذلك ترك الواو وعدم الحصول ، ويناسبه ذكرها .

(ج) وإن كانت فعلية ذات ماض لفظاً ومعنى ، فكذلك يجوز فيها الأمران فمن مجيئها بالواو قوله تعالى : ﴿ أَنى يكون لى غلامٌ وقد بلغنى الكبر ﴾ (١) ، وقول امرئ القيس :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى السر إلا لبسة المتفضل (٢)  
ومن ترك الواو قوله عز وجل : ﴿ أو جاءوكم حصرت صدورهم ﴾ (٣) ، وقول عمرو ابن كلثوم :

فأبوا بالرماح مكسرات وأبنا بالسيوف قد انحنينا  
وشرط ذلك ألا تقع بعد إلا أو (أو العاطفة) وإلا امتنع الاقتران بها، نحو :  
﴿ وما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ (٤) ، وقوله :

كن للخليل نصيراً جار أو عدلاً ولا تشح عليه جاد أو بخلاً  
(د) وكذا الماضوية معنى فقط (هي المضارع المنفي بلم أو لما) فن مجيئها بالواو قول كعب بن زهير :

لا تأخذنسى بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل  
وقوله عز اسمه : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ (٥) ، ومن تركها قوله تعالى : ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ﴾ (٦) ، وقوله :

فقالت له العينان سمعاً وطاعة وحذرًا كالدرا لما يشقب  
وسبب جواز الأمرين أنه إذا كان الماضي مثبتاً دل على حصول صفة غير ثابتة

(١) سورة آل عمران الآية ٤٠ .

(٢) نضى الثوب ونضاه : خلعه ، ولبسة المتفضل : كساء رقيق ، يلبس عند النوم .

(٣) سورة النساء الآية ٩٠ .

(٤) سورة الحجر الآية ١١ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢١٤ .

(٦) سورة الأحزاب الآية ٢٥ .

لكونه فعلاً ، وهذا مما يناسبه ترك الواو لمشايعته المفرد ، ودل على عدم المقارنة  
لكونه ماضياً ، ولأجل هذا اشترط فيه أن يكون بقدر إما ظاهرة أو مقدرة ،  
حتى يقرب من الحال ، وهذا مما يناسبه ذكر الواو لبعده عن تلك المشابهة .

وإن كان الماضي منفياً دل على المقارنة دون الحصول ، ذلك أن لما لاستغراق  
النفي من حين الانتفاء الى زمن التكلم ، وغيرها لانتفاء متقدم والأصل فيه أن  
يستمر فيحصل بهذا الاستمرار الدلالة على المقارنة عند الانطلاق وترك التقييد  
بما يدل على انقطاع ذلك الانتفاء .

( هـ ) وإذا كانت جملة اسمية فالمشهور جواز الأمرين ، لكن مجيء الواو أولى  
فمن وجودها قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقول  
أمرئ القيس :

أبقتني والمشرق في مضاجعي ومسنونة "زرق" كأنياب أغوال  
ومن تركها ما رواه سيبيو : كلمته فوه إلى في ، وما أنشده الجوهري من  
قول بلال :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة ~~طوي~~ بمكة حولي إذخر وجليل <sup>(٢)</sup>

وإنما جاز الأمران ، لأن الجملة الاسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة ،  
وهذه يناسبها سقوط الواو ، لا على حصول صفة غير ثابتة لدالتها على الدوام  
والثبات ، فهي بعكس الماضي المثبت ، وهذا مما يستدعي وصلها بها . وإنما كان  
المجيء أولى ، لأنها ليس فيها دلالة على عدم ثبوت الصفة بل هي تدل على الثبوت  
مع ظهور الاستثناء فيها ، إذ هي مستقلة بالفائدة فيحسن زيادة رابط يؤكد  
الرابط ويقويه .

وقال عبد القاهر : إن <sup>(٣)</sup> كان المبتدأ ضمير ذي الحال وجبت الواو ، نحو :  
جاء زيد ، وهو يسرع ، أو وهو مسرع .

(١) سورة البقرة الآية ٢٢ .

(٢) الاذخر نبات طيب الرائحة ، الواحد إذخرة ، والجليل النخلة العظيمة الكثيرة الحمل .

(٣) فهو يخالف المشهور في أنه حكم على غير المبدوءة بالظرف ، وغير ما دخل عليها حرف

على المبتدأ وغير المعطوفة على مفرد بوجوب الواو فيها إذا بدئت بضمير ذي الحال ويجوز الأمرين  
فيما عدا ذلك مع أرجحية الذكر .

وعلة ذلك أن الفائدة كانت حاصلة بقوله : يسرع ، من غير ذكر الضمير ،  
فالإتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافي للاتصال ، فلا يكفي الضمير حينئذ  
في الربط ، بل لا بد من الواو .

وقال أيضاً : إن كان الخبر في الجملة الاسمية ظرفاً قد قدم على المبتدأ كقولنا  
جاء زيد على كتفه سيف ، وفي يده سوط ، كثر فيها أن تجيء بغير واو ،  
كقول بشار :

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها      خرجت من البازي علي سواد<sup>(١)</sup>  
وقول أبي وائلة في عبد الملك بن المهلب :

لقد صبرت للذل أعواد منبر      تقوم عليها في يدك قضيب

والوجه أن يقدر الاسم في هذه الأمثلة مرتفعاً على الفاعلية بالظرف ، فإنه  
جائز باتفاق صاحب «الكتاب» والأخفش لاعتداده على ما قبله .

ويقدر متعلقه على ما اختاره عبد القاهر : اسم فاعل لا فعلاً ، إلا إذا قدر  
ماضياً مع قد .

وقال أيضاً : ومما ينبغي أن يراعى في هذا الباب أنك ترى الجملة جاءت  
حالا بغير واو ، ويحسن ذلك من أجل حرف دخل عليها ، كقول الفرزدق :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما      بنى حوالي الأسود الحوارد<sup>(٢)</sup>

لأنه لو لا دخول كأن عليها لم تحسن إلا بالواو ، كأن يقال : وبني حوالي...  
وشبيه بهذا أنك ترى الجملة قد جاءت حالا ، بعقب مفرد ، فلفظ مكانها ،  
كقول ابن الرومي :

والله يبقيك لنا سالماً      برداك تبجيل وتعظيم<sup>(٣)</sup>

فبرداك تبجيل في موضع حال ثانية لو لم يتقدمها قوله : سالماً ، لم يحسن فيها  
ترك الواو .

(١) علي سواد أي بقية من الليل .

(٢) الحوارد : الغضاب ، قاله يخاطب زوجته ، وقد عبرته لأنه لا يولد له .

(٣) البرداك ثنية برد ، وهو الثوب .

## تدريب أول

بيّن سبب الفصل والوصل فيما يأتي :

- ١ - اخط مع الدهر إذا ما خطا      واجر مع الدهر كما يجري
- ٢ - حكم المنية في البرية جاري      ما هذه الدنيا بدار قرار
- ٣ - لا تدعه إن كنت تنصف ثاباً      هو في الحقيقة نائم لا نائب
- ٤ - من المحافل والجحافل والسرى      فقدت بفقدك نيراً لا يطلع<sup>(١)</sup>
- ٥ - قالت بليت فما نراك كعمدا      ليت العهود تجددت بعد البلى
- ٦ - ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾<sup>(٢)</sup>
- ٧ - ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا لى مستكبراً كان لم يسمعها كان في أذنيه  
وقراً﴾<sup>(٣)</sup>
- ٨ - ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ قال رب السموات والأرض وما بينهما  
إن كنتم موقنين<sup>(٤)</sup>

## الاجابة

- (١) وصل بين الجملتين المتوسط بين الكمالين مع عدم المانع من العطف  
لاتفاقها إنشاء مع وجود المناسبة.
- (٢) فصل الشطر الثاني عن الأول لأنه توكيد معنوي له إذ يفهم من جريان  
حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء ، فأكد ذلك بالشرط  
الثاني ، فبينها كمال الاتصال .
- (٣) فصل الشطر الثاني عن الأول لاختلافها خبراً وإنشاء ، فبينها كمال  
الانقطاع .
- (٤) فصل بين الشطرين لاختلافها خبراً وإنشاء فبينها كمال الانقطاع .

(١) الجحافل الجيوش ، والسرى سير عامة الليل .

(٢) سورة النمل الآية ٨٨ .

(٣) سورة لقمان الآية ٧ .

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٣ .

(٥) بين الشطرين كمال الانقطاع لاختلافهما خبراً وإنشاءً ، ولذا فصل بينهما .

(٦) بين جملتي : ترى وتحسب ، كمال الاتصال ، لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى .

(٧) فصل الجملة الثانية والجملة الثالثة عن الأولى ، لأن كلا منهما تأكيد معنوي للأولى .

(٨) فصل جملة قال الثانية ، لوقوعها جواباً عن سؤال مقدر نشأ من الأولى ، فبينهما شبه كمال الاتصال .

### تدريب ثان

بين سبب الفصل والوصل ، واذكر الجمل الحالية فيما يلي :

- ١ - نفسي له نفسي الفداء لنفسه لكن بعض المالكين عفيف
- ٢ - ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى ﴾<sup>(١)</sup>
- ٣ - ﴿ يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم توفقون ﴾<sup>(٢)</sup>
- ٤ - فما الحداثة عن حلم بمناعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
- ٥ - هوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان
- ٦ - إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ولا تك بالترداد للرأي مفسداً
- ٧ - فاشرب هنئاً عليك التاج مرتقفاً في رأس غمدان دار منك محلا<sup>(٣)</sup>
- ٨ - مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدو

### الاجابة

(١) بين نفسي له ونفسي الفداء لنفسه كمال الاتصال ، لأن الثانية تأكيد لفظي للأولى .

(٢) بين الجملتين كمال الاتصال ، لأن الثانية تأكيد معنوي للأولى ، لأن تقرير كونه وحياً نفي لأن يكون عن هوى .

(١) سورة النجم الآية ٣ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢ .

(٣) المرتفق التكمي ، وغمدان حصن بصنعاء ، وروضة محلال يكثر حلول الناس فيها

- (٣) بين يدبر ويفصل كمال الاتصال لأن الثانية بدل بعض من كل .
- (٤) بين الشطرين شبه كمال الاتصال ، إذ الجملة الثانية جواب عن سؤال مقدر .
- (٥) بين الشطرين كمال الاتصال ، إذ الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيداً معنوياً .
- (٦) وصل الجملتين لتوسطهما بين الكمالين لاتحادهما إنشاء مع وجود المناسبة وعدم المانع مع من العطف .
- (٧) جملة (عليك التاج) في موضع الحال ، ويكثر فيها ترك الواو لتقدم الظرف .
- (٨) جملة (لا يريدون الرواح) حال ، وهي مضارع منفي ، فيجوز فيها ذكر الواو وتركها وإن كان الأكثر في النفي بلا ترك الواو .

### تمارين أول

بيّن أسباب الفصل والوصل واستخرج الجمل الحالية فيما يلي :

- ١ - ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم﴾<sup>(١)</sup>
- ٢ - يقولون إني أحمل الضيم عندهم أعوذ بربي أن يضام نظيري
- ٣ - لست مستسقياً لقبرك غيثاً كيف يظما وقد تضمن بحراً
- ٤ - ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾<sup>(٢)</sup>
- ٥ - ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾<sup>(٣)</sup>
- ٦ - الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
- ٧ - ولست بهيباب لمن لا هيبابي ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
- ٨ - متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السراويل
- ٩ - لا تأمنن عدواً لأن جانبه خشونة الصل عقبي ذلك اللين

(١) سورة النحل الآية ١٢٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة الآية ٨ .

## تمرین ثان

- ١ - أتيناكم قد عمكم حذر العدا      فنلتم بنا أماناً ولم تعدموا نصرا
- ٢ - إن تلقني لا قرى غيري بناظرة      تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد
- ٣ - ولولا جنان الليل ما آب عامر      الى جعفر سرباله لم يـزق<sup>(١)</sup>
- ٤ - يزعم صديقي أني أحسده على نعمته أراه مخطئاً فيما زعم
- ٥ - والغدر بالعهد قبيح جداً      شر الورى من ليس يرى العهدا
- ٦ - يا من يقتل من أراد بسيفه      أصبحت من قتلاك بالإحسان
- ٧ - بانت قطام ولما يحظ ذو مقه      منها بوصل ولا إنجاز ميعاد
- ٨ - كأن فئات العهن في كل منزل      تزلن به حب الفنا لم يحطم<sup>(٢)</sup>
- ٩ - مَن أغفل الشعر لم تعرف مناقبه      لا يحتنى ثمر من غير أغصان



مرکز تحقیق و پژوهش علوم اسلامی

(١) جنان الليل ظلمته الخالكة ، والسربال السراويل .  
(٢) العهن الصوف الأحمر ، والفنا واحدته فناة غيب الثعلب ، وحبه أحمر ما لم يكسر .

## الباب الثاني عشر في الإيجاز والاطناب والمساواة

وفيه خمسة مباحث

### المبحث الأول في دقة مسلكها واختلاف الأئمة في تعريفها

هذا الباب أساس في بنيان الفصاحة وركن ركين في تكوين ملكة البلاغة ،  
حتى نقل صاحب « سر الفصاحة » عن بعضهم أنه قال : « البلاغة هي الإيجاز  
والاطناب » .

واعلم أن علماء البيان افترقوا فرقتين : فرقة منهم ثبتت واسطة بين الإيجاز  
والاطناب هي المساواة ، وعليها درج السكاكي ومن تبعه وقالوا إنها ليست محودة  
ولا مذمومة ، وفرقة منها ابن الأثير في جماعة ذهبوا إلى نفي الواسطة ، ومن ثم  
قسموا إيجاز غير الحذف قسمين : إيجاز تقدير وهو ما ساءى لفظه معناه من غير  
زيادة وهذه هي المساواة على الرأي الأول ، وإيجاز قصر وهو ما يزيد معناه  
على لفظه .

ومن هذا تعلم أن الخلاف بينهم في الاسم ، لا في المسمى ، والطريقة الأولى  
أشهر بين أئمة الفن ، ولذا قد جرينا عليها .

### المبحث الثاني في الإيجاز

الإيجاز لغة التقصير ، يقال : أوجز في كلامه ، إذا قصره ، وكلام وجيز  
أي قصير .

وفي الإصطلاح اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل ، أو هو التعبير عن  
المقصود بلفظ أقل من المتعارف<sup>(١)</sup> وافٍ بالمراد لفائدة<sup>(٢)</sup> .

(١) أي متعارف أوساط الناس على ما سيأتي في المساواة .

(٢) والفائدة كون المأني به هو المطابق للحال ولا مقتضى للمدول عنه .

فإذا لم يفِ كان إخلالاً وحذفاً رديئاً كقول الحارث بن حازم اليشكري :

والعيش خير في ظلا ل النوك من عاش كذا<sup>(١)</sup>

لا شك أنه يريد : والعيش الناعم الرغد خير في ظلال النوك والحق من العيش الشاق في ظلال العقل ، لكن لحن كلامه لا يدل على هذا ، إلا بعد التأمل ، وإمعان النظر .

وقول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا فإنه يريد : إذ يقتلون نفوسهم في السلم .

وقول بعضهم نثراً :

(فإن المعروف إذا زجا<sup>(٢)</sup> كان أفضل منه إذا توفر وأبطأ)

لا شك أنه يريد : إذا قلّ زجا وهو ضربان : إيجاز حذف ، وإيجاز قصر ، لأن الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه فهو الأول ، وإن كان كلاماً يفيد معنى كلام آخر أطول منه فهو الثاني .

### إيجاز الحذف

الحذف إما مفرداً أو حذف جملة أو حذف جمل :

١ - حذف المفرد أوسع مجازاً من حذف الجملة ، إذ هو أكثر استعمالاً ، وذلك على صور :

|                     |   |                       |
|---------------------|---|-----------------------|
| قد مضى الكلام عليها | { | ( أ ) حذف المسند إليه |
|                     |   | ( ب ) حذف المسند      |
|                     |   | ( ج ) حذف المفعول     |

( د ) حذف المضاف ، وهو كثير الدوران في الكلام ، كقوله تعالى :

(١) النوك بضم النون وفتحها : الحق ، وقبلة :

عش يجد لا يضر ك النوك ما أوليت جدا

(٢) زجا الخراج : تيسرت جبايته ، فهو يريد السهولة والتيسير .

﴿حق إذا فتحت بأجوج ومأجوج﴾<sup>(١)</sup> أي سدما ، وقوله عز وجل :  
﴿لمن كان يرجو الله﴾<sup>(٢)</sup> أي رحمته ، وقوله تعالى : ﴿يخافون ربهم﴾<sup>(٣)</sup>  
أي عذاب ربهم .

( هـ ) حذف المضاف إليه ، وهو قليل ، كقوله تعالى : ﴿لله الأمر من قبل  
ومن بعده﴾<sup>(٤)</sup> أي من قبل ذلك ومن بعده .

( و ) حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه وهو فاش كثير الاستعمال نحو :  
﴿وعندهم قاصرات الطرف أتراب﴾<sup>(٥)</sup> ، أي حور قاصرات الطرف ، وأكثر  
ما يكون ذلك في باب النداء ، نحو : يا أيها الظريف ، تقديره : يا أيها الرجل  
الظريف ، وفي باب المصدر ، نحو : ﴿ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله  
متاباً﴾<sup>(٦)</sup> تقديره : وعمل عملاً صالحاً .

( ز ) حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها ، وهو نادر<sup>(٧)</sup> ، ومن ذلك  
ما حكاه سيدييه ، من نحو قولهم : سير عليه ليل ، يريدون : ليل طويل .

وقول الحماسي : كل امريء سديم منه العرس أو منها ينيم ، تقديره : كل امريء  
متزوج ، لأن المعنى لا يصح إلا به ، ومنه أن يتقدم مدح إنسان والثناء عليه ،  
فتقول : كان والله رجلاً ، فأنت تعني أنه كان رجلاً فاضلاً جواداً كريماً .

( ح ) حذف القسم ، كقولك : لأخرجن ، أي : والله لأخرجن .

( ط ) حذف جواب القسم ، وهو كثير في القرآن الكريم ، نحو :

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٦ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٣) سورة النمل الآية ٥٠ .

(٤) سورة الروم الآية ٤ .

(٥) سورة ص الآية ٥٢ .

(٦) سورة الفرقان الآية ٧١ .

(٧) وإنما قل حذف الصفة وكثر حذف الموصوف لأن الصفة ما جاءت إلا للايضاح والبيان ،  
فيكثر أن تقوم مقام الموصوف ، بخلافه هو ، فإنه يكثر إبهامه ، فلا جرم أن كان قيامه  
مقامها نادراً .

﴿ والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسمٌ لذي رحمةٍ ﴾<sup>(١)</sup> تقديره : لتعذب يا كفار مكة .

(ي) حذف الشرط ، نحو : ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾<sup>(٢)</sup> تقديره : فإن لم يتسن لكم إخلاص العبادة لي في أرض فإياي فاعبدون في غيرها .

(ك) حذف جواب الشرط ، وهو نوعان :

١ - أن يحذف لمجرد الاختصار ، كقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي اعرضوا ، بدليل قوله تعالى بعده : ﴿ إلا كانوا عنها معرضين ﴾<sup>(٤)</sup> .

٢ - أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور شيئاً إلا والأمر أعظم منه ، نحو : ﴿ وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾<sup>(٥)</sup> .

(ل) حذف حروف المعاني ، وقد توسعوا في ذلك ، لكثرة دورانها ، وفشو استعمالها ، وكثر ذلك في :

( لا ) كقول عاصم المنقري :

رأيت الحمر جامحةً وفيها خصال تفسد الرجل الحليماً  
فلا والله أشربها حياتي ولا أسقي بها أبداً نديماً

( لو ) نحو : ﴿ ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذاً لذهب كل إله بما خلق ﴾<sup>(٦)</sup> تقديره : إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق .

(١) سورة الفجر الايات ١ و ٢ و ٣ .

(٢) سورة المنكبوت الاية ٦ .

(٣) سورة يس الايتان ٤٥ و ٤٦ .

(٤) سورة الزمر الاية ٢٣ .

(٥) سورة المؤمنون الاية ٩١ .

(الواو) وحذفها فائدة لا توجد عند إثباتها لأن وجودها يؤذن بالتغاير بين الجملتين ، وحذفها يصير الجملتين كأنهما جملة واحدة ، وهذا من بديع الإيجاز وحسنه ، كحديث أنس بن مالك : كان أصحاب رسول الله ينامون ، ثم يصلون لا يتوضئون ، وفي رواية ولا يتوضئون ، فالحذف دل على اتصال الجملتين حتى كأن الثانية إحدى متعلقات الأولى ، فهو في حكم : ينامون ، ثم يصلون غير متوضئين ، وبذا تتم المبالغة المرادة ، وهي أنهم لا يذوقون النوم إلا غراراً .

٢ - حذف الجملة (١) ، وهذا يكون إما :

( أ ) بحذف مسبب ذكر سببه نحو : ليحق الحق ويبطل الباطل ، أي فعل ما فعل ، ومنه قول أبي الطيب :

أقوى الزمان بنوه في شيبته      فسرهم وأقيناه على الهرم  
(أي فساءنا) .

(ب) عكسه نحو : ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾ (٢) ، أي فضربه بها فانفجرت .

(ج) بحذف الأسئلة المقدرة ويلقب بالاستئناف ، وذلك على أنواع :

١ - استئناف باعادة اسم ما استؤنف عنه ، كقولك : أحسنت (٣) الى علي ، علي حقيق بالإحسان ، فتقدير المحذوف ، وهو السؤال المقدر : لماذا أحسن ، أو نحو ذلك .

٢ - استئناف باعادة صفته كقولك : أكرمت محمداً ، صديقك القديم أهل لذلك منك . تقدير السؤال المحذوف : هل هو حقيق بالإكرام ، والنوع الثاني أبلغ ، لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم كالصدقة في هذا المثال .

٣ - حذف الجمل وأكثر ما يرد في كلام رب العزة ، فهناك فتجلى مراتب

(١) المراد بالجملة هناك ، الكلام المستقل بالافادة ، الذي لا يكون جزء من كلام آخر ، وإلا دخل الشرط والجزاء ، وقد تقدم عند حذفها من حذف المفرد .

(٢) سورة البقرة الآية ٦٠ .

(٣) المقصود من الاخبار ، إعلام المخاطب بأنه وقع الاحسان منه الى علي ، لتقرير الاحسان السابق واستعجاب الاحسان اللاحق .

الإعجاز ، ويظهر مقدار التفاوت في صنعة الكلام ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ﴾ <sup>(١)</sup> ، أي فضرِبوه بها فحْيي ، فقلنا : كذلك يحيي الله الموتى ، وقوله تعالى : ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فارسلون يوسف ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أي فارسلوني إلى يوسف لاستعيره الرؤيا فارسلوه إليه فأثاه وقال : يا يوسف ، وقوله ( فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ) أي فأتياهم فأبلغناهم الرسالة فكذبوها فدمرناهم تدميراً .

والحذف على وجهين :

- ١ - ألا يقام شيء مقام المحذوف كما تقدم .
- ٢ - أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى : ﴿ فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أي فلا لوم عليّ لأنني قد أبلغتكم .

وأدلة الحذف كثيرة ، منها :

( أ ) العقل الدال على المحذوف ، والمقصود الأظهر ، الدال على تعيينه كقوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ <sup>(٤)</sup> الآية ، فالعقل يدل على أن الحرمة إنما تتعلق بالأفعال لا بالدوات ، والذي يتبادر قصده من مثل هذه الأشياء إنما هو تناول الذي يعم الأكل والشرب .

( ب ) العقل الدال عليها معاً ، كقوله تعالى : ﴿ وجاء ربك ﴾ أي أمره ، أو عذابه .

ويرى صاحب الكشف ، أن هذا ليس من باب الحذف وإنما هو تمثيل لظهور قدرته وتبيين لسلطانه وقهره ، فمثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصه على بكرة أبيهم .

( ج ) العقل الدال على المحذوف والمادة الدالة على تعيينه ، كقوله تعالى :

(١) سورة البقرة الآية ٧٣ .

(٢) سورة يوسف الآية ٤٥ .

(٣) سورة هود الآية ٥٧ .

(٤) سورة المائدة الآية ٣ .

﴿ فذلكن الذي لمنني فيه ﴾ <sup>(١)</sup> ، فقد دل العقل على الحذف لأنه لا معنى للوم على ذات الشخص ، وأما تعيين المحذوف فإنه يحتمل أن يقدر في حبه ، لقوله : شفها حباً ، أو في مرادته لقوله : تراود فتاها عن نفسه ، أو في شأنه حتى يشملهما معاً ، ولكن العادة تقتضي بأن الحب المفرط لا يلام عليه صاحبه ، لأنه ليس من كسبه واختياره ، وإنما يلام على المراودة التي يقدر أن يدفعها عن نفسه .

( د ) العقل الدال على المحذوف ، والشروع في الفعل الدال على تعيينه ، كما في : باسم الله ، فإنك تقدر المتعلق ما جعلت التسمية مبدءاً له من نحو : أكل أو أشرب أو أسافر .

( هـ ) العقل الدال على المحذوف واقتران الكلام بالفعل الدال على تعيينه ، كما تقول للمعرس : بالرفاه والبنين ، أي أعزست .

### إيجاز القصر

هو ما تريد فيه المعاني على الألفاظ الدالة عليها بلا حذف ، وللقرآن الكريم فيه المنزلة التي لا تسامى والغاية التي لا تدرك ، نحو : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فتلك آية جمعت مكارم الأخلاق ، وانطوى تحتها كل دقيق وجليل ، إذ في العفو الصفح عن أساء ، والرفق في سائر الأمور ، بالمساحة والاغضاء ، وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام ومنع اللسان عن الكذب والغيبة ، وغض الطرف عن المحارم ، وفي الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وكظم الغيظ .

ويقول عز اسمه : ﴿ والفُلُك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فقد استوعبت تلك الكلمات القليلة أنواع المتاجر وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد ، وقوله تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ فهاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء ، ولذا روي أن ابن عمر قرأها ، فقال : مَنْ بقي له شيء فليطلبه .

(١) سورة يوسف الآية ٣٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٦٤ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فتلك جملة تضمنت سرّاً من أسرار التشريع الجليلة ، التي عليها مدار ( سعادة المجتمع البشري في دنياه وأخراه ) ببيان ذلك أن الإنسان إذا همّ بقتل آخر لشيء غاظه منه فذكر أنه إن قتله قُتل ، ارتدع عن القتل ، فسلم المهموم بقتله ، وصار كأنه استفاد حياة جديدة ، فيما يستقبل بالقصاص مضافة الى الحياة الأصلية ، وأن هذا مما أثر عن العرب من قولهم : القتل أنفى للقتل ، فإن الآية تمتاز بوجوه <sup>(٢)</sup> :

- ١ - أنها كلمتان وما أثر عنهم أربع .
- ٢ - لا تكرار فيها وفيما قالوه تكرار .
- ٣ - ليس كل قتل يكون نافياً للقتل ، وإنما يكون ذلك إذا كان على جهة القصاص .
- ٤ - حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحسن فيها لا في ما قالوه .
- ٥ - أن فيها الطباق للجمع بين القصاص والحياة ، وهما كالضدين كما ستعرف ذلك في البديع .
- ٦ - أن فيها التصريح بالمطلوب وهو الحياة بالنص عليها ، فيكون أزجر عن القتل بغير حق وأدعى إلى الاقتصاص .
- ٧ - أن القصاص جعل فيها كالمنبع للحياة والمعدن لها بادخال (في) عليه ، فكان أحد الضدين ، وهو الفناء ، صار محلاً لضده الآخر ، وهو الحياة ، وفي ذلك ما لا يخفى من المبالغة ، وقد نظم أبو تمام معنى ما ورد عن العرب في شطر بيت ، فقال :

وأخافكم كي تغمدوا أسيافكم (إن الدم المغبر يحرمه الدم)

كما للسنة النبوية من ذلك الحظ الأوفر ، ويرشد الى ذلك قوله ﷺ : «أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً» .

فمن ذلك قوله ﷺ : المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء ، وعودوا كل جسم ما اعتاد .. فهو قد جمع من الأسرار الطبية الشيء الكثير .

(١) سورة البقرة الآية ١٧٩ .

(٢) فاضل بينها الصيوطي في «الاتقان» بأكثر من عشرين وجهاً ، أهمها ما ذكرنا .

وقوله **يَسْتَعِذُّ** : الطمع فقر واليأس غنى .

وقول علي كرم الله وجهه : ثمرة التفريط الندامة ، لكل مقبل إدبار وما أدبر كان كأن لم يكن ، لا يعد من الصبور الظفر وإن طال به الزمان ، مَن استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ ، مَن أحصد سنان الغضب لله قوي على قتل أسد الباطل .

وقول بعض الأعراب : اللهم هب لي حقلك وارض عني خلقك .

فلما سمعه علي كرم الله وجهه قال : هذا هو البلاغة .

وقول السمؤل بن عاديا الغساني :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على مكارم الأخلاق من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر وتكلف واحتمال مكاره ، إذ كل هذه مما تضيع النفس ، لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء .

### المبحث الثالث في المساواة<sup>(١)</sup> - إيجاز التقدير

هي التعبير عن المعنى المقصود بلفظ مساو له لفائدة<sup>(٢)</sup> ، بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر ، حق لو نقص اللفظ تطرق الحزم إلى المعنى بمقدار ذلك النقصان ، وهي المذهب المتوسط بين الإيجاز والاطناب .

وإليها يشير القائل كأن ألفاظه قوالب معانيه ، كقوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ومتعوهن على الموسع قدره (وعلى المغتر قدره) .

(١) وهي لا تحمد ولا تذم ، إذ لا يحتاج فيها إلى اعتبار ثكنة ، بل يكفي فيها عدم مقتضى للعدل عنها ، إلا إذا اقتضى المقام تأدية أصل المعنى وراعاة البليغ فإن ذلك يكون محموداً ، ومن هذا ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف وغيرهما من كلام فصحاء العرب .

(٢) وهو كون المأتي به هو الأصل ، ولا داعي للعدل عنه .

(٣) سورة الروم الآية ٤٤ .

(٤) سورة الطور الآية ٢١ .

وقوله عليه السلام : « الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتهيات .. إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .. الضعيف أمير الركب » .  
 وقول علي كرم الله وجهه : عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته ،  
 قد بصرتم إن أبصرتم وهديتم إن اهتديتم .

### المبحث الرابع في الاطناب

هو لغة مصدر أطنب في كلامه اذا بالغ فيه وطول ذبوله ، واصطلاحاً زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، فخرج بذكر الفائدة التطويل والحشو ، والفرق بينهما أن الزائدة إن كان غير متعين كان تطويلاً ، وإن كان متعيناً كان حشواً ، وكلاهما يعزل عن مراتب البلاغة ، فالأول نحو :

ألا حبذا هند وأرض بها هند      وهند أتى من دونها النأي والبعد  
 فالنأي والبعد واحد ، ولا يتعين أحدهما للزيادة .  
 والثاني ضربان :

( أ ) ما يفسد به المعنى كقول أبي الطيب في رثاء غلام لسيف الدولة :  
 ولا فضل فيها للشجاعة والندى      وصبر الفتي لولا لقاء شعوب<sup>(١)</sup>  
 يريد أنه لا خير في الدنيا للشجاعة الصبر لولا الموت ، وهذا حسن جميل ، لأنها إنما عدا من الفضائل لما فيها من الاقدام على الموت واحتمال المكاره ، ولو علم الإنسان أنه خالد في الدنيا لكان عليه اقتحام المخاطر ، كما أنه لو أيقن بزوال المكروه صبر لوثوقه بالخلاص ، أما الندى فعلى العكس من ذلك لأن الموت يجعل البذل سهلاً إذ من علم أنه ميت فهو جدير أن يجود بماله ، كما قال طرفة :

فإن كنت لا تستطيع دفع مني      فذري أبادرها بما ملكت يدي  
 فهو حشد مفسد ، وقد اعتذر له بعض الناس بما فيه تكلف وتصف .

( ب ) ما لا يفسد به كقول أبي العيال الهذلي :  
 ذكرت أخي فعاودني      صداع الرأس والوصب<sup>(٢)</sup>  
 فذكر الرأس مع الصداع حشو ، لأنه لا يكون في غيره من الأعضاء .

(١) الوصب : نحول الجسم ، من تعب ، أو مرض .

وقول أبي عدي :

نحن الرؤوس وما الرؤوس اذا سمعت في المجد للأقوام كالآذنان  
فإن قوله : للأقوام ، حشو لا فائدة فيه ، مع أنه غير مفسد .

( تنبيه ) قال بدر الدين بن مالك في « المصباح » : يكثر الحشو بلفظ :  
أصبح وأمسى وعدا وإلا وقد واليوم ولعمري ويا صاحبي .  
كما قال أبو تمام :

أقروا ( لعمري ) بحكم السيوف وكانت أحق بفصل القضا  
وكما قال البحتري :

ما أحسن الأيام إلا أنها ( يا صاحبي ) إذا مضت لم ترجع  
والداعي إليه إما إصلاح وزن الشعر ، أو تناسب للقوافي وحروف الروي ،  
أو قصد السجع في النشر .

ويكون الاطناب بأمور شتى منها :

١ - الايضاح بعد الابهام ، ليرى المعنى في صورتين مختلفتين ، وليتمكن في  
النفس فضل تمكن ، فإن الكلام اذا قرع السمع على جهة الابهام ذهب السامع فيه  
كل مذهب ، فإذا وضح تمكن في النفس فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم ،  
ومنه قوله تعالى : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع ﴾  
« مصباحين » (١) .

فقوله تعالى : أن دابر هؤلاء ، تفسير لذلك الأمر ، تفخيماً لشأنه ، ولو قيل :  
وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع ، لم يكن له من الروعة مثل ما كان له  
حين الابهام - يرشد الى ذلك أنك لو قلت : هل أدلكم على أكرم الناس أباً  
وأفضلهم حسباً وأمضام عزيزة وأنقذهم رأياً ، ثم قلت : فلان ، كان أدخل في مدحه  
وأنبل وأفخم مما لو قلت : فلان الأكرم الأفضل .

ومن ضروبه باب : نعم وبئس ، على قول : من يجعل الخصوص خبر مبتدأ  
محذوف ، إذ لو أريد الاختصار لقليل : نعم وبئس أبو هب ، عوضاً من قولك :  
نعم الرجل محمد ، وبئس الرجل أبو هب .

---

(١) سورة الحجر الآية ٦٦ .

ووجه حسنه إبراز الكلام في معرض الاعتدال ، نظراً الى اطنابه من وجه ، وإيجازه من وجه آخر ، الى إيهام الجمع بين المنافقين .

والتوشيع (١) ، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ، أحدهما معطوف على الآخر ، نحو قوله **يُؤْتَى** : « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن ، البخل وسوء الخلق » ، وقول ابن الرومي يمدح عبد الله بن وهب :

إذا أبو القاسم جادت لنا يده      لم يحمد الأجودان البحر والمطر  
وإن أضاءت لنا أنوار غرقه      تضاءل النيران الشمس والقمر

٢ - ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً الى ما له من المزية حتى كأنه ليس من جنس العام ، وتنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات كقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ (٢) ، فذكر جبريل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة ، للتنبيه على زيادة فضلها .

٣ - التكرير ، وقد جاء في القرآن الكريم ، وكلام العرب منه شيء كثير ، ويكون إما :

( أ ) للتأكيد كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ ثم كلاً سيعلمون ﴿ (٣) ، وقوله : كم نعمة كانت لكم كم كم وكم .

( ب ) لزيادة التنبيه الى ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ، نحو : ﴿ وقال الذي آمن يا قوم (٤) اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴾ (٥) ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع .

( ج ) لتعدد المتعلق ، كما كرر الله عز وجل في سورة الرحمن قوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ (٦) لأنه تعالى عدّد فيها نعماءه وذكر عبادته آلاءه ،

(١) لغة لف القطن المندوف .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٨ .

(٣) سورة النبأ الآيتان ٤ و ٥ .

(٤) إذ تكرر يا قوم مع إضافة الى ياء المتكلم يفيد بعد القائل عن التهمة في النصيح إذ أنهم قومه ، فلا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه .

(٥) سورة غافر الآية ٣٨ .

(٦) سورة الرحمن الآية ١٦ .

ونبهم الى قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها ، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه اليهم منها .

وقد جاء مثل ذلك كثيراً في كلام العرب ، ألا ترى الى مهلهل وقد كرر قوله : « على أن ليس عدلاً من كليب <sup>(١)</sup> » في أكثر من عشرين بيتاً من قصيدته ، وإلى الحرث بن عباد وقد كرر قوله : « قرباً بني مربوط النعامة <sup>(٢)</sup> » أكثر من سابقة ، لأنها رأيا الحاجة ماسة إلى التكرير ، والضرورة داعية اليه ، لعظم الخطب وشدة موقع النكبة .

٤ - الإيغال <sup>(٣)</sup> ، وهو ختم البيت بما يفيد النكتة ، يتم المعنى بدون التصريح بها ، وذلك إما :

( أ ) لزيادة المبالغة والتأكيد ، كقول الخنساء :

وإن صخرًا لسانهم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقولها : في رأسه نار ، من الإيغال الحسن ، إذ لم تكف بأن تشبهه بالعمل الذي هو الجبل المرتفع المشهور بالهداية حتى جعلت في رأسه ناراً ، لما في ذلك من زيادة الظهور والانكشاف .  
( ب ) لتحقيق التشبيه ، كقول امرئ القيس :

كان عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يُثقب <sup>(٤)</sup>

فقد أكد التشبيه وأظهر رونقه بقوله : لم يُثقب ، لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان بالعيون أشبه ، وقيل : لا يختص بالشعر ، بل يكون في النثر كقوله تعالى : ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فإن الرسل مهتدون لا محالة ، فالمعنى يتم بدون التصريح بقوله تعالى ( وهم مهتدون ) إلا أن فيه زيادة حث وترغيب على اتباع الرسل .

(١) العدل : النظير ، وتكملة البيت الأول منها : إذا طرد اليتيم عن الجزور .

(٢) النعامة فرسه ، ويحير ابنه وكان قد قتله مهلهل حين الأخذ بالنار .

(٣) من أوغل في البلاد إذا أبعد فيها .

(٤) الجزع (بفتح الجيم) خرز يمان فيه بياض وسواد تشبه به العيون .

(٥) سورة يس الآية ٢١ .

٥ - التذييل<sup>(١)</sup> ، وهو الاتيان بجملة مستقلة عقب الجملة الأولى التي تشمل على معناها للتأكيد ، وهو ضربان :

( أ ) أن يخرج مخرج المثل بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كلي منفصل عما قبله جاز مجرى الأمثال في فشو الاستعمال ، نحو : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ﴾ إن الباطل كان زهوقاً<sup>(٢)</sup> ، وقول الخطيئة :

تزور فقى يعطي على الحمد ما له      ومن يُعطى أثمان المكارم يُحمد  
( ب ) ألا يخرج مخرج المثل بالألا يستقل بالإفادة دون ما قبله ، نحو قول ابن نباتة السعدي :

لم يُبق وجودك لي شيئاً أومله      تركني أصعب الدنيا بلا أمل  
وقوله تعالى : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يحازي إلا الكفور ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وينقسم أيضاً الى :

( أ ) ما كان تأكيداً لمنطوق الكلام كالآية : وقل جاء الحق ، الخ .

( ب ) ما كان تأكيداً لمفهومه ، كقول النابتة :

ولست بمستبق أخا لا تلمت كعبير على شعث أي الرجال المهذب<sup>(٤)</sup>  
فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال ، وقد حقق ذلك بعجزه .

٦ - التكيل ، ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو أن يؤتى في كلام يوم خلاف المراد بما يدفعه ، وهو ضربان :

( أ ) أن يتوسط الكلام ، كقوله :

لو أن عزّة خاصمت شمس الضحى      في الحسن (عند موفق) لقضى لها  
إذ التقدير : عند حاكم موفق ، فقوله : موفق ، تكيل .

---

(١) هو أعم من الايغال من جهة أن يكون في الآخر وغيره وأخص من جهة أن الايغال قد يكون بغير الجملة ولغير التوكيد .

(٢) سورة الإسراء الآية ٨١ .

(٣) إذ المراد : ذلك الجزء المخصوص (سورة سبأ) .

(٤) الشعث : التفرق والحصل الذميمة .

وقول ابن المعتز :

صبينا عايها (ظالمين) سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل

فقوله : ظالمين ، تكميل دفع به توهم أنها بليدة تستحق الضرب .

(ب) أن يقع آخر الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ (١) ، فإنه لو اقتصر على وصفهم : بالذلة على المؤمنين ، لتوهم أنها ناشئة من ضعفهم ، فدفع هذا ، بقوله تعالى : (أعزة على الكافرين) .

وقول السموأل بن عدياء .

وما مات منا سيد في فراشه ولا طل منا حيث كان قتيل

فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إيّاهم فربما علق بالوهم أن ذلك لضعفهم وقتلهم ، فأزال هذا الوهم بالانتصار من قاتليهم .

٧ - التتبع ، وهو أن يؤتى في كلام لا يوم ، خلاف المقصود بفضله ، كمفعول أو حال أو نحو ذلك ، لقصد المبالغة (٢) ، كقول زهير يمدح هرم بن سنان :

من يلق يوماً على علاقته هريماً يلقى السباحة منه والندى خلفاً

فقوله : على علاقته ، أي على كل حال أو على ما فيه من الأحوال والشئون ، تتبع وقع في غاية الحسن والرشاقة .

٨ - الاعتراض ، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام (٣) أو بين كلامين متصلين معنى (٤) بحملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب (٥) لنكتة سوى دفع الإيهام (٦) .

وهو من دقائق البلاغة وسحر البيان (٧) ، وفائدته إما :

(١) سورة المائدة الآية ٥٤ .

(٢) فالتكلم بحارل ألا يدع شيئاً مما به يتم حسن المعنى .

(٣) خرج الايقال لأنه في الآخر .

(٤) بأن يكون الثاني بياناً للاول أو تأكيداً أو بدلاً منه .

(٥) خرج التتبع لوجود الاعراب فيه .

(٦) خرج التكميل .

(٧) لما فيه من حسن الافادة مع مجيئه مجيء ما لا معمول عليه في الافادة ، فهو كالحنّة تأتي

من حيث لا ترتقب .

( أ ) التنزيه والتعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لَـهُ الْبَنَاتَ سَبْحَانَهُ ﴾<sup>(١)</sup> ولهم ما يشتمون ﴿<sup>(٢)</sup> فسبحانه ﴾<sup>(٣)</sup> مسوق للتنزيه عن اتخاذ البنات .

( ب ) أو التقرير في نفس السامع نحو : ﴿ وَإِذَا قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> فيها والله 'مُخْرَجٌ' ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها ﴿<sup>(٥)</sup> فقوله : والله مخرج ، جاءت معترضة لتقرير أن تدافع بني إسرائيل في قتل النفس ليس نافعاً في إخفائه وكتابه ، لأن من لا تخفى عليه خافية مظهره لا محالة .

( ج ) أو التصريح بما هو المقصود ، كقول كثير عزة :

لو أن الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله : وأنت منهم ، تصريح بما هو المقصود من ذمة وتأكيد ، لانصراف الذم اليه .

( د ) أو الدعاء ، كقول أبي الطيب :

ويحتقر الدنيا احتقاراً مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

فقوله : وحاشاك ، اعتراض حسن في موضعه ، والواو في مثله اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية<sup>(٥)</sup> .

( هـ ) أو تنبيه المخاطب على أمر يؤكد الإقبال على ما أمر به مما فيه مسرته كقوله :

واعلم فعلُ المرء ينفعه أن سوف يأتي كل ما قدرا

( و ) أو الاستعطاف ، كقول المتنبي :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنني لرأيت فيه جهنما

( ز ) أو تنبيه المخاطب على أمر غريب ، كقوله :

(١) سورة النحل الآية ٥٧ .

(٢) هو جملة لأنه مصدر بتقدير الفعل .

(٣) تدافعتم واختصمتم .

(٤) سورة البقرة الآية ٧٢ .

(٥) الفرق بين الواو الحالية والاعتراضية بالقصد ، فإن قصد كون الجملة قيداً للعامل ، فهي حالية ، وإلا فهي اعتراضية .

فلا هجره يبدو وفي اليأس راحة<sup>(١)</sup> ولا وصله يبدو لنا فنكارمه  
فإن قوله: فلا هجره يبدو، يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه، وغريب  
أن يكون هجر الحبيب مطلوباً للمحب، فقال: ( وفي اليأس راحة ) لينبه  
إلى السبب .

ومما جاء بين كلامين متصلين معنى، وهو أكثر من جملة أيضاً، قوله تعالى:  
﴿ فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ  
نَسَاؤُكُمْ حَرِثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>، فإن قوله: نساؤكم حرث لكم،  
بيان لقوله: فأتوهن من حيث أمركم الله، لإفادة أن الغرض الأصلي من الإتيان هو  
طلب النسل لا قضاء الشهوة فقط، وما بينها اعتراض للترغيب فيما أمروا به،  
والتنفير عما نهوا عنه .

٩ - النفي والإثبات بأن يذكر الشيء على جهة النفي، ثم يثبت أو بالعكس  
نحو: ﴿ وَعَدُ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ  
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، نفى عنهم أولاً  
العلم بما خفى عليهم من تحقيق وعده، ثم أثبت لهم آخراً العلم بظاهر الحياة الدنيا  
دون ما كان مؤدياً إلى الجنة .

١٠ - ما كان كقولهم: رأيتُه بعيني، وقبضته بيدي، ووطئته بقدمي،  
وذقته بلساني - يذكرون الظروف فيما يصعب حصوله، دلالة على أن نيته ليس  
بتعذر، وعلى هذا جاء قول البحري:

تأمل من خلال السجف وانظر      بعينك ما شربت ومن سقاني  
تجد شمس الضحى تدنو بشمس      إلي من الرحيق الحسرواني<sup>(٤)</sup>

فحضور مثل هذا المجلس نادر، ولا سيما إذا كان الساقى فيه على ما وصف  
من الحسن، ومن ثم قال: انظر بعينك .

(تنبيه) قد يوصف الكلام بالإيجاز والاطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها  
بالنسبة إلى كلام آخر مساوياً له في أصل المعنى كقول الشاخش بمدح عرابية الأوسي:

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٣ .

(٢) سورة الروم الآية ٦ .

(٣) السجف بالكسر والفتح: الستار، والحسرواني ضرب من الثياب منسوب لبلاد فارس.

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

مع قول بشر بن أبي حازم يمدحه أيضاً :

إذا ما المكرمات رُفَعْنَ يوماً      وقصُرَ مبتغوها عن مداها<sup>(١)</sup>  
وضاقت أذرع المثرين عنها      سما أوس<sup>٢</sup> اليها فاحتواها

### المبحث الخامس - الإيجاز أفضل أم الاطناب

#### مواضع كل منهما

اختلفت آراء الأئمة في تفضيل الإيجاز على الاطناب، أو العكس، فمن مفضل للإيجاز، كشبيب بن شيبه، إذ يقول: القليل الكافي خير من كثير غير شاف. ويقول آخر: إذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف، ولا خير في شيء يأتي به التكلف.

ومن مرجح للاطناب وحجته أن النطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء، أضف إلى ذلك أن الإيجاز للخواص، والاطناب مشترك بين الخاصة والعامة، والغبي واللفظن. والمختار، أن الحاجة إلى كل ماسة، وأن لكل موضعاً لا يسد عنه فيه سواء، فمن استعمل أحدهما في موضع الآخر، فقد أخطأ.

قال جعفر بن يحيى: متى كان الإيجاز أبلغ كان الاكثار وعياً، ومتى كانت الكفاية في موضع الاكثار، كان الإيجاز تقصيراً، يرشد إلى ذلك قول القائل يصف خطباء إباد:

يرمون بالخطب الطوال وتارة      وحي الملاحظ خشية الرقباء<sup>(٢)</sup>

وقد استحبوا الإيجاز في المواضع الآتية:

---

(١) رفع المكرمات يراد به بروزها للطلابين، ومبتغوها طالبتها، واحتواها أخذها.  
(٢) الوحي الإشارة بالكلام الحقيقي، والملاحظ جمع ملحظ كمطلب الملحظ وحي منصوب على المصدر، أي تارة يوحون، أي يأتون بكلام سريع خفي، كحال من ينظر إلى حبيبه بمؤخر عينيه خوفاً من الرقباء.

- ١ - الكتب الصادرة عن الملوك الى الولاة في أوقات الحروب والأزمات .
- ٢ - الأوامر والنواهي السلطانية .
- ٣ - كتب السلطان بطلب الخراج وجباية الأموال وتدبير الأعمال .
- ٤ - كتب الوعد والوعيد .
- ٥ - الشكر على النعم التي تُسبغ ، والموارف التي تسدى .
- ٦ - الاستعطاف وشكوى الحال وسؤال حسن النظر وشمول العناية .
- ٧ - التنصل من الذنب والاعتذار من التقصير بإيراد الحجج التي تقنع المخاطب وتزيل موجدته .

واستحسنوا البسط والاطناب في المواضع التالية :

- (١) ما يكتب به عن الملوك في جسيات الأمور التي يراد تقريرها في نفوس العامة ، كأخبار الفتوح المتجددة ، فهذا موضع يشبع فيه القول ، حتى تعرف الرعية قدر النعمة ، فتزبد في الطساعة ، ولا بأس من تهويل أمر العدو ووصف جمعه ، وعظيم إقدامه ، لأن في تصغير أمره تحقيراً للظفر به .
- (٢) ما يكتب به عن الملوك الى أهل الثغور ، في أوقات التحرش بالمملكة ، وإقدام العدو على الهجوم عليها ، ليعلموا ذلك فيستعدوا للقاء .
- (٣) ما يكتب به الولاة ، ومن في حكمهم ، الى الملوك لإخبارهم بأحوال ما ينظرون فيه من الأعمال وما يجري على أيديهم من مهام الأمور .
- (٤) الموعظة والارشاد بالترغيب في الطاعة والنهي عن المعصية ، حتى يرتاح قلب المطيع وينبسط أمله ، ويرتاح قلب المسيء ويأخذ الخوف منه كل مأخذ .
- (٥) الخطب في الصلح بين العشائر لإصلاح ذات البين .
- (٦) المدح والثناء والهجاء .

### أسرار البلاغة في الإيجاز والاطناب

قد عرفت كلاً من الإيجاز والاطناب ومواقع كل منهما ، فعليك أن تعرف الدواعي التي لأجلها استعملتها العرب في كلامها .  
فمن دواعي الإيجاز :

١ - سهولة الحفظ ، فقد قيل لأبي عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل ؟  
قال : نعم كانت تطيل ليسمع منها ، وتوجز ليحفظ عنها .

٢ - إخفاء الأمر عن غير المخاطب .

٣ - ضيق المقام خوف فوات الفرصة .

٤ - ذكاء المخاطب ، حيث تكفيه اللحمة والوحي والاشارة .

ومن دواعي الاطناب :

(١) تأكيد المعنى وثبتيته في النفس ، أفلا ترى الى قوله تعالى في باب الموعظة :  
﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَانًا وَهُمْ نَائِمُونَ ، أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ، أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

(٢) دفع اللبس الذي كان يحتمل وجوده مع الإيجاز واعتبر ذلك بما تراه في قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> فكلمة القلب تحتمل أحد معنيين : القطعة من اللحم ، والفهم والادراك - لهذا أتى بكلمة في جوفه ليتعين المعنى الثاني ، ويزول اللبس ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾<sup>(٣)</sup> ، فأتى بكلمة في الصدور لدفع اللبس بأن المراد بها العيون الباصرة .

(٣) التعظيم والتهويل ، انظر الى قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ، وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُحْضِرْتُ ﴾<sup>(٤)</sup> ، إذ كان يكفي في الدلالة على وقت علم النفس ما أحضرت قوله تعالى : ( إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ) أو غيره مما بعده من الاثني عشر المذكورة ، لكنه عددها لتهويل شأن هذا اليوم .

(١) سورة الأعراف الآيتان ٩٨ و ٩٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤ .

(٣) سورة الحج الآية ٤٦ .

(٤) سورة التكاوير الآيات ١ - ١٤ .

## تدريب أول

بين الإيجاز والاطناب والمساواة ، مع ذكر السبب فيما يلي :

- ١ - ﴿ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ﴾ ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .
- ٢ - ﴿ إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب أتراباً ﴾ (١)
- ٣ - وقال اعرابي : إن شككت في فاسأل قلبك عن قلبي .
- ٤ - واحرص على حفظ القلوب من الأذى إن الزجاجة كسرهما لا يشعب
- ٥ - ﴿ والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسمٌ لذي حجر ﴾ (٢)
- ٦ - جزى الله عنا جعفراً حين أزلفت بنا نعلنا في الواطئين فزلت هم خلطوننا بالنفوس والجثوا إلى حجرات أدفأت وأظلت
- ٧ - أخرج منها ماءها ومرعاها
- ٨ - ﴿ وفيها ما تشبه الأنفس وتلك الأعين ﴾ (٣)

## مركز تحقيق وتطوير الأجابة

| الرقم | التعبير ونوعه | السبب                                                                                                  |
|-------|---------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (١)   | إطناب         | بال تكرار للتأكيد والإنذار والتهديد لهم على سوء فعلهم                                                  |
| (٢)   | إطناب         | بالإيضاح بعد الإيهام فقد فر ذلك الفوز بقوله حدائق وأعناباً                                             |
| (٣)   | إيجاز بالقصر  | إذ سأل القلب عن القلب يشمل معاني كثيرة فالقلب موضع الحب والبغض ومستودع السر والشكوى .                  |
| (٤)   | إطناب         | بالتذليل الجاري مجرى المثل                                                                             |
| (٥)   | إيجاز بالحذف  | لحذف جواب القسم تقديره وحق هؤلاء لأعدين أولئك                                                          |
| (٦)   | إيجاز بالحذف  | بدليل قوله بعد ألم تر كيف فعل ربك بعد .                                                                |
| (٧)   | إيجاز بالقصر  | لحذف المفاعيل إذ التقدير الجثونا وأظلتنا وأدفأتنا                                                      |
| (٨)   | إيجاز بالقصر  | إذ دل بشيئين على جميع ما أخرجته الأرض قوتاً ومتاعاً للناس من العشب والشجر والحطب واللباس والنار والماء |
|       |               | إذا جمعت نعم الجنة مما لا تحصره الأفهام ولا يخطر لك على بال                                            |

(١) سورة النبأ الآية ٢٢ .

(٢) سورة الفجر الآيات ٣ و ٤ و ٥ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٢١ .

## تدريب ثان

- ١ - علمتني نبوتك سلوتك ، وأسلفني يأسى منك الى الصبر عنك .
- ٢ - ﴿ فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ <sup>(١)</sup>
- ٣ - والسعي في الرزق والأرزاق قد قسمت بغني ألا إن بغني المرء يصصره
- ٤ - لا تودع السر وشاء به مذلاً فما رعى غنا في الدو سرّجان
- ٥ - ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ <sup>(٢)</sup>
- ٦ - ألا حبذا حبذا حبذا حبيب تحملت منه الأذى
- ٧ - قال أبو دعبيل الجُمحي يمدح النبي ﷺ :
- نزر الكلام من الحياء تخاله ضمناً وليس يحسمه سُقم
- ٨ - أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله .

مركز ترقية وتدريب  
الإجابات

| الرقم | نوع التعبير  | السبب                                                                                            |
|-------|--------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------|
| (١)   | مساواة       | إذ ألفاظه قدر المعاني التي نحا نحوها من البث والشكوى                                             |
| (٢)   | إطناب        | بالتكثير لقصد التوكيد وتثبيت المعنى المراد                                                       |
| (٣)   | إطناب        | بالاعتراض في قوله والأرزاق قد قسمت ، وبالتذليل الجاري مجرى المثل في قوله ألا إن بغني المرء يصصره |
| (٤)   | إطناب        | بالتذليل الجاري مجرى المثل في الشطر الثاني                                                       |
| (٥)   | إيجاز بالقصر | لأن ألفاظه أقل من معانيه فقد دخل تحت قوله فهو حسب                                                |
| (٦)   | إطناب        | من المعاني ما يطول شرحه من إثناء ما يرجى وكفاية ما يخشى                                          |
| (٧)   | إطناب        | بالتكثير للتأكيد                                                                                 |
| (٨)   | إيجاز بالحذف | بالتكميل بذكر من ( الحياء ) دفعاً لتوهم أن ذلك من عي إذا التقدير كمن لم بشرح صدره .              |

(١) سورة الانشراح الآيتان ٥ و ٦ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٣ .

## تمرين أول

بيّن الایجاز والاطناب والمساواة وأسبابها فيما يلي :

- ١ - يهون بالرأي ما يجري القضاء به من أخطأ الرأي لا يستندب القدر
- ٢ - ﴿ وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ (١).
- ٣ - تراه كأن الله يجده أنفه (وعينه) إن مولاه ثاب له وفر
- ٤ - أسجنا وقيدا واشتياقاً وغربة ونساي حبيب إن ذا لعظم وإن امرأ دامت موثيق عهده على مثل هذا إنه لكریم
- ٥ - ﴿ ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ (٢).
- ٦ - ولو أن قرآنا سُيرت به الجمال أو قُطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً .
- ٧ - فسائل هداك الله أي بني أب من الناس يسعى سعينا ويقارض
- ٨ - سئل بعض الأدباء : ما كان سبب موت أخيك؟ فقال : ( كونه ) فأحسن ما شاء .
- ٩ - ﴿ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعتٌ وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم ﴾ (٣).

## تمرين ثان

- ١ - فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
- ٢ - ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ (٤).
- ٣ - وقال عليه السلام : « حبك الشيء يُعمي ويصم » .
- ٤ - ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسامٌ لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم ﴾ (٥).

(١) سورة غافر الآية ٣٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٣٦ .

(٤) سورة الإسراء الآية ١٩ .

(٥) سورة الواقعة الآية ٧٥ .

- ٥ - ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ <sup>(١)</sup> .
- ٦ - حلم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب
- ٧ - فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل
- ٨ - وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا .
- ٩ - ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلْ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ <sup>(٢)</sup> .

### نموذج عام على المعاني

تكلم من المعاني على ما يأتي :

تهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان

### الاجابة

إن تطبيق جملة من النثر أو بيت من الشعر على فن المعاني يستدعي أن نعرض أبوابه ، فنرى في هذا البيت :

(١) جملتان خبريتان أولاهما فعلية مضارعة تقتضي الاستمرار التجديدي ، بدليل أن الفرض الموعظة ، والثانية اسمية تفيد الاستمرار والدوام ، كما هو شأن الاخلاق والفرائض .

(٢) كل من الجملتين ضرب ابتدائي خال من المؤكدات .

(٣) ذكر المفعول لأن القصد تعلق الفعل به .

(٤) قدم المفعول على المستند اليه في الجملة الأولى ، لأنه الأهم في الكلام .

(٥) نكر المسند اليه لقصد التعميم .

(٦) عرف المفعول بأل لإرادة الجنس .

(٧) فصل بين الشطرين ، لأن بينهما شبه كمال الاتصال ، لأن الثانية جواب

عن سؤال مقدر .

(٨) في البيت إطناب بالتذييل الجاري مجرى المثل .

(١) سورة آل عمران الآية ٩٢ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٤ .

## نموذج ثان

أنشأ يمزق أثوابي يؤدبني أبعد شيبي عندي يبتغي الأدبا

### الاجابة

- (١) في الشطر الأول جملتان خبريتان من الضرب الابتدائي وفي الشطر الثاني جملة إنشائية .
- (٢) الغرض من إلقاء الخبر فيها التحسر على تلك المعاملة القاسية التي عامله بها ابنه .
- (٣) قدم الظرف وهو بعد في الشطر الثاني لأنه محط الإنكار .
- (٤) الاستفهام فيه للتوبيخ .
- (٥) قيد الجملة الأولى بتابع وهو عطف البيان لغرض الإيضاح والبيان ، وقيد الجملة الثانية بظرف الزمان ، لأنه هو المقصود بالإنكار .
- (٦) فصل بين جملتي : أنشأ ويؤدبني ، لأن بينهما كمال الاتصال ، لأن الثانية بيان للأولى ، وبين جملتي : أنشأ ، وأبعد شيبي ، لأن بينهما كمال الانقطاع لاختلافها خبراً وإنشاء .
- (٧) في البيت اطناب بالتذييل غير الجاري مجرى المثل .

## علم البيان

البيان لغة الكشف والايضاح ، يقال : فلان أبين من فلان ، أي أوضح منه كلاماً واصطلاحاً - علم يستطاع بمعرفة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة ، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال .

وتقييد الاختلاف بالوضوح لتخرج الألفاظ المترادفة كليث وأسد وعضنفر ، فإنها وإن كانت طرقاً مختلفة لإيراد المعنى الواحد ، فاختلفت فيها إنما هو في اللفظ والمعبارة ، لا في الوضوح والخفاء .

واللام في المعنى الواحد للاستغراق العرفي ، أي كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته ، فلو عرف أحيد إيراد معنى واحد ، كقولنا : علي جواد ، بطرق مختلفة لم يكن بذاك عارفاً بالبيان .

إيضاح هذا التعريف ، أن الضليع بهذا الفن ، إذا حاول التعبير عما يختلج في صدره من المعاني وجد السبيل ممهّداً ، فيختار ما هو أليق بمقصده وأشبه بطلبه من فنون القول وأساليب الكلام ، فإذا حثمة الشجعان على اقتحام غمار الوغى بهرهم بساحر بيانه وعظيم إحسانه ، فإن شاء شبههم بأسود خفان<sup>(١)</sup> ، فقال : كأنكم أسود لها في غيل خفان<sup>(٢)</sup> أشبل ، وإن شاء استعار ، وقال : إني أرى هنا أسوداً تتحفز للكر والفر وتثب لاقتناص فرائسها ولها قرم<sup>(٣)</sup> إلى الأخذ بنواصيها وحز رؤسها ، وإن أراد كنى عن مقصده وروى عن مراده فقال : البسوا لعدوكم جلد النمر<sup>(٣)</sup> واقلبوا له ظهر المجن فإنه قد ورم أنفه عليكم وداسكم تحت أقدامه .

(١) مأسدة مشهورة بضراوة أسدها .

(٢) شهوة الطعام .

(٣) كناية عن إظهار العداوة ، ومثله ما بعده .

هنالك تناديه القلوب وتتسابق إليه الفرسان قائلة: لبيك لبيك ها نحن أولاء  
نحمي الذمار، ونجبر الجار، ونجدل الأقران، ونصرعهم في الميدان، ونبيع النفوس  
رخيصة ونشتري بها المجد والسؤدد :

نبني كما كانت أوائلنا      تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وإن دعا النفوس لمكرمة وهز العطف لمحمدة أمكنه أن يقول: كأنكم البحور  
يهم<sup>١</sup> فيضها القاصي والداني وتطعم بأذنامها الفقير والغني .

أو يقول : هذه البحور على سواحلها القصاد تقذف أمواجهها ما يفرج كربة  
البائس ويدفع الضر عن المعدم .

أو يقول : إني أرى مجداً مد سراقه ، وندي ضربت خيامه .

إذ ذاك تسخو كف البخيل ويهتز عطف الكريم وتصبو النفوس لاكتساب  
المحامد ونيل المجد بالثمن الربيع .

موضوعه : اللفظ العربي ، من حيث التفاوت في وضوح الدلالة بمد رعاية  
مطابقته مقتضى الحال .

فائدته : ستعلم مما يلي أن مباحث البيان محصورة في المجاز على أنحاء ، أي انه  
بمعنى أعم يشمل الكناية ، وأن التشبيه إنما ذكر فيه لبناء الاستعارة عليه .

والمجاز ثروة كبيرة في اللغة من جهات عدة ، منها :

١ - الإكثار من الألفاظ وتعدد الوضع تفنناً في التعبير كتسمية المطر بالسما  
والنبات بالغيث ، على ما سيأتي .

٢ - التذرع الى الوضع فيما لم يوضع له لفظ من المحسوسات ، كقولهم : ساق  
الشجرة ، وإبط الوادي ، وعنق الابريق ، وذوابة الرجل<sup>(١)</sup> .

٣ - التذرع الى الوضع لتمثيل صور المعاني ، كقولهم : نبض<sup>(٢)</sup> البرق ،  
صبح<sup>(٣)</sup> الفرس .

(١) الجلدة المعلقة على آخر الرجل .

(٢) لمع خفيفاً ، أخذوه من نبض العرق .

(٣) مد يديه في الجري ، كما يفعل السابح .

٤ - الرمز الى حقائق المعاني كقولهم : سافر ولا ظهر<sup>(١)</sup> له ، وفلان يملك رقبة أي عبداً .

وهاك مثلاً يبين لك اتساع اللغة بالجاز ، ذلك أن مادة كف أصلها الكف ، وهو الجارحة ، ثم تصرفوا فيها واستعملوها على أنحاء شتى مجازاً ، فقالوا :

كفه عن الأمر ، اذا منعه ، كأنه دفعه بكفه من استعمال اللفظ في لازمه مجازاً مرسلًا ، وكف هو عن الأمر اذا امتنع وهو من وادي سابقه ، واستكف السائل وتكفف اذا طلب بكفه ، واستكف بالصدقة اذا مد يده بها لتعطيه إياها ، وكفه الميزان لشبهها بالكف في الشكل ، والكفة النقرة المستديرة ، يحتج فيها الماء ، واستكفوا حوله اذا أحاطوا به ينظرون اليه ، الى نحو هذه المعاني التي ترجع كلها إلى معنى الكف .

فالمجاز إذا غداء اللغة والروح الذي لا تحيا بدونه ، ولا قوام لها إلا به ، ولولاه ما كنا نرى فيها البهجة والجمال الذين يتذوقها كل ناطق بالضاد .

( واضعه ) أول من دون مسائل هذا العلم أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه « مجاز القرآن » ، وتبعه الجاحظ ، وابن المعتز ، وقدامة بن جعفر ، وأبو هلال العسكري ، وما زال يشدو شيئاً فشيئاً حتى جاء الإمام عبد القاهر فأحكم أساسه وشيد بناءه .

## الدلالة

علمت مما سبق أن فائدة هذا العلم إبراز المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة فناسب تعريف الدلالة وبيان أقسامها ، فنقول :

الدلالة فهم أمر من أمر ، والأول المدلول ، والثاني الدال ، وهي : إما لفظية وإما غير لفظية .

والثانية لا علاقة لها بمباحث هذا الفن .. والأولى أقسام ثلاثة :

١ - دلالة اللفظ على تمام مسماه وتسمى دلالة المطابقة : كدلالة الإنسان والأسد على حقيقتيهما .

---

(١) أي لا دابة له يركب ظهرها .

٢ - دلالة اللفظ على بعض مسماه ، وتسمى : دلالة التضمن ، كدلالة البيت على السقف أو الحائط .

٣ - دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة الإنسان على كونه متحركاً أو شاغلاً لجهة ، أو نحو ذلك ، وشرطه اللزوم الذهني<sup>(١)</sup> (سواء صاحبه لزوم خارجي ، أم لا ) بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصول فيه إما على الفور ، أو بعد التأمل في القرائن والامارات ، لكن لا يشترط أن يكون اللزوم مما يثبت العقل<sup>(٢)</sup> ، بل يكفي أن يكون لعرف عام<sup>(٣)</sup> ، أو عرف خاص<sup>(٤)</sup> ، كاصطلاحات أرباب الصناعات والاصطلاحات الشرعية واللغوية .

والدلالة الأولى تسمى عند البيانين وضعية ، ويستحيل تفاوتها وضوحاً وخفاء لأن السامع لشيء من الألفاظ الموضوعية ، إما أن يكون عالماً بالوضع المسمى أولاً ، فإن كان الأول فإنه يعرفه بتمامه بلا زيادة ولا نقصان ، وإن كان الثاني فإنه لا يعرف منه شيئاً أصلاً .

والثانية والثالثة تسميان : عقليتين ، لأن دلالة اللفظ على الجزء ، واللازم مصدرها العقل الحاكم بأن حصول الكل مستلزم حصول الجزء ، ووجود الملزوم مستلزم وجود اللازم ، وينتأى فيها الاختلاف وضوحاً وخفاء ، إذ اللوازم كثيرة بعضها قريب اللزوم يسبق الى الذهن فهمه بسرعة ، وبعضها بعيد ، فيصح اختلاف الطرق فيها ويكون بعضها أكمل من بعض في الإفادة .

وكذا يجوز أن يكون المعنى جزءاً من شيء وجزءاً من شيء آخر ، فدلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى ، أوضح دلالة من الشيء الذي ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى .

---

(١) أي أنه لا يشترط باللزوم الخارجي أيضاً ، ألا ترى أن المعنى يدل على البصر التزاماً إذ هو عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً مع التنافي بينها في الخارج .

(٢) وهو اللزوم البين المعتبر عند المنطقيين وإلا لما تأتى الاختلاف بالوضوح في دلالة الالتزام ولخرج كثير من المعاني المجازية والكنائية ، لأنه ليس بينها وبين ملزوماتها مثل هذا اللزوم .

(٣) كلقاء الحبيب بالنسبة لاختلاج العين ، إذ كثير من الناس يعتقد أن اختلاج العين يبشر بقاء الحبيب ، فإذا قلت لواحد : من هؤلاء عيني تختلج ، فهم من ذلك أنك ستلقى حبيباً .

(٤) كما إذا قلت : هذا قدم ، على فهم السامع أنه فجار .

فدلالة الحيوان على الجسم أوضح<sup>(١)</sup> من دلالة الإنسان عليه ، ودلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه .

وفي هذا مجال لقائل : إذ الدلالة الوضعية ربما يعرض لها الوضوح والخفاء ، ألا ترى أننا نجد في أنفسنا ألفاظاً محفوظة لدينا ، معلومة الوضع ، ومع ذلك يحضر لنا معنى بعضها بنفس الالتفات اليه ، لكثرة الممارسة ، أو لقرب العهد باستعماله في معناه ، أو لقرب العهد بعلم وضعه ، وبعضها لا يحضر معناها إلا بالمراجعة مرة بعد أخرى لطول العهد بعلم وضعه ولعدم تداوله .

أضف الى ذلك أن التركيب الذي فيه تعقيد لنظري لا يفهم معناه إلا بعد التأمل ، مع العلم بوضع جميع ألفاظه ، فليس ببعيد إذاً أن تكون قابلية للوضوح والخفاء . وقد أجيب عين الأول بأن التوقف والمراجعة لطلب تذكر الوضع المنسي ، لا لخفاء الدلالة ، بدليل أنه عندما نتذكر الوضع نعلم المعنى من غير توقف ، وعن الثاني بأن الهيئة مختلفة ، والكلام عند اتفاقها ، لأن لها دخلاً في الفهم الوضعي .

### مركزية الفن

اعلم أن اللفظ إن استعمل في معناه الموضوع له فحقيقة ، وإن استعمل في غيره ، لعلاقة مع قرينة ، فإما مانعة من إرادة المعنى الأصلي فمجاز ، وإما غير مانعة فكناية .

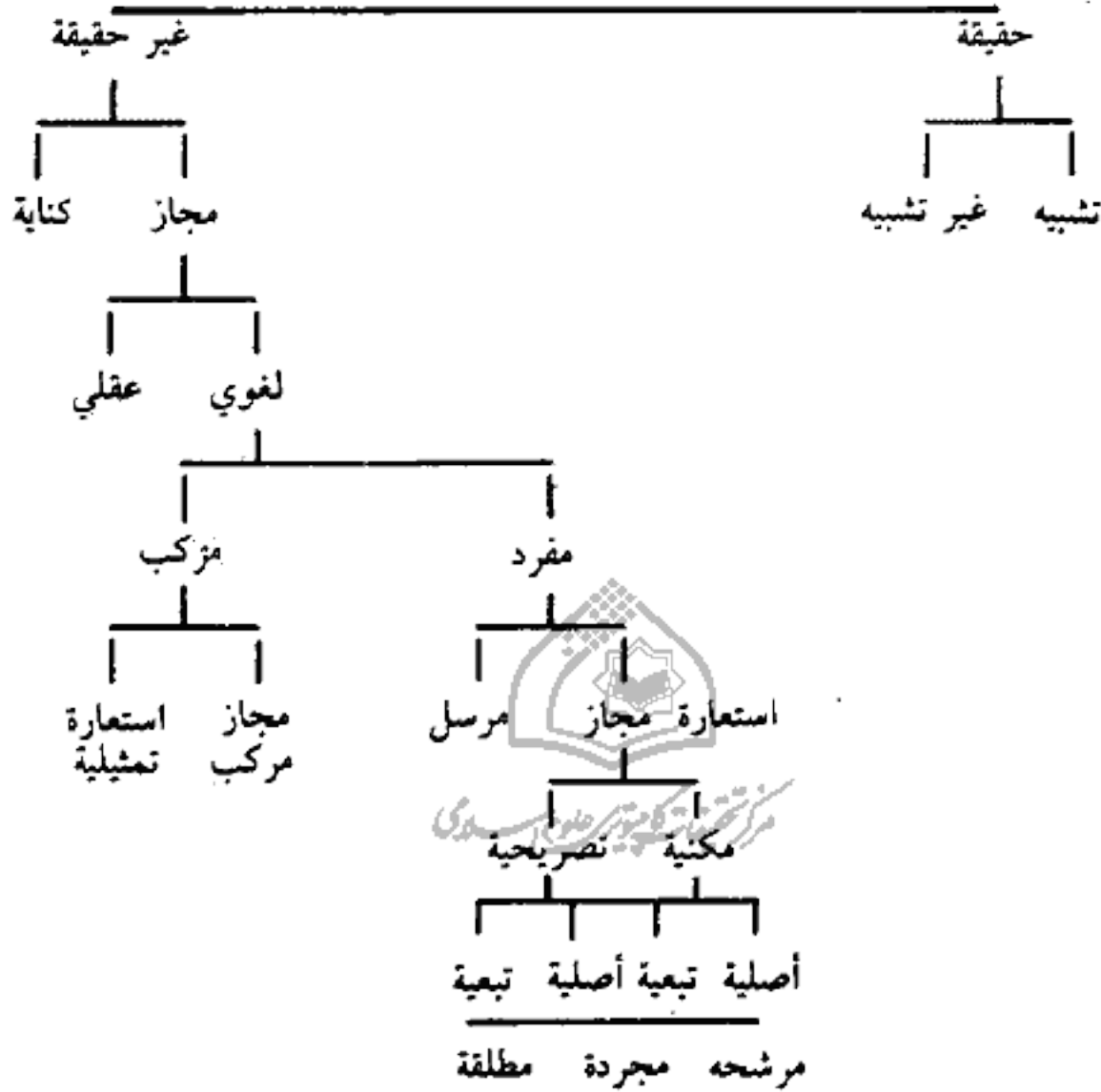
والمجاز إن كان لعلاقة المشابهة فاستعارة مفرداً كان أو مركباً ، وإن كان لعلاقة غير المشابهة فإن كان مفرداً سمى مجازاً مرسلًا ، وإن كان مركباً قيل له : مجاز مركب مرسل .

والاستعارة مبنية على التشبيه ، فوجب التعرض له ، فعلم من هذا وبما تقدم من أن الدلالة الوضعية لا تتفاوت وضوحاً وخفاء على المشهور ، أن أبواب هذا الفن أربعة : التشبيه المجاز بقسميه ، الكناية - أما الحقيقة فإنما تذكر فيه ليتضح مقابلتها ، وهو المجاز أشد الوضوح (وبضدها تتميز الأشياء) وأيضاً فهي أصل المجاز ، وهو فرع لها تناسب ذكرها في الفن تبعاً .

(١) لأن دلالة الحيوان عليه بلا واسطة ، بخلاف الثانية .

ويمكن إيضاح ذلك بما تراه في الرسم الآتي :

### الكلام العربي



## الباب الاول في التشبيه

وفيه اثنا عشر مبحثاً

### المبحث الأول في شرح حقيقته وبيان جليل فائدته

التشبيه لغة التمثيل ، يقال : هذا شبه هذا ومثله ، وشبهت الشيء بالشيء ، أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة .

واصطلاحاً : إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف وكان وما في معناهما) لغرض (فائدة) <sup>(١)</sup> .

(أركانه) مما سبق تعلم أن أركانه أربعة : مشبه ومشبه به ، ويسميان بالطرفين ، ووجه شبه ، وأداة *نزع حقيقة تشبيهية* .

(فائدته) إيضاح المعنى المقصود مع الإيجاز والاختصار ، ألا ترى أنك إذا قلت : علي كالأسد ، كان الغرض أن تبين حال علي ، وأنه متصف بقوة البطش وشدة المراس وعظيم الشجاعة ، وما إلى ذلك من أوصاف الأسد البادية للعيون . ولا شيء أدل على ذلك من تشبيهه بالأسد من أجل أن كانت هذه الصفات خصيصة بالأسد مقصورة عليه ، فصار هذا القول أكشف وأبين للقصد من قولك علي شجاع جريء ، إلى أشباه ذلك . ومن أسباب ذلك ما يلي :

١ - ما يحصل للنفس من الأنس به بإخراجها من الحفي إلى الجلي الواضح ، ألا ترى أنك إذا وصفت يوماً بالقصر ، فقلت : هذا يوم من أقصر ما يتصور ، لم يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولك : يوم كلبهام القطاة .

---

(١) عرفه ابن رشيق في «العمدة» بأنه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان إياه ، وقيل : هو إلحاق أدنى الشئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها واختلفا في كينيتها قوة وضعفاً .

أو لنحو قوله :

ظللنا عند باب أبي نعيم بيوم مثل سالفه الذباب<sup>(١)</sup>

٢ - ما يحصل لها من الانس بإخراجها مما لم تألفه ، الى ما هي به آلف ، فإذا كنت أنت وصاحب لك يسمي في أمر على شاطئ نهر وأردت أن تقرر له أنه لا يحصل من سمي على فائدة ، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له : انظر ، هل حصل في كفي شيء من الماء ، فكذلك أنت في أمرك - كان لذلك تأثير في النفس وتمكين للمعنى في القلب يزيد على القول المرسل إرسالاً .

٣ - ما يحصل لها بالانتقال مما تعلمه الى ما هي به ، فإنك ترى الفرق بينها وبين أن تقول : الدنيا لا تدوم ، ثم تسكت ، وبين أن تذكر عقب ذلك قوله عليه السلام : « من في الدنيا ضيف ، وما في يده عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤداة » ، أو تزدق قول لبيد :

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوماً أن ترد الودائع

### المبحث الثاني في الطرفين

ينقسم الطرفان الى **حسين وعقليين** ومختلفين ، وإلى مفردين ومركبين ومختلفين ، فالجسيان ما يدركان هما أو مادتهما أي أجزاؤهما بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ، وبهذا التفسير دخل في الحسي شيان :

ما كان للطرفان فيه مشتركين ، إما : في صفة مبصرة كتشبيه الحور الحسن بالياقوت والمرجان في قوله تعالى : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقول عنزة يصف غدراة :

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل قرارة كالدرهم<sup>(٣)</sup>

أو في صفة مسموعة كتشبيه الصوت الحسن بالموسيقى ، والأسلحة في وقعها بالصواعق ، والأصوات غير المفهومة بأصوات الفرارج ، في قول عياش بن سلمة يذم بني دالان :

(١) السالفه صفحة العنق ، وأراد هنا العنق كله .

(٢) سورة الرحمن الآية ٥٨ .

(٣) الثرة كالترثارة الثرية الماء ، والقرارة الحفرة ، والعين مطر أيام لا تغلق .

كان بني دالان إذا جاء جمعهم فراريج يلقي بينهن سويق<sup>(١)</sup>

أو في صفة مذوقة ، كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل ، والبرقوق الكرز ،  
والريق بالحمر ، في قول امرئ القيس :

كان المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القُطر  
يعل به برْد أنيابها إذا طرب الطائر المستحرج<sup>(٢)</sup>

أو في الصفة المشمومة كتشبيه رائحة الرياحين المجتمعة بالغالية<sup>(٣)</sup> والنكهة  
بريح العنبر .

أو في الصفة الملموسة ، كما يشبه الجسم بالحرير في النعومة ، كقول ذي الرمة :

لها بشر مثل الحرير - ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

(الخيالي) وهو المعلوم الذي يفرض مجتمعاً من أمور عدة ، كل منها مدرك  
بالحس ، كقول أبي الغنائم المحصي :

خود كأن بنانها في خضرة النقش المزرد

سمك من البلور في شبك تكون من زبرجد<sup>(٤)</sup>

فسمك على هذه الشاكلة ، وشبك بهذه الصفة لا يوجدان حتى يدركا بالحس ،  
لكن ما يتألفان منه وهو السمك والبلور وشبك والزبرجد ، يدركان بالحس .

والعقليان ما لم يدركا ، هما ولا مادتهما بإحدى الحواس ، كتشبيهم بالضلال  
عن الحق بالعمى ، والعلم بالحياة ، وبهذا التفسير دخل في العقلي .

(الوهمي)<sup>(٥)</sup> وهو ما ليس مدركاً بإحدى الحواس ، لكنه لو أدرك ،

لكان مدركاً بها ، كرؤوس الشياطين ، وأنياب الأغوال ، في قوله تعالى :

(١) الفراريج صفار الدجاج ، والسويق : الناعم من دقيق الحنطة والشعير ، وشبههم بذلك لدقة  
أصواتهم وعجلة كلامهم .

(٢) الصوب المطر ، والخزامى نبت طيب الرائحة ، والنشر للريح الطيبة ، والمستحرج المفرد  
في السحر .

(٣) أخلاط من الطيب .

(٤) الخود الشابة الناعمة .

(٥) هو ما تخترعه التخيلة من نفسها ، وهي قوة من قوى الإدراك من شأنها اختراع أشياء  
لا حقيقة لها ، كما تصور الفول بصورة السبع وتخترع له أنياباً .

﴿ طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقول امرئ القيس :  
 أَيْقَنْتَنِي وَالْمَشْرِفِي مَضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقِ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ  
 فَهَاتَانِ لَا تَدْرُكَانِ بِالْحَسِّ ، لَعْدَمِ وَجُودِهِمَا ، لَكِنْ لَوْ أَدْرَكْتَا لَمْ تَدْرُكَا  
 إِلَّا بِجَاسَةِ الْبَصَرِ .

(الوجداني) كَتَشْبِيهِمُ الْجُوعَ بِالنَّارِ ، وَالْعَطَشَ بِاللَّهَبِ وَتَسْعَرَ النَّارُ .  
 وَالْمُخْتَلِفَتَانِ إِمَّا بِأَنْ يَكُونَ الْمَشْبَهُ عَقْلِيًّا وَالْمَشْبَهُ بِهِ حَسِّيًّا ، كَمَا يَشْبَهُ الْعَدْلُ  
 بِالْقِسْطِ ، وَالرَّأْيُ بِسَوَادِ اللَّيْلِ فِي قَوْلِهِ :  
 الرَّأْيُ كَاللَّيْلِ مَسُودٌ جَوَانِبُهُ وَاللَّيْلُ لَا يَنْجَلِي إِلَّا بِإِصْبَاحِ

أَوْ بِالْعَكْسِ بِتَقْدِيرِ الْمَعْقُولِ كَأَنَّهُ مُحْسُوسٌ وَيَجْعَلُ كَالْأَصْلِ لَذَلِكَ الْمُحْسُوسُ  
 مِبَالِغَةً ، وَيَكُونُ حِينَئِذٍ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ كَمَا فِي تَشْبِيهِ الْعَطْرِ بِحَسَنِ الْخَلْقِ فِي  
 قَوْلِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ :

أَهْدَيْتَ عَطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّمَا أَمْدِي لَهُ أَخْلَاقُهُ  
 وَالْمُفْرَدَانِ إِمَّا مُطْلَقَانِ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ الشَّعْرِ بِاللَّيْلِ ، وَالْمُخَاطَبِ بِالْحَالِمِ ،  
 فِي قَوْلِهِ :

تَأْمَلْ إِذَا مَا نَلْتَ بِالْأَمْسِ لَذَّةً فَأَفْنَيْتَهَا هَلْ أَنْتَ إِلَّا كَحَالِمٍ  
 وَأَمَّا مُقِيدَانِ بِوصفٍ أَوْ إِضَافَةٍ أَوْ ظَرْفٍ أَوْ حَالٍ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، مِمَّا يَكُونُ  
 لَهُ تَعْلُقٌ بِوَجْهِ الشَّبهِ ، كَقَوْلِهِمْ لِمَنْ يَفْخَرُ بِمَا لَيْسَ لَهُ ، كَالْحَادِي ، وَلَيْسَ لَهُ بِعِيرٍ<sup>(٢)</sup> ،  
 فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الْحَالِيَّةُ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهَا فِي تَحْقِيقِ الشَّبهِ بَيْنَهُمَا ، وَكَقَوْلِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ :  
 وَالشَّمْسُ بَيْنَ الْأَرَائِكِ قَدْ حَكَتْ سَيْفًا صَقِيلًا فِي يَدِ رَعِشَاءَ  
 وَأَمَّا مُخْتَلِفَانِ ، وَالْمُقِيدُ هُوَ الْمَشْبَهُ ، نَحْوُ :

كَأَنَّ فُجَاجَ الْأَرْضِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ<sup>(٣)</sup> عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كَفَّةً حَابِلٍ<sup>(٤)</sup>  
 وَنَحْوُ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

(١) سُورَةُ الصَّافَّاتِ الْآيَةُ ٦٥ .

(٢) يَضْرِبُ مِثْلًا لِلرَّجُلِ يَفْخَرُ بِمَا لَيْسَ لَهُ .

(٣) الْفُجَاجُ جَمْعُ فَجٍ الطَّرِيقِ الرَّاسِعِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، وَالْكَفَّةُ مَا يَصَادُ بِهِ (الشَّبَكَةُ) .

وإذا الأرض أظلمت كان شمساً  
وأما بالعكس كقول الخنساء :

أغرُّ أبلج تأثم الهداة به  
وقول السري الرفاء :

والفجر كالراهب قد مُزقت  
وأما مركبان<sup>(١)</sup> كقول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا  
وأسيافنا ليل تهاوى كواكب<sup>(٢)</sup>

فالشبه<sup>(٣)</sup> هو مجموع الغبار والسيوف المتألقة في خلاله والمشبّه به هو الليل الذي تنهافت كواكبه إذ لم يقصد تشبيه النقع بالليل والسيوف بالكواكب ، بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من أغمارها ، وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب وتضطرب اضطراباً شديداً وتتحرك بسرعة إلى جهات مختلفة ، وكذا إلى هيئة الكواكب في تهاويها وتصادمها وتداخلها واستطالة أشكالها عند السقوط .

وهذا القسم ضربان :

١ - ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الثاني كقول القاضي التنوخي :

كأنما المريخ والمشتري  
منصرف بالليل عن دعوة  
قدامه في شامخ الرفعة<sup>(٤)</sup>  
قد أسرجت قدامه شمعاً

فإن المريخ في مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل : كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة ، كان ضرباً من الهديان .

(١) ليس الفرق بين المقيد والمركب باعتبار التركيب اللفظي لاستوائه فيهما غالباً ، بل باعتبار قصد المتكلم الهيئة بالذات والأجزاء بالتبع في المركب وباعتبار قصد جزء من الأجزاء والربط بغيره بالتبع في المفرد المقيد .

(٢) من آثار الغبار .

(٣) ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مستطيلة منيرة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم .

(٤) وأر المشتري للحال ، فهو يقصد الهيئة التي تكون للمريخ متى كان المشتري أمامه .

٢ - ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر، غير أن الحالة تتغير، كقول أبي الطيب الرقي :  
وكان أجرام النجوم لوامعاً دررٌ نثرن على بساط أزر

فلو قيل: كأن النجوم درر وكان السماء بساط أزرق، كان تشبيهاً صحيحاً، ولكن أين هذا من ذلك الذي يملأ نفسك عجباً، إذ يريك هيئة نجوم طالعة متألقة متفرقة في أديم سماء صافية الزرقة .

وأما مختلفان ، وهو ضربان :

١ - أن يكون المشبه مفرداً والمشبه به مركباً ، كقول الصنوبري :

وكان محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد  
أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد<sup>(١)</sup>

فالمشبه هو الشقيق عند تصوبه<sup>(٢)</sup> وتصعده ، والمشبه به مركب ، وهو الصورة الحادثة من نشر أجرام محمر مبسوطة على رؤوس سيقان خضر مستطيلة .

٢ - أن يكون المشبه مركباً ، والمشبه به مفرداً ، كقول أبي تمام بصف الربيع :

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور  
تريا نهراً مشمساً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر<sup>(٣)</sup>

يريد أن النبات لشدة خضرته مع كثرتة وتكاثفه ، صار لونه يميل الى السواد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كأنه ليل مقمر .

فهو قد شبه النهار الذي خالطه زهر الربا ( وهذا مركب ) بالليل المقمر ( وهذا مفرد مقيد بالصفة ) .

(١) محمر الشقيق ورد أحمر في وسطه سواد ، يقال له : شقائق النعمان .

(٢) فهو مفرد مقيد بالظرف ، لأن أوراق الشقائق إنما تكون على هيئة العلم اذا مالت الى السفلى أو العلوى .

(٣) تقصيت الشيء بلغت أقصاه ، وشابه خالطه ، والربا جمع ربوة وهي المكان المرتفع ، وخص زهر الربا لأنها أنضر وأشد خضرة ، وفي الكلام حذف مضاف أي لون زهر الربا .

## المبحث الثالث في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى ملفوف ومفروق

الطرفان إن تعددا كان ذلك على ضربين :

١ - أن يؤتى بالمشبهات أولاً على طريق العطف ، أو غيرها ، ثم يؤتى  
بالمشبهات بها كذلك ، ويسمى حينئذ تشبيهاً ملفوفاً ، كقول امرئ القيس يصف  
عقاباً بكثرة اصطياد الطيور :

كان قلوب الطير رطباً ويابساً ولدى وكرها العناب والحشف البالي<sup>(١)</sup>  
فقد شبه الرطب من قلوب الطير بالعناب ، وشبه اليابس العتيق منها  
بالحشف البالي .

وفضيلة هذا الضرب من التشبيه اختصار اللفظ ، وحسن الترتيب ، إلا أن  
في الجمع فائدة في المقصود من التشبيه كما هو الحال في التشبيه المركب .

٢ - أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم بآخر وآخر ، ويسمى تشبيهاً مفروقاً ،  
كقول ابن سكرة :

الحُد ورد والصدغ غالية والريق حمر والثغر كالدر<sup>(٢)</sup>

## المبحث الرابع في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى تشبيه تسوية ، وتشبيه جمع

إذا تعدد أحد الطرفين كان ذلك على ضربين :

١ - فإن كان المتعدد المشبه سمي تشبيه التسوية ، كقوله :

|                  |                               |
|------------------|-------------------------------|
| صدغ الحبيب وحالي | كلامها كالليالي               |
| وتفره في صفاء    | وأدمعي كاللآلي <sup>(٣)</sup> |

(١) العناب بزنة رمان حب أحمر مائل الى الكدرة قدر قلوب الطير يثمره السدر البستاني  
والحشف أردأ التمر .

(٢) الغالية أخلاط من الطيب مركبة تركيباً خاصاً .

(٣) للصدغ إطلاقان ما بين الأذن والعين ، والشعر المتدلي ، وهو المراد هنا ، والسواد في  
حاله تخيلي .

فقد شبه في البيت الأول صدغ الحبيب (وهو الشعر البادي من الرأس فيما بين الأذن والعين) وحاله بالليالي ، وشبه في البيت الثاني ثغر الحبيب (وهو مقدم أسنانه) ودموعه بالآليء في القدر والصفاء والإشراق .

٢ - وإن كان المشبه به سمي تشبيه الجمع كقول البحري :

بات نديماً لي حتى الصباح      أغيد مجدول مكان الوشاح  
كأنما يبسم عسن لؤلؤ      منضد أو برَد أو أقاح

### المبحث الخامس في وجه الشبه

وجه الشبه هو الوصف الخاص<sup>(١)</sup> الذي قصد اشتراك الطرفين فيه ، فقولك : علي كالأسد ، ووجه سعدى كالشمس - الوجه في الأول الجرأة والإقدام وشدة البطش المشهورة في الأسد ، وفي الثاني الحسن والبهاء الثابتان للشمس .

فمن أراد أن يشبه حركة أو هيئة بغيرها فعليه أن يتطلب أمراً يشترك فيه الطرفان ، كما فعل ابن المعتز حين يقول :

وكان البرق مصحف قار      فانطباعاً مرة وانفتاحاً<sup>(٢)</sup>

فهو لم ينظر إلى جميع صفات البرق ، بل نظر إلى انبساط يعقبه انقباض ، وانتشار يتلوّه انضمام ، فشبه ذلك بمصحف ، القارىء يفتحه مرة ، ويطبقه مرة أخرى .

ومما ذكر تعلم أن قولهم : « النحو في الكلام كالملح في الطعام » يريدون به أن الكلام لا ينتفع به إلا براعاة أحكام النحو فيه ، كما لا ينتفع بالطعام ما لم يصلح بالملح ، إلا أن القليل من النحو مفيد والكثير مفسد ، كما يفسد الملح الطعام ، إذا كثر فيه ، إذ لا تتصور زيادة ولا نقصان في جريان أحكامه في الكلام ، لأنه إن استوفى أحكامه من رفع الفاعل ونصب المفعول ونحو ذلك ، فقد وجد النحو وانتفى الفساد وانتفع به في فهم المراد وإلا لم يوجد وكان

(١) قال ابن رشيق في «العمدة»: التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ، ألا ترى أن قولهم : فلان كالبحر ، إنما يريدون كالبحر ساحة وعلماً ، ولا يريدون ملوحة البحر وزعوقته . انتهى .

(٢) فار أصله قارىء، حذفته منه الهزة بعد قلبها ياء ، ثم أعلل لإعلال قاض .

الكلام فاسداً . فقول أبي بكر الخوارزمي : « والبغض عندي كثرة الاعراب »  
كلام ليس له معنى ، وينقسم الوجه الى عدة أقسام :

#### ١ - تحقيقي وتخيلي :

( أ ) فالنحقيقي ما كان متقراً في الطرفين على وجه التحقيق كقوله تعالى :  
﴿ وله الجواري المنشئات في البحر كالأعلام ﴾ (١) ، فوجه الشبه وهو  
العظم والضخامة ، موجود في كل من المراكب والجبال حقيقة .

( ب ) والتخيلي ما لا يكون وجوده في أحد الطرفين إلا على ضرب من  
التأويل ، فمثاله في المشبه قوله : صدغ الحبيب وحالي ، كلاهما كالليالي ، ومثاله  
في المشبه به قول التنوخي :

وكان النجوم بين دجاء      سنن لاح بينهن ابتداع

فوجه الشبه هو الهيئة الحادثة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب  
شيء مظلم أسود ، وهي غير موجودة في المشبه به ، إلا على طريقة التخيل ،  
ذلك أنه لما كانت البدع والضلالات تجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة فلا يهتدي  
إلى الطريق الذي تقع له به النجاة ،

شبهت بالظلمة وشاع ذلك حتى قيل : شاهدت سواد الفكر من جبين فلان ،  
لتخيل أن البدعة نوع له زيادة اختصاص بسواد اللون ، وبطريق العكس شبه  
الهدى ، والعلم بالنور ، واشتهر ذلك كما ورد : « أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلاً  
كنهارها » من حيث تخيل أن السنن ونحوها جنس من الأجناس التي لها إشراق (٢)  
وبياض في العين .

ومن أجل هذا صار تشبيه النجوم بين الدياجي بالسنن بين الابتداع واضعاً  
جلياً كتشبيهها ببياض الشيب في سواد الشباب .

٢ - واحد ومركب من متعدد منزل منزلة الواحد ، وكل منهما : إما حسي ،  
وإما عقلي ، ومتعدد ( يقصد فيه اشتراك الطرفين في عدة أمور كل منها وجه شبه

(١) سورة الرحمن الآية ٢٤ .

(٢) فتمام التشبيه يكون بأن يتخيل ما ليس بمتلون متلونا ، ثم يتخيل كونه أصلاً للمتلونات  
الحقيقية من ذلك الجنس .

على حدته ، وبهذا يخالف المركب المنزل منزلة الواحد ، فإن وجه الشبه فيه الهيئة المنتزعة من عدة أمور ) وهو : إما حسي ، وإما عقلي ، وإما مختلف بعضه حسي وبعضه عقلي :

( أ ) فالواحد الحسي طرفاه لا يكونان إلا حسيين ، فإن الوجه أمر منتزع من الطرفين موجود فيها ، وكل ما يؤخذ من العقلي وينتزع منه يجب أن يدرك بالعقل لا بالحس ، لأن أوصاف العقلي يجب أن تكون عقلية ، وذلك كتشبيه الحد بالورد يجمع الحمرة والغضاضة .

( ب ) والواحد العقلي طرفاه إما عقليان كما يشبه وجود ما لا ينتفع به بعدمه يجمع العراء عن الفائدة في قولهم : وجوده كالعدم ، وإما حسيان كتشبيه الرجل بالأسد في الجرأة والإقدام والبطش ، وإما المشبه عقلي والمشبه به حسي ، كما يشبه العلم بالنور يجمع الهداية في كل ، وإما بالعكس كما يشبه العطر بخلق الكريم يجمع ارتياح النفس وانتعاشها .

( ج ) والمركب الحسي طرفاه إما مفردان كتشبيه الثريا بعنقود من الكرم لاشتراكهما في الهيئة الحادثة من تقارن الصور البيض المستديرة الصفار في رأي العين على كيفية مخصوصة ومقدار معين في قول كسناجم محمود بن الحسين :

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى      كعنقود ملاحبة حين نوراً<sup>(١)</sup>

وإما مركبان كالهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار ، متفرقة في جوانب شيء مظلم في قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم      وأسيافنا ليل تهاوى كواكب

إما مختلفان كما مر من تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ، فالشبه مفرد ، والمشبه به مركب ، وإما بالعكس كتشبيه النهار بالشمس الذي شابه زهر الربا بليل مقرر .

ومن بديع المركب الحسي ما يحيى في الهيئات التي تقع عليها الحركة ، وذلك على وجهين :

---

( ١ ) الملاحية بضم الميم وتشديد اللام ، والأكثر تخفيفها عنب أبيض في حبه طول رحين نور ، أي تفتح نوره بفتح النون .

١ - أن تقترن هيئة الحركة بغيرها من أوصاف الجسم ، كالشكل واللون ،  
كقول جبار بن جزء بن أخي الشماخ :

والشمس كالمرآة في كف الأشل<sup>١</sup> لما رأيتها بدت فوق الجبل<sup>٢</sup>

فوجه الشبه : الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة  
المتصلة مع الإشراق حتى يرى الشعاع كأنه هم بأن ينبسط حتى يفيض من الوسط  
الى جوانب الدائرة ، ثم يبدو له أن يرجع من الانبساط الذي هم به الى الانقباض  
كأنه يرجع من الجوانب الى الوسط ، فإن الإنسان اذا أحس النظر لينظر الى  
الشمس ، ولا سيما أول شروقها ، ليتبين جرمها ، وجدها تؤدي هذه الهيئة ،  
وكذلك المرأة في كف الأشل .

٢ - أن تجرد هيئة الحركة عن غيرها من الأوصاف ، فهناك لا بد من  
اختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة ، كان يتحرك بعضه الى اليمين  
وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفلى ، فحركة الدولاب والرحا  
والسهم ، لا تركيب فيها لاتحاد الحركة .

وحركة المصحف في قول ابن المعتز<sup>٣</sup> :  
وكان البرق مصحف قار فانطباقاً مرة وانفتاحاً

فيها تركيب لأنه يتحرك في حالتي الانطباق والانفتاح الى جهتين في كل حال  
الى جهة ، ومن لطيف ذلك قول الأعشى ، يصف السفينة في البحر ، وتقاذف  
الأمواج بها :

تقص السفين<sup>٤</sup> يحانبيه كما ينزو الرياح خلاله كراع<sup>(١)</sup>

شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل في نزوه ، فإنه يكون له  
حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة ويكون هناك تسفل  
وتصعيد على غير قرريب ، وبحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين في الأخرى ،  
فلا يتبينه الطرف مرتفعاً حتى يراه متسفلاً ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة  
وهيئة حركاتها حين تتدافعها الأمواج .

(١) نقص ثوب ، والغزو الوثوب والرياح كرومان ، ويخفف القرد أو الفصيل ، والكراع ماء  
الساء ، وخلا فعل ماض .

وكما يقع التركيب في هيئة الحركة ، قد يقع في هيئة السكون ، كقول  
أبي الطيب في صفة الكلب :

يقع جلوس البدوي المصطلي بأربع مجدولة لم 'تجدل' (١)

فلم يزل التشبيه حظاً من الحسن إلا لما فيه من التفصيل من حيث كان لكل  
عضو من أعضاء الكلب في إقعائه موقع خاص ، وكان مجموع تلك الجهات في  
حجم أشكال مختلفة تؤلف منها صورة خاصة ، وكذلك صورة جلوس البدوي  
عند الاصطلاء .

والمركب العقلي كحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصعابه  
في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ  
يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ (٢) ، فالتشبيه منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها الى بعض ،  
ذلك أنه روعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول أوعية  
العلوم ومستودع ثمار العقول ، وأن الحمار جاهل لما فيها ، فلا حظ له إلا أن  
يثقل عليه الحمل أو يكبد جنبه ، وكذا في جانب المشبه ، فقد روعي أنهم فعلوا  
فعلاً مخصوصاً ، هو الحمل المعنوي ، وكون المحمول أوعية العلوم وكونهم جاهلين  
لما فيها .

( تنبيه ) قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع من  
بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعا من جميعها ، كقوله :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأوها أقشعت وتجلت (٣)

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه ، لا حاجة به  
الى الثاني ، على أن المراد به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة اليه ،

---

(١) الإقعاء الجلوس على الاليتين ، والاصطلاء الاستدفاء بالنار ، ومجدولة محكمة الخلق  
لم يجد لها انسان ، والغرض مدح الكلب بشدة الحرص .

(٢) سورة الجمعة الآية هـ .

(٣) أقشعت اضمحلت وذهبت ، وأبرقت قوماً أي لقوم ، ففي الأساس : أبرقت لي فلانة  
إذا أحسنت لك وتعرضت ، وعطاش جمع عطشان . وقبله :

لقد أطمعتني بالوصال تبساً وبعد رجائي أعرضت ونولت

لكن، بعد التأمل، يظهر أن مقصد الشاعر أن يثبت ابتداء مطعماً متصلاً بانتهاه مؤسس، وذلك يتوقف على البيت كله .

وهذا بخلاف التشبيهات المجتمعة في نحو : محمد كالأسد ، والسيف والبحر ، فإن المقصد فيها التشبيه بكل واحد على حدته ، حتى لو حذف بعضها ، لا يتغير الباقي في إفادة معناه ، بخلاف المركب ، فإن المقصود يختل بإسقاط بعض الأمور ، كما أنه لو قدم بعضها وآخر بعضها الآخر لا يتغير المعنى ، إذ ليس لهذه التشبيهات نسق مخصوص ، ولا ترتيب معين<sup>(١)</sup> بخلاف المركب .

والمتمعدد الحسي : كالموت والطعم والرائحة ، في تشبيه النبق الكبير بالتفاح في هذه الأمور الثلاثة .

والمتمعدد العقلي : كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد ، عند تشبيه طائر بالغراب ، فيما ذكر .

والمتمعدد المختلف ، كحسن الطلعة ونباهة الشأن عند تشبيه إنسان بالشمس ، واعلم أنه قد ينتزع التشبه من نفس التضاد لا اشتراك الضدين فيه ، فينزل التضاد منزلة التناسب ، فيشبه أحد الضدين بالآخر ، للتلميح والظرافة ، أو للتهكم والاستهزاء ، كما يشبه بخيل بجاتم ، وعبي يقبس في الفصاحة ، كما قال الإمام المرزوقي ، وفي قول شقيق الأسدي :

أثاني من أبي أنس وعيد      فسل لفيظه الضحاك جسمي<sup>(٢)</sup>  
إن قائل هذا البيت قصد به الاستهزاء والتلميح بما يستظرفه السامعون .

المبحث السادس في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه إلى تمثيل وغيره

التمثيل تشبيه وجه منتزع من متعدد أمرين ، أو أمور ، كقوله :

وكان النجوم والليل داج      نقش عاج يلوح في سقف ساج<sup>(٣)</sup>

---

(١) فقد ظهر من هذا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب في أمرين : الأول أنه لا يجب فيها ترتيب خاص ، والثاني أنه إذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيد قبل الحذف .

(٢) الوعيد التخويف ، وسل ذاب ، وهو بصيغة المبني للمجهول ، والضحاك هو أبو أنس ، وهو بالجر بدل من الهاء ، ففيه إظهار في موضع الاضمار زيادة الاستهزاء لذكره باسمه العلم .

(٣) الساج : شجر ينبت ببلاد الهند .

فوجه الشبه هيئة مأخوذة من أشياء بيضاء مستديرة لامعة في وسط شيء أسود، وكقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَمْثَلٍ﴾ ومثلكم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴿١﴾ فقد شبهت حال المنافقين بحال مَنْ استوقد ناراً الى آخر هذه الآية ، يجمع الطمع في حصول شيء بوسرت أسبابه وهيئت وسائله ، ثم تلا ذلك الحرمان والحبيبة لانقلاب الأسباب وتقويض أركانها رأساً الى عقب ، وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك ، نحو : فلان كالسيف في المضاء .

### الفرق بين التشبيه والتمثيل

التشبيه أعم من التمثيل ، فكل تمثيل تشبيه دون عكس إذ التمثيل مختص بما كان وجه الشبه فيه منازعاً من متعدد .

وللتمثيل موقعان :

١ - أن يكون في مفتتح الكلام فيكون قياساً موضعاً وبرهاناً مصاحباً ، وهو كثير جداً في القرآن الكريم نحو: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يَنْسَوْنَ آمَوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ (٢).

٢ - ما يجيء بعد تمام المعاني لإيضاحها وتقريرها فيشبه البرهان الذي تثبت به الدعوى ، كقول أبي العنابية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها      إن السفينة لا تجري على اليبس

### تأثير التمثيل في النفس

إذا وقع التمثيل في صدر القول بعث المعنى الى النفس بوضوح وجلاء مؤيداً بالبرهان ، وإذا أتى بعد استيفاء المعاني كان :

١ - إما دليلاً على إمكانها ، كقول المتنبي :

وما أنا منهم بالعيش فيهم      ولكن معدن الذهب الرغام

٢ - أو تأييداً للمعنى الثابت ، كقوله :

ونار لو نفخت بها أضواء      ولكن أنت تنفخ في رماد

(١) سورة البقرة الآية ١٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦١ .

وهو في كلنا الحالين يكسب المعاني منقبة ، ويرفع قدرها ، ويجعل لها في القلوب هزة وارتياحاً ، فإنك إذا تأملت حالك وحال المعنى قبل التمثيل وبعده ترى بونا شامعاً ومسافة الخلاف متسعة ، ألا تراك تحس الفرق بين أن تقول : أرى قوماً لهم بهاء ومنظر وليس لهم مخبر ، وأن تزدق قول الشاعر :

في شجر السرو منهم مثلٌ له رؤاء وما له ثمراً<sup>(١)</sup>

فإن جاء في باب المدح كسا المعنى حلة من الفخامة وقضى للمادح بغير المنائح كقوله :

فقد عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل بجراه مرتعا

وإن جاء في باب الذم كان وقعه أشد وحده ، كقوله تعالى : ﴿ فَيَأْتِي الْآيَاتِ فَنَنْسَخْ مِنْهَا ﴾ ﴿ مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾<sup>(٢)</sup> .

وإن جاء في مقام الاحتجاج كان ساطع البرهان باهر البيان ، كقوله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذه بيتاً وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾<sup>(٣)</sup> .

وإن جاء في مقام الوعظ كان أبلغ في التنبيه والزجر ، كقوله تعالى في وصف نعيم الدنيا : ﴿ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً يكون حطاماً ﴾<sup>(٤)</sup> .

وإن جاء في موضع الاعتذار خلب القلب وسحر اللب وسل السخيمة وأزال الموجدة والصفينة ، كقول المتنبي :

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبوحاً من الألم

وهكذا حاله في كل فنون القول وضروب الكلام ، ولا سيما باب الوصف ، كقوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) هو فصيلة الصفصاف .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٦ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤١ .

(٤) سورة الحديد الآية ٢٠ .

(٥) سورة إبراهيم الآية ٢٢ .

وقول الشاعر :

والليل تجري الدراري في مجرته كالروض تطفو على نهر أزاره

المبحث السابع في تقسيم التشبيه  
باعتبار الوجه الى مجمل مفصل

فالمجمل هو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه ، وهو قسمان :

١ - ظاهر يفهمه كل أحد كأن يشبه الشيء اذا استدار بالكرة في وجه  
والحلقة في وجه آخر ، وكقوله :

إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

٢ - خفي لا يعرف المقصود منه ببديهة السمع ، بل يحتاج الى تأويل كقول  
كعب بن معدان الأشعري في وصف بني المهلب ( هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين  
طرفاها ) ، فهذا يحتاج الى فضل تأمل ورفق ، ولا يفهمه إلا من ارتفع عن طبقة  
العامة ودخل في عداد الخاصة .

ومن المجمل ما ذكر معه وصف المشبه به ، كقول زياد الأعجم :

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا لكالبحر مها تلقى في البحر يفرق

أو وصفها معاً ، كقول أبي تمام يمدح الحسن بن رجاء :

ستصبح العيس بي والليل عند فوق كثير ذكر الرضا في ساعة الغضب

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه عني وعأوده ظني فلم يحب

كالغيث إن جثته وافاك ريقه وإن ترحلت عنه لج في الطلب<sup>(١)</sup>

فقد وصف المشبه ، أعني المدوح ، بأن عطاياه فائضة عليه ، أعرض أو لم  
يعرض ، ووصف المشبه ، أعني الغيث ، بأنه يصيبك ، جثته أو ترحلت عنه ،  
والوصفان دالان على وجه الشبه ، أعني الإفاضة ، في حالتي الطلب وعدمه ،  
وحالتي الإقبال عليه والإعراض عنه .

(١) العيس ابل ابيض ، والليل أي سيوه ، وصدفت أعرضت ، والريق من كل شيء أفضله  
وترحلت تباعدت ، ولج تمادى . وقد تركنا ما ذكر معه وصف المشبه فقط لعدم الظفر له  
بمثال عربي مسموع.

والمفصل ما ذكر<sup>(١)</sup> فيه وجه الشبه أو ذكر فيه مكان الوجه أمر يستلزمه  
فالأول نحو :

يا هلالاً يدعي أبوه هلالاً      جل باريك في الورى وتعالى  
أنت بدر حسناً وشمس علواً      رحسام حزمياً وبحر نوالاً

والثاني كقولهم للألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان ولا تبعد دلالتها  
على معانيها ، وهي كالعسل حلوة ، وكالماء سلسة ، وكالنسيم رقة .  
والجامع في الحقيقة لازم الحلوة ، وهو ميل الطبع ولازم السلسلة والرقّة ،  
وهو نشاط النفس وانتعاشها .

### المبحث الثامن في تفسير التشبيه

#### باعتبار الوجه الى قريب مبتذل وبعيد غريب

فالقريب المبتذل هو ما ينتقل فيه المشبه الى المشبه به من غير تدقيق  
لظهور وجه الشبه باديء ذي بدء ، فيسهل تداوله بين العامة والخاصة ، كما اذا  
نظرت الى السيف الصقيل عند سله وبريق لمعانه ، لم يتباعد عنك أن تذكر  
لمعان البرق .

وسبب ظهوره أحد أمرين :

١ - كونه أمراً جليلاً لا تفصيل فيه ، فإن الجملة أسبق الى النفس من التفصيل  
إذ الرؤية تصل الى الوصف أولاً على الجملة ثم يتلوها التفصيل ، ألا ترى أن السمع  
يدرك من تفاصيل الصوت ، والذوق يدرك من تفاصيل المذوق في المرة الثانية  
ما لا يدركه في المرة الأولى .

٢ - كونه<sup>(٢)</sup> قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن ، إما مطلقاً  
لتكرره على الحس ، كما تقدم من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة ، وإما عند حضور  
المشبه ، لقرب المناسبة ، كما تشبه الضبة الكبيرة السوداء بالإجاصة في الشكل  
والمقدار ، والجرة الصغيرة بالكوز .

(١) على جهة التمييز أو الجر بفي .

(٢) أي ليس جليلاً ، بل فيه تفصيل ، لكنه قليل .

والبعيد الغريب ما يحتاج في الانتقال من المشبه الى المشبه به الى فكر ودقة نظر ، لحفاء وجهه .

وسبب خفاء الوجه <sup>(١)</sup> أحد أمرين :

١ - كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأسفل ، فإن هذه الهيئة لا تقوم في نفس الرائي المرآة الدائمة الاضطراب ، إلا أن يتمهل في نظره ويستأنف التأمل ملياً حتى يتجلى له وجه الشبه فيها .

٢ - ندور حضور المشبه به في الذهن ، إما عند حضور المشبه لبعده المناسبة بينهما ، كما في تشبيه البنفسج بنار الكبريت ، وإما مطلقاً لكونه وهمياً كما سبق من تشبيه نصاب السهام بأنياب الأغوال ، أو مركباً خيالياً كما مر من تشبيه الشقيق بأعلام الباقوت المنشورة على رماح من زبرجد ، أو مركباً عقلياً كما في تشبيه مثل أحبار اليهود بثل الحمار يحمل أسفاراً .

### تشبيهات

١ - يراد بالتفصيل أن ينظر في الأوصاف واحداً فواحداً ، ويفصل بعضها من بعض بعد التأمل ، وينظر في الشيء الواحد لغير جهة ، ويقع ذلك على ضروب ، أشهرها :

( أ ) أن يؤخذ بعض ويترك بعض ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

حملت ردينياً كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان <sup>(٢)</sup>

فقد اعتبر في اللهب والشكل واللون واللعمان ، ونفى اتصاله بالدخان .

( ب ) أن يعتبر الجميع ، كما فعل الآخر في قوله ( وقد تقدم ) :

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نوراً

---

(١) خلاصة ذلك أن الوجه يكون قريباً اذا كان مفرداً أو متعدداً أو مركباً حسياً ابتذل بكثرة الاستعمال ويكون غريباً اذا كان وهمياً أو خيالياً أو مركباً حسياً يجري على ألسنة الخاصة أو نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه .

(٢) الرديني: رمح منسوب لردينه ، وهي امرأة صناع كانت تجيد صنع الرماح ، والسنا : الضوء والاشراق .

فإنه قد لاحظ في الأنجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها على مسافة مخصوص في القرب ، ثم نظر الى مثل ذلك في العنقود المنور من الملاحظة .  
وكما كان التركيب (خيالياً كان أو عقلياً) من أمور أكثر كان التشبيه أبعد لكون تفاصيله أكثر .

٢ - التشبيه البليغ هو البعيد الغريب لغرابته ، ولأن الشيء إذا نيل بعد طول الاشتياق اليه كان نبيله أحلى وموقعه من النفس ألطف ، كما قال الجاحظ : يذكر ما في الفكر والنظر من الفضيلة ، وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بلطم<sup>(١)</sup> الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمان قرعه .

٣ - ربما تصرف الفطن الحاذق بصنعة الكلام في القريب المبتذل فجعله بديعاً نادراً وغريباً لا ترتقي اليه أفكار العامة ، كأن يشترط في تمام التشبيه وجود وصف لم يكن ، وانتفاء وصف قد كان ولو ادعاء ، ويسمى التشبيه المشروط ، وذلك على ضربين ، منها :

١ - أن يكون كقول المتنبي : *مكرهية كجوزة من راسدي*

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء<sup>(٢)</sup>

فتشبيه الحسناء بالشمس مطروق مبتذل يستوي فيه الخاصة والعامة ، لكن حديث الحياء وما فيه من الدقة والحقاء أخرجه من الابتذال الى الغرابة وشبهه به قول أبي نواس :

إن السحاب لتستحي اذا نظرت إلى نذاك فقاسته بما فيه  
حقى تهم بأقلع فيمنعها خوف من السخط من إجلال منشئها  
٢ - أن يكون كقول الوطواط :

عزماته مثل النجوم ثواقبا لو لم يكن للثاقبات أقول<sup>(٣)</sup>

(١) لطم : لحس .

(٢) تلقى إما بمعنى تبصر ، فالتشبيه غير مصرح به ، وإما من لقيته بمعنى قابلته وعارضته ، فهو فعل يدل على التشبيه ، وهو تشبيه مقلوب ، إذ المقصود تشبيه الوجه بالشمس ، لا العكس .

(٣) العزمات جمع عزمة ، وهي المرة من العزم ، والثواقب اللوامع .

فقد شرط لتمام المماثلة بين النجوم وبينه عدم مغيبها ، ونظيره قول البديع  
الهمداني :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً      لو كان طلق الهيسا يطر الذهبا  
٣ - أن يكون كقول ابن بابك :

ألا يا رياض الحزن من أبقى الحمى      نسيمك مسروق ووصفك منتحل  
حكيت أبا سعد فزشره نشره      ولكن له صدق الهوى والملك الملل

٤ - أن يجمع بين عدة تشبيهات فيزداد بذلك لطفاً وعرابة ، كقوله :

كأنما يبسم عن لؤلؤ      أو فضة أو برد أو أقاح

### المبحث التاسع في الكلام على أدوات التشبيه

أدوات التشبيه هي : الكاف ، وكان ، ومثل ، ونحوها مما يفيد معنى المماثلة  
والمشابهة ، نحو : فجعلهم كعصف ما كول ، كأنهم الياقوت والمرجان ، وإنما  
مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء .. الى آخر الآية .

ويفرق بين الكاف وكان بوجوه :

( أ ) أن الكاف يليها المشبه به (١) ، وكان يليها المشبه ، نحو :

الحليم كالجيل في سكونه      كأنك سعيان فصاحة

( ب ) أن الكاف تدل دائماً على التشبيه ، وكان تفيد التشبيه ، إذا كان خبرها  
جامداً أو مؤولاً به ، نحو :

وكان دجلة إذ تلاطم موجهها      ملك يعظم خيفة ويبجل  
وتفيد الشك إذا كان خبرها مشتقاً ، نحو :

كأنك قائم فيهم خطيباً      وكلهم قيام للصلاة

( ج ) التشبيه بكان أبلغ من التشبيه بالكاف ، لما فيه من التوكيد ، لتركبها  
من : الكاف ، وأن .

---

(١) قد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركباً نحو : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء  
أنزلناه من السماء .. الآية . إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا ، ولا بمفرد آخر يتعمل تقديره ،  
بل المراد تشبيه حالها في تضارثها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر  
ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن.

وقد ينوب عن الأداة وينفي عنها فعل من أفعال اليقين<sup>(١)</sup> أو الرجحان كعلم وظن وحسب ، ويكون منبئاً عن حال التشبيه في القرب أو البعد ، ولا يعتبر أداة ، بل الأداة محذوفة ، كقوله :

قوم إذا لبسوا الدروع حسبها سجا مزردة على أقمار<sup>(٢)</sup>

### المبحث العاشر في تقسيم التشبيه باعتبار الأداة

ينقسم التشبيه باعتباره الأداة إلى :

١ - مؤكد ، وهو ما حذفته أدواته ، نحو : وهي تمر مر السحاب . وقوله :

هم البهور عطاء حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقاهم بهم<sup>(٣)</sup>

ومنه ما أضيف المشبه به إلى المشبه ، كقوله :

فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى مصباح رأيك توده ضوء مصباح

٢ - مرسل ، وهو ما ذكرت فيه الأداة ، نحو :

كأن عيون النرجس الغض حولنا مداهن در حشوهن عقيق

### التشبيه البليغ<sup>(٤)</sup>

هو ما ذكر فيه الطرفان فقط وحذف منه الوجه والأداة ، وسبب تسميته بذلك أن حذف الوجه والأداة يورهم اتحاد الطرفين وعدم تفاضلها فيعملو المشبه إلى مستوى المشبه به ، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه ، أما ذكر الأداة فيفيد ضعف المشبه وعدم إلحاقه بالمشبه به ، كما أن ذكر الوجه يفيد تقييد التشبيه وحصره في جهة واحدة .

ومن أمثلته ما يأتي :

(١) إذ ادعى فيه كمال المشابهة وألفاظ الرجحان ان بعد التشبيه ، لما في الحسان ونحوه من عدم التيقن .

(٢) الدرع ثوب ينسج من زود الحديد يلبس في الحرب للوقاية ، والسحب : جمع سحابة ، والمزردة المنسوجة .

(٣) اليهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذي يستبهم على أقرانه مائاه .

(٤) هذه طريقة لبعضهم ، وتقدم أن بعضهم يسمي التشبيه البعيد الغريب بالبليغ .

فالأرض ياقوته والجو لؤلؤه      والنبت فيروزج والماء بلور  
طلعن بدوراً وانقبن أهلة      ومسن غصوناً والتفتن جاذراً  
فأقضوا مآربكم عجلاً إنما      أعماركم سفر من الأسفار

### التشبيه الضمني<sup>(١)</sup>

هو ما لم يصرح فيه بأركان التشبيه على الطريقة المعلومة ، بل يفهم من معنى الكلام وسياق الحديث كقوله :

علا فما يستقر المال في يده      وكيف تمسك ماءً قنة الجبل

فإنه قد شبه الممدوح المفهوم من ضمير علا بقنة الجبل ووجه الشبه عدم استقرار شيء والأداة محذوفة ، ونحوه قول المتنبي :

فإن تفق الأنام وأنت منهم      فإن المسك بعض دم الغزال  
وقول الطغرائي :

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع

والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل<sup>(٢)</sup>

### المبحث الحادي عشر في الغرض من التشبيه

الغرض من التشبيه وهو الإيضاح والبيان مع الإيجاز والاختصار يعود في الأغلب (في التشبيه غير المقلوب) إلى المشبه لوجوه ، منها :

١ - بيان إمكانه ، إذا كان أمراً غريباً لا يمكن فهمه وتصوره إلا بالمثال ، كقول البحتري :

دنوت تواضعاً وعلوت مجداً      فشأنك انحدار وارتفاع  
كذلك الشمس تبعد أن تسامي      ويدنو الضوء منها والشماع

فحين أثبت للمدوح صفتين متناقضتين ، هما القرب والبعد ، وكان ذلك غير ممكن في مجرى العرف والعادة ، ضرب لذلك المثل بالشمس ، ليبين إمكان ما قال .

(١) سمي ضمناً لأنه يفهم ضمن القول وسياق الكلام .

(٢) شرع أي سواء ، ورآد الضحى : ارتفاعه ، والطفل : احمرار الشمس عند الغروب .

٢ - بيان حاله ، إذا كان غير معروف الصفة قبل التشبيه ، كقول النابغة  
يمدح النعمان :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب  
فالوجه عظم حال النعمان وصغر حال الملوك الآخرين إذا قيسوا به .

ويكثر استعماله على هذا النحو في العاوم والفتون للابضاح والبيان لتقريب  
الحقائق الى أذهان المتعلمين ، كما يقال لهم : الأرض كالكرة ، والذئب كالكلب  
في الحجم .

٣ - بيان مقدار حاله في القوة والضعف إذا كان معروف الصفة قبل التشبيه  
فيه يعرف مقدار نصيبه ، كقول الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لا ريث ولا عجل<sup>(١)</sup>

٤ - تقرير حاله في نفس السامع ، بإبرازها فيما هي فيه أظهر وأقوى ،  
ويكثر في تشبيه الأمور المعنوية بأخرى تدرك بالحس كقولك للشغل بما لا فائدة  
فيه : أنت كالراقم على الماء ، إذ بالتشبيه يظهر أنه قد بلغ من الحبيبة أقصى الغاية  
وكقول المتنبي :

من ين يسهل الهوان عليه ما لجرح بيت إيلام<sup>(٢)</sup>  
وقوله :

إن القلوب إذا تناقر ودها مثل الزجاج كسرها لا يجبر

٥ - تزيين المشبه وتحسين حاله ليرغب فيه ، كقول ابن المعتز يصف الهلال :

أهلاً بفطر قد أثار هلاله فالآن فاغد على الشراب وبكر  
انظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر<sup>(٣)</sup>

٦ - تشويه المشبه وذمه ليكرهه ويرغب عنه ، نحو :

كلف في شحوب وجهك يحكي نكتنا فوق وجنة برصاء

(١) الريث : البطء .

(٢) فيه تشبيه ضمني إذ قد شبه حال من يقبل الهوان بحال الميت يجامع عدم التأثر ، وذلك  
مفهوم ضمناً .

(٣) الحمولة : ما يحمل فيه ويوضع ، والوجه وجود شيء أسود في داخل شيء أبيض .

وقوله في ذم القصر :

وترى أناملها دبّت على أوتارها      كخنافس دبّت على أوتار

٧ - استطرافه وجعله مستحدثاً بديعاً إما لإبرازه في صورة ما يمتنع عادة  
كما يشبه الجمل الموقد يبحر من المسك موجه الذهب وإما لندور حضور المشبه به  
في النفس عند حضور المشبه كقولى ابن الرومي في تشبيهه بنفسه :  
ولا زوردية تزهو بزرقته      بين الرياض على حمر اليواقيت  
كانها بين قامات ضعفن بها      أوائل النار في أطراف كبريت<sup>(١)</sup>

قال الإمام عبد القاهر : فقد أراك شبيهاً لنبات غض يرف<sup>(٢)</sup> وأوراق رطبة  
من لهب نار في جسم مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجيلة على أن  
الشيء إذا ظهر من مكان لم يعمد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس يعمد له  
كانت صيانة النفوس به أكثر وكان الشغف به أجدر .

ونحوه قول عدي بن الرقاع يصف قرن غنان :

تزجى أغن إبرة رواقه      قلم أصاب من الدواة مداها

وقد يعكس التشبيه (فيجعل المشبه مشبهاً به وبالعكس) ، وعندئذ يجعل  
الأصل فرعاً ، والفرع أصلاً ، ويشبه الزائد بالناقص للبالغة ، وإيهام أن المشبه  
أقوى وأتم من المشبه به في وجه الشبه ، فتعود الفائدة حينئذ إلى المشبه به لا إلى  
المشبه ، كقول محمد بن وهيب يمدح المأمون :

وبدا الصباح كأن غرته      وجه الخليفة حين يمدح<sup>(٣)</sup>

فقد جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأتم من غرة الصباح في الإشراق  
والضياء ، وقوله :

وأرض كأخلاق الكريم قطعته      وقد كحل الليل السماك فأبصرا

(١) الواو واو رب ، واللازوردية أزهار من البنفسج ، وحمر اليواقيت الأزهار ، والقامات  
السيقان ، وضعفن بها : أي ضعفن عن حملها .

(٢) يرف : يهتز .

(٣) في قوله يمدح : دلالة على اتصاف المدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه لدى الحاضرين  
بالإغناء إليه حيث يرتاح لسماع المدائح وتظهر عليه علامات البشر والسرور .

وذلك أنه لما رأى استمرار وصف الأخلاق بالضيق والسعة ، تعمد تشبيه الأرض الواسعة بخلق الكريم بادعاء أنه في السعة أكمل من الأرض المتباعدة الأطراف ، وقوله تعالى حكاية عن مستحلي الربا : إنما البيع مثل الربا ، إذ مقتضى الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع ، لكنهم خالفوا ذلك ذهاباً منهم الى جعل الربا في الحل أقوى حالاً من البيع .

ومنه قول البحاري :

في طلعة البدر شيء من محاسنها      وللقيظ نصيب من ثنيتها  
وقوله في وصف بركة المتوكل :

كانها حين لجت في تدفقها      يد الخليفة لما سال وادها

وكل هذا إذا أريد إلحاق الناقص في وجه الشبه حقيقة ، أو ادعاء بالزائد فيه فإن أريد مجرد الجمع بين شيئين في أمر جاز التشبيه ، ولكن الأحسن تركه والعدول الى التشابه ليكون كل من الطرفين مشبهاً ومشبهاً به احترازاً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، كما فعل أبو إسحاق الصابي في قوله :

تشابه دمعي إذ جرى ومُدامي      فن مثل ما في الكاس عيني تسكب  
فوالله ما أدري أبالخمر أسلبت      جفوني أم من عبرتي كنت أشرب<sup>(١)</sup>

ويحوز التشبيه أيضاً كتشبيههم غرة الفرس بالصبح وعكسه متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه ، من غير قصد ، الى المبالغة في وصف الغرة بالضياء وفرط التلألؤ ، ونحو ذلك ، وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة ، أو الدينار الخارج من السكة ، كما قال ابن المعتز :

و كأن الشمس المنيرة دينا      ر جلته حدائد الضراب

وعكسه متى أريد استدارة متلألئ متضمن لخصوص في اللون ، وإن عظم التفاوت بين نور الشمس ونور المرآة ، والدينار وبين الجرمين ، إذ ليس شيء من ذلك بمنظور اليه في التشبيه .

(١) سكب الدمع : إرساله ، وأسبل الدمع والطر إذا هطل .

## المبحث الثاني عشر في أقسام التشبيه باعتبار الغرض

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض الى : حسن وقبيح ، أو : مقبول ومردود :

١ - فالحسن هو الوافي <sup>(١)</sup> بإفادة الغرض المطلوب منه ، وذلك هو النمط الذي تسمو اليه نفوس البلغاء ، كقول امرئ القيس يصف فرساً :

على الذبل جياش<sup>٢</sup> كأن اهتزاه إذا جاش فيه حمية غلى مرجل<sup>(٣)</sup>

وقول ابن نباتة في وصف فرس أغر أبلق :

و كأنما لطم الصباح جبينه فاقصص منه فخاض في أحشائه  
وقول الآخر :

نشرت إلى غدائراً من شعرها حذر الكواشح والعد والموبق  
فكأنني وكأنها وكان صبحان باتا تحت ليل مطبق<sup>(٤)</sup>

٢ - والقبيح هو ما لم يف بالغرض لعدم وجود وجه شبه بين المشبه والمشبه به ، أو مع وجوده ، لكن على بعد ، وما أحق مثل هذا بالاستكراه والذم ، وأي شيء أولى بنفور الطبع السليم منه ، وذلك كقول أبي نواس يصف الحمر :

وإذا ما الماء واقعها أظهرت شكلاً من الغزل  
لؤلؤات ينحدرون بها كأنحدار الذر من جبل

فهذا تشبيه بعيد ركيك ، غث اللفظ بشعه ، فهو قد شبه الحبيب بنمل صغار ينحدر من جبل ، وشبه به قول الفرزدق :

يمشون في حلق الحديد كما مشت جرب الجمال بها الكحيل المشمل<sup>(٤)</sup>

---

(١) وذلك بأن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه أو مقدار الحال ، أو أتم شيء فيه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل ، أو مسلم الحكم معروفاً عند المخاطب إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود .

(٢) الذبل والذبول : الضمور وقلة اللحم ، والاهتزاز : التكرار ، والحمى : حرارة القيظ ، والمرجل : القدر .

(٣) الكاشح الذي يضرر العداوة ، والموبق المهلك .

(٤) الكحيل : القطران ، تطلّى به الابل ، والمشمل : الكثير .

فقد شبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب ، وذلك من البعد بمكان لأنه إن أراد السواد فلا مقارنة بينها فيه ، فإن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئاً آخر فليس بواضح مع ما فيه من السخف ، ونحوه قول المتنبي :

وجرى على الورق النجيع القاني فكأنه النارنج في الأغصان<sup>(١)</sup>  
إذ لا مشاكلة بين لون الدم ولون النارنج .

### تذييل

وفيه أمران :

١ - التشبيه ، باعتبار المبالغة أقسام ثلاثة :

( أ ) أعلاها ما حذف فيه الوجه والأداة ، نحو : محمد أسد .

( ب ) المتوسط في المبالغة ، وهو ما حذف فيه الوجه ، أو الأداة ، نحو :  
علي كالبدر ، أو : علي بدر في الحسن والبهاء .

( ج ) أدناها ما ذكر فيه الوجه والأداة ، نحو : علي كالأسد في الشجاعة .

ذاك أن القوة إما بعموم وجه الشبه ظاهراً<sup>(٢)</sup> ، أو بجمل المشبه به على المشبه وإيهام أنه هو ، فما اشتمل على الوجهين معاً فهو في غاية القوة ، وهو القسم الأول ، وما خلا منها معاً ، فلا قوة له ، وهو القسم الثالث ، وما اشتمل على أحدهما فقط فهو متوسط ، وهو القسم الثاني .

٢ - اختلف القوم في التشبيه ، أيعد من المجاز أم لا ؟ فأهل التحقيق قالوا :  
الطرفين مستعمل في موضوعه .

وذهب ابن الأثير إلى أنه مجاز وحجته أن مضمرة الأداة من التشبيه معدود في الاستعارة فيجب أن يكون مظهرها كذلك إذ لا فرق بينها إلا بظهور الأداة وظهورها إن لم يزد قوة ودخولاً في المجاز لم يكن مخرجاً له عن سننه ، كذا في « الطراز » بتصرف .

(١) النجيع : الدم الطوي ، يريد أنه جرت دماء القتلى على ورق الشجر .

(٢) إنما قلنا ظاهراً لأن الوجه لا بد أن يكون صفة خاصة قصد اشتراك الطرفين فيها كالشجاعة ونحوها ، لكن قولك : كالأسد ، يفيد أن وجه الشبه عام في أوصاف كثيرة ، كالشجاعة والمهابة والقوة وكثرة الجري ، إلى غير ذلك من أوصاف الأسد .

## أثر التشبيه في النفس

قال المبرد في «الكامل» : التشبيه جار كثيراً في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد ، قال الله عز وجل وله المثل الأعلى في الزجاجة : ﴿ كَانَهَا كوكبٌ دُرِيٌّ ﴾ (١) .

وقال أبو هلال في «الصناعتين» : التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ، ويكسبه تأكيداً ، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد عنه .

وسر هذا أن للخيال نصيباً كبيراً فيه ، فهو يفتن حتى لا يقف عند غاية ، وأنه يعمل عمل السحر في إيضاح المعاني وجلالها ، فهو ينتقل بالنفس من الشيء الذي تجهله ، الى شيء قديم الصحبة ، طويل المعرفة ، وغير خاف ما لهذا من كثير الخطر ، وعظيم الأثر .

انظر قوله تعالى : ﴿ مَن يَمْلِكِ الْخَيْرَ وَلَا يَمْلِكُ بِهِ : مَثَلُ الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ وَلَا يَمْلِكُ بِهِ مَثَلُ السَّرَاجِ يَضِيءُ لِلنَّاسِ وَهُوَ يَحْتَرِقُ . ﴾ وإنك لترى فيه تشنيع حال من أنصف به ، وكأنك تشاهد النار وهي تعلق به وتأخذ منه بالنواصي والأقدام .

وتأمل قول أبي العلاء المعري :

إن الشبية نار إن أردت بها أمراً فبادره إن الدهر مطفئها

نجده جعل عزيمة الشباب الوثابة المتحفزة للعمل كالنار ، يمتد لها ، ويشد أوارها ، لكنها لا تلبث حتى تحمد جذوتها ، وينطفئ ذلك اللمع المنقذ ، ومن ثم طلب الى الشباب البدار الى نيل المآرب ، وعدم التواني في درك المقاصد . وإلى قول مهيार الديلمي :

وبعض مودات الرجال عقارب لها تحت ظلماء العقوق دبيب

تره صور بعض المودات بصورة عقارب ، تسير في الظلماء على غير هدى ، وتنفت سمومها ما استطاعت الى ذلك سبيلاً .

(١) سورة النور الآية ٣٥ .

وكلما كان عمل الخيال أكثر ، كانت صورته أعجب ، والنفس به أطرب ،  
ولن نجد تلك الروعة وذاك الجمال في تشبيه المحسوسات بعضها ببعض ، فتشبيه  
ابن المعتز للشمس بالدرهم المضروب في قوله :

و كأن الشمس المنيرة دينا ر جلته حدائد الضراب

وللهلال بالزورق من الفضة التي حملته من عنبر في قوله :

فانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

أقل جمالاً من ذاك الذي تقدم ، وليس له في النفس أريحية ، ولا تأخذها منه  
هزة ، والتشبيهات المستعملة ، في العلوم والفنون ، ما هي إلا وسيلة من وسائل  
الإيضاح لكشف ما يخفى من الحقائق .

قال صاحب « الصناعتين » : والطريق المألوفة والمنهج القاصد في التمثيل  
عند القدماء والمحدثين - تشبيه الجواهر بالبحر والمطر ، والشجاع بالأسد ،  
والحسن بالشمس والقمر ، والسهم الماضي بالسيف ، والعالي الرتبة بالنجم ،  
والحليم الرزين بالجبل ، والقاسي بالحديد والصخر ، والبليد بالجماد ،  
والثيم بالكلب .

وشهر قوة بخصال محمودة ، فصاروا فيها أعلاماً ، فجروا بحرى ما قدمناه  
كالسموئل<sup>(١)</sup> في الوفاء ، وحاتم في السخاء ، والأحنف<sup>(٢)</sup> في الحلم ، وسحبان  
في البلاغة ، وقس<sup>(٣)</sup> في الخطابة ، ولقمان<sup>(٤)</sup> في الحكمة .

وآخرون بأضدادها فشبه بهم في حال الذم ، كباقل<sup>(٥)</sup> في العي ، وهنقة<sup>(٦)</sup>  
في الحق ، والكسمي<sup>(٧)</sup> في الندم ، ومادر<sup>(٨)</sup> في البخل .

(١) هو ابن حبان اليهودي .

(٢) من سادات التابعين .

(٣) هو قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب .

(٤) هو حكيم اشتهر بأصالة الرأي في القول والعمل .

(٥) اشتهر بالعي وعدم الإبانة عن مراده .

(٦) هو يزيد بن ثروان من قيس .

(٧) هو غامد ابن الحرث .

(٨) مخارق الهلالي سقى إبله فبقي في الحوض قليل فسلح فيه ومدد الحوض به .

| الرقم | الأداة | الاسم  | الصفة | الاسم | الصفة  | الاسم | الاسم           | الاسم | الاسم           |
|-------|--------|--------|-------|-------|--------|-------|-----------------|-------|-----------------|
| ١     | كان    | مرسل   | محموس | محموس | زجاج   | محموس | سرعة الكسر      | محموس | بيان حالة       |
| ٢     | يشابه  | مرسل   | محموس | محموس | الفلال | محموس | البهجة والحسن   | محموس | بيان مقدار حالة |
| ٣     | كان    | مرسل   | محموس | محموس | نجوم   | محموس | قد الاحسن       | محموس | بيان حالة       |
| ٤     | كان    | مرسل   | محموس | محموس | صفوف   | محموس | تقدم واحد       | محموس | بيان حالة       |
| ٥     | مثل    | مرسل   | محموس | محموس | النفس  | محموس | من بين الانبياء | محموس | بيان حالة       |
| ٦     | الكاف  | مرسل   | محموس | محموس | الطفل  | محموس | الحداثة         | محموس | بيان مقدار حالة |
| ٧     | محمولة | محمولة | محموس | محموس | الحمل  | محموس | الحكم القداء    | محموس | بيان مقدار حالة |

## تدريب أول

بيّن أركان التشبيه وأقسامه باعتبار كل منها فيما يلي :

- ١ - تحطمتنا الأيام حتى كأننا
- ٢ - ولم أر مثل هالة في معدن
- ٣ - كان بني نهبان يوم وفاته
- ٤ - كان سهيلاً والنجوم وراءه
- ٥ - العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك
- ٦ - والنفس كالطفل إن تهمله شب على
- ٧ - وتراكضوا خيل الشباب وبادروا

## تدريب ثان

- ١ - وقصائد مثل الرياض أضعتها
  - ٢ - انظر الى حسن هلال بدا
  - ٣ - والدهر كالبحر لا ينفلك ذا كدر
  - ٤ - فإذا ركبت فإنني زبد الفوارس في الجلال
- وإذا نطقْتُ فإنني قسُ بن ساعدة الإيادي<sup>(٢)</sup>

(١) المهندس : الليل الشديد الظلمة ،

(٢) زيد الفوارس : زيد الحيل ، أحد الصحابة ، كان له خمس أفراس ، ساء رسول الله :

زيد الخير ، وقس أحد خطباء العرب .

- ٥ - والبدر في أفق السماء كغادة بيضاء لاحت في ثياب حداد<sup>(١)</sup>
- ٦ - والليل في لون الغراب كأنه هو في حلوكته وإن لم ينعب<sup>(٢)</sup>
- ٧ - قال علي كرم الله وجهه: مثل الذي يعلم الخير، ولا يعمل به، مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه .
- ٨ - قال صاحب «كلىة ودمنة»: الدنيا كالماء المالح، كلما ازدادت منه شرباً، ازدادت عطشاً .

### الاجابة

- (١) المشبه القصائد، مفرد محسوس، المشبه به الرياض مفرد محسوس الأداة مثل، وهو تشبيه مرسل، الوجه الحسن والجمال، مجمل غير تمثل الغرض تزيين المشبه .
- (٢) المشبه الهلال مفرد محسوس مقيد، المشبه به المنجل مفرد محسوس مقيد، الأداة الكاف، تشبيه مرسل، الوجه إزالة شيء مظلم، مجمل غير تمثيل تزيين المشبه .
- (٣) المشبه الدهر مفرد معقول، المشبه به البحر مفرد محسوس، الأداة الكاف تشبيه مرسل، الوجه الكدر غالباً مجمل غير تمثيل، الغرض بيان حاله .
- (٤) المشبه ضمير المتكلم مفرد محسوس، المشبه به زيد الفوارس مفرد محسوس والأداة محذوفة مؤكدة، الوجه الجلاذ مفصل غير تمثيل، الغرض بيان حال المشبه ومثله البيت الثاني .
- (٥) المشبه البدر مفرد مقيد محسوس، المشبه به حسناء في ثياب حداد مفرد محسوس مقيد، الأداة الكاف مرسل، الوجه بياض يعلوه سواد مجمل غير تمثيل والغرض بيان مقدار حال المشبه به، وهو تشبيه مقلوب .
- (٦) المشبه ضمير الليل مفرد محسوس، المشبه به الغراب مفرد محسوس، الأداة كأن، مرسل، الوجه الحلوكة والسواد مفصل غير تمثيل، الغرض بيان مقدار حاله .

(١) الحداد: الحزن .

(٢) النعيب: صوت الغراب، والحلوكة: السوداء .

٧ - المشبه الذي يعلم الخير ولا يعمل به مفرد مقيد محسوس ، المشبه به السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه مفرد مقيد محسوس ، الأداة مثل تشبيه مرسل ، الوجه نفع غيره وحرمان نفسه ، مجمل غير تمثيل الغرض تقبيح حال المشبه .

٨ - المشبه الدنيا مفرد محسوس ، المشبه به الماء المالح مفرد مقيد محسوس ، والأداة الكاف وهو تشبيه مرسل ، الوجه عدم الفائدة مجمل غير تمثيل ، الغرض تقبيح حال المشبه .

### تمرين أول

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبار كل فيما يلي :

- ١ - ومكلف الأيام ضد طباعها      متطلب في الماء جذوة نار
- ٢ - الشمس من مشرقها قد بدت      مشرقة ليس لها حاجب
- ٣ - كأنها بوقفة أحيت      يحول فيها ذهب ذائب
- ٣ - كأن سماءها لما تجلت      خلال نجومها عند الصباح
- رياض بنفسج خضل تدهاء      تفتح فيه أنوار الأقاصي<sup>(١)</sup>
- ٤ - قال علي كرم الله وجهه : إنه لم يبق من الدنيا إلا كإناخة راكب أو صر حالب .
- ٥ - قال صاحب «كليلة ودمنة» : من صنع المعروف عاجل الجزاء فهو كملقي الحب للطير لا لينفعها بل ليصيدها .
- ٦ - فأنهض بنار الى فحم كأنها      في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا
- ٧ - فإن أغش قوماً بعده أو أزورهم      فكالوحوش يدنيها من الانس المحل<sup>(٢)</sup>
- ٨ - إذا أقبلت قيس كأن عيونها      حدق الكلاب وأظهرت سياها<sup>(٣)</sup>
- ٩ - بفرع ووجه وقد وردف      كليل وبدر وغصن وحقف

(١) هما لابن المعتز في وصف سحابة ، وقبلها :

رموقة بثقل الماء جاءت

تهادي فوق أعناق الرياح

(٢) الانس محركا من تأنس به جمعه أناس ولغة في الانس ، المحل : الجذب .

(٣) السيام والسيمياء : العلامة والهيئة .

## تمرین ثان

- ۱ - قال عيسى عليه السلام : « أمتي كاللطر لا يدري أوله أم آخره » .
- ۲ - ولقد ذكرتك والزمان كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يُعشق
- ۳ - فالحر يا قوتة والكأس لؤلؤة من كف جارية ممشوقة القد
- ۴ - كان أثيراً في عرائن وبشله كبير أناس في يجاد مزمل<sup>(۱)</sup>
- ۵ - إني وتربيني بمدحي معشراً كعملق درأ على خنزير
- ۶ - قال صاحب « كلیلة ودمنة » : صحبة الأشرار تورث المنثر كالريح اذا مرت على المنثر حملت نتناً ، وإذا مرت على الطيب حملت طيباً .
- ۷ - وما منع الضغائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالقلينا<sup>(۲)</sup>
- ۸ - إذا قامت حاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران
- ۹ - ثغر وخد ونهد واحمرار يد كالطلع والورد والرمات والبلع

مرکز تحقیقات کتب و تراث اسلامی

(۱) أثیر : جبل ، وعرائن السحاب أوائل مطره ، والبیجاد : كساء مخطط .  
(۲) القلة : مضرب الكرة .

## الباب الثاني في الحقيقة والمجاز

وفيه عشرون مبحثاً وتتمة

### المبحث الأول في أقسام الحقيقة

الحقيقة التي نبحث عنها هنا <sup>(١)</sup> ضربان: حقيقة من طريق اللغة ، وحقيقة من ناحية المعنى والمعقول - بيان هذا أنا إذا وصفنا كلمة مفردة بكونها حقيقة ، كما إذا أطلقنا السبع على الحيوان المعروف ، واليد على الجارحة المخصوصة ، كان ذلك الاطلاق حكماً آتياً من ناحية اللغة ، ألا ترى أنا نقول : إن المتكلم استعمل الكلمة فيما وضعت له ابتداء في اللغة ، وإذا وصفنا بالحقيقة الجملة من الكلام كان ذلك الوصف آتياً من جانب المعقول دون اللغة ، لأن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث إنها جمل لا يصح ردها إلى اللغة ، ولا وجه لنسبتها إلى واضعها ، لأن التأليف هو إسناد فعل إلى اسم ، أو اسم إلى اسم ، وذاك شيء يحصل بقصد المتكلم ، فمثلاً كتب لا يصير خبراً عن محمد في قولك محمد كتب بوضع اللغة ، بل بمن قصد إثبات الكتابة فعلاً له ، كذا في «أسرار البلاغة» بتصرف .

### المبحث الثاني في تعريف الحقيقة

الحقيقة في اللغة فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء إذا ثبت ، أو بمعنى مفعول من حققت الشيء إذا أثبتته ، ثم نقل إلى الكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي والتناء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسمية .  
وقد علمت مما سبق أن الحقيقة التي نبحث عنها ضربان : حقيقة لغوية ، وحقيقة عقلية .

---

(١) أما بقية أنواع الحقائق فلا يهم علماء الفصاحة البحث عنها .

١ - فاللفوية هي الكلمة المستعملة فيما وضعت <sup>(١)</sup> له في إصلاح التخاطب ، فخرج بقولنا المستعملة الكلمة قبل الاستعمال ، فلا تسمى حقيقة ولا مجازاً ، وبقولنا فيما وضعت له الغلط ، نحو : خذ هذا الكتاب ، مشيراً إلى مسطرة ، والمجاز الذي لم يستعمل فيما وضع له ، لا في اصطلاح التخاطب ، ولا في غيره ، كالأسد المستعمل في الرجل الشجاع ، لأن الاستعارة وإن كانت موضوعه فوضعها تأويلي ، أي يحتاج إلى قرينة لا تحقيقي ، والمفهوم من إطلاق الوضع التحقيقي وهو ما كانت الدلالة فيه بنفسه لا بقرينة ، وبقولنا في اصطلاح التخاطب المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذي وقع به التخاطب كالزكاة إذا استعملها الشرعي في البناء ، فإنها تكون مجازاً لأنها لفظ استعمل في غير ما وضع له في اصطلاح الشرع ، وهو الجزء المخصوص الذي يؤخذ من المال ، ويعطى للسائل والمحروم ، وإن كان مستعملاً فيما وضع له في اصطلاح اللغة ، فلولاً هذا القيد لتناول تعريف الحقيقة والمجاز .

٢ - والعقلية هي إسناد الفعل ، أو ما في معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر ، أي إسناد الفعل ، أو ما في معناه ، وهو المصدر واسم الفاعل ، واسم المفعول والصفة المشبهة ، واسم التفضيل والظرف ، إلى ما هو له عند المتكلم فيما يفهم من ظاهر <sup>(٢)</sup> حاله بالآل ينصب قرينة على أنه غير ما هو له في اعتقاده ، ومعنى كونه له أن حقه أن يسند إليه لأنه وصف له وذلك كإسناد الفعل المبني للفاعل إلى الفاعل ، وإسناد الفعل المبني للمفعول ، ومتأني الأمثلة عند ذكر أقسامها ، وهي أربعة :

١ - ما يطابق الواقع والاعتقاد معاً كقول الواحد : خلق الله العالم .

٢ - ما يطابق الواقع دون الاعتقاد ولا يكاد يوجد له مثال ومثلاً له بقول المعتزلي لمن لا يعرف حقيقة حاله وهو يخفيها عنه ( خلق الله الأفعال كلها )

(١) الوضع تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه ، فخرج بقولنا بنفسه المجاز ، لأن دلالة بالقرينة ، ودخل المشترك ، لأنه قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه وعدم فهم أحدهما بالتعيين لعارض لا يتناقض ذلك ، فالقر ، مثلاً عين مرة للدلالة على الطهر بنفسه وأخرى للدلالة على الحيض بنفسه ، فهو موضوع لكل منهما على وجه الاستقلال .

(٢) سيأتي إيضاح ذلك في المجاز .

إذ هو لا يعتقد ذلك ، وإنما يعتقد أن الأفعال الاختيارية مخلوقة بكسب العبد واختياره .

٣ - ما يطابق الاعتقاد دون الواقع كقول الطبيعى ، المنكر لوجود الإله : شفى الطبيب المريض ، وعليه قوله تعالى ، حكاية عن بعض الكفار : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ (١) .

٤ - ما لا يطابق شيئاً منها كالأقوال الكاذبة التي يكون المتكلم عالماً بجهالة دون المخاطب ، كما تقول : سافر محمد ، وأنت تعلم أنه لم يسافر ، فلو علمه المخاطب كما علمه المتكلم لما تعين كونه حقيقة لجواز (٢) أن يجعل المتكلم علم السامع بأنه لم يسافر قرينة على عدم إرادة ظاهرة ، فلا يكون إسناداً إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر .

### المبحث الثالث في تعريف المجاز وأقسامه

المجاز مفعول واشتقاقه من الجواز وهو التعدي من قولهم : جرت موضع كذا ، إذا تعديته ، سمي به المجاز الآتي بيانه لأنهم جازوا به موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً .

وفي الاصطلاح قسمان : مجاز عقلي ، ولغوي ، والأول ستركلم عنه بعد ، والثاني ضربان : مفرد ومركب ، فالمركب سيأتي بيانه .

والمفرد هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب لملاحظة علاقة (٣) بين الثاني والأول مع قرينة (٤) تمنع إرادة المعنى الأصلي ، كالأسد المستعمل في الشجاع ، والفيث المستعمل في النبات ، فخرج بقولنا : الكلمة المستعملة الكلمة قبل الاستعمال ، فلا هي حقيقة ولا مجاز ، وبقولنا :

(١) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

(٢) فيكون مجازاً عقلياً إن كان الإسناد إلى محمد للابسة كأن كان محمد سبياً في سفر المسافر حقيقة ، أو يكون حقيقة كاذبة إذا كان التكلم لم يجعل علم السامع قرينة على أنه لم يرد ظاهراً .

(٣) هي بفتح العين على الأفصح ، وسميت كذلك لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالمعنى الأول .

(٤) هي ما يفصح عن المراد من اللفظ وسيأتي أنها تارة تكون لفظاً وتارة تكون غيره .

في غير ما وضعت له الحقيقة ، وبقولنا : في اصطلاح التخاطب الحقيقة التي لها معنى آخر في اصطلاح التخاطب كالزكاة إذا استعملها المتكلم باصطلاح اللغة في النماء ، فإنها يصدق عليها أنها كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لكن باصطلاح آخر ، وهو اصطلاح الشرع لا اصطلاح المتكلم ، وهو اللغة ، فلولا هذا القيد لأمكن دخول هذه الحقيقة في تعريف المجاز ، وبقولنا الملاحظة : علاقة ، وهي المناسبة الخاصة بين المعنى المنقول عنه والمنقول اليه ، الغلط كالكتاب إذا استعمل في المسطرة غلطاً في نحو قولك : خذ الكتاب ، مشيراً إلى مسطرة ، فإنه ليس فيه علاقة ملحوظة ، وبقولنا : مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي الكناية فإن قرينتها لا تمنع من إرادة الموضوع له .

وينقسم إلى : مجاز مرسل واستعارة ، لأن العلاقة المصححة للتجاوز إن كانت غير المشابهة فمجاز مرسل ، وإلا فاستعارة .

#### المبحث الرابع في المجاز المرسل<sup>(١)</sup>

هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملائمة ومناسبة غير المشابهة كاليد إذا استعملت في النعمة ، لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة ، وبواسطتها تصل إلى المقصود بها .

ويجب أن يكون في الكلام دلالة على رب تلك النعمة ومصدرها بنسبتها إليه ومن ثم لا تقول : اقتنيت يداً ، ولا اتسمت اليد في المد ، كما تقول : اقتنيت نعمة ، وكثرت النعمة في البلد ، وإنما تقول : جلست يده عندي ، وكثرت أياديه لدي ، أو ما شابه ذلك .

ومن هذا قوله عليه السلام لأزواجه : « أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً » ، إذ المراد بسط اليد بالعتاء والبذل .

ونظير ذلك اليد إذا استعملت في القدرة ، لأن أجلى مظاهرها وأحكمها في اليد ، ألا ترى أن بها البطش والتنكيل والأخذ والقطع والرفع والوضع ، إلى غير ذلك من أفاعيلها التي ترشدك إلى وجوه القدرة ومكانها .

(١) سمي بذلك لإرساله وإطلاقه عن التقييد بعلاقة خاصة .

ومن هذا النمط الأصبع في قولهم لراعي الإبل إن له عليها إصبعا ، أي أورا حسنا ، كما قال الراعي يصف راعيا :

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا  
دلوا على أثر المهارة والحدق بالأصبع من قبل أنهم لا يظهرون في عمل اليد  
إلا في حسن التصريف الأصابع وخفة رفعها ووضعها كما يظهر ذلك في الخط  
والنقش وغيرها من دقائق الصناعات .

وعلاقات هذا المجاز كثيرة ، أشهرها :

١ - السببية ، وهي كون الشيء المنقول عنه سببا ومؤثرا في شيء آخر ،  
نحو : رعى جوادي المطر ، أي الكلأ ، الحادث بالغيث .

٢ - المسببية ، وهي كون المنقول عنه مسببا ومتأثرا من شيء آخر ، نحو :  
أمطرت السماء نباتا ، أي ماء ، به يوجد النبات ، وتناولت كأس الشفاء ، أي  
الدواء ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَيَنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، أي مطرا  
يسبب الرزق ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أي  
سلاح يحدث القوة والمنعة .

٣ - الكلية ، وهي كون الشيء متضمنا لشيء آخر واغيره ، كالأصابع  
المستعملة في الأنامل في قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أي  
رؤوس أناملهم ، ونحو : شربت ماء النيل ، أي بعضه ، والقرينة : شربت ،  
وسكنت مصر ، أي منزلا من منازلها ، والقرينة : سكنت .

٤ - الجزئية ، بمعنى أن الشيء يتضمنه وغيره شيء آخر كإطلاق العين على  
الربينة <sup>(٤)</sup> لكونها هي المقصودة في كون الرجل ربينة ، لأن ما عداها لا يعني  
شيئا مع فقدها ، فصارت كأنها الشخص كله ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ قُمْ لِلَّيْلِ  
إِلَّا قَلِيلًا ﴾ <sup>(٥)</sup> أي صل ، وقوله تعالى : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ أي لا تصل .

(١) سورة غافر الآية ١٣ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩ .

(٤) هو الشخص يطلع على عورات العدر في مكان عال ، وهو أيضا الجاسوس .

(٥) سورة الزمل الآية ٢ .

وقولهم : قال فلان اليوم كلمة نالت استحسان الجميع ، أي كلاماً مفيداً .  
وشروط هذه العلاقة أمران :

( أ ) أن يكون الكل مركباً تركيباً حقيقياً .

( ب ) أن يستلزم انتفاء الجزء انتفاء الكل عرفاً كما في إطلاق الرقبة ، أو الرأس ، على الإنسان دون إطلاق الظفر أو الأذن مثلاً ، أو أن يكون زائد الاختصاص بالمعنى المطلوب من الكل كما في إطلاق اليد على المعطى والعين على الربيضة ، أو أن يكون أشرف أجزائه ، كما في إطلاق القافية على القصيدة في قول  
معن بن أوس :

أعلمه الرماية كل يوم      فلما اشتد ساعده رماني  
وكم علمته نظم القوافي      فلما قال قافية هيجاني<sup>(١)</sup>

٥ - الملزومية ، وهي كون الشيء يجب عنده وجوده وجود شيء آخر ،  
كما في إطلاق الشمس على الضوء في قولك : دخلت الشمس من الكوة ، والقريئة  
على ذلك : دخلت .

٦ - اللازمة<sup>(٢)</sup> ، وهي كون الشيء يلزم وجوده عند وجود شيء آخر ،  
كما في إطلاق الحرارة على النار ، وإطلاق الضوء على الشمس في قولك : انظر  
الحرارة ، أي النار ، وطلع الضوء ، أي الشمس ، والقريئة على ذلك :  
نظر وطلع .

٧ - اعتبار ما كان ، وهو النظر إلى الشيء بما كان عليه في الزمن الماضي ،  
نحو : شربت بنأ جيداً ، تريد قهوة بن ، ونحو : مشيت اليوم في شارع بلاق ،  
تريد شارع ٢٦ يوليو قبل تغيير الاسم ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى  
أموالهم ﴾<sup>(٣)</sup> ، سمي الذين أمرنا بإيتائهم أموالهم حال البلوغ : يتامى ، لما كانوا  
عليه من اليتم ، ونحوه : ﴿ إنه من يأت ربه مجرمًا ﴾<sup>(٤)</sup> ، سماه مجرمًا باعتبار  
الدنيا ، والقريئة على ذلك : شربت ، واليوم ، وآتوا ، ويأت .

(١) استند من السداد في الرأي أي استقام .

(٢) المعتبر هنا للزوم الخاص وهو عدم الانفكاك .

(٣) سورة النساء الآية ٢ .

(٤) سورة طه الآية ٧٤ .

٨ - اعتبار ما سيكون ، وهو النظر الى الشيء بما سيكون عليه في الزمن المستقبل ، نحو : غرست اليوم شجراً ، وأنت تعني بذوراً ، وطحنت خبزاً ، أي قمحاً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ <sup>(١)</sup> أي صائراً الى الكفر والفجور ، وقوله تعالى : ﴿ إني أراي أعصر خمراً ﴾ <sup>(٢)</sup> أي عنباً يؤول عصيره الى الخمرية ، والقرينة على ذلك حاله في الأول ومقالية في الباقي ، وهي طحن وبلد وأعصر .

٩ - الحالية ، وهي كون الشيء حالاً في غيره نحو : نزلت بالقوم فأكرموني أي بدارهم ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أي في الجنة التي هي محل الرحمة ، والقرينة : نزل و (هم فيها خالدون) .

١٠ - المولية ، وهي كون الشيء محل فيه غيره ، نحو : انصرف الديوان ، أي عماله ، وحكمت المحكمة أي قضاتها ، وأقرت المدرسة توزيع الجوائز على النابغين أي ناظرها ، والقرينة على ذلك : انصرف ، وحكمت ، وأقرت .

وقوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أي أهل النادي ، وقوله تعالى : ﴿ بيده الملك ﴾ <sup>(٥)</sup> أي القدرة ، وقوله تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ <sup>(٦)</sup> أي عقول ، وقوله تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ <sup>(٧)</sup> أي ألسنتهم ، والقرينة : انصرف وحكمت ويدعو ويده ويفقهون ويقولون .

١١ - الآلية ، وهي كون الشيء آلة لإيصال أثر شيء الى آخر ، نحو : يتكلم فلان خمس السن ، أي خمس لغات ، ونحو : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ <sup>(٨)</sup> ، أي بلغة قومه .

(١) سورة نوح الآية ٢٧ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٦ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٧ .

(٤) سورة الملق الآية ١٧ .

(٥) سورة الملك الآية ١ .

(٦) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .

(٧) سورة آل عمران الآية ١٦٧ .

(٨) سورة إبراهيم الآية ٤ .

وقوله تعالى: ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ <sup>(١)</sup> أي ذكر أجيالا ،  
والقرينة : يتكلم ، وأرسلنا ، واجعل .

١٢ - العموم ، وهو كون الشيء شاملا لكثيرين ، كقوله تعالى :  
﴿ أم يحسدون الناس ﴾ <sup>(٢)</sup> أي محمداً <sup>(٣)</sup> ، وقوله عز من قائل : ﴿ الذين  
قال لهم الناس ﴾ <sup>(٤)</sup> يعني نعيم بن مسعود الأشجعي ، والقرينة على ذلك أن  
الحسد ما كان إلا له ، وأن القائل ما كان إلا نعيما .

١٣ - الخصوص ، كإطلاق اسم الشخص على القبيلة ، نحو : ربيعة ، ومضر ،  
وقريش ، وتيم .

١٤ - البدلية ، وهي كون الشيء بدلاً وعوضاً من شيء آخر ، نحو : قضيت  
الدين في مواعده ، أي أدبته ، وفي ملك فلان ألف دينار ، أي متاع يساوي ألفاً  
ونحو : ﴿ إذا قضيت الصلاة ﴾ <sup>(٥)</sup> أي أدبتم ، والقرينة : في مواعده في الأول  
وحالية في الثاني والثالث .

١٥ - المبدلية ، أي كون الشيء مبدلاً من شيء آخر نحو : أكلت دم القليل  
أي ديتة ، كما قال عروة الرحال ، يخاطب امرأته متوعداً :

أكلت دماً إن لم أرُ عك بضرة      بعيدة مهوى القرط طيبة النشر <sup>(٥)</sup>

١٦ - المجاورة ، وهي كون الشيء يحاور غيره ، فيطلق عليه اسمه كإطلاق  
الراوية على القربة ، والثياب على النفس في قول عنزة :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه      ليس الكريم على القنا بحجرم

وقد تكون المجاورة في الذكر فقط ، وتسمى المشاكلة ، نحو : اطمخوا لي  
جبة وقيصاً .

(١) سورة الشعراء الآية ٨٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٣ .

(٤) سورة النساء الآية ١٠٣ .

(٥) مهوى القرط : طول العنق ، قاله يتوعد زوجه بالزواج بأخرى حسنة جميلة ، وقبله :

أما لك عمر إنما أنت حية      إذا هي لم تقتل تعش آخر العمر  
ثلاثين حولاً لا أرى منك راحة      هنك في الدنيا لباقية العمر

١٧ - الدالية ، وهي كون الشيء يدل على شيء آخر ، نحو : فهمت الكتاب أي معناه ، كما قال المتنبي :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعت لأمر أمير العرب

١٨ - المدلولية ، وهي كون الشيء مدلولاً لغيره ، نحو : قرأت معناه مشغولاً بتقبيل ، تريد لفظه .

١٩ - إقامة صيغة مقام أخرى ، وتسمى هذه العلاقة بالتعلق الاشتقائي ، ويندرج تحت هذا أنواع :

( أ ) إطلاق المصدر على اسم المفعول نحو : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾<sup>(١)</sup> أي معلومه .

( ب ) إطلاق اسم المفعول على المصدر ، نحو : ﴿ بآيتكم المفتون ﴾<sup>(٢)</sup> ، أي الفتنة .

( ج ) إطلاق اسم الفاعل على المصدر ، نحو : ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي تكذيب ، أو على اسم المفعول نحو : ﴿ من ماء دافق ﴾<sup>(٤)</sup> ، أي مدفوق ، ﴿ ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رَحِمَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، أي لا معصوم .

( د ) إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل نحو : ﴿ إنه كان وعده مائياً ﴾<sup>(٦)</sup> أي آتياً ، ﴿ وحجاباً مستوراً ﴾<sup>(٧)</sup> أي ساتراً .

### تنبيهات

(١) ليس المقصود من العلاقة إلا بيان الارتباط ، فالفطن اللبيب يعرف ما يناسب كل مقام فيصح أن يعتبر في إطلاق الدال على المدلول علاقة المجاورة بأن يتخيل أن الدال مجاور للمدلول ، أو علاقة الحالية نظراً إلى أن الدال محل

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٤ .

(٢) سورة القلم الآية ٦ .

(٣) سورة الواقعة الآية ٢ .

(٤) سورة الطارق الآية ٦ .

(٥) سورة هود الآية ٤٣ .

(٦) سورة مريم الآية ٦١ .

(٧) سورة الإسراء الآية ٤٥ .

للمدلول ، كما يقولون : الألفاظ قوالب المعاني ، أو علاقة السببية والمسببية ، أو نحو ذلك ، بحسب ما يهدي إليه الذوق ، ويرشد إليه الوجدان الصادق .

(٢) قد يكون اللفظ الواحد صالحاً لأن يكون بالنظر الى معنى واحد مجازاً مرسلًا واستعارة باعتبارين ، فإذا جاز مراعاة علاقتين أو أكثر فالمعول عليه هو ما لاحظته المتكلم ، فإن لم يعرف مقصده ، صح للمخاطب أن يعتبر ما يشاء ، ولكن بعد أن ينعم النظر ويرجح أكثرها قوة وأشدّها ملائمة للغرض ، ومن ثمة يرجح علاقة المشابهة على غيرها ، والمشابهة الحقيقية على الصورية ، فمثلاً المشفر اذا أطلق على شفة الإنسان ، فإن لوحظ في إطلاقه عليها المشابهة في الغلظ ، فهي استعارة ، وإن لوحظ أنه من إطلاق اسم المفيد على المطلق كان مجازاً مرسلًا .

(٣) قسم الإمام عبد القاهر هذا المجاز الى قسمين : خال من الفائدة ومفيد ، فالخالي منها ما استعمل في شيء بقيد مع كونه موضوعاً في أصل اللغة لذلك الشيء بقيد آخر من غير قصد التشبيه كالمرسن الذي أصله للحيوان والشفة التي أصلها للإنسان ، والجحفة التي أصل وضعها للفرس ، اذا استعمل شيء منها في غير الجنس الذي وضعت له ، كقول العجاج : وفاحماً ومرسناً مسرجاً ، يريد أنفاً كالسراج ، وقول الآخر :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا ۞ ننزع من شفتيه الصفارا (١)

أما المفيد فما عدا هذا الضرب والاستعارة كما اذا قصد التشبيه في الأمثلة الماضية ، كقولهم في الذم إنه لغليظ الجحافل وغليظ المشافر ، فإنه بمنزلة أن يقال كان شفتيه في الغلظ مشفر البعير ، وعليه قول الفرزدق :

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي ولكن زنجي غليظ المشافر

يريد : ولكنك زنجي ، كأنه لا يسمو فكره الى معرفة شرقي .

(٤) يلاحظ مما سبق أن اسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة ، فإن كانت الجزء جعلت العلاقة الجزئية ، وإن كانت الكل جعلت الكلية ، وهكذا .

---

(١) شفتيه : اسم لإحدى شفتي البعير ، الصفار : يطلق على ما يبقى في أصول أسنان الدابة من ثبن ونحوه .

## أسرار البلاغة في المجاز المرسل

المجاز المرسل ضرب من التوسع أساليب اللغة وفن من فنون الإيجاز في القول  
انظر قوله :

كفى بالمرء عيباً أن تراه      له وجه وليس له لسان  
تراه قد سلك طريقاً أرشد بها السامعين إلى أن مَنْ فقد الفصاحة والبيان ،  
فكأنه فقد اللسان جملة ، وفي هذا من كمال المبالغة ما أنت تشعر به وتذوقه .  
وهكذا تشاهد مثل هذا الخيال الرائع إذا أنت تأملت قوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم      رعيناه وإن كانوا غضابا  
فإنك لتستبين منه أنه رعى الغيث ، وكان النبات كله ماء .  
وفي هذا كبير دلالة على أن النبات لا يحيا بدون الماء ، وعلى أن عليه حياة  
الحيوان على وجه الأرض ، وأنه بدونها لا يعيش .

### تدريب أول

بيّن المجاز المرسل ، وعلاقته فيما يلي :

- ١ - إن العدو وإن تقادم عهده      فالحقد باق في الصدور مغيب
- ٢ - ﴿ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ﴾<sup>(١)</sup>
- ٣ - وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا      فليس لمخضوب البنات عين
- ٤ - ولم يبق سوى العدو      ن دنام كما دانوا
- ٥ - مكثنا في ( النعيم المقيم )
- ٦ - ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾<sup>(٢)</sup>
- ٧ - ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾<sup>(٣)</sup>
- ٨ - ﴿ إنما يأكلون في بطونهم نارا ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) سورة الأنعام الآية ٥ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٨ .

(٤) سورة النساء الآية ١٠ .

## الاجابة

- (١) في الصدور مجاز مرسل مفرد ، علاقته المحلية : لأن الصدور محل القلوب التي تتأثر بالحقد وغيره .
- (٢) في الأنباء مجاز مرسل ، علاقته : التعلق الاشتياقي ، إذ الوعيد ليس بالنبأ بل بالمنبأ به ، أي الخبر به .
- (٣) في كلمة البنان مجاز علاقته الجزئية ، إذ المراد الكف ، وكذا في يمين مجاز علاقته السببية ، إذ المراد : ليس لها وفاء بالمحلو ف عليه .
- (٤) في دناهم مجاز مرسل علاقته السببية ، إذ المراد : جاز بنام كما في المثل كما تدن تدان ، أي كما تفعل تجازي .
- (٥) في كلمة يمينه ، مجاز مرسل علاقته المحلية ، إذ المعنى : بقوته وقدرته .
- (٦) في كلمة القتلى ، مجاز مرسل علاقته ما سيكون ، إذ المراد : فيمن سيقتلون .
- (٧) في كلمة ناراً ، مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن أكل هذه الأموال يوصل الى النار .

## تدريب ثان

- ١ - « ذلك بما قدمت أيديهم »
- ٢ - « فظلت أعناقهم لها خاضعين »
- ٣ - « ناولني الطبيب جرعة الشفاء »
- ٤ - « وجعلنا الأنهار تجري من تحته »
- ٥ - « بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام »
- ٦ - « لك القلم الأعلى الذي بشباته يصاب من الأمر الكلي والمفاصل<sup>(١)</sup> »
- ٧ - « ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ »
- ٨ - « ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ »

(١) الشبابة : حد السيف ونحوه ، والمراد هنا : حد القلم ، وإصابة الكلي كنية عن إصابة الصواب .

| الكلمة     | المراد        | العلاقة  | الكلمة       | المراد   | العلاقة |
|------------|---------------|----------|--------------|----------|---------|
| أيديهم     | قدموا هم      | الجزئية  | أعناقهم      | ظلموا هم | الجزئية |
| رعة الشفاء | جرعة الدواء   | المسيبية | الأنهار      | مياهها   | المحلية |
| بلادي      | أهلها         | المحلية  | بشباته       | ما تكتبه | الآلية  |
| أهلكناها   | أردنا إهلاكها | المسيبة  | فاعتدوا عليه | جاوزه    | المسيبة |

## تمرين أول

بيّن الجواز المرسل ، وعلاقته ، فيما يلي :

(١) قنبت أرض مصر ذهباً .

(٢) هذا خلق الله .

(٣) ﴿ لا مبدل لكلمات الله ﴾

(٤) حفرنا الماء (البئر)

(٥) قرأت شعر أبي العلاء

(٦) ركبت القطار

(٧) ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾

(٨) يتخرج في المدرسة رجال نافعون

## تمرين ثان

١ - أصدق كلمة قالها اميد : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .

٢ - اذا الكفاة تنحوا أن يصيبهم

٣ - كفى بالمرء عيباً أن تراه

٤ - أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم

٥ - ألا لا يحيلن أحد علينا

٦ - وليست أيادي الناس عندي غنيمة

٧ - تسيل على حد الطبات نفوسنا

(١) الطبات : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد هنا : السيف جميعه .

- ٨ - ألبا على معن وقولا لقبره      سقتك الفوادي مربعا بعد مربع<sup>(١)</sup>  
٩ - قال الخطيئة :

ندمت على لسان كان مني      فليت بأنه في جوف عكم

### المبحث الخامس في الاستعارة ومنزلها في البلاغة

قال الإمام في «أسرار البلاغة» : اعلم أن الاستعارة أمد ميداننا وأشد افتناناً وأوسع سعة وأبعد غوراً وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً<sup>(٢)</sup> من أن تجمع شعبها وشعوبها وتخصر فنونها وضروبها ، ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعاني حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجنّي من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها ، إن شئت أرتك المعاني التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسبت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون ، انتهى .  
وللإستعارة إطلاقان :

١ - المعنى المصدرى ، وهو فعل المتكلم ، أعني استعمال لفظ المشبه به في المشبه بقرينة صارفة عن الحقيقة مركزية كقوله : أسد  
وأركانها بهذا المعنى ثلاثة : مستعار وهو اللفظ ، ومستعار منه وهو المشبه به ومستعار له وهو المشبه .

٢ - المعنى الاسمي ، وهو اللفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلي ، كقولك : رأيت أسداً ، تعني رجلاً شجاعاً ، وبحراً تريد جواداً ، وشمساً تريد إنساناً مضياً الوجه متهللاً ، وسللت سيفاً على العدو تقصد رجلاً ماضياً في نصرتك .

فأنت بهذا قد استعرت اسم الأسد للرجل الشجاع ، فأفدت بهذه الاستعارة المبالغة في وصفه بالشجاعة وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وشدته ، إلى غير ذلك من المعاني المركوزة في طبيعته الدالة على الجرأة ،

(١) الفوادي جمع غادية ، السحابة تنشا غدوة ، والربيع : المطر في الربيع .

(٢) الغور الأول : القعر ، والثاني : الوادي .

وأفدت باستعارة البحر له سمته في الجود وفيض الكف ، وباستعارة السيف له إعطائه ما لها من البهاء الحسن الذي يبهر العيون ويملأ النواظر ، وباستعارة السيف له إعطائه ما له من الحدة والمضاء .

وهي تشبيه حذف أحد طرفيه وأداته ووجه الشبه ، لكنها أبلغ منه لأننا مهما بالغنا في التشبيه فلا بد من ذكر الطرفين وهذا اعتراف بتباينها وأن العلاقة بينهما ليست إلا التشابه والتداني فلا تصل حد الاتحاد ، إذ جعلك لكل منها اسماً يمتاز به دليل على عدم امتزاجها واتحادهما ، بخلاف الاستعارة فإن فيها دعوى الاتحاد والامتزاج ، وأن المشبه والمشبه به صار شيئاً واحداً يصدق عليها لفظ واحد ، فإن قلت : رأيت بحراً يعطي البائس والمحتاج ، كنت قد جعلت الجواد والبحر شيئاً واحداً حق صح أن تسمي أحدهما باسم الآخر ، ولولا ما أقيمت من الدليل (القريظة) على ما تريد ، لما خطر ببال المخاطب غير البحر الذي تعورف بهذا الاسم .

ومن قبل هذا اشترط فيها تناسي التشبيه وإدعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، فلا يذكر وجه الشبه ، ولا أدواته ، لا لفظاً ولا تقديرأ ، كما لا يجمع فيها بين الطرفين على وجه ينبىء عن التشبيه بأن يكون المشبه به خبرأ<sup>(١)</sup> عن المشبه أو في حكم الخبر<sup>(٢)</sup> كما في بابي كان ، وإن المفعول الثاني<sup>(٣)</sup> في باب ظن ، أو حالاً<sup>(٤)</sup> ، أو صفة<sup>(٥)</sup> ، أو مضافاً كـلجين<sup>(٦)</sup> الماء ، أو مصدرأ مبيناً لنوعه<sup>(٧)</sup>

(١) كقوله عليه السلام للانصار : « أنتم الشعار والناس الدثار » .

(٢) نحو : ان محمداً قذى في عين إبراهيم ، وقول البحري :

بنت بالفضل والعلو فأصبحت سماء وأصبح للناس أرضاً

(٣) كقوله عليه السلام : « لا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق » .

(٤) كقوله :

بدت قمرأ ومالت حوط بان وفاحت عنبرأ ورفت غزالا

(٥) كقولك : هذه امرأة قمر .

(٦) في قوله :

والريح تعبت بالفصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

(٧) نحو : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » .

أو مبيناً بالمشبه صريحاً ، أو ضمناً كقوله <sup>(١)</sup> تعالى : ﴿ حتى يقبض لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فقد بيّن الخيط الأبيض بالفجر صريحاً ، وفي ضمنه تبين الخيط الأسود بالليل ، فكل هذا تشبيهه محذوف الأداة .

قال الإمام عبدالقاهر في بيان هذا : اذا دلت القرينة على تشبيه شيء ، فهذا على ضربين :

١ - أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته ، كقولك : عنت لنا ظبية ، وأنت تريد امرأة ، ووردنا بحراً ، وأنت تريد المدوح ، وهذا تقول : إنه استعارة ولا تتحاشى البتة .

٢ - أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً ، وحينئذ فالمشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر ، فالوجه أن يسمى تشبيهاً ولا يسمى استعارة ، لأن الاسم اذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه ، أو نفيه عنه فإذا قلت : زيد أسد ، فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه ، فيكون خليفاً بأن يسمى تشبيهاً إذا كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ، فإن الاسم فيها لم يحتلب لإثبات معناه للشيء ، كما اذا قلت : جاءني أسد ، ورأيت أسداً ، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية واقعاً منك عليه لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه وصار قصد التشبيه مكنوناً في الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع الى شيء من النظر والتأمل .

( إذا افرقت الصورتان هذا الافتراق ناسب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بأن نسمي احدهما تشبيهاً ، والأخرى استعارة ) .

(١) وقول بعضهم :

فما زلت في ليلين شعر وظلمة  
وقول شوقي :

وشمين من خمر ووجه حبيب

ولثمت كالصبح النور فك

ودخلت في ليلين فرعك والدجى

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

ثم قال : فإن أبيت إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون المشبه به معرفة كقولك : زيد الأسد ، فإنه يحسن أن يقال : زيد كالأسد ، وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة كقولك : زيد أسد ، فإنه لا يحسن أن يقال : زيد كأسد ، ويحسن أن يقال : كأن زيد أسداً ، ووجدته أسداً ، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير صورة الكلام كان إطلاقه أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به كقولك : هو بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب ، وكقوله :

شمس تألق والفراق غروبها      عنا وبدر والصدود كسوفه

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة إلا بتغيير صورته كقولك : هو كالبدور إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا تغيب ، وكالشمس المتألقة إلا أن الفراق غروبها ، والبدور إلا أن الصدود كسوفه . انتهى بتصرف واختصار كثير من تفتيش كثير من الأدبي

والتشبيه الذي يجب تناسيه هو الذي من أجله وقعت الاستعارة لا كل تشبيه فليس بمحذور أن تقول : رأيت أسداً في الحمام مثل الفيل في الضخامة ، ولا : جاورت ليثاً كأنه بحر متلاطم الأمواج .

ومن اشتراط ادعاء دخول المشبه في المشبه به يتضح لك أنه لا بد أن يكون المشبه به كلياً كاسم الجنس وعلم الجنس ، فلا تتأني الاستعارة في الأعلام الشخصية لعدم تصور الشراكة فيها حتى يمكن ادعاء دخول شيء في حقائقها إلا إذا تضمنت أوصافاً بها يصح أن تعتبر كأنها أجناس كتضمن حاتم الجود ، ومادر البخل ، وقس الفصاحة ، وباقل المي والفكاهة ، فنقول : رأيت اليوم حاتماً أو قساً ، وتدعي كلية حاتم ، أو قس ، ودخول المشبه في جنس الجواد والفصيح ، حتى كأن حاتماً موضوع لمن اتصف بالجود سواء أكان هو ذلك الطائي المشهور أم غيره ، وإن كان إطلاقه على الطائي حقيقة وعلى غيره ادعاء ، وكذا القول في قس ، وكل ما كان من هذا الضرب فسيبيله هذه السبيل .

## المبحث السادس في الاستعارة

### امجاز لغوي هي أم مجاز عقلي

يرى الجمهور أن الاستعارة مجاز لغوي وأيده الإمام في « أسرار البلاغة » ، وحببتهم على ذلك أنا إذا أجرينا اسم الأسد على الرجل الشجاع ، فإننا لا ندعي فله صورة الأسد وشكله وعبالة عنقه ومخالبه ، ونحو ذلك من الأوصاف الظاهرة التي تبدو للعيون وتشاهد بالحواس ، وإنما ندعي له ذلك من أجل اختصاصه بالشجاعة التي هي من أخص أوصاف الأسد وأمكنها .

ومن الجلي الواضح أن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها ، بل لها في مثل تلك الجثة وهاتيك الصورة والهيئة ، ولو كانت وضعته للشجاعة وحدها لكان صفة لا اسماً ، ولكان كل شيء يبلغ في شجاعته إلى هذا الحد جديراً بهذا الاسم على جهة الحقيقة ، لا على طريق التشبيه والتأويل .

ويرى آخرون أنها مجاز عقلي بمعنى أن التصرف<sup>(١)</sup> فيها في أمر عقلي لا لغوي واختاره الإمام في « دلائل الإعجاز » ، ودليلهم على ذلك أنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر تستحق هذا الاسم ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه .

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان مستعملاً فيما وضع له ، ومن ثم صح التعجب في قول ابن العميد<sup>(٢)</sup> يصف غلاماً له جميلاً :

|                      |                      |
|----------------------|----------------------|
| قامت تظللني من الشمس | نفس أعز عليّ من نفسي |
| قامت تظللني ومن عجب  | شمس تظللني من الشمس  |

كما صح النهي عنه في قول الحسن بن طباطبا :

(١) في هذا إشارة إلى أنه لا يراد بالمقل هنا المجاز العقلي الآتي ، إذ هنا المجاز في الكلمة ، وفيما سيأتي المجاز في الاسناد ، بل المراد بالعقلي التصرف فيه هو المعاني الحقيقية والتصرف فيها جعل بعضها نفس البعض الآخر ، وإن لم يكن كذلك في الحقيقة .

(٢) هو أبو الفضل محمد بن الحسين كاتب « ديوان الرسائل » للملك نوح بن نصر من الدولة البويهية .

يا من حكى الماء فرط رفته      وقلبه في قساوة الحجر  
يا ليت حظي كحظ ثوبك من      جسمك يا واحداً من البشر  
لا تعجبوا من بلى غلاته      قد زرر أزراره على القمر<sup>(١)</sup>

فلولا أن ابن العميد ادعى لفلame معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا التعجب وجه ، إذ ليس ببدع ولا منكر أن يظلل إنسان حسن الوجه إنساناً وبقية وهج الشمس بشخصه ، ولولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قرأً حقيقياً لما كان للنهي عن التعجب معنى لأن الكتان إنما يسرع إليه البلى حين يلبس القمر الحقيقي لا إنساناً بلغ الغاية في الحسن .

وأنت إذا أنعمت النظر رأيت حجة الجمهور دامغة وأنها أخرى بالقبول ، بيان هذا أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرج عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له ، وأما صحة التعجب والنهي عنه فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه به عين المشبه حتى تتم المبالغة ، إذ من الواضح أن أسداً في قولك : رأيت أسداً ، مستعمل في الشجاع ، والمعنى الموضوع له الأسد الحقيقي لا الادعائي ، فكأنك ادعت أن للأسد صورتين ، إحداها متعارفة وهي التي لها الإقدام والبطش في الهيئة المعروفة للحيوان المعروف ، وثانيتهما غير متعارفة وهي التي لها الجرأة والقوة ، لكن لا مع تلك الصورة ، بل مع صورة أخرى على النحو الذي ادعاه المتنبي في عد نفسه وجماعته من جنس الجن ، وعد جماله من جنس الطير حين يقول :

نحن ركب ملجن في زي ناس      فوق طير لها شخوص الجمال

مستشهداً لدعواه بما يتخيل عرفاً من نحو حكمهم إذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد ، إنه ليس بإنسان ، وإنما هو أسد ، أو هو أسد في صورة إنسان .

والقرينة التي تنصب في الكلام تنفي المعارف الذي يسبق إلى الفهم ، وهو المعنى الأول ، وتعين ما أنت تستعمل له الأسد ، وهو ثاني المعنيين .

(١) البلى من بلى الثوب وقدم ، والغلالة ثوب صغير صبق الكمين كالقميص ، وزررت القميص عليه شددت أزراره ، وقد قيل : إن هذا تشبيه لا استعارة ، لأن المشبه مذكور ، وهو الضمير في : غلاته ، وأزراره .

( تنبيه ) الفرق بين الاستعارة والكذب من وجهين :

( أ ) بناء الدعوى فيها على التأويل ، أي تأويل دخول المشبه في جنس المشبه به .

( ب ) نصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها ، أما الكاذب فيتبرأ من التأويل ، ويركب كل صعب وذلول لترويج ما يدعيه وإيهام أن ليس الحق إلا ما يقول ولا ينصب دليلاً على خلاف ما يزعم ، وعلى هذا فلايس ببدع أن تقع في كلام الله تعالى وكلام رسوله .

### المبحث السابع في قرينة الاستعارة

الاستعارة نوع من المجاز ، فلا بد لها من قرينة تفصح عن الغرض ، وترشد الى المقصود ، ويمتنع معها إجراء الكلام على حقيقته ، وهي قسيان :

١ - حالية ، تفهم من سياق الحديث ، نحو : رأيت قساً يخطب .

٢ - مقالية ، سواء أكانت معنى (١) واحداً ، نحو : يرمي بالسهم ، من قولك : لرأيت أسداً يرمي بالسهم ، أو أكثر ، نحو :  
فإن تعافوا العدل والإيمان فإن في إيماننا نيراناً (٢)

فكل من العدل والإيمان باعتبار تعلق الإعاقة به قرينة على أن الغرض من النيران السيوف ، إذ هو دليل على أن جواب الشرط محذوف ، يقدر بنحو : تحاربون أو تلجئون الى الطاعة .

أو معاني ملتزمة ، مربوطاً بعضها ببعض ، بحيث تكون كلها قرينة ، لا كل واحد منها ، كما في قول البحثري :

وصاعقة من نصله تنكفي بها على أرؤوس الأقران خمس سحائب  
فإذا نظرت الى ما صنع رأيت قد استعار السحائب الخمس لأنامل يمين المدوح

---

(١) سواء أكان من ملائمت المشبه كما في التصريحية ، أم من ملائمت المشبه به ، كما في المكتبة .

(٢) المعنى أنكم إن كرهتم العدل والانصاف وملتئم الى الجور والخلاف فإن في أيدينا سيوفاً تلتمع كشمل النيران فلجئكم بها الى الطاعة .

كما هي عادتهم في تشبيه الجواد بالبحر الخضم طوراً ، وبالسحاب المطال طوراً آخر ، وتخيل لما أراد ، فذكر أن هناك صاعقة وبيتين أنها من نصل سيفه ، ثم قال إنها على رؤوس الأقران تفتك بهم ، ثم قال : خمس ، وهي عدد أأمل اليد ، فاستبان للسامع من كل هذا غرضه ، واتضح له مقصده .

### المبحث الثامن في انقسام الاستعارة الى عنادية ووفاقية

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين الى قسمين :

١ - وفاقية ، وهي التي يمكن اجتماع طرفيها المستعار منه والمستعار له في شيء واحد ، وسميت بذلك لما بين طرفيها من الوفاق .

٢ - عنادية ، وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ، وسميت بذلك لتعاند الطرفين ، وقد اجتمعنا في قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾<sup>(١)</sup> أي مَنْ كَانَ ضالاً فهديناه ، استعير الأحياء من معناه الحقيقي وهو جعل الشيء حياً للهداية التي هي الدلالة على الطريق الموصول الى المطلوب ، والأحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما إذ لا يوصف الميت بالضلal .

ومن العنادية الاستعارة التهكمية والتعليجية<sup>(٢)</sup> ، وهما ما نزل فيها التضاد منزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء ، أو لأجل الملاحظة والظرافة ، نحو : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾<sup>(٣)</sup> استعيرت للبشارة ، وهي الخبر بما يسر للإنذار الذي هو ضدها بإدخاله في جنس البشارة هزؤ وسخرية بهم ، ونظيره كلمة نعاتبه في قول بشار :

إذ الملك الجبار صعر خده أتينا اليه بالسيوف نعاتبه<sup>(٤)</sup>

والنعية في قول عمرو بن معد يكرب ( تحية بينهم ضرب وجيع ) والثواب في قولهم ما ثوابه إلا السيف .

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٢ .

(٢) الفارق بينها أنه إن كان الغرض الحامل على استعمال اللفظ في ضد معناه الهزؤ والسخرية بالمقول فيه كانت تهكمية وإن كان الغرض بسط السامعين وإزالة السآمة عنهم بواسطة الاتيان بشيء مستطاع مستظرف كانت تعليجية .

(٣) سورة الانشقاق الآية ٢٤ .

(٤) صعر خده : أماله عن الناس كبراً .

ومنها أيضاً استعارة اسم الموجود للمعدوم الذي بقيت آثاره الجميلة أو المعدوم أو لا شيء للموجود، إذا لم تنتج منه فائدة، ولم يحل منه بطائل من قبل أنه شارك المعدوم في عدم غنائه ونفعه كما قال أبو تمام :

هب من له يريد حجابَه      ما بالُ لا شيء عليه حجاب

### المبحث التاسع في انقسامها باعتبار الجامع الى داخل وخارج

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع وهو الوجه الذي يقصد اشتراك الطرفين فيه الى قسمين :

١ - ما يكون الجامع فيها داخلاً في مفهوم الطرفين كاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول أبي الطيب :

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة      كما نثرت فوق العروس الدرام<sup>(١)</sup>

إذ النثر أن تجمع أشياء في كف أو وعاء، ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ولا نظام، وقد استعاره لما يتضمنه ذلك التفرق على الوجه المخصوص وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين في الحرب دفعة بلا ترتيب ولا نظام، ونسبه الى المدحوح لأنه سبيه .

٢ - ما لا يكون داخلاً في مفهومها، كقولك : وردت بجرأ يتהל وجهه، وأنت تريد إنساناً جواداً، فالجامع، وهو الجود، غير داخل في مفهومها .

### المبحث العاشر في انقسامها باعتبار الجامع أيضاً الى عامة وخاصة

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع الى :

١ - عامة مبتذلة لا كتبها الألسن لظهور الجامع فيها، كقولك : رأيت شمساً ووردت بجرأ، وأنت تعني إنساناً جميل الهيئة وجواداً كريماً .

٢ - خاصة غريبة وهي التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة، كقول طفيل الغنوي :

وجعلت كوري فوق ناجية      يقات شحم سنامها الرجل<sup>(٢)</sup>

(١) الأحيدب : جبل .

(٢) الكور : الرجل ، والناجية : الناقة السريعة ، تنجو براكبها .

انظر تر عجباً ، ألا تراه قد استعار الاقتيات لإذهاب الرجل شحم السنام ،  
وساعده التوفيق فيما عناءه من قبل أن كان الشحم مما يصلح للقوت ، وأن الرجل  
أبداً ينتقص منه ويذيبه .

والغرابية على ضروب ، منها :

١ - أن تكون في الشبه نفسه ، كما في قول يزيد بن مسلمة عبد الملك يصف  
فرساً له بالأدب :

عودته فـجـيـاً أزور حـبائـي      إـمـالـه      و كـذا ك كل مخاطر  
وإذا احتبى قـرـبـوسـه بـعـنـانـه      عـلـك الشـكـيـم الـي انـصـرـاف الزائر<sup>(١)</sup>

فقد شبه<sup>(٢)</sup> هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتداً الى جانبي  
فم الفرس بهيئة وقوع الثوب في موقعه من ركبتى المحتبى ممتداً الى جانبي ظهره ،  
ثم استعار الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان  
في قربوس السرج ، فجاءت الاستعارة غريبة كما ترى لغرابية الشبه .

٢ - أن تحصل بتصرف الاستعارة العامة ، كقول ابن المعتز :

سألت عليه شعاب الحـي حين دعا<sup>(٣)</sup> أنصـاره بوجوه كالدنانير<sup>(٤)</sup>

فهذا تشبيه معروف ، لكنه تصرف فيه بأن أسند الفعل الى الشعاب دون  
ووجوههم ، وعدى الفعل الى ضمير الممدوح بعلى ، فأفاد اللطف والغرابية من حيث  
أبان أن الشعاب امتلأت من الرجال وغصت بها من كل ناحية وجانب .

٣ - أن تحصل بالجمع بين عدة استعارات لإلحاق الشكل بالشكل ، كقول  
أمرئ القيس :

فقلت له لما تـطـى بـصـلبـه      وأردف إعجازاً وناء بكلـكل

فقد أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له اسم الصلب وجعله متمطياً لما هو  
مشاهد من أن كل ذي صلب يزيد طوله شيئاً ما عند التمطي ، ثم ثنى واستعار

(١) القربوس مقدم السرج ، والملك المضغ ، والشكيم الشكيمة الحديدية المعترضة في فـم  
الفرس ، وعنى بالزائر نفسه ، دلالة على تأدب فرسه ، حيث يقف مكانه وإن طال مكثه .

(٢) ووجه الشبه إحاطة شيء بشيئين ، ضاماً أحدهما الى الآخر ، على أن أحدهما أعلى والآخر  
أسفل ، والتشبيه بين مفردين باعتبار ما تضمنه كل منهما من الهيئة لا أنه واقع بين هيتين .

(٣) يريد أن الممدوح مطاع في حبه إذا دعاهم لبوا فداه زرافات ووحداً .

الإعجاز لثقله وبطء سيره ، وبالغ في ذلك حتى جعل بعضها يردف بعضاً ، ثم ثلث فاستعار الكل لكل لمعظم الليل ووسطه آخذاً له من كل كل البعير وهو ما يعتمد عليه إذا برك ، وزاده مبالغة بأن جعله ينوء ويثقل ، لمسا في الليل من التعب والنصب على كل قلب ساهر ، وبذا تم له ما أراد من تصوير الليل بصورة البعير على أبلغ وجه وأدق .

### المبحث الحادي عشر في انقسامها باعتبار الطرفين والجامع

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع الى ستة <sup>(١)</sup> أقسام :

١ - استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي ، نحو : (وتركنا بعضهم <sup>(٢)</sup>) يومئذ يوج في بعض) استعير الموجان وهو حركة الماء للاضطراب والاختلاط الناشئين عن الحيرة والجامع بينهما الحركة الشديدة والاضطراب .

٢ - استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي ، نحو : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ <sup>(٣)</sup> فالمستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن ظلمة الليل وملقى ظله وهما حسيان ، والجامع بينهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر كترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وإزالته وترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء <sup>(٤)</sup> عن مكان الليل ، وهذا الترتب أمر عقلي .

٣ - استعارة محسوس لمحسوس والجامع مختلف بعضه حسي وبعضه عقلي ، كما تقول : رأيت شمساً ، وأنت تريد إنساناً كالشمس في حسن الطلعة ، وهو حسي ، ونباهة الشأن ورفعة القدر ، وهي عقلية .

٤ - استعارة معقول لمعقول ، نحو : ﴿ مَن بعثنا من مرقدنا ﴾ <sup>(٥)</sup> .

---

(١) لأن المستعار منه والمستعار له إما حسيان أو عقليان أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس فتصير أربعة ، والجامع في الثلاثة عقلي لا غير لما تقدم في التشبيه وفي القسم الأول ، إما حسي أو عقلي أو مختلف ، فهذه أقسام ستة .

(٢) الضمير يعود للانس والجن .

(٣) سورة يس الآية ٣٧ .

(٤) لأن الظلمة هي الأصل والنور طارئ عليها يسترها ، فعند غروب الشمس يسلخ النهار من الليل وكأنه يكشط ويزال كما يكشط عن الشيء الطارئ عليه السائر له .

(٥) سورة يس الآية ٥٢ .

استعير الرقاد وهو النوم للموت ، والجامع عدم ظهور الفمل ، والجميع عقلي ، ونظيره : ﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فقد استعير الغيظ للحالة المتوهمة للنار ، لإرادة الانتقام من العصاة .

٥ - استعارة محسوس لمعقول ، نحو : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ <sup>(٢)</sup> فقد استعير صدع الزجاج ، وهو كسرها ، وهذا حسي لتبليغ الرسالة بجامع التأثير <sup>(٣)</sup> ، وهما عقليان .

ونحوه : ﴿ فنبذوه وراء ظمورهم ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فقد استعير النبذ ، وهو إلقاء الشيء باليد للأمر المتناسي حاله ، والجامع عدم العناية فيها .

٦ - استعارة معقول لمحسوس ، نحو : ﴿ إنا لما طغى الماء ﴾ <sup>(٥)</sup> فقد استعير الطغيان ، وهو التكبر والعلو لظهور الماء وكثرته ، والجامع الخروج عن حد الاعتدال والاستعلاء المفرط ، فالاستعار منه والجامع عقليان .

### المبحث الثاني عشر في تقسيم الاستعارة الى مصرحة ومكنية

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر المشبه به أو ذكر ما يخصه الى قسمين :

١ - مصرحة أو مصرح بها أو تصريحية ، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به كقول شوقي :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

شبهت الدلالة بالقول بجامع إيضاح المراد وإفهام الغرض في كل منها واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية ، والقرينة نسبة القول الى الدقات ، ونظيره قول الواواء الدمشقي :

فأمطرت لؤلؤاً من ترجمس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

(١) سورة الملك الآية ٨ .

(٢) سورة الحجر الآية ٩٤ .

(٣) التأثير المراد هنا نوع مخصوص لا يعود معه المؤثر فيه الى حاله الأولى ، وهو في كسر الزجاج أقوى وأبين ، فكأنه قبل وضع الأمر وضوحاً لا يزول أثره كما لا يلتئم صدع الزجاج .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

(٥) سورة الحاقة الآية ١١ .

شبه الدموع بالؤلؤ ، والعيون بالترجس ، والحدود بالورد ، والأنامل بالعناب ،  
والأسنان بالبرد ، وقول الحريري :

فزحزحت شفقاً غشى سنا قمر      وتساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر<sup>(١)</sup>  
فقد شبه الخمار بالشفق لمرقه والوجه بالقمر والكلام بالؤلؤ والفم بالخاتم .

٢ - مكنية ، وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه ،  
نحو ﴿ واخفض لها جناح الذل من الرحمة ﴾<sup>(٢)</sup> ، شبه الذل بطائر يجمع الخضوع  
واستعير الطائر للذل ، ثم حذف ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو الجناح ، على  
طريق الاستعارة بالكناية ، وإثبات الجناح للذل استعارة تخييلية ، وهي قرينة  
المكنية ، ويجعل الطائر مستعاراً للمخاطب (أي للولد في معاملة والديه) والأصل  
واخفض لها جناحك ذلاً ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك  
من المؤمنين ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقول الكميت :

خفضت لهم مني جناحي      الى كنف عطفاه أهل ومرحب

ونحو ﴿ ينقضون عهد الله ﴾<sup>(٤)</sup> قال في «الكشاف» : ساغ استعمال النقص  
في إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من  
إثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكنوا عن  
ذكر الشيء المستعار ثم يرموزا اليه بذكر شيء من روافقه فينبهوا بتلك الرزمة  
على مكانه ، ونحوه قولك : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يفترس منه الناس ،  
فقد نبهت على الشجاع والعالم بأنها أسد وبحر ، انتهى .

( تنبيه ) علمت أن إثبات اللازم كالجناح للذل أو للمخاطب بلين الجانب  
لوالدين ، والمأمور أن يذل لها ، وإثبات النقص للعهد يسمى استعارة تخييلية ،  
وهي قرينة الاستعارة المكنية ، وسمي ذلك الإثبات استعارة لأجل أن متعلقة  
وهو الأمر المختص بالمشبه به قد استعير ونقل عما يناسبه ، واستعمل مع ما شبه

(١) وقبله : سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وإنداع سمعي أطيب الخبز ومساقطه  
الحديث أن يتكلم واحد ويسكت الآخر ، ثم يتكلم الساكت ، وهكذا دواليك .

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٥ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٧ .

بأصله، وتخييلية لأن متعلقة وهو الأمر المختص بالمشبه به لما نقل عن ملائمة وأثبت للمشبه، صار يخيل الى السامع أن المشبه من جنس المشبه به .

وهو حقيقة لاستعماله فيما وضع له ، ألا ترى أن الجناح استعمل في حقيقته وإنما النجور في إثباته للذل فهو مجاز عقلي في الإثبات، كما سيأتي، لا مجاز لغوي وهكذا يقال في نظائره .

ومن حيث إنها قرينة المكنية ، فهي لازمة لها ، لا تفارقها ، إذ لا استعارة بدون قرينة ، هذا اذا كان لازم المشبه به واحداً ، فإن تعددت اللوازم جعل أقوالها وأبينها لزوماً قرينة لها ، وما عداها ترشيداً وتقوية لها ، كما ستعرف ذلك بعد .

### المبحث الثالث عشر

#### في منذهب السكاكي والخطيب القزويني في المكنية

منذهب السكاكي أن المكنية لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادهاء أن المشبه عين المشبه به وإنكار أن يكون غيره بقرينة ذكر اللازم ، فالذل عنده في المثال السابق مراد به الطائر بأدعاء أنه عينه بقرينة إضافة الجناح الذي هو من خواص الطائر ولوازمه اليه ، وليس المراد من الذل عنده مجرد الخضوع حتى يكون مستعملاً في معناه الحقيقي ، بل الذل المفروض أنه عين الطائر ، وهو غير الموضوع له .

والجناح استعارة تخيلية بمعنى أن لفظ الجناح استعير عنده لأمر تخيلي وهي لأنه لما استعمل الذل في الخضوع المتعدد مع الطائر ادعاء ، أخذ الوهم يخترع له صورة مثل صورة الجناح ، واستعار لفظ الجناح لذلك ، ولا يخفى ما في هذا من التعسف .

وذهب الخطيب الى أنها التشبيه المضمّر في النفس والإثبات تخييل ، فأخرجها من المجاز ، أعني الكلمة المستعملة ، الخ . إذ التشبيه فعل من أفعال النفس ، فكل من الجناح والذل مستعمل في معناه الحقيقي عنده .

وقال سعد الدين التفتازاني : وتفسير الاستعارة بذلك لا مستند له في كلام السلف ولا هو مبني على مناسبة لغوية .

## المبحث الرابع عشر في تقسيم الاستعارة التصريحية لدى السكاكي الى تحقيقية وتخيلية ومحملة لها

تنقسم الاستعارة المصروفة عند السكاكي الى ثلاثة أقسام :

١ - تحقيقية ، وهي ما كان المستعار له فيها محققاً حساً أو عقلاً بأن كان اللفظ منقولاً الى أمر معلوم يمكن الإشارة اليه إشارة حسية ، أو عقلية ، فالأول كقول زهير في معلقته بمدح حصين بن ضمضم :

لدى أشد شاكي السلاح مقذوف له لبد أظافره لم تقلم

والثاني نحو : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ <sup>(١)</sup> ، فقد استعير في الأول الأسد للرجل الشجاع ، وهو محقق حساً ، وفي الثاني الصراط للمعة الإسلام ، وهي محقة عقلاً .

٢ - تخيلية ، وهي ما كان المستعار له فيها غير محقق لا حساً ولا عقلاً بل هو صورة وهمية محصنة لا يشوبها شيء من التحقيق نحو قول الهذلي :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألقت كل تيمة لا تنفع

فإنه لما شبه المنية بالسبع في الأغتيال أخذ الوهم بصور المنية بصورة السبع ويخترع لوازمه لها فاخترع لها مثل صورة الأظفار ، ثم أطلق على هذه الصورة لفظ الأظفار ، فتكون الأظفار عنده تصريحية تخيلية لأن المستعار له الأظفار صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار الحقيقية ، وقربنتها إضافتها الى المنية ، والتخيلية عنده قد تكون بدون استعارة بالكناية كقولك : أظفار المنية الشبيهة بالسبع قتلت فلاناً ، فقد صرح بالتشبيه فلا مكنية في المنية مع كون الاستعارة في الاستعارة تخيلية .

٣ - محتملة للتحقيقية والتخيلية كقول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطلة وعرى أقراس الصبا ورواحله <sup>(٢)</sup>

الصحو خلاف السكر استعارة للسو استعارة تصريحية تبعية ، وأقصر باطلة

(١) سورة الفاتحة الآية ٥ .

(٢) أقصر عن الشيء امتنع عنه مع القدرة عليه ، وقصر عنه اذا تركه مع القدرة ، والمراد بالاقصار هنا مطلق الامتناع ، وباطل القلب ميله الى الهوى .

أي أفلح عنه وامتنع والمراد انتهى ميده ، والتعرية الإزالة يريد أنه ترك ما كان يرتكبه زمن الحب من الجهل والفهي وأعرض عن معاودة ما كان منصرف اليه من اللهو فبطلت الآلات التي كان يستعملها .

فقد شبه الصبا بجهة من جهات المسير كاللحج والتجارة ، قضى منها حاجاته ، فبطلت آلاته تشبيهاً مضمراً في النفس واستعار الجهة للصبا وحذفها ورمز اليها بشيء من لوازمها وهي الأفراس والرواحل ، فالجهة هي المكنية عند الجمهور ، وإثبات الأفراس والرواحل لها تخيلية ، والأفراس والرواحل مستعملان في حقيقتها عندهم أيضاً ، أما عند السكاكي فيجوز أن تكون الأفراس والرواحل استعارة تحقيقية إن أراد بها دواعي النفس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات ، أو أريد بها أسباب اتباع الفهي من المال والأعوان لتحقيق معناها عقلاً إن أريد منها الدواعي ، أو حساً إن أريد منها الأسباب ، وعلى هذا فالمراد بالصبا زمان الشباب ، ويجوز أن تكون تخيلية إن جعلت الأفراس والرواحل مستعارة لأمر وهمي تخيل للصبا من الصبوة وهو الميل الى الجهل والفتوة .

### المبحث الخامس عشر في انقسامها الى أصلية وتبعية

تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار قسمين :

١ - أصلية ، وهي ما يكون اللفظ المستعار فيها اسم جنس ، وهو الذات الصالحة لأن تصدق على كثيرين ولو تأويلًا نحو أسد ، وقتل إذا استعير للشجاع والضرب الشديد ، ونحو : حاتم وقس من قولك : رأيت اليوم حاتمًا ، وسمعت اليوم قسًا يخطب ، ومثلها كل ما شاكلها من الأعلام التي اشتهرت مسمياتها بوصفية . وإجراء الاستعارة في مثل هذا أن يقال شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة في كل ، واستعير لفظ الأسد الشجاع على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، وشبه الرجل الكريم بحاتم بجامع الكرم في كل ، واستعير لفظ حاتم للكريم استعارة تصريحية أصلية .

٢ - تبعية ، وهي ما يكون المستعار فيها :

(١) فعلاً . (٢) اسماً مشتقاً . (٣) حرفاً .

فالأول ، نحو : عضنا الدهر بنا به ، فقد وقع المصائب بالعض بجامع الإيلام

في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من العوض بمعنى الإيلاء  
عوض بمعنى آلم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

هذا اذا كان التجوز في الفعل باعتبار حدثه ، فإن كان باعتبار زمانه كان  
التغاير بين المصدرين باعتبار القيد نحو : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أي  
ينادي فيقال شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بجامع تحقق وقوعها ، ثم  
استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل واشتق منه نادى بمعنى ينادي  
على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

والثاني ، نحو : جليل عملك ناطق بفضلك ، شبهت الدلالة بالنطق بجامع إفهام  
الغرض في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه واشتق من النطق  
بمعنى الدلالة ناطق بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ، ونحو :  
﴿ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدَا ﴾ <sup>(٢)</sup> فالمرقد مكان الرقاد استعير للقبر بجامع خفاء الأثر  
في كل ، ثم اشتق من الرقاد بمعنى الموت مرقداً بمعنى مكان الموت وهو القبر استعارة  
تصريحية تبعية .

والثالث ، نحو : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ <sup>(٣)</sup> ،  
فقد شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتيب العملة الغائبة عليه بجامع مطلق  
ترتب شيء على شيء فسرى التشبيه من الكلين للجزئيات التي هي معاني الحروف  
فاستعيرت اللام الموضوعه لكل جزئي من جزئيات العملة الغائبة كالحبة والتبني للام  
التي تدل على العداوة والحزن استعارة تصريحية تبعية ، والى هذا يشير قول  
الزمخشري معنى التعليل في اللام وارد على طريق المجاز ، لأنه لم يكن داعيهم الى  
الالتقاط أن يكون لهم عدوًّا وحزنًا ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كان  
نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله .

ثم قال : وهذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل ،  
كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد ، انتهى .

(١) سورة الأعراف الآية ٤٤ .

(٢) سورة يس الآية ٥٢ .

(٣) سورة القصص الآية ٨ .

ونحوه قوله عز اسمه : ﴿ ولأصلبكم في جذوع النخل ﴾ <sup>(١)</sup> ، شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية مجامع التمكّن في كل ، فسرى التشبيه من الكلّيين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعير لفظ (في) الموضوع لجزئي من جزئيات الظرفية لمعنى على الموضوع للاستعلاء على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها الى الفاعل نحو : نطقت الحال بكذا ، أو الى المفعول الأول كقول ابن المعتز :

جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السباحا

فالذي دل على استعارة قتل وأحيا ، إنما إسنادها الى البخل والسباح ، إذ لو قال : قتل الأعداء وأحيا الأحياء ، لم يكن هناك سبيل للاستعارة فيها ، أو الى المفعول الثاني ، كقول القطامي :

لم تلق قوما هم شرّ لإخوتهم منا عشية يجري بالدم الوادي

نقريهم لهذميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد <sup>(٢)</sup>

فإسناد القرى الى اللهذميات قرينة على أن نقريهم استعارة ، أو الى المفعولين الأول والثاني ، كقول الحروري : كقوتهم علوم رسي

وأقرى المسامع إماما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا <sup>(٣)</sup>

فإن تعلق أقوى بكل من المسامع والبيان دليل على أنه استعارة ، أو الى المجرور ، نحو : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فذكر العذاب دليل على أن بشر استعارة تبعية تهكمية .

(تنبيهات) أولها كما تكون المصراحة أصلية وتبعية تكون المكنية كذلك <sup>(٥)</sup> .

(١) سورة طه الآية ٧١ .

(٢) نقريهم من قرئت الضيف ، واللهزم من الأسته القاطع واللهذميات منسوبة اليها ، والقدر : القطع ، وضمن خاط معنى قد ، فعداء بعل ، وزرد الدرع وسردها نسجها .

(٣) الحرون من الخيل ما لا يسهل قياده والشموس منها ما يمنع ظهوره من الركوب .

(٤) سورة الانشقاق الآية ٢٤ .

(٥) لكن لا تجري التبعية بجميع أقسامها في المكنية إذ أنها لا بد فيها من إثبات لازم المشبه به للمشبه ووضع الفعل واسمه ، والحرف يقتضي ألا يثلت لمعناها شيء لوجه ما لا بالإسناد اليه ، ولا بالايقاع عليه ولا الإضافة اليه .

ثانيها - إنما سميت الاستعارة في القسم الثاني تبعية لأنها تابعة لاستعارة أخرى إذ هي في المشتقات تابعة لجريانها في المصدر أولاً ، كما أن معاني الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كلي مستقل بالمفهومية ليتأتى كونها مشبهاً ومشبهاً بها فلا بد من إجراء التشبيه أولاً في متعلق معاني الحروف ، ثم تتبعها الاستعارة في المعاني الجزئية .

ثالثها - قال السكاكي : لو لم يجعلوا في الفعل والحرف استعارة تبعية بل جعلوا في مدخولها استعارة مكنية بقرينتها كما فعلوا في : أنشبت المنية أظفارها ، لكان أقرب للضبط .

#### المبحث السادس عشر في تقسيمها الى مرشحة ومجردة ومطلقة

تنقسم الاستعارة باعتبار اقترانها بما يلائم المستعار منه أو المستعار له أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما الى ثلاثة أقسام ، مرشحة ومجردة ومطلقة :

١ - فالمرشحة هي التي تقترب بما يلائم المستعار منه ، كما تقول : رأيت في الميدان أسداً دامي الأنياب طويل البرائن ، وكما قال كثير عزة :

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر      ظواهر جلدي وهو للقب جارج<sup>(١)</sup>  
فقد استعار السهم للنظر يحامع التأثير في كل ثم رشح الاستعارة بذكر الريش الملائم للسهم ، وكما قال ابن هانئ المغربي :

وجنيت ثم الوقائع يانعا      بالنصر من ورق الحديد الأخضر

٢ - والمجردة هي التي تقترب بما يلائم المستعار له كما تقول : رأيت أسداً في حومة الوغى يحندل الأبطال بنصله ويشك الفرسان برمحه ، وكما قال كثير يمدح عمر ابن عبد العزيز :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً      غلقت لضحكته رقاب الملل<sup>(٢)</sup>

(١) المعنى : أنها رمته بسهم نظرها الفاتك الذي ريشه الكحل ، فجرحته قلبه ، ولم تضر ظواهر جلده .

(٢) يريد أنه كثير العطاء سخياً ، والمعنى أنه اذا ضحك وسر وهب ماله وفوقه وعنى برقاب الأموال أنفسها ، وعبر عنها بالرقاب كقولهم : أعتق رقبة ، أي عبداً .

فقد استعار الرداء للمعروف ، لأنه يصون عرضه كما يصون الرداء ما يلقي عليه من مكروهه والقريئة تنمة البيت ، ثم وصفه بالغمر الذي هو وصف للمعروف لا للرداء على سبيل التجريد .

٣ - والمطلقة هي التي لم تقترن بصفة معنوية ولا تفريغ يلائم أحد الطرفين ، والفرق بينهما أن الملائم إن كان من تنمة الكلام الذي فيه الاستعارة فهو الصفة ، كما في قوله : تبسم ضاحكاً ، وإن كان كلاماً مستقلاً جيء به بعد تمام الاستعارة وبني عليها فهو التفريغ ، نحو : ﴿ فما رجت تجارتهم ﴾ <sup>(١)</sup> ، بعد قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(تنبيهات) أولها أنه إذا اجتمع الترشيح والتجريد كانت الاستعارة في حكم المطلقة كقول زهير :

لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

فشاكي السلاح هو حادة تجريد ، لأنه يناسب المشبه وهو الشجاع ، والمقذف إن أريد به في الوقائع والحروب كان تجريداً أيضاً ، وإن أريد به المرمى باللحم كناية عن عظم الجثة والضخامة ، لم يكن لا تجريداً ولا ترشيحاً لأنه يلائم كلا منهما ، وله لبد وهي الشعر المتراكم بين كتفي الأسد ترشيح ، وكذلك أظفاره لم تقلم لأن الأسد الحقيقي هو الذي ليس من شأنه تقليم الأظفار ، والقريئة كلمة لدى ، أو القريئة حالية ، ولدى تجريد إذ التجريد أو الترشيح إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقريئتهما ، ولذا لا تسمى قريئة الاستعارة التصريحية تجريداً ولا قريئة المكنية ترشيحاً .

(ثانيها) : الترشيح أبلغ <sup>(٣)</sup> وأقوى من الإطلاق والتجريد ، لاشتماله على تقوية المبالغة وكما لها ، فإن المحور الذي يدور عليه الترشيح إنما هو تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه ، وكأن الاستعارة غير موجودة ، ألا ترى أن النائر أو الشاعر يحدث في إنكارها ، ويخيل إلى السامع أن الأمر على ما يقول حقيقة ، ومن ثم وضع أبو تمام كلامه في علو المنزلة والرقى في خلال الشرف وضعه في علو المكان حين يقول :

(١ و ٢) سورة البقرة الآية ١٦ .

(٣) الأبلغ في الحقيقة هو الكلام المشتمل على الترشيح لا التجريد نفسه .

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء  
فلولا أنه قصد تناسب التشبيه وعقد العزيمة على جرده ولم يأل جهداً في إنكاره  
فجعله صاعداً في السماء حيث المسافة المكانية ، لما كان لهذا الكلام وجه .  
ونحوه قول بشار :

أقنني الشمس زائرة ولم تك تبحر الفلكا  
وقول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لمسا بدت منها الشمس وليس فيها المشرق  
ولم أر قبلي من مشى البدر نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الأسد  
ومن هذا ما سبق من التعجب والنهي عنه ، وإذا جاز البناء على المشبه به مع  
الاعتراف بالمشبه <sup>(١)</sup> في نحو قول المباس بن الأحنف :

هي الشمس مسكنها في السماء فمز الفؤاد عزاء جميل  
فان تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزول  
فلأن يحوز مع جرده وإنكاره في الاستعارة أولى .

(ثالثها) : المطلقة أبلغ من المجردة ، لأن التجريد يذكر بالتشبيه ، فيضعف  
دعوى الاتحاد .

### المبحث السابع عشر في حسن الاستعارة وقبحها

لا تحسن الاستعارة ولا تقع الموقع الملائم إلا إذا حازت الشروط الآتية :

١ - رعاية حسن التشبيه <sup>(٢)</sup> ، إذ هو أساسها الذي تبني عليه ، خلا أنه مما  
يستملح هنا قوة الشبه بين الطرفين بعكس باب التشبيه ، ومن ثمة تحسن الاستعارة  
فيما يقوي فيه الشبه بينهما بحيث يصير الفرع كأنه الأصل ، ولا يحسن التشبيه ،  
ألا ترى أن الرجل يقول إذا فهم مسألة : حصل في قلبي نور ، ولا يقول : كأن  
العلم الذي حصل في قلبي نور ، ويقول لمن أوقعه في شبهة : أوقعني في ظلمة ،  
ولا يقول : كأن الشبهة التي أوقعني فيها ظلمة .

(١) فان قوله هي الشمس تشبيه ، وفيه اعتراف بالمشبه ، ومع ذلك بني الكلام على المشبه به  
أعني الشمس .

(٢) قال الجرجاني : ملاك الاستعارة قرب التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له وامتزاج  
اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينها منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر .

٢ - غرابة وجه الشبه ولطفه وكثرة التفصيل فيه وبعده من الابتذال وعدم خفائه الى القساية حتى لا يكون تعمية وألغازاً ، ومن ثم لا يحسن استعارة الأسد لإنسان أبخر لطفاء وجه الشبه في مجرى العادة في مثل هذا .

٣ - ألا يشم منها رائحة التشبيه لفظاً ، ومن ثم ضعفت الاستعارة في قوله :  
قد زر أزراره على القمر<sup>(١)</sup> .

٤ - بعدها عن الحقيقة بترشيحها تقوية لدعوى الاتحاد فيها ، ومن أجل هذا قدمت المرشحة على المطلقة والمجردة في اعتبار البلغاء ، فإن خلت الاستعارة مما سبق ذكره انحطت رقيتها واستهجن كقول أبي نواس :

بع صوت المال مما منك يشكو ويصبح

يريد أن المال تظلم من إهانتته إياه بتمزيقه بالعطايا ، وهذا معنى حسن ، لكن العبارة عنه قبيحة لا تروق في نظر البلغاء ويأبأها ذوو الفطر السليمة<sup>(٢)</sup> .

وقوله أيضاً وهو أسخف من الأول :

ما لرجل المال أضحت تشكي منك الكلالا

فأين هذا من قول مسلم بن الوليد في هذا المعنى :

تظلم المال والأعداء من يده لا زال للمال والأعداء ظلاما

وقول أبي تمام :

بلوناك أما كعب عرضك في العلا فعال وأما خد مالك أسفل

مراده أن عرضك مصون ومالك مبتذل ، لكنه قد ساقه مستكرهاً ، وأخرجه مخرجاً مستهجنًا ، وكقول بشار :

وجذت رقاب الوصل أسياف هجرنا وقدت لرجل البين نعلين من خدي

قال في «العمدة» : فما أهجن رجل البين وأقبح استعارتها ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك رقاب الوصل .

(١) إذ الضمير في أزراره لمحبوبه ولم يكن هذا من التشبيه لما تقدم من أن المشبه لم يذكر على وجه ينبي عن التشبيه بأن يكون المشبه به خبراً عنه أو حالاً أو صفة ، بل فيه رائحة الأشعار فقط .

(٢) إذ أي شيء أبعد استعارة من صوت المال ، فكيف به اذا بع من الشكوى والصباح ، مع أنه ليس له صوت حين يعطى .

## أسرار البلاغة في الاستعارة

الاستعارة بجميع ضروبها وتعدد مذاهبها وشعوبها ، أعلى مرتبة من التشبيه ، وأقوى في المبالغة منه ، لما فيها من تناسي التشبيه ، وادعاء الاتحاد بين المشبه والمشبّه به ، كأنها شيء واحد ، يطلق عليها لفظ واحد ، انظر الى قول المتنبي :  
ترنو إليّ بعين الظبي 'مجهشة' وتمسح الطل فوق الورد بالعم<sup>(١)</sup>

تره وقد ثملت له محبوبته ظبية تنظر اليه وهي حيرى تمسح 'طلا' فوق خدها بأصابعها وهي كالعم لينا وحمرة ، واختبا عن عينيه مظهر التشبيه ، وظهر له ذلك بمظهر الحقيقة ، ورأيت أنه وقد سما به الخيال فرأى الطل يسقط على الورد ، فهل يؤدي التشبيه مثل هذا؟ وهل تصل فيه المبالغة الى ما تصل اليه الاستعارة؟ فبه قال : تمسح الدموع التي تشبه الطل والحدود التي هي كالورد والأصابع التي تشبه العم ، أترأه يصل الى مثل ما قال ؟ إنك لتحس بأن هذا أدنى من المعنى المجازي وأقل منه مبالغة ، فإن في التشبيه جمعاً بين المشبه والمشبّه به ، وهذا إقرار بأنهما متقاربان ، وتأمل قول أبي الحسن التهامي :

يا كوكبا ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسحار  
يتبين لك فيه صورة النجوم وقد أفلت بعد طلوعها ، وكواكب الأسحار  
وقد غادرت بعد ظهورها .

وقد استعمل العرب الاستعارة في كلامهم تقريباً للمعنى الى ذهن السامع ، واستثارة خياله واختلاباً للبه ، ليقنع بما يقال له ويلقى في روعه .

### تدريب أول

اجعل التشبيهات الآتية استعارة مصرحة أو مكنية مع بيان القرينه :

١ - استذكرت كتاباً كالصديق في المؤانسة .

٢ - اللسان كالسيف في الإيذاء .

٣ - انتثرت في السماء نجوم كالدرر .

٤ - في البحر سفن كالجبال في العلو .

---

(١) العم : شجر لين الأغصان ، تشبه به الأصابع .

- ٥ - على الأشجار بلابل كالقيان في حسن الصوت .
- ٦ - في الغرفة ثريات كهربائية كالشمس في الإضاءة .
- ٧ - الكتاب صديق .
- ٨ - لفلاة أسنان كالبرد في البريق واللحمان .
- ٩ - علي كالغيث في العطاء .
- ١٠ - هند كالبدور في الحسن والبهاء .

### الاجابة

- | القريضة        | استعارة تصريحية                      |
|----------------|--------------------------------------|
| استذكرت        | ١ - استذكرت صديقاً مطبوعاً           |
| بين فكبك       | ٢ - احذر سيفاً بين فكبك              |
| في السماء      | ٣ - انتشرت درر في السماء             |
| تمخر في البحار | ٤ - رأيت جبلاً تمخر في البحار        |
| على الأشجار    | ٥ - صدحت قيان على الأشجار            |
| في الغرفة      | ٦ - في الغرفة شمس مغلقة بالزجاج      |
| في القمطر      | ٧ - عندي صديق في القمطر              |
| في قم          | ٨ - في قم فلانة برد منضد             |
| يعطي الدرهم    | ٩ - رأيت غيثاً يعطي الدرهم والدنانير |
| بين أترابه     | ١٠ - طلع علينا بدر بين أترابه        |
| القريضة        | استعارة مكنية                        |
| مؤنساً         | ١ - استذكرت كتاباً مؤنساً            |
| الغضب          | ٢ - احذر اللسان الغضب                |
| مثقوبات        | ٣ - نثرت نجوم مثقوبات في السماء      |
| توجهها الثلوج  | ٤ - رأيت سفناً توجهها الثلوج         |
| تعزف بالحن     | ٥ - صدحت بلابل تعزف بالحن مطربة      |
| تشرق وتغرب     | ٦ - في الغرفة ثريات تشرق وتغرب       |

- ٧ - عندي كتاب حميم  
٨ - لفلان أسنان يقدر قيمتها الجوهري  
٩ - رأيت هنداً تتلألأ بين أترابها
- حميم  
يقدر قيمتها الجوهري  
تتلألأ

### تدريب ثان

اجر الاستعارة فيما يلي وبيّن نوعها وقريبتها :

- ١ - فقي كلما فاضت عيون قبيلة  
٢ - ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾<sup>(١)</sup>  
٣ - اذا انتضل القوم الأحاديث لم يكن  
٤ - فسمونا والفجر يضحك  
٥ - لسنا وإن أحسابنا كرمت  
٦ - سأبكيك للدينيا وللدن إنني
- دما ضحككت عنه الأحاديث والذكر  
عيباً ولا ربا على من يقاعد  
في الشرق الينا مبشراً بالصباح  
يوماً على الاحساب نكل  
رأيت يد المعروف بعدك شلت

### الاجابة

- ١ - في فاضت العيون وضحككت الأحاديث استعارتان ، إما تصريحيتان أو مكنيتان ، فعلى الأول يقال : شبه نزول الماء متدفقاً بفيضان النهر يجامع الكثرة في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من الفيضان بمعنى صب الماء الكثير فاض بمعنى صب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، ودما تجريد لأنها تناسب العيون ، وشبهت المسرة والابتهاج بالضحك يجامع أريحية النفس في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالبة ، وعلى الثاني يقال : شبهت العيون بالأنهار يجامع جريان الماء الكثير من كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو فاض على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ، والقرينة نسبة الفيضان الى العيون وهي الاستعارة التخيلية ودماً تجريد أيضاً ، وشبهت الأحاديث بناس فرحين يجامع الأريحية والسرور لكل عند حصول ما يسر ، واستعير اللفظ

(١) سورة الأعراف الآية ٦٠ .

الدال على المشبه به للمشبه ، وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو ضحكك على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة .

٢ - شبه مطلق ارتباط بين متلبس بالضلالة ومتلبس به بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف يجامع التمكن في كل ، فسرى التشبيه من الكلين ( مطلق الارتباط ) الى الجزئيات (معاني الحروف) فاستعيرت (في) من الظرفية الحقيقية للظرفية المعنوية على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ، والقريضة على ذلك كلمة الضلال .

٣ - شبهت الأحاديث بالسهام يجامع التأثير ومباراة المتحادثين كما يتبارى الرماة في كل منهما ، ثم استعير لفظ السهام للأحاديث وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو انتضل على سبيل الاستعارة المكنية ، وكلمة عيباً تجريد ، لأنها تناسب الأحاديث .

٤ - شبه الفجر بإنسان يبتسم ، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة يجامع البريق واللمعان ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذفه وأشار اليه بشيء من لوازمه ، وهو يضحك على طريق الاستعارة بالكناية ، وإثبات الضحك للفجر استعارة تخيلية .

٥ - في كلمة على استعارة تصريحية تبعية ، فقد شبه مطلق ارتباط بين متلبس ومتلبس به بمطلق ارتباط بين مستعمل ومستعمل عليه يجامع التمكن والاستقرار في كل ، ثم استعيرت على من جزئي من جزئيات الأول الجزئي من جزئيات الثاني على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

٦ - شبه المعروف بإنسان له يد تعطي ، والجامع البذل والعطاء في كل منهما استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل المكنية الأصلية المرشحة بكلمة شلت وإثبات اليد للمعروف استعارة تخيلية .

### تمرين اول

اجر الاستعارة وبين نوعها وقرينتها فيما يلي :

- ١ - سقاء الردى سيف اذا سل أو مضت اليه ثنايا الموت من كل مرقب
- ٢ - عوى الشعراء بعضهم لبعض على فقد أصابعهم انتقام

- ١  
٣ - هم صلبوا العبدى في جذع نخلة فلا عطست شيطان إلا بأجدعا<sup>(١)</sup>  
٤ - ﴿فمحونا آية الليل وجعلنا النهار مبصرة﴾<sup>(٢)</sup>  
٥ - ﴿فأنشرنا به بلدأ ميتاً﴾<sup>(٣)</sup>  
٦ - ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم﴾<sup>(٤)</sup>  
٧ - والشمس لا تشرب خمر الندى في الروض إلا بكؤوس الشقيق

### تمرين ثان

- ١ - ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾<sup>(٥)</sup>  
٢ - ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾<sup>(٦)</sup>  
٣ - مَنْ يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة ولحصد الزرع إبان  
٤ - لا يمتطي الجهد مَنْ لم يركب الخطرا ولا ينال العلا مَنْ قدم للعدرا  
٥ - وما هي إلا خطرة ثم أقلمت بنا عن شطوط الحي أجنحة السفن  
٦ - قوم اذا الشر أبدى تاجديه لهم طاروا اليه زرافات ووحدا  
٧ - قال علي بن أبي طالب: «الدنيا مَنْ أمسى فيها على جناح أمن ، أصبح فيها على قوادم خوف» .

### تمرين ثالث

- ١ - شمس وبدر ولدا كوكبا أقسمت بالله لقد أنجبنا  
٢ - جاء النسيم الى الفصون رسولا ومشى يحمر على الرياض ذيو لا  
٣ - وذو رحم قلعت أظفار ضغنه بجلمي عنه وهو ليس له حلم  
٤ - اذا امتحن الدنيا للبیب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

(١) الأجدع : المقطوع الأنف ، دعا عليهم بالذل والصغار لصلبهم العبدى .  
(٢) الاضافة في آية الليل والنهار للتبيين ، أي آية هي الليل وآية هي النهار (سورة الإسراء).  
(٣) أنشرنا : أحيينا (سورة الزخرف) .  
(٤) سورة فصلت الآية ٥٤ .  
(٥) سورة الذاريات الآية ٤١ .  
(٦) سورة السجدة الآية ٢١ .

- ٥ - أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها  
 ٦ - إذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل  
 ٧ - وليلة بت أسقي في غياها راحا تسل شباها مريد الهرم  
 ما زلت أشربها حتى نظرت الى غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

### المبحث الثامن عشر في المجاز المركب

المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل قصداً وبالذات في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، فخرج بقولنا قصداً ، وبالذات ما اذا تجاوز يجرى من أجزاء المركب ، فإنه قد استعمل مجموعة في غير ما وضع له ، وليس ذلك مجازاً مركباً .

وهذا المجاز قسمان :

( أ ) ما كانت علاقته غير المشابهة وهو المجاز المرسل المركب ، وهو أنواع :

١ - المركبات الخبرية المستعملة في المعاني الإنشائية ، إما للتحسر وإظهار الحزن ، نحو :

ذهب الشباب فما له من عودة وأنى المشيب فأين منه المهرب  
 وإما للدعاء ، نحو : وفكك الله - نجح الله مقاصدنا .. الى غير ذلك من المقاصد التي يستعمل فيها الخبر ويكون غير مراد به الفائدة ولا لازمها ، والعلاقة في مثل هذا اللازمة إذ يلزم من الأخبار بذهاب الشيء المحبوب كالشباب مثلاً التحسر عليه ، وهكذا يقال في نظائره والقرينة حالية .

٢ - المركبات الإنشائية المستعملة في المعاني الخبرية ، نحو قوله عليه السلام : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » بمعنى يتبوا ، والعلاقة في نحو هذا السببية لأن إنشاء المتكلم هذه الجملة سبب لأخباره بما تتضمنه ، قال العيني في شرح البخاري : فليتبوا أمر من النبوء وهو اتخاذ المباءة والمنزل ، وظاهره أمر ومعناه خبر .

٣ - الجمل الإنشائية ، فعلية كانت أو اسمية المأتم بها ، لما يتولد منها من إكثار ونحوه ، والعلاقة في نحو هذا المجاورة ، نحو : ﴿ أَلَمْ نَرْبِّكْ فِينَا وَلِيداً ﴾<sup>(١)</sup> .

(١) سورة الشعراء الآية ١٨ .

(ب) ما كانت علاقته المشابهة بين الهيئتين المستعار منها والهيئة المستعار لها بأن تشبه إحدى صورتين متزعتين من أمرين وأمور بالآخرى ، ثم يدعى أن الصورة المشبهة من جنس الصورة المشبهة بها فيطلق على الصورة المشبهة اللفظ الدال بالمطابقة على الصورة المشبهة بها مبالغة في التشبيه ، كما كتب الوليد بن يزيد لما بويص بالخلافة الى مروان بن محمد حينما بلغه توقفه في البيعة له .. أما بعد : فإنني أراك تقدم رجلاً وتؤخر<sup>(١)</sup> أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيها شئت والسلام ، فقد شبهت صورة تردده في المباينة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخرها مرة أخرى ، وكما يقال لمن يعمل فيما لا يحدي : أراك تنفخ في غير فحم ، وأراك تخط على الماء ، يراد أنه في عمله كمن يفعل ذلك .

وهذا القسم يسمى استعارة تمثيلية<sup>(٢)</sup> واستعارة على سبيل التمثيل وتمثيلاً على سبيل الاستعارة أو تمثيلاً فقط ، ويمتاز عنها التشبيه المركب بأن يقال له : تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي .

وإذا اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها سميت مثلاً ولا يغير مطلقاً محافظة على الاستعارة فيخاطب به المفرد والمذكر وفروعها بطريقة واحدة<sup>(٣)</sup> كقولهم : أحشفاء وسوء كيلة<sup>(٤)</sup> ، يضرب مثلاً لمن يظلم من جهتين ، وبيان الاستعارة في مثل هذا أن يقال : شبهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر تمرأ رديئاً وطفف له المكيال يجامع الظلم من جهتين ، واستعير التركيب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية ، وهكذا يقال في سائر الأمثال

(١) مفعول تؤخر محذوف أي وتؤخرها أي تلك الرجل المتقدمة ، وقوله أخرى نعت لمرة أي مرة أخرى ، وإنما لم يجعل أخرى نعتاً للرجل لئلا يفيد الكلام أن الرجل المؤخرة غير المقدمة وليس ذلك صورة التردد كذا في ابن يعقوب .

(٢) وكل استعارة وإن كانت تمثيلاً أي تشبيهاً فقد خص اسم التمثيل بهذه الاستعارة لأنها مشارف فرسان البلاغة .

(٣) وذلك معنى قولهم الأمثال لا تغير .

(٤) الحشف : الرديء ، والكيلة : هيئة الكيل .

النثرية والنظمية نحو : إن البغاث بأرضنا يستفسر<sup>(١)</sup> ، ما يوم حليلة بسر<sup>(٢)</sup> .  
وقولهم :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

(تنبيه) هذه الاستعارة أبلغ أنواع المجاز مفرداً ومركباً ، إذ مبناهما تشبيه التمثيل ، وقد عرفت دقة مسلكه من قبل أن وجه الشبه فيه يكون هيئة منتزعة من أشياء متعددة ، فالاستعارة المبنية عليه تكون أدق أنواع الاستعارات إذ من الصعوبة بمكان أن تعتمد الى صورتين مركبتين من أجزاء عدة فتحاول الربط بينهما وتختصر جهات اتحادهما وتشبه إحداها بالأخرى فلا يخفى ما أنت محتاج اليه في المهارة حينئذ ، كما لا ينكر الأثر الذي تراه في مخاطبك اذا أدليت اليه في معرض كلامك بمثل ، فكهم تجد لديه من الأريحية ، وكيف يغني إيجاز المثل عن الشرح والإسهاب ..؟

### تدريب

بين أنواع المجاز المركب فيما يلي :

- ١ - افعل ما بدا لك ، تقوله تهديداً لمخاطبك .
- ٢ - أنت تصرخ في واد ، تقول ذلك لمن يعمل ما لا فائدة فيه .
- ٣ - لك الحمد والشكر ، تقول ذلك بعد الأكل مثلاً .
- ٤ - أهذا الذي أطنبت في مدحه ، تقول ذلك متعجباً .
- ٥ - سلام على الدنيا اذا لم يكن بها صديق صدوق يصدق الوعد منصفاً .
- ٦ - أخذت من شبابي الأيام وتولى الصبا عليه السلام .

### الاجابة

- ١- في هذا المركب مجاز مرسل مركب علاقته المجاورة ، فقد استعمل الأمر في التهديد لا في الطلب .
- ٢ - في هذا المركب استعارة تمثيلية ، فقد شبهت صورة من يعمل ما لا فائدة

(١) يضرب للضعيف يصير قوياً .

(٢) يضرب لكل أمر متعارف مشهور .

فيه بصورة مَنْ يصرخ في واد يجامع عدم الفائدة في كل ، واستعير المركب الدال على هيئة المشبه به هيئة المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

٣ - في هذا المركب مجاز مرسل ، علاقته السببية ، لأنه استعمل الخبر في الإنشاء لإرادة الدعاء .

٤ - في هذا المركب مجاز ، علاقته المجاورة ، لأنه استعمل الاستفهام في التهمك .

٥ - استعمل هذا المركب في إنشاء التحسر والأسف على فقدان الصديق ، مجازاً مرسل ، علاقته السببية .

٦ - هذا المركب كسابقه .

### تمريسن

بيّن نوع المجاز المركب ، واذكر علاقته فيما يلي :

١ - وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقْلَ السَّوَاقِبَا ، يقال لمن يطمح الى العظم ولا يرضى .

٢ - تَلَدَغَ الْعَقْرَبُ وَتَصَيَّءَ<sup>(١)</sup> ، يقال للظالم يشكو كأنه مظلوم .

٣ - قَدْ كُنْتُ عَدُوِّي الَّتِي أَسْطَوْهَا ، ويبدى إذا اشتد الزمان وساعدي

٤ - لَيْسَ التَّكْمَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَمَلِ ، يقال لمن يتكلف ما ليس من طبعه .

٥ - وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ ، إذا احتاج النهار الى دليل

٦ - أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانُ مِنْ بَنِيَانِهِ ، ما قومه ما يومه ما المصراع ؟

### المبحث التاسع عشر في المجاز بالحذف<sup>(٢)</sup> أو الزيادة

كما توصف الكلمة بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي ، كما تقدم ، كذلك توصف بالمجاز بطريق الاشتراك اللفظي إذا تغير حكم إعرابها الأصلي بواسطة حذف لفظ أو زيادته .

(١) صأي الفرج والعقرب صاح وصاء مقلوب منه .

(٢) إطلاق المجاز على هذا النوع من طريق الاشتراك اللفظي فلفظ مجاز وضع وضعين أحدهما للكلمة المستعملة في غير ما وضعت لعلاقة وقرينة ، وثانيها للكلمة التي تغير حكم إعرابها الأصلي بحذف لفظ أو زيادته ، وهذا النوع من المجاز يمكن رده الى المجاز العقلي أو المجاز المرسل .

فالحذف كقوله تعالى : ﴿ واسأل القرية ﴾ <sup>(١)</sup> ، إذ الأصل أهل القرية ،  
فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل هو الجر فحذف المضاف وأعطى المضاف اليه  
إعرابه ، ونظيره ( وجاء ربك ) أي أمر ربك .

والحكم بالحذف يكون لأحد أمرين :

١ - لأمر يرجع الى غرض <sup>(٢)</sup> المتكلم ، نحو : سل القرية ، ألا ترى أنك  
لو قرأته أو سمعته في غير التنزيل لم تقطع بأن ها هنا محذوفاً ، إذ من المحتمل أن  
يكون كلام رجل مرّ على قرية خربت وباد أهلها ، فأراد أن يقول مذكراً نفسه  
أو صاحبه على سبيل العظة والاعتبار : سل القرية عن أهلها وقل لها ماذا صنعوا ،  
كما قال الرقاشي : سل الأرض مَنْ شق أنهارك وغرس أشجارك فإن لم تجبك  
حواراً أجابتك اعتباراً .

٢ - لأن الكلام لا يصح بدون المحذوف ، كما إذا حذف أحد جزأي الجملة ،  
نحو : ( فصبر جميل ) .

والزيادة كقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ <sup>(٣)</sup> ، أي ليس مثله شيء ،  
فإعراب مثله في الأصل النصب ، فلما زيدت الكاف سار جراً .  
ونحوه : ﴿ فاضربوا فوق الأعناق ﴾ <sup>(٤)</sup> . وقول لييد :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر  
يريد : ثم السلام عليكما .

ومما تقدم تعلم أن الحذف والزيادة إذا لم يوجبا تغير الإعراب لا توصف الكلمة  
من أجلها بالمجاز ، نحو : ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ <sup>(٥)</sup> ، إذ الأصل :  
أو كمثل ذوي صيب ، فحذف ذوي لدلالة يجعلون أصابعهم على هذا المحذوف ،

(١) سورة يوسف الآية ٨٢ .

(٢) للجزم بأن المقصود من الآية سؤال أهل القرية للاستشهاد بهم فيجيئون بما يصدق أو  
يكذب لا سؤالها هي لأن الشاهد لا يكون جماداً ، ويحتمل أن تكون القرية مجازاً عن أهلها  
من إطلاق اسم المحل على الحال فلا يكون مما نحن فيه .

(٣) سورة الشورى الآية ١١ .

(٤) سورة الأنفال الآية ١٢ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٩ .

وحذف لفظ مثل لدلالة قوله تعالى : ﴿ كَمْثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ <sup>(١)</sup> عليه ،  
ونحوه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

### المبحث العشرون في المجاز العقلي أو المجاز الحكمي <sup>(٣)</sup>

هذا ضرب آخر من الاتساع والنجوز ، غير ما قدمنا لك الكلام عليه ، فإن  
ما مضى كانت تذكر فيه الكلمة ولا يراد معناها ولكن ما هو ردف للمعنى أو  
شبه به ، فالتجوز كان يكون في اللفظ نفسه .

أما ما هنا فإن الكلمة متروكة على ظاهرها ومعناها مقصود في نفسه ، وإنما  
النجوز في حكم يجري عليها ، كقولهم : نام ليلى ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَا رَجَبَتْ  
تِجَارَتُهُمْ ﴾ ، ففي هذا مجاز لكنه ليس في ذوات الألفاظ ، فإن الليل والتجارة  
مستعملان في حقيقتهم ، بل في أن جعلتهما فاعلين لنام ورجح .

ومن هذا تفهم ما قالوه في تعريف هذا المجاز بأنه إسناد الفعل أو ما في معناه  
إلى غير ما هو له في الظاهر من حال التكلم للملابسة مع قرينة صارفة عن أن  
يكون الإسناد إلى ما هو له ، وما في معنى الفعل هو المصدر واسم الفاعل واسم  
المفعول والصفة المشبهة ، ومعنى كونه غير ما هو له أنه ليس من حقه أن يسند  
إليه لأنه ليس يوصف له ، ومعنى الملابسة العلاقة .

وهذا التعريف يشمل إسناد الفعل المبني للفاعل وما في حكمه كاسم الفاعل  
إلى غير فاعله كالمفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب مما له علاقة بالفاعل ،  
وإسناد الفعل المبني للمفعول وما في حكمه كاسم المفعول إلى غير نائب الفاعل مما  
له علاقة به ، كالفاعل والمصدر ونحوهما ، وإيضاح هذه العلاقات مما يلي :

١ - إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول نحو : عيشة راضية <sup>(٤)</sup> وماء دافق .

(١) سورة البقرة الآية ١٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٣) المبحث عن هذا المجاز من حيث كيفية الدلالة من البيان ومن حيث تحصل به المطابقة  
لمقتضى الحال من المعاني ، والحق أن ذكره في المعاني كما فعل القريني في الإيضاح كان استطراداً .

(٤) أصل الكلام رضي الراء عيشته فأسند الفعل للمفعول من غير أن يبني له فصار : رضية  
العيشة ، ثم أخذ من الفعل المبني للفاعل اسم فاعل وأسند إلى ضمير العيشة فقال الأمر إلى أن  
صار المفعول فاعلاً وهكذا يقال في نظائره .

## وقول الخطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي  
فقد أسند راضية ودافق وطاعم وكاس وهي مبنية للفاعل إلى صير لعيشة  
مع أن الراضي صاحبها وكذلك الماء مدفوق والشخص مطعوم مكسو .

٢ - إسناد ما بقي للمفعول إلى الفاعل نحو : ﴿ إنه كان وعده مأثياً ﴾ (١) ،  
وسيل مفعم (٢) ، لأن الوعد آت والسيل مفعم أي مالي .

٣ - إسناد الفعل إلى المصدر ، نحو قول أبي فراس :

سيد كرفي قومي إذا جد جدم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر  
فقد أسند الجد إلى الجد ، أي الاجتهاد ، وهو ليس بفاعل له بل فاعله الجاد  
وقاصله جد الجاد جداً ، أي اجتهد اجتهداً ، فحذف الفاعل الأصلي وهو الجاد  
وأسند الفعل إلى الجد .

٤ - الإسناد إلى الزمان ، نحو : نهاره صائم ، وليله قائم ، وقوله :

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان  
فقد أسند الصوم إلى النهار والقيام إلى الليل والإساءة والسرور إلى الزمان ،  
وكل هذه أزمنة للأفعال لا واقعة منها .

٥ - الإسناد إلى المكان ، نحو : ﴿ وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ﴾ (٣) ،  
فقد أسند الجري إلى الأنهار ، وهي أمكنة للمياه وليست هي لجارية بل الجاري  
ماؤها ، ونحوه بيت ساكن .

٦ - الإسناد إلى السبب ، نحو :

إني لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكفاة ألا أين الحمامونا ؟

فقد نسب الإفناء إلى قول الشجعان : هل من مدافع ، وليس ذلك القول بفاعل  
ولا بمؤثر وإنما هو سبب فقط .

(١) سورة مريم الآية ٦١ .

(٢) أفعم الأثناء : ملأه .

(٣) سورة الأنعام الآية ٦ .

وقد يحىء<sup>(١)</sup> هذا المجاز في النسبة الإضافية بأن يضاف الى ملابس ما هو له نحو : جري الأنهار ، ومكر الليل ، وغراب البين ، فنسبة الجري الى الأنهار مجاز علاقته المكانية ، والمكر الى الليل مجاز علاقته الزمانية ، والبين الى الغراب مجاز علاقته السببية على النحو الذي يزعمون .  
قال الشاعر :

مشائين ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا بين غرايها

كما قد يحىء في النسبة الإيقاعية بأن يوقع الفعل على ملابس ما هو له كقوله تعالى : ﴿ وأطيعوا أمري ﴾<sup>(٢)</sup> ، وكما جاء في جميع ما مضى في الإثبات ، فقد جاء أيضاً في النفي ، كقوله عز وعلا : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي خسرت<sup>(٤)</sup> ، ونحو : ما نام ليلى ، أي سهر ، ونحو : تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، أي بما تكره .

أقسامه ، باعتبار الطرفين طرفاً لهذا المجاز ، وهما المسند اليه والمسند ، إما :  
١ - حقيقتان ، نحو : وشيب أيام الفراق مفارقي .

٢ - وإما مجازان نحو : أحيا الأرض شباب الزمان ، إذ المراد بإحياء الأرض إحداث النضارة والخضرة فيها مما ينتج عن تهيج القوى المنمية فيها ، كما أن المراد من شباب<sup>(٥)</sup> الزمان ابتداء حرارته وازدياد قواه .

٣ - وإما مختلفان ، نحو : أهلك الناس الدينار والدرهم ، فقد جعلت الفتنة إهلاكاً ، ثم أثبت الإهلاك فعلاً للدينار والدرهم .  
ونحو قول أبي الطيب :

وتحبي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحيي التبسم والجدا

(١) أي فالتعريف المتقدم غير جامع لكل أنواع المجاز إلا أن مراد بالاستناد مطلق النسبة ، سواء كانت كلاسادية أو غير تامة كإضافية والإيقاعية .

(٢) سورة طه الآية ٩٠ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٦ .

(٤) أي إذا قصد إثبات النفي لا نفي الإثبات .

(٥) أصل الشباب كون الحيوان في زمن قوته .

فقد جعل الزيادة والوفور حياة للمال وتفريقه في العطاء قتلا له ، ثم أثبت الإحياء فعلا للصوارم والقتل فعلا للتبسم ، مع أن كلا منهما لا يصح منه الفعل .

وقد وقع هذا المجاز في التنزيل نحو : ﴿ وَإِذَا نُفِيتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، فقد نسبت الزيادة الى الآيات لكونها سببا ، ونحو : (يذبح أبناءهم) نسب الذبح الى فرعون لأنه الأمر به والسبب فيه ، ونحو : ﴿ يَوْمًا يَحْمِلُ الْوَلَدَانِ شَيْبًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فقد أسند الفعل الى الظرف لوقوعه فيه .

(قرينته) قرينة هذا المجاز إما لفظية ، كقول أبي النجم العجلي :

ميز عنه قنزعا عن قنزع      جذب الليالي أبطىء أو أسرع <sup>(٣)</sup>

فقد استدللنا على أن إسناد ميز الى جذب الليالي مجاز بقوله بعده :

أفناه قيل الله للشمس اطلعي      حتى اذا وارك أفق فارجمي

فإنه يدل على أن ذلك فعل الله ، وأنه هو المفق ، فيكون إسناده الى جذب الليالي من الاسناد الى الزمان .

وإما غير لفظية ، كاستحالة صدور المسند من المسند اليه ، أو قيامه به عقلا ، نحو : محبتك جاءت بي اليك ، أو عادة نحو : بنى الوزير القصر ، وكصدور الكلام من الموحد ، كما في إسناد الاشادة والأفناء الى صكر الغداة في قوله الصلتان للعبيدي :

أشاب الصغير وأفنى الكبير      صكر الغداة ومر العشي  
اذا ليلة هرمت يومها      أتى بعد ذلك يوم فتي

(تنبيهات) الأول قال عبد القاهر : هذا الضرب من المجاز ، على حدته ، كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المطلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان ، ولا يفرنك من أمره أنك ترى الرجل يقول : أتى بي الشوق الى لقائك ، وسار بي الحنين الى رؤيتك ، وأقدمني بلدك حتى لي على إنسان ،

(١) سورة الأنفال الآية ٢ .

(٢) سورة الزمل الآية ١٧ .

(٣) ميز : فصل ، وعنه أي عن رأسه ، والقنزع : الشعر المجتمع في فواحي الرأس ، وجذب الليالي : مضيتها وتعاقبها ، وأبطىء أو أسرع حال من الليالي على تقدير القول .

وأشبه ذلك، مما تجده لشهرته يجري مجرى الحقيقة، فليس هو كذلك، بل يدق ويلطف حتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأتق لها .

(الثاني) قال الإمام أيضاً : واعلم أنه ليس بواجب في هذا المجاز أن يكون للعمل فاعل في التقدير إذا أنت نقلت الفعل إليه عدت به إلى الحقيقة ، مثل أن تقول في رجحت تجارتهم : رجحوا في تجارتهم ، فإن ذلك لا يأتي في كل شيء ، ألا ترى أنه لا يمكنك أن تثبت للفعل في قولك : أقدمني بلدك حق لي على إنسان ، فاعلاً سوى الحق ، وكذلك لا تستطيع في قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

وقول ابن البواب :

وصيرني هواك وبني لحيني يضرب المثل

أن ترعم أن ليزيد قائلاً قد نقل عنه الفعل فجعل للوجه ، ولا لصيرني فاعلاً غير الهوى ، فالاعتبار إذاً بأن يكون المعنى الذي يرجع إليه الفعل موجوداً في الكلام على حقيقته ، معنى ذلك أن القدر في المثال المتقدم موجود على الحقيقة ، وكذلك الزيادة والضرورة موجودتان على الحقيقة ، وإذا كانت معنى اللفظ موجوداً على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه بل لا محالة في الحكم .

(الثالث) هذا المجاز كما يجري في الخبر كما سلف يجري في الإنشاء ، كقوله تعالى : ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ فأوقد لي هامان على الطين فاجعل لي صرحاً ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله عز وجل : ﴿ فلا يخرجنك من الجنة فتشقى ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وقوله عز وجل : ﴿ أصلائك تأمرك ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فإن البناء والابقاء فعل العملة وهامان سبب أمر ، وهكذا يقال فيما بعده .

(الرابع) أفكر السكاكي هذا المجاز وقال : الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية يجعل الربيع مثلاً في قولك : أنبت الربيع البقل ، استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه ، وجعل نسبة الإثبات إليه

(١) سورة غافر الآية ٣٦ .

(٢) سورة القصص الآية ٣٨ .

(٣) سورة طه الآية ١١٧ .

(٤) سورة هود الآية ٨٧ .

قرينة الاستعارة على ما سبق لك في بيان مذهبه في الاستعارة بالكناية، وقد رد هذا بأنه يستلزم ألا تصح الإضافة نحو: فما ربحت تجارتهم، لبطلان إضافة الشيء الى نفسه، وألا يكون الأمر بالبناء لهامان في قوله: يا هامان ابن لي صرحاً، لأن المراد به حينئذ العملة أنفسهم، وأن يتوقف جواز التركيب في نحو: أنبت الربيع البقل، على السمع، لأن أسماء الله تعالى توقيفية، وكل هذه اللوازم منتفية فتنتفى ملزوماتها.

### تتمة وفيها مهران

١ - المجازات<sup>(١)</sup> اللغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ولا يجوز تعديها إلا بإذن وتوقيف من اللغة، فإذا استعير لفظ الأسد للشجاع لما يربطها من معنى الشجاعة يجب إقراره، ولا يجوز تعديته واستعارته للرجل الأبحر لعلاقة المشابهة بينهما، ولفظ نخلة إذا استعير للرجل الطويل يجامع الطول في كل، لا يصح أن نعيده، ونطلقه على الحبل من أجل طوله.

أما المجازات العقلية فيجوز تعديها الى غير محالها التي وردت فيها، فكما ورد قوله تعالى: ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾<sup>(٢)</sup>، قيل: تكاثرت أشواقي وأسقمي فقدك وأحيتني مشاهدتك، الى غير ذلك مما لا يكاد يضبط في الرسائل والمواعظ والخطب كما قال ابن نباتة الخطيب: إنه الموت حسام أزهد النفوس ذبابه<sup>(٣)</sup>، كذا في الطراز.

٢ - المجاز خلاف الأصل، فلا يصار اليه إلا لباعث يرجع إما الى اللفظ، وإما الى المعنى، وإما اليها جميعاً:

(أ) فما يرجع الى اللفظ أن يكون المجاز أخف على اللسان من الحقيقة كما نشعر بذلك في مثل لفظ الخنفيق (الداهية)، أو يكون صالحاً للقافية أو السجع وهي لا تصلح لذلك، أو يكون مألوف الاستعمال والحقيقة غريبة وحشية.

(ب) وما يرجع الى المعنى، قصد التعظيم، كما تقول: سلام على المجلس،

(١) وهي كون مثل هذا استعارة بالكناية.

(٢) سورة يونس الآية ٢٤.

(٣) الذباب: طرف السيف الذي يضرب به.

الكريم عادلاً ، الى المجاز ، تعظيماً للمخاطب وتشريفاً له عن أن يخاطب بلقبه ،  
أو المبالغة مع الایجاز ، كما تبين لك ذلك فيما سلف .

( ج ) وبما يرجع اليها تحسين اللفظ ودقة المعنى من أجل أن الشيء اذا عرّف  
من بعض الوجوه دون بعض تأقت النفس الى تحصيل ما ليس بمعلوم لها ، وذلك  
لا يتسنى إلا عند التعبير بالمجاز ، أما عند التعبير بالحقيقة فيحصل العلم به من  
جميع الوجوه ، لا جرم كان التعبير بالمجاز أقرب الى تحسين الكلام وتجميله .

### أسرار البلاغة في المجاز العقلي

المجاز العقلي ضرب من التوسع في أساليب اللغة وفن من فنون الایجاز في القول  
ألا ترى أن إسناد الفعل الى سبيله وجعله الفاعل المؤثر دليل على ما كان لهذا الأثر  
من شديد الصلة في صدور الفعل ، وكأنه هو الذي صدر منه .

انظر الى قول ابن الرومي :

أرى الشعر يحمي الناس والمجد بالذي تبقيه أرواح له عطر  
فما المجد لولا الشعر إلا معاهد وما الناس إلا أعظم نخرات  
تره قد جعل حياة الناس وما أثرهم رهينة الشعر بما ينشر من فضائلهم ويذكره  
من جليل إحسانهم وعظيم إنعامهم فيبقى على كر الغداة ومر العشي .

وكذلك تجد ما في نسبة الحادث ، إلى زمانه أو مكانه ، من دلالة على التعميم  
والشمول ، فإن الفعل اذا أريد بيان شموله وأنه يعمّ كل من يكنه المكان أو  
يحيط به الزمان نسب الى المكان أو الزمان ، تأمل قوله تعالى على لسان زكريا  
عليه السلام : ﴿ إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ﴾ (١) ، تره أراد  
أن يجعل الشيب قد عمّ رأسه حتى صار كأنه نار ، أضاف الاشتعال الى الرأس  
لا الى الشعر مع أن المقصود هو بيان ابيضاض الشعر .

وانظر الى طرفة بن العبد تره قد نسب إبداء المجهول الى الأيام وهي لا تظهره  
بل يظهر فيها ، ويستبين من أمره ما كان خفياً ، في قوله :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) سورة مريم الآية ٤ .

وقد جعل ذلك شيمة الزمان وطبيعة الحدثان، في كل عصر وأوان، ولا تجد ذلك المعنى مستبيناً إذا أنت قد قلت : سيبدو على صفحات الزمان ما كان أمره خفياً ، وما لم تجده من الشؤون جلياً .

### تدريب أول

بين المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- ١ - أهلكنا الليل ، والنهار معاً      والدهر يغدو مصمماً جذعاً<sup>(١)</sup>
- ٢ - ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً      ويأتيك بالأخبار من لم تزود
- ٣ - ولما رأيت الخيل تدرى أاثاجاً      علمت بأن اليوم أحسن فاجر<sup>(٢)</sup>
- ٤ - وكل امرئ يولي الجميل محبب      وكل مكان ينبت العز طيب
- ٥ - محابيب ما أبقيت عيون المها مني      فشبت ولم أفص اللبائث من سني
- ٦ - سل الجيزة الفيحاء عن هرمة مصر      لعلك تدري بعض ما لم تكن تدري

### الاجابة

- ١ - إسناد الإهلاك الى الليل والنهار مجاز عقلي علاقته الزمانية ، لأن الفاعل هو الله ، وهذان زمانان له .
- ٢ - الأيام لا تظهر مجهولاً ، بل يظهر ذلك فيها ، فهو مجاز عقلي ، علاقته الزمانية .
- ٣ - وصف اليوم بالفجور مجاز ، علاقته الزمانية ، لأن الفجور صفة لما يقع فيه .
- ٤ - العز ينبت في المكان ، ولا ينبت المكان ، فهو مجاز عقلي ، علاقته المكانية .
- ٥ - إسناد الهو الى البين مجاز عقلي ، علاقته السببية ، لأن البين لا يمحو شيئاً بل هو سبب فيه .

(١) المصم من الإبل الصابر على السير أو الماضي فيه ، والجذع الشاب الحدث .

(٢) قترى : تتابع ، والأثاج : الصائحات ، والأحسن : الصاب الشديد ، والفاجر : النبت في المعاصي .

٦ - الجيزة لا تسأل، بل يسأل أهلها ، فوقوع السؤال على الجيزة مجاز عقلي في النسبة الايقاعية والعلاقة المكانية ، ويصح أن يكون في هذا مجاز بالحذف ، أو مجاز مرسل .

### تدريب ثان

بيّن المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- ١ - الدهر يفترس الرجال فلا تكن ممن تطيشهم المناصب والرتب
- ٢ - إن البلية من تمل كلامه فانقع فؤادك من حديث الوامق<sup>(١)</sup>
- ٣ - نعم المعين على المروءة للفق مال يصون عن التبذل نفسه
- ٤ - ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح
- ٥ - ﴿أَوْ لَمْ نَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْيِيءُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتِ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>
- ٦ - ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾<sup>(٣)</sup>

### الاجابة

- ١ - في اسناد يفترس الى ضمير الدهر مجاز عقلي علاقته الزمانية ، وفي اسناد تطيش الى المناصب والرتب مجاز عقلي علاقته السببية .
- ٢ - في اسناد الوامق الى المفعول مجاز علاقته المنوالية إذ المراد سر نفسك بمحادثة الموموق أي المحبوب .
- ٣ - في اسناد الاعانة والصيانة الى المال مجاز عقلي علاقته السببية .
- ٤ - في اسناد سال الى الأبطح مجاز عقلي علاقته المكانية إذ الدم سال فيه لا منه .
- ٥ - في اسناد الفاعل وهو آمن الى المفعول وهو الحرم مجاز عقلي علاقته المفعولية .
- ٦ - في اسناد المفعول وهو مستور الى الفاعل وهو الحجاب مجاز عقلي علاقته الفاعلة .

(١) نفع بالشراب استشفى منه وكذا بالخبر .

(٢) سورة القصص الآية ٥٧ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٥ .

## تمرين أول

بين المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- ١ - لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى
  - ٢ - الدهر لازم بين فرقتنا
  - ٣ - وكذاك سر المرء ان لم يطوه
  - ٤ - ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
  - ٥ - والهم يخترم الجسم نخافة
  - ٦ - يومان يوم مقامات وأندية
- ونمت وما ليل المطي بنائم  
وكذاك فرق بيننا الدهر  
نشرته السنة تزيد وتكذب  
عدواً له ما من صداقة بد  
وبشيب ناصية الصبي ويهرم  
ويوم سير الى الأعداء تأويب

## تمرين ثان

بين المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي :

- ١ - (لا عاصم اليوم من أمر الله) .
- ٢ - هذا يوم عصيب .
- ٣ - منزل عامر بنعم الله .
- ٤ - ذاك مشرب عذب .
- ٥ - هذا مركب فاره .
- ٦ - (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) .
- ٧ - سار بي الحنين الى لقائك .
- ٨ - هذا منزل ساكن .
- ٩ - قال تعالى : (من ماء دافق) .
- ١٠ - تنام وما ليل المضم بنائم .

## الباب الثالث في الكناية

وفيه أربعة مباحث وخاتمة

### المبحث الأول في تعريفها

الكناية لغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وقد كنوت بكذا عن كذا ، أو كنيت اذا تركت التصريح به ، أنشد الجوهري :

وإني لأكنو عن قنور بغيرها وأعرب أحياناً بها وأصارع

وفي الاصطلاح تطلق على معنيين :

١ - المعنى المصدرى الذي هو فعل المتكلم ، أعني ذكر اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادته <sup>(١)</sup> معه .

٢ - اللفظ المستعمل فيما وضع له ، لكن لا ليكون مقصوداً بالذات ، بل لينتقل منه الى لازمه المقصود لما بينها من العلاقة والزموم العرفي ، وعلى هذا التعريف فهي حقيقة لاستعمال اللفظ فيما وضع له ، لكن لا لذاته ، بل لينتقل منه الى لازمه فمعناه مراد لغيره مع استعمال اللفظ فيما وضع له ، واللازم مراد لذاته ، لا مع استعمال اللفظ فيه ، فهو مناط الإثبات والنفي والصدق والكذب <sup>(٢)</sup> .

تفسير هذا أن العرب تلفظ أحياناً بلفظ لا تريد منه معناه الذي يدل عليه بالوضع ، بل تريد منه ما هو لازم له في الوجود بحيث اذا تحقق الأول تحقق الثاني عرفاً وعادة ، فنقول : فلان رجب الصدر ، ونقصد أنه حلیم من قبل أن الحلیم يكون ذا أناة وتؤدة ولا يحيد الغضب اليه سبيلاً ، لما في صدره من السعة لاحتمال

(١) أي مع جواز إرادة المعنى الحقيقي مع اللازم كما ستعلم بعد .

(٢) فقولك : فلان طويل التجاد تريد طول القامة يكون الكلام صحيحاً وإن لم يكن له تجاد قط بل قد يستحيل المعنى الحقيقي كما سيأتي .

كثير من الحفائظ والأضغان كما يحتمل الصندوق الواسع كثيراً من المتاع والماعون، وتقول : فلانة تؤوم الضحى ، وتقصد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها من الخدم والحشم ، فهم يقومون بتدبير شؤون المنزل ، وقضاء الحوائج البيتية ، فلا تحتاج الى القيام مبكرة من النوم فأولئك قد كفوها مؤونة التعب والنصب .

(الفرق بينها وبين المجاز) مما سلف تعلم الفرق بين الكناية والمجاز هو أن الأولى لا يمتنع معها إرادة المعنى الأصلي ، فيسوغ في المثالين المتقدمين أن تريد أنه واسع الصدر حقيقة وأنها تنام حقاً الى وقت الضحى ، وقد تمتنع إرادة المعنى الأصلي فيها أحياناً لخصوص الموضوع ، نحو : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾<sup>(١)</sup> كناية عن الاستيلاء والملك ، ﴿ والسماوات مطويات بيمينه ﴾<sup>(٢)</sup> كناية عن قوة التمكن وتمام القدرة ، الى غير ذلك<sup>(٣)</sup> .

أما قرينة المجاز فتتبع من إرادة المعنى الأصلي ، فلا يسوغ إرادة الأسد المفترس في قولك : رأيت أسداً في الميدان يضرب يميناً وشمالاً .

### المبحث الثاني في أقسامها من حيث المكنى عنه

تنقسم الكناية من حيث المكنى عنه الى ثلاثة أقسام :

١ - كناية يطلب بها صفة من الصفات كالجود والكرم ودمائة الأخلاق ، الى غير ذلك ، وهي ضربان :

( أ ) قرينة ، وهي ما ينتقل منها الى المطلوب بها بلا واسطة سواء أكانت واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل النجاد<sup>(٤)</sup> ، وقول الحماسي :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهوراً

كفى عن كبر الإعجاز ونهود الثدى بارتفاع القميص عن أن يمس بطناً أو ظهرأ .

(١) سورة طه الآية ٥ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٧ .

(٣) فهذان ونحوهما كنايات من غير لزوم كذب لأن استعمال اللفظ في معناه الحقيقي وطلب دلالة عليه إنما هو لقصد الانتقال منه الى لازمه المراد .

(٤) النجاد : حائل السيف ، وقد اشتهر استعمال طويل النجاد في طويل القامة .

وهذا من بديع الكناية، أم خفية يتوقف الانتقال منها الى اللازم على التأمل وإعمال الرؤية، كقولهم كناية عن الأبله هو عريض القفا، إذ يزعمون أن عرض القفا وعظم الرأس اذا أفرطا دلا على الغباوة، أو ما ترى، الى قول طرفة:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد

(ب) بعيدة، وهي ما ينتقل منها الى المطلوب بها بواسطة كقولهم في الكناية عن المضيف: هو كثير الرماد، فإنه ينتقل الدهن من كثرة الرماد الى كثرة الطبائخ، ومنها الى كثرة الرماد، ومنها الى كثرة الضيفان، ثم الى المضيفة، وهي المقصودة، ونظيره قول الآخر:

وما بك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

فإن الدهن ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يقصد داراً هو مقيم على حراستها والعس دونها، مع أن ذلك ليس من طبعه، الى أنه قد دام زجره وتأديبه حتى تغير عن مجرى عادته، ثم الى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه، ومن ذا الى كونه ملجأ للقاصي وللداني، ومن ذا الى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف.

وكذا ينتقل من هزال الفصيل الى فقد الأم، ومن ذا الى قوة الداعي الى نحرها مع كمال عنايتهم بالنوق، خصوصاً المثالي<sup>(١)</sup> منها، ومن هذا الى صرفها الى الطبائخ، ومن ذا الى أنه مضيف.

٢ - كناية، يطلب بها موصوف، نعو قولك كناية عن الأسد: قتلت ملك الوحوش، وشرطها الاختصاص بالمكنى عنه ليحصل الانتقال منها اليه، وهي ضربان:

(أ) ما هي معنى واحد بأن يتفق في صفة اختصاصها بموصوف معين فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها الى ذلك الموصوف كمجامع الأضغان كناية عن القلوب في قوله:

الضاربين بكل أبيض مخدّم والطاعنين مجامع الأضغان<sup>(٢)</sup>

(١) التالي من أثلت الناقة اذا تلاها ولها.

(٢) الضاربين منصوب على المدح وكذا الطاعنين، والأبيض السيف، والمخدّم: القاطع.

ونحوه قول البحري في قصيدته التي وصف فيها قتلة المذنب :

فأتبعتهما أخرى فأضلت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد<sup>(١)</sup>

ففي الشطر الثاني ثلاث كنايات ، كل منها مستقل بإفادة الغرض ، لا كناية واحدة ، فقوله : بحيث يكون اللب ، الرعب ، الحقد ، ثلاثها عن كناية القلب ، إذ هو محل العقل والخوف والضعيفة .

(ب) ما هي مجموع معان بأن تؤخذ صفة فتتضم الى صفة ثانية ، ثم ثالثة ، فتكون جملة ما يختص بالموصوف ، فمقى ذكرت توصل بها اليه كقولهم كناية عن الإنسان : إنه حي مستوي القامة عريض الأظفار ، فمجموع هذه الأوصاف هو الثلاثة المختص بالإنسان لا كل واحد<sup>(٢)</sup> منها .

٣ - كناية ، يطلب بها نسبة<sup>(٣)</sup> ، أي ثبوت أمر لأمر ، أو نفيه عنه ، كما يقولون : المجد بين ثوبيه ، والكريم بين برديه<sup>(٤)</sup> ، فهم لم يصرحوا بثبوت المجد والكريم له ، بل كنوا عن ذلك بكونها بين 'برديه وبين ثوبيه' ، وكقول زياد الأعجم في مدح عبد الله بن الحشر وكان أمير نيسابور :

إنت الساحة والمرؤة والندى في قبة ضربت على ابن الحشر

فإنه أراد أن يثبت هذا الصفات خللاً للممدوح لكنه لم يصرح بذلك فيقول : إنها مجموعة فيه ، أو مقصورة عليه ، أو نحو ذلك ، بل عدل الى ما أنت تراه فجعلها في قبة مضروبة عليه لتمكنه أن يثبتها للممدوح بطريق الكناية ، لأنه اذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له ، ومثل هذا وإن كان في حلة أبدع ووشى أغرب قول حسان :

بنى المجد بيتاً فاستقرت عماده  
وقول أبي نواس :

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن بصير الجود حيث يصير

(١) ضمير أتبعتهما يعود الى الطمعة ، والنصل حديدة السيف .

(٢) ويسمى هذا خاصة مركبة .

(٣) ضابطها أن يصرح بالصفة ويقصد بإثباتها لشيء له صلة بالموصوف وارتباط به الكناية عن إثباتها للمراد وهو الموصوف بها بخلاف كناية الصفة فإنه لا يصرح فيها بالصفة المرادة .

(٤) هما الأزار والرداء وهما الثوبان .

وقول الآخر : « وحيثما يك أمر صالح تكن » .

ففي كل هذا توصل الى إثبات للممدوح بإثباتها في المكان الذي يحل فيه ، ولزومها بلزومه حيثما كان ، وعلى هذا المسلك يحمل قولهم : مثلك لا يبخل .

قال في «الكشاف» : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية ، لأنهم اذا نفوه عن يسد مسده وعن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي : العرب لا تحفر الذمم ، فإنه أبلغ من قولك : أنت لا تحفر ، انتهى .

### المبحث الثالث في أقسامها من حيث الوسائط

تنقسم الكناية باعتبار الوسائط الى أقسام أربعة :

١ - تعريض<sup>(١)</sup> وهو خلاف التصريح واصطلاحاً ما أشير به الى غير المعنى بدلالة السياق ، كما تقول : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ، فالمعنى الأصلي انحصار الاسلام فيمن سلم الناس من يده ولسانه ، والمعنى الكنائي اللازم للمعنى الأصلي انتفاء الاسلام عن المؤذي مطلقاً ، وهو المعنى المقصود من اللفظ ، ويشير بسياقه الى نفي الاسلام عن المؤذي الذي تكلمت عنده .

ومن لطيف ذلك ما كتبه عمر بن مسعدة وزير المأمون الى المأمون يوصيه على بعض أصحابه : أما بعد ، فقد استشفع بي فلان الى أمير المؤمنين ليتطول<sup>(٢)</sup> في إلحاقه بنظرائه ، فأعلمته بأن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك بعد عن طاعته ، فوقع المأمون في كتابه : قد عرفنا نصيحتك له وتعريضك لنفسك وأجبنك اليها .

٢ - تلويح ، وهو لغة أن تشير الى غيرك من بعد واصطلاحاً كناية كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملازم ، نحو : ( أولئك قوم يوقدون نارهم في الوادي ) كناية عن بخلهم ، فقد انتقل من الايقاد في الوادي المنخفض ، الى إخفاء النيران ، ومن هذا الى عدم رغبتهم في امتداء ضيوفهم اليها ، ومن ذا الى بخلهم ، ونحوه ما تقدم من قولهم : هو جبان الكلب ، ومهزول الفصيل .

(١) قد يكون التعريض كناية كما في هذا المثال ، وقد يكون مجازاً .

(٢) يتطول : أي يتكرم من الطول ، وهو الفضل والزيادة .

٣ - رمز وهو لغة أن تشير الى قريب منك خفية بشقة ، أو حاجب ، كما قال :

رمزت إلي مخافة من يعلمها من غير أن تبدي هناك كلامها  
واصطلاحاً هو كناية قلت وسائطها مع خفاء اللزوم نحو: هو غليظ الكبد،  
كناية عن القسوة، إذ ذلك تتوقف على معرفة ما كان يعتقد العرب من أن الكبد  
موضع الاحساس والتأثر فيلزم من رفته اللين ومن علظته القسوة، ونحوه ما سبق.

٤ - إيماء وإشارة ، وهي كناية قلت وسائطها ، مع وضوح الدلالة ، كقول  
أبي تمام يصف إبله مادحاً أبا سعيد (١) :

أبين فما يزن سوى كريم وحسبك أن يزن أبا سعيد .  
وقول البحري يمدح آل طلحة :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول  
ومن لطيف ذلك وعجيبه قول بعضهم في رثاء البرامكة :

سألت الندي والجود مالي أراكها تبدلتا ذلاً بعز مؤبد  
وما بال ركن المجد أمسى مهدهما فقالا أصبنا بآن يحيى محمد  
فقلت : فهلا متما عند موته فقد كنتما عبديه في كل مشهد  
فقالا : أقمنا كي نعزي بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد

#### المبحث الرابع في حسن الكناية وقبحها

الكناية تكون حسنة إن جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة كما تقدم لك من  
الأمثلة ، وقبيحة اذا خلت مما ذكر ، كقول الشريف الرضي يرثي امرأة :  
( إن لم تكن نصلاً ففقد نصال ) ، فهذا من رديء الكنايات ، إذ هذا لا يفيد  
ما قصده من المعنى ، بل ربما جرّ الى ما يقبح من تهمتها بالريبة .

ونحوه قول أبي الطيب :

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

قال ابن الأثير: فهذه كناية عن النزاهة والعفة ، إلا أن الفجور أحسن منها ،

---

(١) هو أبو سعيد بن يوسف الثغري .

وما ذاك إلا من سوء تأليفها وقبح تركيبها ، وقد أجاد الشريف فيما زلت فيه قدم  
أبي الطيب فجاء به على وصف حسن وقال عجب حيث قال :

أحن الى ما يضعن الخمر والحلى وأصدف عما في ضمان المآزر  
وقريب من بيت المتنبي قول الآخر :  
وما نلت منها محرماً غير أنني اذا هي بالت بلت حيث قبول

### خاتمة

اتفقت كلمة البلغاء على :

١ - أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لأن الانتقال فيها من  
الملزوم الى اللازم فهو كدعوى الشيء ببينة .

٢ - وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، ومن المجاز المرسل ، لما فيها من  
دعوى الاتحاد ، وأن أبلغ أنواعها الاستعارة التمثيلية ، ثم المكنية ، لاشتغالها على  
المجاز العقلي الذي هو قرينتها .

٣ - وعلى أن الاستعارة سواء أكانت تمثيلية أم مكنية أم غيرها ، أبلغ من  
الكناية ، لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة .

وليس معنى الأبلغية في كلا من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيد  
خلافه ، بل المراد زيادة التأكيد في الإثبات .

قال الإمام عبد القاهر : فليست فضيلة قولنا رأيت أسداً على قولنا رأيت  
رجلاً لا يتميز عن الأسد في جرأته وشجاعته ، أن الأول أفاد زيادة في مساواته  
للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك  
المساواة له لم يفده الثاني ، وسر هذه المزية والفخامة ذلك اذا قلت : رأيت أسداً  
كنت قد تأنفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي  
يجب له الثبوت والحصول ، وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده ، وذلك  
أنه اذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة ، وكالمستحيل  
والممتنع أن يعرى عنها واذا صرحت بالتشبيه فقلت : رأيت رجلاً كالأسد ، كنت  
قد أثبتتها إثبات الشيء بترجع بين أن يكون وألا يكون ، ولم يكن من حديث  
الوجوب في شيء .

وليست فضيلة قولنا: جم الرماد على قولنا كثير القرى أن الأول أفاد زيادة لقراء لم يفدها الثاني بل هي أن الأول أفاد تأكيد الإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني ، وذلك أن كل عاقل يعلم أن إثبات الصفة بإثبات دليلها أكد وأبلغ في الدعوة من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً عقلاً، وذلك أنك لا تدعي دليل الصفة إلا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالخبر التجوز والغلط ، كذا في «دلائل الإعجاز» مع اختصار.

### أسرار البلاغة في الكناية

الكناية فن من التعبير توخاه العرب استكثاراً للألفاظ التي تؤدي ما يقصد من المعاني ، وبها يتنوفون في الأساليب ، ويزينون ضروب التعبير ، ويكثر من وجوه الدلالة ، انظر الى امرئ القيس تجده كنى عن المرأة ببوضة الخدر في قوله :

وببوضة خدر لا يرام خباؤها  
تمتعت من لحو بها غير معجل  
وإلى حميد بن ثور نراه كنى عنها بالسرخة في قوله :

أبى الله إلا أن سرخه مالك  
على كل أفنان العضاه<sup>(١)</sup> تروق  
فيا طيب رياها وبرد خلاها  
إذا حان من حامي النهار وديق<sup>(٢)</sup>

وإلى النبي ﷺ وقد كنى عنها بانقارورة في قوله لأنجشه وهو يحدو بنسائه :  
« رفقا بالقوارير » ، وبها ينصبون الدليل على كل قضية وقيمون البرهان على كل مدعي ، انظر الى المتنبي وهو يذكر وقبة سيف الدولة بأعدائه :

فستاهم وبسطهم حرير  
وصبّحهم وبسطهم تراب

تجده قد أراد أن يبين أنه قهرهم وأذلهم بعد أن كانوا أعزة ، لكنه تلطف في التعبير ونصب الدليل على صحة دعواه ، فأشار الى عزتهم أولاً بافتراسهم بسط الحرير ، ثم الى ذلتهم بعد بافتراسهم بسط التراب .

وتأسل قول أبي تمام يمدح أبا سعيد بن يوسف الثغري ويذكر كرمه :

أبين فما يزن سوى كريم  
وحسبك أن يزن أبا سعيد

(١) شجر عظيم شائك .

(٢) شدة الحر في الهاجرة .

تره قد أبان كرم أبي سعيد بغاية الوضوح من حيث أبان أن إبله أبت إلا أن تزور الكرماء ، ويكفيها أن تزور من بينهم أبا سعيد .

وليس بالحفي ما للكناية من فضيلة في إلباس المعقول ثوب المحسوس ، أترك تشاهد لطف التعبير ودقة التصوير اذا تأملت الكناية بحالة الخطب عن النامة التي تغسد ذات البين وتهيج الشر في قوله تعالى يصف امرأة أبي لهب : ﴿ وامرأته حمالة الحطب ﴾ <sup>(١)</sup> فإنك وأنت تقرؤها يخيل اليك أنها ممسكة حطبها بيديها ، ومشعلة ناراً لتوقد العداوة والبغضاء بين قوم ، وتؤلب بعضهم على بعض .

الى ما فيها من حيلة بترك بعض ألفاظ الى ما هو أجمل في القول وآنس للنفس ، ألا ترى اليهم وهم يكتنون عن الموت بقولهم : «فلان قد استوفى أكله» أو بقولهم : «لحق باللطيف الخبير» وعن الصحراء بالمفازة وهي مهلكة .

الى ما فيها من حسن التلطف في إطراح الألفاظ المستهجنة كما جاء في القرآن الكريم من الكنايات التي تتعلق بالنساء كالنهي عن أخذ المهور مع ذكر السبب في قوله تعالى : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ <sup>(٣)</sup> .

الى أنها قد تكون طريقاً من طرق الإيحاز والاختصار كقوله تعالى كناية عن كثير من الأفعال : ﴿ ولبس ما كانوا يفعلون ﴾ <sup>(٤)</sup> وقولهم كناية عن الجامع لكل شيء (هو سفينة نوح) .

وأنتك لترى فيها من العجب العجائب ومن غريب الصنعة ومن بديع السحر اذا كانت في باب الصناعات الخسيسة والأشياء الحقيرة بذكر منافعتها ، كما قيل لحائك : ما صناعتك ؟ قال : زينة الأحياء ، وجهاز الموتى .

وقال ابن باقلاني (بائع قول) :

|                                 |                          |
|---------------------------------|--------------------------|
| أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره | وإن نزلت يوماً فسوف تعود |
| ترى الناس أفواجاً الى ضوء ناره  | فمنهم قيام حوله وقعود    |

(١) سورة المسد الآية ٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٢١ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٤) سورة المائدة الآية ٧٩ .

## نموذج أول

بين الكناية وأنواعها باعتبار المكتنى عنه وباعتبار الوسائط فيما يلي :

- ١ - وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا فليس مخضوب البنان بمنين
- ٢ - قال الحجاج: إن أمير المؤمنين نثر كنياته عوداً عوداً فوجدني أمرها ضرب عوداً وأصابها مكسراً فرماكم بي، والله لأحزم منكم حزم السلعة ولأضربنكم غرائب الإبل .
- ٣ - ولا زال بيت الملك فوقك عالياً تشيد أطناب له عود
- ٤ - تقول التي من بيتها خف عملي عزيز علينا أن نراك تسير
- ٥ - أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلام من القطن
- ٦ - يبيت بمنجاة من اللؤم بيتها إذا ما بيوت باللامعة حلت

## الاجابة

- ١ - في مخضوب البنان كناية عن موصوف، وهي المرأة، إذ هذه من صفاتها الخاصة بها، من نوع الإيحاء لأن الذهن ينتقل الى ذلك بلا واسطة .
- ٢ - في هذه العبارة كنيات ثلاث :

( أ ) ففي قوله : نثر كنياته الى قوله فرماكم بي كناية عن صفة هي البحث والتفتيش عن الأصلح حتى عثر عليه وهي من نوع التلويح لأن الذهن ينتقل من نثر الكناية الى البحث والتفتيش عن أصلح سهامها ومن ذا الى العثور على ذلك الأصلح ومن ذا الى اختياره من بينها ثم إرساله اليهم لتدبير شئونهم .

( ب ) وفي قوله : لأحزم منكم حزم السلعة كناية عن صفة هي الضغط عليهم والبطش بهم من نوع الإيحاء .

( ج ) وفي قوله : لأضربنكم الخ كناية عن صفة هي القسوة في معاملتهم والتنكيل بهم ، وهي من نوع الإيحاء .

٣ - في هذا البيت كناية عن نسبة هي اتصافه بالملك ، لأن الذهن ينتقل من ملازمته بيت الملك وحاوله في ذلك المكان الى كونه ملكاً ، وهي من نوع الإيحاء .

٤ - كنى أبو نواس بقوله من بيتها خف الخ عن موصوف ، وهي امرأته ، لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها في العادة ، فهي كناية عن موصوف ، وهي امرأته لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها في العادة فهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء لعدم الوسائط .

٥ - في قوله : أخلام من الفطن كناية عن موصوف وهم الجهال ، وهي من نوع الإيماء .

٦ - في هذا البيت كناية عن نسبة هي إثبات النزاهة لها ونفي الفجور عنها ذلك أنه نبه بنفي اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنها ، ومن ذا إلى براءتها من كل ما يشينها ، وهي من نوع الإيماء .

### نموذج ثان

بيّن أنواع الكناية من حيث المكنى عنه ومن حيث الوسائط :

١ - قال زياد بن أبيه : وإني لأقسم بالله لأخذن الولي بالمولى ، والمقيم بالطاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقي الرجل قاتل أبيه فيقول : « انج سعد فقد هلك سعيد » <sup>(١)</sup> ، أو تستقيم لي قناتكم <sup>(٢)</sup> .

٢ - ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودُسّر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ <sup>(٣)</sup> .

٣ - وأقبلت يوم جد البين في حلال سود تعض بنات النادم الحصر <sup>(٤)</sup>

٤ - أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلا قبلي

٥ - لا أمتع العوذ بالفصال ولا أتباع إلا قريبة الأجل <sup>(٥)</sup>

٦ - فصبتهم وبسطهم حرير ومسام وبسطهم تراب

(١) مثل أصله أسعد أم سعيد يضرب للفشل أو الظفر بالبغية .

(٢) القناة الرمح ، والعصا المستوية .

(٣) الدسر جمع دسار وأصله خيط من ليف تشد به ألواح السفينة (سورة القمر) .

(٤) الحصر : البخيل .

(٥) العوذ جمع عائد الحديثة النتاج من الظباء والابل ، والفصال جمع فصيل ولد الناقة .

## الاجابة

١ - في هذه المقالة كنايات عدة ، فقد كنى بقوله : انج سعد الخ ، عن الفرار والهرب ، وهي نوع من التلويح لكثرة الوسائط فيها إذ ينتقل الذهن من قولهم هذا الى السبب الباعث على ذلك ، وهو الخوف من الفتك بهم ، ومن ذا الى أخذ عدتهم للهرب ، تباعداً عن التنكيل بهم ، الى الهرب وهو المراد ، وكنى باستقامة القناة عن حسن سيرهم واعتدالهم في أمورهم ، وهي كناية عن صفة من نوع الرمز .

٢ - كنى الله تعالى بذات الألواح والدرر عن السفينة ، إذ ذاك وصف خاص بها ، فهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء ، وكنى بقوله : تجري بأعيننا عن شمول لطفه وعنايته بها ، وهي كناية عن صفة من نوع التلويح لوجود الوسائط إذ ينتقل الذهن من النظر اليها ، الى مراقبتها ، ومن ذا الى الاهتمام بها ، ومنه الى العناية بها .

٣ - كنى بعض بنان الندم عن الأسف على فوات المرغوب فيه ، فهو كناية عن صفة من نوع الإيماء .

٤ - كنى ببسطة الكف عن الغنى ، فهو كناية عن صفة من نوع الإيماء ، إذ ينتقل الذهن من بسطة الكف ، الى مثلها بالمال ، الى الغنى .

٥ - في هذا البيت كنايتان عن صفتين من نوع التلويح ، الأولى كناية عن نحو الفصال ، والثانية كناية عن أنه مضاف ، ذاك أن الذهن ينتقل من عدم امتاعها الى أنه لا يبقى لها فصاها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر اليها ، ومن ذا الى نحرها ، وكذا ينتقل من قرب أجملها الى نحرها ، ومن ذا الى أنه مضاف .

٦ - في هذا البيت كنايتان عن صفتين ، وهما العز والذل ، من نوع التلويح إذ كنى بكون بسطهم حريراً عن عزتهم إذ ينتقل الذهن من إحرازهم الرياش والأثاث الفاخر الى غناهم ومن ذا الى كونهم أعزاء ، وكنى بكون بسطهم تراباً عن ذلهم ، إذ ينتقل الذهن من افتراش التراب الى ضياع ما يملكون ، ومن ذا الى كونهم أذلاء .

## تمرين أول

بيّن الكناية باعتبار المكنى عنه وباعتبار الوسائط فيما يلي :

- ١ - بيض صنائعنا سود وقائنا خضر مرابعنا حمير مواضعنا<sup>(١)</sup>
- ٢ - أبيني أفي يميني يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك<sup>(٢)</sup>
- ٣ - ﴿أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَةِ رَهْوٌ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>
- ٤ - ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>
- ٥ - روي أن امرأة وقفت على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قلة الفأر في بيتي فقال : ما أحسن ما روت عن حاجتها ، املئوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً .
- ٦ - وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
- ٧ - تشتكي ما اشتكيت من ألم الشو ق إليها حيث النحول

## تمرين ثان

- ١ - قوم ترى أرحامهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتمان
- ٢ - وإن ذكر المجد ألفتته تآزر بالجد ثم ارتدى
- ٣ - ولست بخالع درعي وسيفي إلى أن يخلع الليل النهار
- ٤ - ﴿سَنُشَدُّ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ﴾<sup>(٥)</sup>
- ٥ - تعرضت عجوز لسليمان بن عبد الملك فقالت : يا أمير المؤمنين مشيت جردان بيتي على العصي ، فقال لها : ألطفت في السؤال ، لا جرم لأردنها تشب وثب الفهود ، وملأ بيتها حباً .
- ٦ - اللابس المجد لم تنسج غلائله إلا يد الصانعين السيف والقلم
- ٧ - ولما سقط في أيديهم

(١) الصنائع: جمع صنيعه وهي الاحسان ، والمرباع: جمع مربع الموضع يتربعون فيه زمن الربيع ، والمواضي العيوف .

(٢) فان الشيء النفيس يحتفظ به في اليد اليمنى عادة ، والذي لا يؤبه له يوضع في اليسرى .

(٣) ينشأ يربى ، والخصام الجدل (سورة الزخرف) .

(٤) سورة البقرة الآية ١٧٤ .

(٥) سورة القصص الآية ٣٥ .

## نموذج عام في البيان

١ - جاء في بعض الجرائد أن ظفر الزعيم سعد زغلول في الانتخابات يسيل له لعاب ماسة الغريبين ، فجميع الروابي التي نشدها في جميع الأقطار لا تبلغ سفح هذا الجبل .

٢ - وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا فليس لخضوب البنات يمين

## الاجابة

١ - في جملة يسيل النخ ، كناية عن صفة هي الشوق اليه من نوع التلويح ، إذ ينتقل الذهن من سيل اللعاب الى الشيء ، الى شهوته وميل النفس اليه ومحبتها له ، وفي الروابي استعارة تصريحية أصلية مجردة فقد شبه الزعماء بالروابي يجمع العظم وجلالة القدر في كل والقرينة حالية ، وفي قوله : تبلغ سفح هذا الجبل ، استعارة تصريحية مرشحة بكلمة سفح والقرينة حالية .

٢ - في نقض النأي مجاز عقلي علاقته السببية لأن البعد سبب النقض وخلف العهد ، وفي العهد استعارة بالكناية حيث شبه العهد بالجبل يجمع أن كلا يفيد الربط ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، ثم حذف لفظ المشبه ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو النقض ، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية ، وإثبات النقض للعهد استعارة تخيلية وهي قرينة المكنية ، وفي البنات مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن التي تخضب هي الكف كلها ، وفي يمين مجاز مرسل علاقته السببية إذ المراد وفاء باليمين وإنفاذ لما حلفت عليه ، وفي نخضوب البنات كناية عن موصوف وهي المرأة من نوع الإيحاء والإشارة ، والشرط الثاني كله استعارة تمثيلية ، لأنه جار مجرى المثل .

## مزاياء دراسة البيان في صوغ مختلف الأساليب

رأيت قيا سلف ألواناً مختلفة من التعبير وضرورياً متنوعة من البيان ، يستطيع المتكلم أن يجعلها قبلة أنظاره اذا أراد صياغة المعاني في القوالب التي يراها أليق بفرضه وأبلغ لمقصده ، ويحسبها ما شاء أن يحسبها من شريف المعاني التي تجيش بخاطره وتعلق بصدوره فإذا طرق باب المديح وأراد وصف بمدوحه بالكرم والجود أمكن أن ينحو نحو مسلم بن الوليد حين مدح زيد بن مسلم الحنفي من وائل فقال :

ولو أن في كبد السماء فضيلة  
يا يزيد آل يزيد ذكرك سودد  
نفحات كفك يا ذؤابة وائل  
لسما لها زيد الجواد فزالا  
باق وقربك يطرد الإحمالا  
تركت عليك الراغبين عمالا

فیوڈی المعنی علی حقیقتہ دون مبالغہ ولا اغراق ، او حین یسبح جعفر بن  
محسن البرمکی فبقول :

تداعت خطرب الدهر عن جابر جعفر  
هو البحر يغشى سرة الأرض سيده  
فلو لم يكن في كفه غير روحه  
فهو قد شبهه بالبحر اللجي ، يعم فيضه الآفاق ، وتذكر سواحه أطراف  
الملا ، أو نحو أبي نواس وهو مدح الخطيب :

أنت الخطيب وهذه مصر فتدققا فكلكما بحر  
ويحق لي إذا صرت بينكما ألا يحل بساحتي فقر  
فجعله كالبحر المتدفق الذي اذا حل ببلدة عمها الخصب وفارقها الجذب ، أو  
نحو قول البحثري يمدح يوسف بن محمد كاتبة علوم ردي

أدراهم الأولى بداره 'جلجل'  
وجاءك يحيى يوسف بن محمد  
سقاك الحيا روحاته وبواكره  
فروثك رباه وجادك ماطره

إذ لم يشأ إلا أن يجعل الغيث يشبهه في فيضه ، وبالع في التشبيه ، وافتن في الأسلوب ، وعكس ما ألفه الناس من تشبيه الجواد بالغيث والبحر ، ثم انظر إلى قول الآخر :

إذا ما رأيت رأيت البحر يبسط كفه      فلا تحش إقلالاً من الدهر أو عدما  
فقد لجأ في وصف مدوحه بالكرم الى الاستمارة المصراحة وهي كما تعلم أبلغ  
من التشبيه وأعلى كعباً لما فيها من دغوى الاتحاد بين المشبه والمشبّه به ، وقول  
أبى العتاهة :

للجود باب في الأنعام ولم تزل  
 عنك مفتاحاً لذلك الباب

فقد جعل للجود باباً مفتاحه في يد المدوح اليمنى على سبيل الاستعارة المكنية  
وقول المتنبي في مدح كافور :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا  
فصور لك ما يلقاه قاصدو ممدوحه من الغنى والثروة ، وأن من لا ينبغي  
سواه ، كما أن من قصد البحر تأبى همته أن ينظر الى الجداول والغدران .

وهذه استعارة تمثيلية لها أثرها من البهجة والجمال الذي تحس به وتندرقه ،  
وقول أبي نواس في الفضل بن الربيع :

وكلت بالدهر عيناً غير غافلة من جود كفك نأسو كل ما جرحا  
فأضاف الجود الى الكف ، والجود ينسب عادة الى الممدوح من قبيل إضافة  
ما للكل الى الجزء على سبيل المجاز المرسل ، وقول مسلم :

تظلم المال والأعداء في يده لا زال للمال والأعداء ظلماً  
إذ كنى عن كثرة عطاياه وقتاله للأعداء وإفناؤه إياهم بالتظلم من يده .  
وللكناية أثرها البعيد في تثبيت المعنى في النفس وحسن تصويرها ، فهي  
تهش له وترتاح .

فها أنت ذا قد رأيت في وصف الجود ضروباً وألواناً مختلفة من التعبير وفنوناً  
شقي من القول ، وهكذا ينفس مجال الكلام أمام البليغ ، وتتشعب طرقة في  
أي معنى من المعاني التي يقصد القول فيها ، ولكن بعضها كما رأيت أبلغ من بعض  
بالنظر الى مقتضيات الأحوال ، فما يصلح لمقام لا يصلح مثله لآخر ، وهذا هو سر  
البلاغة ، فقد يكون المقام داعياً الى التشبيه لا الاستعارة ، وقد يكون الأنسب  
العكس ، فقد يكون المقام يدعو الى الكناية .

فتلك الصور المختلفة والأساليب المتنوعة هي موضوع علم البيان الذي درست  
مسائله ، فإذا أنت جعلتها رائدك في صوغ المعاني ، هدتك الصراط المستقيم ،  
وبلغت بك الغاية التي تسعى اليها .

ولكن دراسة العلم وحدها ، والوقوف على شواهد يسيرة من كلام الفصحاء  
والبلغاء لا يبلغان بك الى المقصد ، كما لو درست قواعد الحساب مثلاً وحللت  
مسائل قليلة لكل قاعدة ، فإن هذا لا يكسبك الملكة التي بها تستطيع أن تحل  
كثيراً من المسائل ، بل لا بد للملكة من التمرين وممارسة حل كثير من المسائل  
المختلفة ، حتى تتكون لديك .

فبلاغة القول ورشاقة التعبير ورصانته وإصابة المرمى من نفس السامع تحتاج  
الى إدمان القراءة في كتب الأدب ، والوقوف على متنوع الأساليب ، من أقوال  
الكتاب والشعراء والخطباء ، وحفظ ما يمكنك حفظه من منشورهم ومنظومهم .

ولا نرى كاتباً بليغاً ولا شاعراً مجيداً إلا جال في مختلف الأساليب الشعرية  
والنثرية جولة صادقة ، وروى عن عذبتها ، وغاص في بحارها ، واستخرج  
من دررها .

فعليك أيها القارىء من الإكثار من القراءة فيما خلفه لنا العرب من تراث أدبي  
من النظم والنثر في مختلف العصور ، فإنك إن فعلت ذلك ظفرت بملكة مواقية  
وحظ من الأدب عظيم .



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

## علم البديع

البديع لغة : الجديد المخترع لا على مثال سابق ولا احتذاء متقدم ، تقول : بدع الشيء وأبدعه ، فهو مبدع ، وفي التنزيل : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدِعًا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (١) .

واصطلاحاً : علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسناً وقبولاً بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة على ما عرفت في العلمين السالفين (٢) .

(واضعه) أول من دون قواعد ووضع أصوله عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة ٥٢٧ هـ ، فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتاباً ترجمه باسم «البديع» ذكر فيه سبعة عشر نوعاً وقال : « ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره » . ثم ألف معاصره جعفر بن قدامة كتاباً سماه «نقد قدامه» ذكر فيه ثلاثة عشر نوعاً زيادة على ما أملاه ابن المعتز .

ثم جاءت التأليف قترى ، فألف فيه أبو هلال العسكري وجمع سبعة وثلاثين نوعاً ، ثم ابن رشيق القيرواني فجمع مثلها في كتاب «العمدة» ، ثم جاء شرف الدين النيفاشي فبلغ بها السبعين .

ثم ألّفت البديعيات ، فألف زكي الدين بن أبي الأصبع بديعيته ، وأوصل الأنواع إلى التسعين ، ثم جاء بعده صفى الدين الحلبي فأوصلها إلى مائة وأربعين ، ونظم قصيدة ميمية في مديح النبي ﷺ ، وذكر اسم كل نوع في بيت .

(١) سورة الاحقاف الآية ٩ .

(٢) أي فالمستفاد من علم البديع الحسن العرض ، والمستفاد من العلمين السالفين الحسن الذاتي .

ومن بعده جاء عز الدين الموصلي فذكر مثل ما ذكره سالفه ، مع زيادة يسيرة من ابتكاره ، وهكذا ارتقت التأليف صعوداً وزيدت الأنواع وكبرت البديعات في هذا العلم كبديعة ابن حجة المحوي وقد شرحها في كتاب سماه «خزانة الأدب» وبديعة عبد الغني النابلسي وقد جاوز بها المائة والستين نوعاً .

## أقسام المحسنات

تنقسم المحسنات الى قسمين :

١ - محسنات معنوية ، وهي التي يكون التحسين بها راجعاً الى المعنى أولاً وبالذات ، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين<sup>(١)</sup> اللفظ أيضاً كالطباق بين يسر<sup>٢</sup> ويعلم في قوله تعالى : ﴿ يعلم ما ييسرون وما يعلنون ﴾<sup>(٣)</sup> ، وعلامتها أنه لو غير اللفظ بما يرادفه فقبل مثله : يعلم ما يخفون وما يظهرون ، لم يتغير المحسن المذكور .

٢ - محسنات لفظية ، وهي التي يكون التحسين بها راجعاً الى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى أحياناً تبعاً كالجناس في قوله تعالى : ﴿ ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾<sup>(٤)</sup> ، فالساعة الأولى يوم القيامة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية ، وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني الى ما يرادفه زال ذلك المحسن ، فلو قيل : ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا إلا قليلاً لضاع ذلك الحسن .

## المحسنات المعنوية

المحسنات المعنوية كثيرة ، لكننا رأينا ألا نذكر منها إلا ما اشتهر أمره ، وأهم النادر والشاعر علمه :

---

(١) كما سيأتي في العكس في قولهم عادات السادات سادات العادات فان في اللفظ شبه الجناس اللفظي لاختلاف المعنى ، ففيه التحسين اللفظي والفرض الأصلي الاخبار بعكس الاضافة مع وجود الصحة .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٧ .

(٣) سورة الروم الآية ٥٥ .

## الطباق - المطابقة - التكافؤ - التضاد

هو لغة الجمع بين الشئين ، واصطلاحاً الجمع بين معنيين متقابلين ، سواء أكان ذلك التقابل تقابل التضاد أو الإيجاب والسلب أو العدم والملكية أو التضاد ، أو ما شابه ذلك ، وسواء كان ذلك المعنى حقيقةً أو مجازياً<sup>(١)</sup>.

وهي تنقسم أولاً إلى :

( أ ) مطابقة بلفظين من نوع واحد ، سواء أكانا اسمين ، نحو : ﴿ ونحسبهم أيقاظاً وهم رقود ﴾<sup>(٢)</sup> ، أم فعلين نحو : ﴿ تَوَتَّى الْمَلِكُ مَن تَشَاءُ وَتَنَزَعَ الْمَلِكُ مَن تَشَاءُ وَتَعَزَّ مَن تَشَاءُ وَتَذَلَّ مَن تَشَاءُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله ﷺ للأَنْصَارِ : « إِنَّمَا لَكُمْ كَثْرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَلْقَوْنَ عِنْدَ الطَّمَعِ » ، أم حرفين نحو : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقول القائل :

رَكِبْنَا فِي الْهَوَى خَطراً فإِذَا لَنَا مَا قَدْ رَكِبْنَا أَوْ عَلَيْنَا

( ب ) مطابقة بلفظين من نوعين نحو : وأَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وقوله :

قَدْ كَانَ يَدْعَى لَابِسَ الصَّبْرِ حَازِماً فَأَصْبَحَ يَدْعَى حَازِماً حِينَ يَحْزَعُ

والتقابل إما ظاهر كما سبق وإما خفي نحو : أشداه على الكفار رحاء بينهم فإن الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدّة ، وقول أبي تمام :

مَا الْوَحْشَ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوْ إِنْسَ قَنِ الْخَطِّ إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَابِلَ

لَمَّا فِي هَاتَا مِنَ الْقَرَبِ وَتَلَكَ مِنَ الْبَعْدِ .

ثانياً إلى :

( أ ) طباق الإيجاب كما سلف لك من الأمثلة .

( ب ) طباق السلب ، وهو أن يجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي ،

(١) مثله أو من كان ميتاً فأحييناه .

(٢) سورة الكهف الآية ١٨ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٤) لأن في اللام معنى المنفعة وفي غل معنى المضرة ، لأن اللام تشعر بالملكية المؤذنة بالانتفاع وغل تشعر بالعلو الدال على التحمل المؤذن بالتضرر (سورة البقرة) .

أو أمر ونهي ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي ﴾ (٢) .

ومن الطباق ما سماه بعضهم التدبيج مَن دَبِجَ الأرض زينها ، واصطلاحاً أن يذكر في معنى كالمُدح وغيره ألوان لقصد الكناية أو التورية .

فتدبيج الكناية كقول أبي تمام يرثي أبا نهشل محمد بن حميد :  
تردى ثياب الموت مُحرراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر  
فقد كنى عن القتل بلبس الثياب الأحمر وعن دخول الجنة بخضر السندس ،  
إذ هو من شعار أهلها ، وجمع بين الحمرة والخضرة على سبيل الطباق .

وتدبيج التورية كقول الحريري : فمذازور المحبوب الأصفر واغبر العيش  
الأخضر ، اسودَّ يومئذ الأبيض وأبيض فودي الأسود ، حتى رثى لي العدو الأزرق  
فما حبذا الموت الأحمر ، فالمعنى القريب للمحسوب الأصفر إنسان ذو صفرة ،  
والبعيد الذهب ، وهو المراد هنا ، فيكون تورية ، وأما بقية العبارة فكناية (٣)  
ويلحق بالطباق شئان أحدهما ما يسمى : إيهام التضاد ، وهو الجمع بين معنيين  
غير متقابلين ، معبراً عنها بلفظين متقابلين ، كقول دعبل الخزاعي :

لا تمجني يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فإن ضحكك بمعنى ظهر ، وبكى بمعناه الحقيقي .

وثانيهما : الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق كالتبعية  
واللزوم ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ  
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٤) فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون (٥) .

(١) سورة الكهف الآية ٢٢ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٣) اخضرار العيش كناية عن طيبه ونعمته ، والاغبرار عن ضيقه ، والفودان شعر جانبي الرأس مما يلي الأذنين .

(٤) سورة القصص الآية ٧٣ .

(٥) وإنما عدل عن الحركة الى ابتغاء الفضل من قبل أن الحركة ضربان : حركة لمصلحة وحركة لفسدة ، والمراد الأولى لا الثانية .

## المقابلة

ومن الطباق نوع يخص باسم المقابلة، وهي أن يؤتي بمعنىين متوافقين أو أكثر ثم يؤتي بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب .

فمقابلة اثنين باثنين كقوله **عَلَيْكُمْ** لأم المؤمنين عائشة : « عليك بالرفق يا عائشة فإنه ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه » .  
وقول النابغة الجعدي :

فتى تمّ فيه ما يسرّ صديقه      على أن فيه ما يسوء الأعاديا

ومقابلة ثلاثة بثلاثة كقوله تعالى : ﴿ يَحِلُّ لَهْمِ الطَّيِّبَاتِ وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْحَبَائِثُ ﴾ (١) .

وقول المتنبي :

فلا الجود يفني المال والجدة مقبل      ولا البخل يبقي المال والجدة مدبر

ومقابلة أربعة بأربعة ، نحو : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ (٢) .  
وتتضح لك مقابلة اتقى باستغنى إذا علمت أن المراد بالاستغناء الزهد فيما عند الله كأنه استغنى عنه ، فلم يتق ، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعم الجنة ، فلم يتق .

ومقابلة خمسة بخمسة (٣) كقول أبي الطيب :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي      وأنثني وبياض الصبح يغري بي

ومقابلة ستة بستة كقول الآخر (٤) :

على رأس عبد تاج عز يزينه      وفي رجل حر قيد ذل يشينه

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٢) سورة الليل الآيات ٥ و ٦ و ٧ .

(٣) كذا ذكر الواحد في شرحه لديوان أبي الطيب ، قال في الإيضاح : وفيه نظر لأن لي وبني صلتان ليشفع ويغري ، فهما من تمامهما بخلاف اللام وعلى في قوله تعالى : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

(٤) نسبه بعض الحواشي لعنزة .

## مراعاة النظر - التناسب - الانتلاف

هي أن يجمع في الكلام بين أمرين ، أو أمور متناسبة ، لا بالتضاد ، وبالقيد الأخير يخرج الطباق .

فالجمع بين أمرين كقوله تعالى : ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ <sup>(١)</sup> .

وبين ثلاثة كقول البحري يصف إبلا بالإنضاء والهزال :

« كالقسي المطففات بل الأسهم مبرية بل الأوتار »

فقد اختار تشبيهها بالقسي دون العراجين والأطناب <sup>(٢)</sup> مثلاً من أجل أنه أراد تشبيهها بالأسهم والأوتار ، فيحصل بذكرها معها ملاءمة لا تحصل بدونها .

وبين أربعة كقول بعضهم للوزير المهلي : أنت أها الوزير إسماعيلي الوعد ، شعبي التوفير ، يوسف العفو ، محمدي الخلق .

وبين أكثر من أربعة كقول ابن رشيقي :

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قدم  
أحاديث تروىها السيول عن الحيا عن البحر عن جود الأمير تميم

فقد لائم بين الصحة والقوة والسباع والخبر والأحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا ، أي المطر والبحر ، وكف تميم ، وبذا صار الكلام ملتئم النسيج ، بحكم التأليف والحوك ، مع ما أدخله في البيت الثاني من حسن الصنعة ، إذ أتى بصحة الترتيب في العنونة ، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر ، كما يقع في سند الأحاديث ، ألا ترى أن السيول أصلها المطر ، وهو أصله البحر ، وهو أصله كف المدح على حسب ما ادعاه مبالغة في المدح .

## تشابه الأطراف

من مراعاة النظر ما يسمى : تشابه الأطراف ، وهو أن يختم الكلام بما يتناسب أوله في المعنى كقوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار » وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة الرحمن الآية ٥ .

(٢) العراجين جمع عرجون ، الكياسة والاطناب جمع طناب حبل الخيمة ونحوها .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٠٣ .

فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر ، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً ، لأن الخير من له علم بالحفريات ، ومن جملة الحفريات بل الظواهر الأبصار فيدركها . ويلحق بها ما يسمى إيهام التناسب ، وهو الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظ يكون لهما معنيان متناسبان ، وإن لم يكونا مقصودين هنا ، كقوله تعالى : ﴿ والشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان ﴾ (١) ، فالنجم هنا النبات الذي لا ساق له كالبقول وهو أن لم يكن مناسباً للشمس والقمر يوم نجم السماء وهو مناسب لهما .

### الارصاد - التسهيم

الارصاد لغة نصب الرقيب في الطريق والتسهم جعل البرد ذا خطوط كأنها فيه سهام واصطلاحاً أن يجعل قبل آخر الفقرة أو البيت ما يفهمها عند معرفة الروي ، كقوله تعالى : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يحازي إلا الكفور ﴾ (٢) ، وقول البحتري :

أحلت دمي غير جرم وحرمت  
فليس الذي حللته بمحلل  
بلا سبب يوم اللقاء كلامي  
وليس الذي حرمت به بحرام

فالسامع اذا وقف على قوله تعالى : وهل يحازي ، بعد الاحاطة بما تقدم علم أنه ليس (إلا الكفور) ، والخاذق بمعاني الشعر وتأليفه يعلم بعد أن عرف البيت الأول وصدر الثاني في بيتي البحتري أن ليس عجزه إلا ما قاله .

### المشاكلة

هي لغة المماثلة واصطلاحاً ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرأ ، فالأول كقوله عز وعلا : ﴿ وجزاء سيئة مثلها ﴾ (٣) ، إذ الجزاء على السيئة ليس بسيئة في الحقيقة لكنه سمي سيئة للمشاكلة اللفظية ، وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا ﴾ (٤) ، فقد وضع : لا يمل ، موضع : لا يقطع عنكم ثوابه .

(١) سورة الرحمن الآيتان ٦ و ٧ .

(٢) سورة سبأ الآية ١٧ .

(٣) سورة الشورى الآية ٤٠ .

(٤) المعنى إن الله لا يقطع عنكم نعمه وفضله حتى تملوا عن مسأله .

وقول أبي الرقعمق ، وقد تظرف ما شاء :

قالوا اقترح شيئاً تجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقيصاً

فقد عبر عن خياطة الجبة بالطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام .

والثاني كقوله تعالى : ﴿ صَبَّغَهُ اللهُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وهو مصدر مؤكد لآمننا بالله ،

والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس .

وأصل ذلك أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه

المعمودية ، ويقولون إنه تطهير لهم ، فعبر عن الإيمان بالله بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة الحالية <sup>(٢)</sup> .

### المزاوجة

هي لغة مصدر زواج بين الشئين قرن بينهما ، واصطلاحاً أن يجمع بين الشرط

والجزاء في ترتب لازم من اللوازم عليها معاً نحو :

إذا ما بدت فازداد منها جمالها نظرت لها فازداد مني غرامها

فقد زواج بين معنيين هما بدوها وظهورها ونظره لها في الشرط والجزاء في

أن ترتب عليها لزوم شيء ، وهو ازدياد الجمال وازدياد الغرام .

ونحوه قول البحتري :

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى أصاخ الى الواشي فلج به الهجر

فقد جمع بين الشرط والجزاء في لزوم شيء وهو لجاج الهوى ولجاج الهجر ،

ولا يخفى ما في ترتب لجاج الهوى على النهي من المبالغة في الحب لاقتضائه أن

ذكرها ولو على وجه العتب يزيد حبها ويثيره كما قال :

أجد الملامة في هواك لذينة حباً لذكرك فليلمني النوم

(١) سورة البقرة الآية ١٣٨ .

(٢) فإن الصبغ ليس بمذكور في كلام الله ، ولا في كلام النصارى لكن لما كان غمهم أولادهم في الماء الأصفر يستحق أن يسمى صبغاً وإن لم يتكلموا بذلك حين الغمس وكانت الآية نازلة في سياق ذلك الفعل كأن لفظ الصبغ مذكور ، إذ أن المسلمين أمروا أن يقولوا : صبغنا الله تعالى بالإيمان صبغة ولم نصبغ صبغكم .

ومما في ترتب لزوم المجران على وشي الواشي من المبالغة في كون حبه على شفا 'جرُف' ، إذ يزيله مطلق الوشاية ، فكيف يكون لو سمع أو رأى عيباً ، كما قال الآخر :

ولا خير في ود ضعيف 'تزيله' هواتف وهم كلما عرضت جفا

### العكس - التبديل

هو أن تقدم في الكلام جزءاً ، ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت وهو على وجوه ، منها :

١ - أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف نحو قولهم : عادات السادات سادات العادات <sup>(١)</sup> ، فالعادات أحد طرفي الكلام ، والسادات مضاف الى ذلك الطرف ، وقد وقع العكس بينها بأن قدم أولاً العادات على السادات ثم السادات على العادات .

ونعوه قول بعضهم لآخر : <sup>(٢)</sup> لا تفهم ما يقال ؟ فأجاب : لأنك لم تقل ما يفهم .

وقول متصدق : لا سرف في الخير ، رداً على من اتهمه بالتبذير ، وقال له : لا خير في السرف .

وقول المتنبي :

|                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| أرى كل ذي ملك اليك مصيره  | كأنك بحسر والملوك جداول |
| إذا أمطرت منهم ومنك سحابة | فوابلهم طلٌ وطلُّك وابل |

٢ - أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين نحو : يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي .

وقول الحماسي :

|                         |                                      |
|-------------------------|--------------------------------------|
| رمى الحدثان نسوة آل حرب | بأمر قد سمدن له سمودا <sup>(٣)</sup> |
| فرد شعورهن السود بيضاً  | ورد وجوههن البيض سودا                |

(١) أي أن العادة التي تصدر من سيد الناس هي العادة الحسنى التي تستحق أن تسمى سيدة العادات .

(٢) الحدثان نواثب الدهر ومصائبه ، وسمد لها : غفل .

٣ - أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين نحو : ما عليك من حسابهم من شيء يوماً من حسابك عليهم من شيء ، وقول الحسن البصري : إن من خوفك حق تلقى الأمن خير ممن آمنك حق تلقى الخوف ، وقول المتنبي :  
فلا يجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

### الرجوع

هو رجوع المتكلم الى الكلام السابق بنقضه وإبطاله لنكتة كالتعسر والتعزن في قول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بل وغيّرها الأرواح والديم<sup>١</sup>  
فإنه حين وقف على الديار دهش<sup>(١)</sup> وذهل ، فأخبر بما هو غير حاصل فقال :  
لم يعفها القدم ثم تاب إليه رشده فتدارك كلامه وقال : يلي وغيّرها الأرواح والديم .  
ونحو قول الحماسي :

أليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل

### التورية<sup>(٢)</sup> والايهام والتخيير

هي لغة مصدر وري الخبر اذا ستره وأظهر غيره ، واصطلاحاً أن يذكر المتكلم لفظاً له معنيان ، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ، ودلالة اللفظ عليه خفية ويريد المعنى البعيد ، ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريد ، وهو ليس بمراد ، ومن ثم سميت إيهاماً ، كقول لصاحب الصفدي :

وصاحب لما أقام الغنى قاه ونفس المرء طمّاحه  
وقبل هل أبصرت منه يداً تشكرها قلت ولا راحه

فللراحة معنيان : قريب ، وهو الكف ، وهو المتبادر بقريظة ذكر اليد ، وبعيد مراد وهو ضد التعب .

(١) أي فطن الشيء واقفاً وليس هو كذلك ثم عاد الى إبطاله بعد أن أفاق فأخبر بالحقيقة مع التأسف على فوات ما رغب فيه والتعسر على ما رأى .

(٢) الفرق بينها وبين المجاز والكنابة أنه لا يعتبر بين معنى التورية لزوم وانتقال من أحدهما إلى الآخر ولا علاقة بينها كذلك بخلافها .

ونحوه قول الآخر:

أحسا المعرص عنا      حسبك الله تعالى

وقول الباخرزي صاحب دمية القصر:

يا خالق حملت الوري      لما طغى الماء على جارية  
وعبدك الآن طفى ماؤه      في الصلب فاحمله على جارية

وهي ثلاثة أضرب :

١ - مجردة ، وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب ، نحو قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ <sup>(١)</sup> ، للاستواء معنيان : أحدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لأن الحق تعالى منزّه عن ذلك ، والثاني : الاستيلاء والملك ، وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور .

وقول أبي بكر ، وقد سئل عن النبي ﷺ حين الهجرة ، فقيل له : مَنْ هذا ؟ فقال : « هاد يهديني » ، أراد أبو بكر : هادياً يهديني إلى الإسلام ، لكنه ورى عنه بهادي الطريق ، وهو الدليل في السفر .

٢ - مرشحة ، وهي التي يذكر فيها لازم المورى به ، وهو المعنى القريب ، وهي قسمان :

( أ ) قسم يذكر فيه الترشيح قبلها كقوله تعالى : ﴿ والسماء بنيناها ﴾ <sup>(٢)</sup> بأيد ، فاليد هنا القدرة ، وهي المعنى البعيد ، وقد قرنت بالبناء الذي يناسب المعنى القريب ، وهو الجارحة ، ونحو قوله :

حملناهم طراً على الدّهم بعدما      خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فالمعنى القريب للدم الخيول السود ، وهو ليس بمراد ، والمعنى البعيد القيود من الحديد وهو المراد ، ورشح التورية بذكر حملناهم المناسب للمعنى القريب .

( ب ) قسم يذكر بعدها ، كقوله :

---

(١) قال التزمخشري: ولا ترى باباً في البيان أدق وألطف من هذا الباب ولا أعون على تعاطي تأويل المشبهات من كلام الله وكلام رسوله وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين (سورة طه) .  
(٢) سورة الذاريات الآية ٧ :

أقلعت عن رشف الطلا      والثلثم في خسد الحبيب  
وقلت هذي راحة      تسوق للقلب التعب<sup>(١)</sup>  
فالمعنى القريب للراحة ضد التعب وليس بمراد ، والآخر بمعنى الحمر ، وهو  
المراد ، ورشحه بذكر التعب بعده .

٣ - مبينة ، وهي ما قرنت بما يلائم المعنى البعيد ، كقول ابن سناء الملك :  
أما والله لولا خوف سخطك      لهان علي ما ألقى برهطك<sup>\*</sup>  
ملكك الخافقين فتنت عجباً      وليس مما سوى قلبي وقرطك  
فالمعنى القريب للخافقين: المشرق والمغرب ، وذا ليس بمراد ، والمعنى البعيد  
المراد القلب ، والقرط ، وقد بينه الشاعر بالنص عليه .

### الاستخدام

هو ذكر اللفظ بمعنى وإعادة ضمير أو إشارة عليه بمعنى آخر ، أو إعادة  
ضميرين عليه تريد بثانيتها غير ما تريد بأولها ، فالأول كقوله تعالى: فمن شهد منكم  
الشهر فليصمه ، فالمراد بالشهر الهلال وضميره الزمان المعلوم .  
وقول ابن معنوق الموسوي المتوفى سنة ٥١٠٢٥ هـ :

تالله ما ذكر العقيق وأهله      إلا وأجراه الغرام بمحجري  
إذ المراد بالعقيق الوادي الذي بظاهر المدينة ببلاد الحجاز وبالضمير الذي  
يعود إليه الدم الأحمر الشبيه بالعقيق .  
والثاني ، كقوله :

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره      متم لج في الأشواق خاله  
فقد أراد بالعقيق أولاً المكان ، ثم أعاد اسم الإشارة إليه بمعنى الدم .  
والثالث ، كقول شوقي يخاطب الإله جل وعلا :

المقل أنت عقلته وسرحتَه      وأحرَّتَ فيك دليله وأرجته  
آتيتَه الحجر الأصم ونحته      والنجمُ يعبد فوقه أو تحته<sup>(٢)</sup>

(١) الطلا ما طبخ من عصير العنب ، والحبيب الفقايع التي تملو في الكأس .  
(٢) أحرته أي بالشك وأرجته أي باليقين ، ومفعول يعبد محذوف أي يعبدك .

فالنجم يطلق على ما لا ساق له من النبات وعلى الكواكب وقد أعاد إليه  
الضمير الأول في فوقه بمعناه الأول ، وفي تحته بمعناه الثاني .

ونحوه قول البحري :

فسقى الغضا والساكنيه وإن هو شبهه بين جوانح وقلوب<sup>(١)</sup>

فقد أراد بضمير الغضا في قوله : والساكنيه المكان ، وفي قوله : شبهه ، أي  
أوقدوه الشجر .

### الف والنشر

هو ذكر متعدد مفصل أو مجمل ، ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين ،  
اتكالا على أن السامع يرد الى كل ما يليق به لوضوح الحال<sup>(٢)</sup> .

فالمفصل قسيان :

١ - إما مرتب ، كقوله تعالى : ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا  
فيه ولتبتغوا من فضله ، فقد جمع بين الليل والنهار بواو العطف ، ثم أضيف الى  
كل ما يليق به ، فأضيف السكون الى الليل ، لأن فيه النوم والراحة ، وابتغاء  
الرزق الى النهار لما فيه من الكد والعمل .

وقول ابن حيوس :

فهل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

٢ - وإما بعكس ترتيب اللقب ، كقول ابن حيوس أيضاً :

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال لحظا وقدا وردفا

فالحظ للغزال والقدا للغصن والردف للحقف وهو الرمل المتراكم .

والجمل ، كقوله تعالى : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً  
أو نصارى ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) الغضا : شجر شديد الاشتعال ، يريد الدعاء له ويطلب لأحبابه النازلين به السقيا ، وإن  
أحرقوا قلبه بنار الجوى .

(٢) أما لقريئة لفظية أو معنوية فالأولى كما تقول رأيت شخصين ضاحكاً وعابسة ، فتأنيث  
عابسة دل على أن الشخص العابس هي المرأة والضحك هو الرجل والثانية كما تقول: لقيت الصاحب  
والعدو فأكرمت واهنت .

(٣) سورة البقرة الآية ١١١ .

فضمير قالوا لليهود والنصارى على سبيل اللف (١) ، ثم أضيف ما لكل اليه بعد ، إذ التقدير وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً .

ونحوه قوله عليه السلام : « فإنت المرء بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فحتم عليه ، ويوم قد بقي لا يدري لعله لا يصل اليه » .

### الجمع

هو أن يجمع بين شيئين مختلفين ، أو أكثر ، في حكم واحد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَرُّ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ (٢) .

وقول أبي العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجدّة مفسدة للمرء أي مفسدة (٣)

وقول ابن الرومي :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجّون نجوم

مركز توثيق كويت  
التفريق

هو أن يعتمد المتكلم الى نوعين مندرجين تحت جنس واحد فيوقع بينهما تبايناً في المدح أو الذم أو غيرهما كقول الطوطا في المدح :

ما نوال الفهم وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء  
فنوال الأمير بادرة عين ونوال الفهم قطرة ماء (٤)

وقول صفي الدين الحلي :

فجود كفيه لم تقلع سحائبه عن العباد وجود السحاب لم يدم (٥)

(١) لف بين قولي الفريقين ، فلم يبين مقول كل فريق ، ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله لما علم من تعادي الفريقين .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٠ .

(٣) الجدّة الاستغناء ، يقال : وجد في المال وجداً بثلاث الوار وجدة أيضاً .

(٤) البادرة : كيس فيه عشرة آلاف درهم .

(٥) أقلعت السحابة : ذهب .

## التقسيم

هو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل اليه على التعمين، وبقيد التعمين يخرج اللف فإنه لا تعين فيه ، بل الأمر موصول الى السامع ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ (١).

وقول أبي تمام :

فما إلا الوحي أو حد مرهف      تميل طباه أخذعي كل مائل  
فهذا دواء الداء من كل عالم      وهذا دواء الداء من كل جاهل (٢)  
وللتقسيم إطلاقان آخران :

١ - ذكر أحوال الشيء مضافاً الى كل حال ما يليق بها، كقول علي كرم الله وجهه : « أحسن الى من شئت تكن أميره ، واستغن عن من شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره » .  
وقول أبي الطيب :

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ      كأنهم من طول ما التشموا 'مرد'  
ثقال اذا لا قوا خفاف اذا دعوا      كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا  
وقوله أيضاً :

بدت قرأ ومالت خوطاً بار      وفاحت عنبراً ورنّت غزالا (٣)

٢ - استيفاء أقسام الشيء كقوله عيسى عليه السلام : « هل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفנית ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » .  
وقول أبي تمام :

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا      شراً أذاعوا، وإن لم يعلموا كذبوا  
وقول نصيب :

فقال فريق القوم: لا وفريقهم      نعم وفريق وايم الله ما ندري

(١) سورة القارعة الآيات ٣ و ٤ وه .

(٢) الوحي الإشارة والمرهف السيف والطبا حد السيف والاخذعان عرقان في صفحتي العنق.

(٣) الخوط الفصن الناعم لسته ، والبان شجر سبط القوام لين ، ورقنا نظر.

### الجمع مع التفريق

هو أن يجمع بين شيئين في معنى ويفرق بين جهتي الإدخال ، كقوله تعالى :  
﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ (١).  
وقول رشيد الدين الوطواط :

فوجهك كالنار في ضوئها      وقلبي كالنار في حرها

فقد شبه وجه الحبيب وقلبه هو بالنار ، ثم فرق بين وجهي المشابهة بأن جعله  
في الوجه الضوء واللمعان وفي القلب الحرارة والاحتراق .  
وقول البحاري :

ولما التقينا والنقا موعد لنا      تعجب رائني البدر منا ولاقطه  
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها      ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

### الجمع مع التقسيم

هو جمع أمور متعددة تحت حكم واحد ، ثم تقسيمها أو تقسيمها ثم جمعها ،  
فالأول كقول المتنبي يمدح سيف الدولة حين غزا خرشنة بأرض الروم ولم يفتحها :  
حق أقسام على أرباض خرشنة      تشقى به الروم والصلبان والبسيع  
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا      والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا (٢)  
فقد جمع البيت الأول شقاء المقيمين بنواحي تلك البلدة بما يلحقهم من الإهانة  
ثم فصله في البيت الثاني .

والثاني كقول حسان :

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم      أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا  
سجية " تلك منهم غير محدثة      إن الخلائق فاعلم شرها البدع

(١) سورة الإسراء الآية ١٢ .

(٢) خرشنة بلد بديار بكر ، وأرباض البلد ما حولها (الضواحي) وحتى متعلقة بما قبلها ،  
وهو قوله :

قاد المقائب أقصى شربها نهل      مع الشكيم وأدنى سيرها سرع  
وبعدهما :  
الدهر معتذر والسيف منتظر      وأرضهم لك مصطاف ومرتبّع

قسم في البيت الأول صفات المدرحين قسمين ضر الأعداء ، ونفع الأولياء ،  
ثم جمعها في البيت الثاني بقوله : سجية تلك ، ثم أشار الى شر الأخلاق ما كان  
مستعداً مبتدعاً لا ما كان غريزة وجبلة .

### الجمع مع التفريق والتقسيم

هذا النوع جامع للأنواع الثلاثة المتقدمة ، وقد مثلوا له بقوله تعالى :  
﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَنهَمُ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ، فأما الذين شقوا ففي  
النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء  
ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت  
السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ <sup>(١)</sup> فالجمع في قوله تعالى :  
يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمْ نَفْسٌ ، لأن النفس متعددة في المعنى إذ هي نكرة في سياق النفي  
تعم ، والتفريق في قوله عز وجل : فَنهَمُ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، والتقسيم في قوله  
عز وعلا : فأما الذين شقوا وأما الذين سعدوا .

ومن هذا النوع أيضاً قول ابن شرف القيرواني :

لختلفي الحاجات جمع ببابه      فهذا له فن وهذا له فن  
فللغامل العليا والمعدم الغنى      وللمذنب العتبي وللخائف الأمن

### التجريد

هو لغة : إزالة الشيء عن غيره ، واصطلاحاً هو أن ينتزع من أمر ذي صفة  
أو أكثر ، أمر آخر أو أكثر مثله فيها ، لإفادة المبالغة بادعاء كمال الصفة في  
ذلك الأمر حتى كأنه بلغ من الانصاف بتلك الصفة مبلغاً يصح أن ينتزع منه  
موصوف آخر متصف بتلك الصفة ، فهي فيه كأنها تفيض بثالاتها لقوتها كما يفيض  
الماء عن ماء البحر .

وهو أقسام :

١ - ما يكون بمن التجريدية كقولهم : لي من فلان صديق حميم ، بلغ فلان من  
الصداقة حداً صح معه أن يستخلص منه صديق آخر مثله فيها .

(١) سورة هود الآيتان ١٠٧ و ١٠٨ .

٢ - ما يكون بالباء التجريدة الداخلة على المنتزع منه ، نحو : لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر ، فقد بالغ في اتصافه بالسباحة حتى انتزع منه بحراً فيها .

٣ - ما يكون بدخول باء المعية على المنتزع كقوله :

وشوهاه تعدو بي الى صارخ الوغى      بمستلثم مثل الفنيق المرحل<sup>(١)</sup>  
يريد أنها تعدو بي ومعى من نفسي لكمال استعدادها للحرب .

٤ - ما يكون بدخول (في) على المنتزع منه ، نحو قوله تعالى : ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾<sup>(٢)</sup> ، فإن جهنم هي دار الخلد ، لكنه انتزع منها داراً أخرى وجعلها معدة في جهنم لأجل الكفار تهويلاً لأمرها ومبالغة في اتصافها بالشدة .

٥ - ما يكون بدون توسط حرف ، نحو قول قتادة بن مسleme الخنفي :  
فلئن بقيت لأرحلن بغزوة      تحوى الغنائم أو يموت كريم  
يعني بالكريم نفسه وقد انتزع من نفسه كريماً للمبالغة في كرمه .

٦ - ما يكون بطريق الكناية ، نحو قول الأعشى :

يا خير من يركب المطى ولا      يشرب كأساً بكف من بخلا

يريد أنه يشرب الكأس بكف الجواد ، فقد انتزع من المخاطب وهو المدوح جواداً يشرب هو أي المدوح بكفه على سبيل الكناية<sup>(٣)</sup> لأنه اذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبت له الشرب بكف الكريم ، ومن البين أنه يشرب غالباً بكف نفسه ، فهو حينئذ ذلك الكريم .

٧ - ما يكون بمخاطبة الإنسان نفسه فينتزع الإنسان من نفسه شخصاً آخر مثله في الصفة التي سبق لها الكلام ويخاطبه كقول الأعشى :

ودع هريرة أن الركب مرتحل      وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

---

(١) وشوهاه أي فرس قبيحة المنظر لسعة أشداقها ، والمستلثم : اللابس الدرع ، والفنيق : الفعل المكرم .

(٢) سورة فصلت الآية ٢٨ .

(٣) حيث أطلق اسم الملزوم الذي هو نفى الشرب بكف البخيل على اللازم ، وهو الشرب بكف الكريم يعني نفسه .

(تنبيهان) الأول - قال أبو علي الفارسي في سر تسمية هذا النوع بهذا الاسم أن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله ، فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجرداً عن الإنسان كأنه غيره وهو هو بعينه ، كقولهم : لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ولئن سألتك لتسألن منه البحر ، وهو عينه الأسد والبحر إلا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه أو متميزاً منه .

ثم قال : وعلى هذا النمط كون الإنسان يخاطب نفسه حتى كأنه يقول غيره ، كما فعل الأعشى في قوله :

« ودع هريرة إن الركب مرتحل »

الثاني - لهذا الضرب من الكلام فائدتان :

إحداهما : التمكن من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره لأنه موجه خطاباً الى غيره فيكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقول .

ثانيتهما : طلب التوسع في الكلام ، وذا من مزايا اللغة العربية .

#### المبالغة - آراء العلماء فيها - أقسامها

هي ادعاء<sup>(١)</sup> بلوغ وصف في الشدة أو في الضعف حداً مستحيلاً أو بعيداً آراء العلماء فيها : للعلماء في المبالغة ثلاثة آراء :

١ - الرفض مطلقاً ، وحجتهم أن خير الكلام ما خرج مخرج الحق وجاء على منهج الصدق من غير إفراط ولا تفريط ، كما قال حسان :

وإنما الشعر لب المرء يعرضه      على المجالس إن كئسا وإن حمقا  
فإن أشعر بيت أنت قائله      بيت يقال إذا أنشدته صدقا

٢ - القبول مطلقاً ، وحجة أولئك أن خير الشعر أكذبه ، وأفضل الكلام ما بولغ فيه .

٣ - التوسط بين الأمرين ، فتقبل مع الحسن إذا جرت على منهج الاعتدال ، وهذا رأي جمهرة العلماء ، ودليل ذلك وقوعها في التنزيل على ضروب مختلفة ،

(١) إنما يدعي ذلك خوفاً من أن يظن أن ذلك الوصف غير متناه في الشدة أو الضعف ، بل هو متوسط أو دون المتوسط .

وتردّ إذا جاءت على جهة الإغراق والغلو، ويذم مستعملها ، كما درج على ذلك أبو نواس وابن هانئ الأندلسي والمتني وأبو العلاء ، وغيرهم .

( أقسامها ) - أقسام المبالغة ثلاثة <sup>(١)</sup> : تبليغ وإغراق وغلو ، لأن المدعي للوصف من الشدة أو الضعف إما أن يكون ممكناً في نفسه أولاً والثاني الغلو ، والأولى إما أن يكون ممكناً في العادة أولاً ، الأول : التبليغ ، والثاني : الإغراق :

١ - فالتبليغ <sup>(٢)</sup> ما يكون المدعي فيه ممكناً عقلاً ، وعادة ، كقول امرئ القيس :

فمعدى عداء بين ثور ونعجة      دراكاً فلم ينضح بماء فيغسل <sup>(٣)</sup>  
فقد وصف هنا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيتين في مضار واحد ولم يعرق ، وذلك مما لا يمتنع عقلاً ولا عادة .  
ونظيره قول المتني :

وأصرع أيّ الوحش قفبيته <sup>(٤)</sup> به وأنزل عنه مثله حين أركب  
فقد مدحه أولاً بأنه يلحق كل وحش ولم يستثن شيئاً ، ثم عقبه بمدح أعظم ومبالغة أكثر في الشطر الثاني من أجل أنه أفاد به وقرة جريه وشدة صلابته .

٢ - والإغراق ما يكون المدعي فيه ممكناً عقلاً لا عادة ، وهذا على ضربين :  
( أ ) وهو أجلبها إلى حسن الاصغاء أن يقترن به ما يقرّ به من نحو لو ولولا وكاد وكان ، وإذ ذاك يظهر حسنه ويبهز شكله ، كقول امرئ القيس في وصف محبوبته :

من القاصرات الطرف لو دبّ محول <sup>(٥)</sup>      من النمل فوق الإتب منها لأثرا <sup>(٦)</sup>  
فقد وصفها بالركة ونعومة الجسم ، وقرب الدعوى بلفظ لو حتى جعل السامع يصغي إلى ما يقول .

---

(١) انحصارها في هذه الأقسام بالاستقراء وبالعقل .  
(٢) التبليغ والإغراق مقبولان في صنعة البديع لعدم ظهور الكذب فيها الوجه لردّها ، وكذا بعض أنواع الغلو .  
(٣) عادي عداء وإلى موالاة بين الصيدين يصرع أحدهما إثر الآخر ، ودراكاً متتابعاً ، والنضح للرشح .  
(٤) المحول ما أتى عليه المحول ، والاتب ما قصر من الثياب وقميص بلا كمين .  
(٥) من القاصرات الطرف لو دبّ محول

ونحوه قول المتنبي :

كفى يحسمي نحولاً أنني رجل      لولا مخاطبتي إياك لم ترني

(ب) أن يحسمي مجرداً عما ذكر، كقول عمرو بن الأهم التغلبي :

ونكرم جارنا ما دام فينا      وتلبعه الكرامة حيث مالا

فقد ادعى أنه يتبع جاره الكرامة حيث سار، وهذا ليس بجائز في شرعة العادة ، وإن أجازته العقل .

٣ - والفلو ما يكون المدعي فيه غير ممكن لا عادة ولا عقلاً ، وهذا مسرح الشعراء المفلقين في مدحهم وهجوم ، وهو على قسمين : مقبول ، ومردود .  
فالمقبول أنواع :

١ - أن يقترن به ما يقر به إلى الإمكان كلفظ يكاد في قول ابن حمديس :

ويكاد يخرج سرعة من ظله      لو كان يرغب في فراق رفيق<sup>(١)</sup>  
وأجل منه قوله تعالى : ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢ - أن يتضمن نوعاً حسناً من تخييل الصحة ، كقول أبي الطيب :

عقدت سنابكها عليها عثراً      لو تبتغي عنقاً عليه لأمكننا<sup>(٣)</sup>

فقد ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنابك الخيل فوق رؤوسها بحيث صار أرضاً يمكن السير عليها ، وهذا وإن كان غير ممكن ، يخيل إلى الوهم من ادعاء كثرة وكونه كالجبال صمته ، وقد اجتمع السبب الأول والثاني في قول القاضي الأرتجاني يصف طول الليل :

يخيل لي أن سمر الشهب في الدجى      وشدت بأهدائي اليهن أجفاني

٣ - أن يخرج مخرج الخلاعة والهزل كقوله :

« أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غداً إن ذا من العجب »

(١) يصف فرساً بسرعة الجري .

(٢) سورة النور الآية ٣٥ .

(٣) السنابك : حوافر الخيل ، والكثير : الغبار ، والعنق : السير السريع ، وضمير عليها يعود للخيل .

فلا شك أن سكره على هذه الصفة محال ، لكن حسنه الهزل لمجرد سرور  
المجالس ومضاحكته ، والمردود ما جرى من الاعتبارات المتقدمة كقول أبي نواس  
يمدح هارون الرشيد :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه      لتخافك النطف التي لم تُخلق  
وقول أبي الطيب :

كأنني دحوت الأرض من خبرتي بها      كأنني بنى الاسكندر السد من عزمي  
شبه نفسه بالخالق جل وعلا في دحوه الأرض ، ثم فجأة نزل الى الخفيض  
فشبه نفسه بالاسكندر .

### المذهب الكلامي<sup>(١)</sup>

هو أن يأتي البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية قاطعة  
تصح نسبتها الى علم الكلام .

ولم يستشهد على هذا النوع بأعظم من شواهد القرآن ، فمن لطيف ذلك قوله  
عز وعلا : ﴿ لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ﴾<sup>(٢)</sup> ، إذ تمام الدليل : لكنهما  
لم تفسدا فليس فيها آلهة غير الله .

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴾<sup>(٣)</sup>  
لأن تحليل القياس : القمر آفل وربى ليس بآفل فالقمر ليس بربى .

وقوله عليه السلام : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » ، إذ تمام  
الدليل : لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم .

ويرى أن أبا دلف العجلي قصده شاعر تميمي ، فقال له : بمن أدت ؟ فقال :  
من تميم ، فقال أبو دلف :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا      ولو سلكت سبل الهداية ضلت  
فقال له التميمي : بتلك الهداية جئت إليك ، فأفحمه .

(١) هذه التسمية تنسب للجاحظ .

(٢) المراد بالفساد خروجها من النظام الذي هما عليه (سورة الانبياء) .

(٣) أي بقياس حملي يفيد أن المجيء اليه ضلال ، لكن القياس الشرطي أوضح دلالة في هذا  
الباب وأعذب في النوق وأسهل في التركيب (سورة الأنعام) .

## حسن التعليل

هو أن يدعي شاعر أو ناثر شيء علة مناسبة غير العلة الحقيقية على جهة الاستطراف وذلك لإيهام تحقيقه وتقريره من قبل أن الشيء معللاً أكد في النفس من إثباته مجرداً عن التعليل .

وأقسامه أربعة : لأن الوصف إما ثابت قصد بيان علته ، أو غير ثابت أريد إثباته ، والثابت إما ألا يظهر له علة في العادة ، أو يظهر له علة غير المذكورة ، وغير الثابت إما ممكن أو غير ممكن .

١ - فالأول ، كقول أبي تمام :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب المكان العالي

فقد جل علة حرمان الكريم من الغنى هي العلة التي من أجلها حرم المكان العالي السيل ، فكما أن العلو هو السبب في حرمان المكان العالي كذلك علو قدر الكريم هو المانع له من الغنى الذي هو كالسيل في حاجة الخلق إليه .

ومما جاء بديعاً نادراً من هذا الضرب قول أبي هلال العسكري :

زعم البنفسج أنه كمداره حسناً فسلوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف مما لا تظهر علته ، لكنه جعلها الافتراء على المحبوب .

٢ - والثاني ، كقول المتنبي :

ما به قتل أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

جرت العادة بأن الملوك إنما يقتلون أعداءهم ليسلوا من أذاهم وضرهم ، لكن أبا الطيب اخترع سبباً غريباً وتخيل أن الباعث له على قتل الأعادي لم يكن إلا محبته لإجابة من يطلب الإحسان ، فهو قد فتك بهم لعله علم اليقين بأنه إذا غدا للحرب رجت الذئاب والوحوش الضواري أن يتسع عليها رزقها<sup>(١)</sup> ، وتنال من علوم أعدائه القتل ، فما أراد أن يخيب لها مطلباً ، ومن لطيف هذا النوع قول ابن المعتز :

(١) يستفاد من ذلك ضمناً أنه ليس من السرفين في القتل تشفياً وانتقاماً .

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم      من كثرة القتل نالها الوصب  
حمرتها من دماء مَنْ قتلت      والدم في النصل شاهدٌ عجب

٣ - والثالث ، كقول مسلم بن الوليد :

يا واشياً حسنت فينا إساءته      نجى حذارك إنساني من الفرق  
فإن استحسن إساءة الواشي ممكن لكنه لما كان مخالفاً عليه الناس احتاج  
إلى تعقيبه بذكر سببه وهو حذره من الواشي ، ولأجل ذلك امتنع من البكاء ،  
فسلم إنسان عينه من الفرق في الدموع .

٤ - والرابع ، كمنى بيت فارسي ، ترجمته :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته      لما رأيت عليها عقد منتطق  
فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها وجعل الدليل على  
ذلك شدها النطاق .  
ومما يلحق بحسن التعليل وليس (١) منه ما بني على الشك كقول أبي تمام :  
رباً شفعت ربح الصبا لرياضتها      إلى المزن حتى جادها وهو هامع  
كان السحاب الغر غيب تحتها      حبياً فما ترقا لمن مدامع  
فقد علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبياً تحت  
تلك الربي فهي تبكي عليه .

### التفريع

هو أن يثبت حكم لشيء بينه (٢) وبين أمر آخر نسبة وتعلق بعد أن يثبت  
ذلك الحكم لمنسوب آخر لذلك الأمر ، فلا بد إذاً من متعلقين أي شيئين منسوبين  
لأمر واحد كغلام محمد وأبيه بالنسبة إلى محمد ، فمحمد أمر واحد له متعلقان ،  
أي منسوبان له ، أحدهما غلامه والآخر أبوه ، ولا بد من حكم واحد يثبت لأحد  
المتعلقين ، وهما الغلام والأب ، بعد إثباته للآخر ، كأن يقال : غلام محمد فرح  
ففرح أبوه ، فالفرح حكم أثبت لمتعلق محمد ، وهما غلامه وأبوه ، وإثباته للثاني

(١) لأن في حسن التعليل ادعاء تحقق العلة والشك ينفيه .  
(٢) فخرج نحو قولنا : غلام محمد فرح أيضاً لعدم التفريع .

على وجه يشعر بتفريعه عن الأول ، وعليه قول الكميت يمدح آل البيت :  
 أحلامكم لسقام الجمل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب  
 فقد فرع من وصفهم بشفاء أحلامكم لسقام الجمل ووصفهم بشفاء دمائهم من  
 داء الكلب .

### تأكيد المدح بما يشبه الدم

وهو على ضرب ثلاثة :

١ - وهو أبلغها أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير  
 دخولها فيها ، وذلك هو الغاية القصوى في المدح كقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين فلول من قراع الكتائب<sup>(١)</sup>

فقد أثبت لهم شيئاً من العيوب بتقدير عد فلول السيف من المعاييب ، وهذا  
 بحال ، لأن ذلك دليل كمال الشجاعة وفرط الحمية ، فكأنه في المعنى تعليق على  
 المحال ، كما قالوا في الأمثال : حق يبيض الفار ، وحق يلج الجمل في سم الخياط ،  
 وفي هذا الأسلوب تأكيد من وجهين :

( أ ) أنه كدعوى أقيم عليها البرهان ، إذ كأنه استدل على نقي العيب عنهم  
 بتعليق وجوده على وجود ما لا يكون وما لا يتحقق بحال .

( ب ) أن الأصل في الاستثناء الاتصال ، فإذا تلفظ المتكلم بغير أو إلا أو  
 نحوها دار في خلد السامع قبل النطق بما يذكر بعدها أن الآتي مستثنى من المدح  
 السابق ، وأنه يراد به إثبات شيء من الذم وهذا ذم ، فإذا أتت بعدها صفة مدح  
 تأكد المدح لكونه<sup>(٢)</sup> مدحاً على مدح في أبهى قالب وآنق منظر .

ونظيره قول ابن الرومي :

وما تعثرها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتخير  
 كذلك أنفاس الرياض بسحره تطيب وأنفاس الرياض تغير

(١) الفلول جمع فل بفتح الفاء الكسر يصيب السيف في حده ، والقراع المقارعة والمضاربة ،  
 والكتائب جمع كتيبة .

(٢) وللأشعار بأنه لم يجد صفة ذم يستثنىها فاضطر إلى استثناء صفة المدح وتحويل الاستثناء  
 من متصل إلى منقطع .

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - أن يثبت لشيء صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى كقوله عليه السلام: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش».

وقال النابغة الجعدي:

فقد كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقي من المال باقيا

وهذا الضرب يفيد التأكيد من الوجه الثاني فقط، ومن ثم كانت الضرب الأول أبلغ وأجل.

٢ - أن يؤتى بالاستثناء المفرغ كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُنَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا﴾<sup>(٢)</sup>، إذ المعنى: وما تعيب منا إلا أسس المناقم ودعائم المفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله.

ويجري الاستدراك في هذا الباب مجرى الاستثناء، كقول البديع الهمداني:

هو البدر إلا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

فإن قوله: إلا وسوى استثناء مثل: بيد أني من قريش، وقوله: لكنه استدراك يفيد فائدة الاستثناء إذ إلا في باب الاستثناء المنقطع بمعنى لكن.

### تأكيد اللم بما يشبه المدح

وهو ضربان:

١ - أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كما تقول: فلان لا خير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرقه<sup>(٣)</sup>.

٢ - أن يثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له كما تقول: فلان حسود إلا أنه نمام، وبيان إفادة الضربين للتوكيد على تفاوت فيها تفهم قياساً على ما عرفت في النوع السالف، كما أن الاستدراك كالأستثناء.

(١) سورة الواقعة الآية ٢٤.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢٦.

(٣) أي انتفت عنه صفات الخير إلا هذه الصفة إن كانت خيراً لكنها ليست خيراً، فلا خير فيه أصلاً.

## الاستتباع

هو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر ، كقول المتنبي :

نهب من الأعمار ما لو حويته      لهنت الدنيا بأنك خالد

فقد مدحه ببلوغه الغاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه ، بحيث لو ورث أعمارهم  
لخلد في الدنيا ، على أسلوب استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظامها  
من قبل أنه جعل الدنيا مهنة بخلوده ولا تنها إلا بما فيه صلاحها .

وفي البيت وجهان آخران من المدح ، أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال ،  
وثانيهما أنه لم يكن ظالماً في قتل أي أحد من مقتوليه لأنه لم يقصد بهذا إلا صلاح  
الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه .

## الادمج

هو لغة الإدخال ، فيقال : أدمج الشيء في ثوب ، إذا لفه فيه ، واصطلاحاً :  
أن يجعل المتكلم الكلام الذي سبق لمعنى من مدح أو غيره <sup>(١)</sup> متضمناً معنى آخر  
كقول أبي الطيب :

أقلب فيه أجفاني كأنني      أعد به على الدهر الذنوب <sup>(٢)</sup>

فقد ساق الكلام أصالة لبيان طول الليل وأدمج في ذلك على جهة الاستتباع  
الشكاية من الدهر .

ونحوه قول ابن المعتز في وصف نبات يسمى الخيري :

فقد نقض العاشقون ما صنع الهج      سر بالوانهم على ورقة

فإن الغرض وصف الخيري بصفة لكنه أدمج الغزل في الوصف .

وفيه وجه ثان من الحسن وهو إيهام الجمع بين متناقضين وهما الإيجاز والاطناب ،  
أما الأول فمن جهة الادمج ، وأما الثاني فلأن الغرض الوصف بالصفرة ،  
واللفظ زائد عليه لفائدة .

(١) فهو أعم من الاستتباع لاختصاصه بالمدح .

(٢) ضمير فيه ليل أي لتقليب أجفاني في الليل كأنني أعد بها على الدهر ذنوبه .

## التوجيه - الايهام

هو إيراد الكلام محتملاً معنيين على السواء <sup>(١)</sup> ، كهجاء ومديح ، ليبلغ القائل غرضه الذي يريد به بما لا يمسك عليه .

كما روى أن محمد بن حزم هنا الحسن بن سهل بتزويج ابنته بوران للخليفة المأمون مع من هنا فأثيهم وحرمه ، فكتب إليه : إن أنت تماديت في حرمانني قلت فيك شعراً لا يعرف أمدح هو أم ذم .

فاستحضره وسأله ، فأقر ، فقال الحسن : لا أعطيك أو تفعل ، فقال :

بارك الله للحسن ولبوران في الحتن <sup>(٢)</sup>

يا إمام الهدى ظفرت ولكن ببنت من

فلا يدري ببنت من في العظمة وعلو الشأن أم في الدناءة والخسة .

فاستحسن الحسن منه ذلك وقال له : أمن مستكراذك هذا ؟ فقال : لا ، بل نقلته من شعر بشار بن برد ، وكان كثير المبت بهذا النوع .

ومن أحاديثه في ذلك أنه خاط قباء عند خياط يسمى زيدا <sup>(٣)</sup> ، فقال له الخياط مازحاً : لأخيطنه فلا تدري أهو جبة أم قباء .

فقال بشار : إذا أنظم فيك شعراً لا يعلم من سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك ، فلما خاطه له كما أخبره قبل ، قال فيه بشار :

خاط لي زيد قباء ليت عيذه سواء

قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء <sup>(٤)</sup>

قال السكاكي : ومن هذا النوع متشابهات القرآن باعتبار : أي وهو احتمالها وجهين وإن كانت تفارقه باعتبار آخر وهو عدم تساوي الاحتمالين ، لأن أحد المعنيين في المتشابهات قريب والآخر بعيد كما تقدم من عد المتشابه من التورية .

(١) فإن كان أحدهما ظاهراً والثاني خفياً والمراد هو الخفي كان تورية .

(٢) الحتن كل من كان قبل المرأة مثل الأب والأخ .

(٣) قال في « خزائن الأدب » : أغلب الناس يسمون الخياط عمراً ، لكن صاحب « التعبير » روى أنه زيد .

(٤) هذان البيتان من مجزوء الرمل .

### الهزل الذي يراد به الجحد<sup>(١)</sup>

هو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه فيخرج ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون ، كقول أبي نواس :

إذا ما تيمى أذاك مفاخرأ      فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضب  
أي تباعد عن هذا التفاخر وخبرني كيف تأكل الضب ، ولا مفاخرة مع من يأكله لأن أشرف الناس تعافه ، ونظيره قول ابن نباتة :

سلبت محاسنك الغزال صفاته      حتى تحير كل ظبي فيكا  
لك جیده ولخاظه ونفاره      وكذا نظير قرونه لأبيكا

### تجاهل العارف

هو سوق المعلوم مساق غيره<sup>(٢)</sup> لنكتة :

١ - كالتوبيخ في قول ليلى بنت طريف ترثي أخاها الوليد حين قتله يزيد ابن مزيد الشيباني في عهد هارون الرشيد :

أيا شجر الخاور مالك مورقا      كأنك لم تجزع على ابن طريف

٢ - وكالمبالغة في المدح في قول البحتري :

ألمع برق سري أم ضوء مصباح      أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي<sup>(٣)</sup>

٣ - وكالمبالغة في الذم كقول زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري      أقوم آل حصن أو نساء

٤ - وكالتدله في الحب كقول الحسين بن عبد الله الغريبي :

يا ظمبات القاع قلنا لنا      ليلاي منكن أم ليلى من البشر

٥ - وكالتحقير في قوله تعالى حكاية عن الكفار :

---

(١) الفرق بينه وبين التهكم أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل ، وهذا بعكسه ، وهزليته باعتبار أصل استعماله وجديته باعتبار ما هو عليه الآن .

(٢) والفرض من ذلك المبالغة في إفادة المعنى المراد من ذم أو مدح أو نحو ذلك .

(٣) المنظر الوجه ، والضاحي الظاهر .

﴿هل نذكركم على رجل يُنبئكم إذا مُزِقْتُمْ كل ممزق إنكم لفي خلقٍ جديدٍ﴾<sup>(١)</sup>.

٦ - وكالتعريض<sup>(٢)</sup> في قوله تعالى : ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾<sup>(٣)</sup>.

٧ - وكالإناس لأن المقام مقام هيبة ورهبة كقوله تعالى : ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾<sup>(٤)</sup>.

### القول بالموجب

هو نوعان :

١ - أحدهما أن تقع صفة في كلام غيرك كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت أنت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم لذلك الغير أو نفيه عنه ، نحو : ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾<sup>(٥)</sup> ، فالأعز صفة وقعت في كلا المنافقين كناية عن فريقهم والأذل كناية عن المؤمنين ، وقد أثبتوا لفريقهم حكماً هو إخراج المؤمنين من المدينة عند رجوعهم إليها ، فردّ الله تعالى عليهم بإثبات صفة العزة لغيرهم من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج أو انتفائه .

٢ - الأسلوب الحكيم ، وقد تقدم ، وهو حمل لفظ وقع في كلام غيرك على خلاف مراده مما يحتمله ذلك اللفظ بذكر متعلقه كالبيت الثالث<sup>(٦)</sup> من قوله :

|                        |                         |
|------------------------|-------------------------|
| وإخوان حسبتهمو دروعاً  | فكانوها ولكن للأعدادي   |
| وخلتهمو سهاماً صائبات  | فكانوها ولكن في فؤادي   |
| وقالوا قد صفت منا قلوب | لقد صدقوا ولكن من ودادي |

(١) كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل ما (سورة سبا) .

(٢) وفي مجيء هذا اللفظ على الإبهام قالة أخرى ، وهي أنه يبعث المشركين على التأمل في حال أنفسهم وحال النبي والمؤمنين ، حتى إذا أنعموا النظر علموا أنهم على ضلالة ، فبعثهم ذلك على الإسلام .

(٣) سورة سبا الآية ٢٤ .

(٤) سورة طه الآية ١٧ .

(٥) سورة المنافقون الآية ٨ .

(٦) أما البيتان قبله فليسا منه لكنها قريبان منه .

## الاطراد

هو أن يذكر اسم الممدوح واسم من يمكن أن آثمه على ترتيب الولادة ليزداد إبانة وتوضيحاً على ترتيب صحيح ونسق مستقيم من غير تكلف ولا تعسف فيكون كالماء الجاري رقة وانسجاماً ، كقوله :

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم      بعثيبة بن الحارث بن شهاب<sup>(١)</sup>  
وقول دريد بن الصمة :

قتلناك بعبد الله خير لدانة      ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وقد روي أن عبد الملك بن مروان لما سمعه قال : لولا القافية لبلغ به آدم .

ومن ذلك قول النبي ﷺ : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » .

أما ذكر الأمهات والجدات فليس محموداً عند البلغاء لما فيه من إنزال قدر الممدوح ، ولهذا عيب علي أبي نواس قوله بمدح محمداً الأمين :

أصبحت يا بن زبيدة ابنة جعفر      أملاً لعقد حباله استحكام

## تدريب أول

بيّن نوع المحسنات المعنوية فيما يلي :

- ١ - ومولع بفخاخ يدها وشباك      قالت لي العين ماذا يصيد؟ قلت : كراكي
- ٢ - لئن ساءني أن نلتني بمساءة      لقد سرني أني قد خطرت ببالكما
- ٣ - وللغزاة شيء من تلفته      ونورها من ضيا خديه مكتسب
- ٤ - الدهر يصمت وهو أبلغ فاطق      من موجز ندى ومن ثرثار
- ٥ - ليس به عيب سوى أنه      لا تقع العين على شبهه
- ٦ - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار<sup>(٢)</sup>
- ٧ - رأى جسدي والدمع والقلب والحشا      فأضنى وأقنى واستمال وتيسما

(١) ثل العروش كناية عن ذهاب العز وتضعف الحال .

(٢) سورة الأنعام الآية ٦٠ .

- ٨ - آراؤه وعطاياه ونعمته وعفوه رحمة للناس كلهم  
٩ - يا قوم كم من عاتق عانس بمدوحة الأوصاف في الأنسية  
قتلتها لا أتقي وارثاً يطلب مني قوداً أو دبة

### الاجابة

- ١ - في هذا البيت تورية في لفظ كراكي ، إذ المعنى القريب له (جمع كركي) وهو الطائر المعروف ، وهو ليس بمراد ، والمعنى البعيد ، والمراد من الكركي ، هو النوم .  
٢ - في هذا البيت طباق بين ساء وسر .  
٣ - فيه استخدام ذكر لفظ الغزالة بمعنى الحيوان المعروف ، وأعاد إليه الضمير بمعنى الشمس .  
٤ - فيه طباق بين يصمت وناطق وبين موجز وثرثار .  
٥ - فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم من الضرب الأول .  
٦ - في الآية تورية لذكر جرحتم إذ لها معنيان قريب من جرحه جرحاً شق بعض بدنه وليس ذا بمراد ، وبمعنى هو المراد وهو اكتسبتم الذنوب من جرح الرجل اكتسب فهو جارح وهي مجردة لعدم ذكر لازم المعنى القريب .  
٧ - فيه لف ونشر مرتب إذ ذكر أربعة أشياء ثم أتى بما يقابلها على الترتيب .  
٨ - فيه جمع إذ جمع بين أشياء وأعطاهما حكماً واحداً .  
٩ - في البيتين تورية إذ من يسمع العاتق والعانس والقتل يفهم منها المعنى القريب وهو البكر والموت لكنه أراد منها المعنى البعيد وهو الخمر والمزج بالماء .

### تدريب ثان

بين نوع المحسن المعنوي فيما يلي :

- ١ - وقد أطفئوا شمس النهار وأوقدوا  
٢ - فوا عجباً كيف اتفقنا فناصر  
٣ - كأن الثريا علقت في جبينه  
نجوم العوالي في سماء عجاج  
وفي ومطوي على الغل غادر  
وفي خده الشعري وفي وجهه البدر

- ٤ - أبكيكما دمعاً ولو أني على قدر الجوى أبكي بكيتكما دماً  
 ٥ - من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل  
 ٦ - إن الليالي للأنام مناهل تطوي وتنشر دونها الأعمار  
 ٧ - قاف لهذا الدهر لا بل لأمله  
 ٨ - فهبها كشيء لم يكن أو كنازح به الدار أو من غيبته المقابر

### الاجابة

- ١ - فيه طباق بين أطفئوا وأرقدوا .  
 ٢ - فيه مقابلة بين ناصح وفي وبين مطوي على الغل غادر إذ الغل ضد النصيح والغدر ضد الوفاء .  
 ٣ - فيه مراعاة النظير لجمعه أشياء متناسبة لا على جهة التضاد ، وهي الثريا والشعر والبدر .  
 ٤ - فيه أرصاد لأنه جعل قبل المعجز من البيت ما يدل عليه إذ عرف الروي .  
 ٥ - فيه مشاكلة فقد عبر عن اختيار الجار بالبناء مشاكلة لبناء الدار .  
 ٦ - فيه العكس فقد قدم في الكلام جزءاً ثم آخر ما قدم في البيت الثاني .  
 ٧ - فيه الرجوع فقد نقض ما قاله أولاً .  
 ٨ - فيه تقسيم باستيفاء أقسام الشيء لأن الغائب لا يخلو من هذه الثلاثة .

### تدريب ثالث

- ١ - أن تلقني لا ترى غيري بناظره تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد  
 ٢ - لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال  
 ٣ - وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه .  
 ٤ - قال الشيرازي في «شرح المفتاح» العثير الغبار ولا تفتح فيه العين .  
 ٥ - أيا ظبية الوعاء بين جلاجل وبين النقا أنت أم أم سالم  
 ٦ - أودع رجل بعض القضاة أموالاً فادعى ضياعها ، فقال ابن دويدة المغربي مخاطبه :

- إن قال قد ضاعت فيصدق إنها  
أو قال قد وقعت فيصدق إنها  
٧ - إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها  
٨ - فتق قسم الأيام بين سيفه  
فسود يوماً بالعجاج وبالردى  
ضاعت ولكن منك يعني لو تعي  
وقعت ولكن منه أحسن موقع  
تذكرت القربى ففاضت دموعها  
وبين طريفات المكارم والبلد  
وبيض يوماً بالفضائل والمجد

### الاجابة

- ١ - فيه تجريد جاء على طريق الكناية فقد كنى بالأسد عن نفسه .  
٢ - فيه تجريد فقد جرد من نفسه شخصاً ثم خاطبه .  
٣ - فيه المذهب الكلامي ، إذ التقدير : والإعادة أهون من البدء ، والأهون أدخل في الإمكان من البدء ، فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء وهو المطلوب .  
٤ - في قوله : ولا تفتح فيه العين تورية ، فالمعنى القريب النهي عن فتح العين وهي الجارحة ، وليس بمراد ، والبعيد النهي عن فتح العين في اللفظ ، لئلا يلزم التحريف .  
٥ - فيه تجاهل المعارف يسوق المعلوم مساق المجهول .  
٦ - فيه القول بالموجب ، إذ هو قد حمل لفظي ضاعت ، ووقعت الواقعتين في كلام القاضي الى معنى آخر مراد يحتمله اللفظ .  
٧ - فيه المزاجية فقد زواج بين احتربت وتذكرت الواقعتين في الشرط والجزاء ورتب على كل منها أمراً وهو فيضان الدماء وفيضان الدخوع .  
٨ - فيه جمع وتقسيم ، لأنه جمع أيام الممدوح في الحرب والعطاء ، ثم قسم ذلك .

### تمرين أول

بين نوع المحسن المعنوي فيما يلي :

- ١ - ما مضى فات والمؤمل غيب  
٢ - يكاد يمسه عرفان راحته  
٣ - أسكر سكرى من المدام إذا  
ولك الساعة التي أنت فيها  
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم  
مرء بفكري خيال مبسمة

- ٤ - بدائع الحسن فيه مفترقة  
سهم الحياظه مفوقه  
٥ - أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد  
٦ - فارقني من أحب واحزني  
٧ - قالوا : حبيبك محوم فقلت لهم  
عانقته ولهيب النار في كبدي  
٨ - أنت بدر حسنا وشمس علوا  
وأعين الناس فيه متفقة  
فكل من رام لحظة رشقة  
وأنت امرؤ يرجو شبابك وائل  
واحزني من حب من فارقني  
أنا الذي كنت في 'حمائه السبب  
يوما فائر فيه ذلك اللهب  
وحسام غزا وبحر نوالا

### تمرين ثان

- ١ - فتوبي مثل شعري مثل نحري  
٢ - ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم  
٣ - ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ (١)  
٤ - أبادم فلبيت المسال ما جمعوا  
٥ - إن ترد خبر حالهم عن يقين  
تلق بيض الوجوه سود مثار الذ  
٦ - فيا له من عمل صالح  
٧ - أهدى لمجلسه الكريم وإنما  
كالبحر يطره السحاب وما له  
٨ - فلان لا خير فيه إلا أنه ذو وجهين  
بياض في بياض في بياض  
تعاب بنسيان الأحبة والوطن  
والروح للسيف والأجساد للرخم  
فالفهم في منازل أو تزال  
قع خضر الأكناف حمر النصال  
يرفعه الله الى أسفل  
أهدى له ما حزت من نعمائه  
فضل عليه لأنه من مائه

### تمرين ثالث

- ١ - يا سادة لبعدهم  
لجئني دمعكم جبرى  
٢ - زيادة المرء في دنيا نقصان  
٣ - إذا صدق الجد أفترى العم للفق  
أصبحت صبا وصبا  
لطيب عيش ذهبيا  
وربحة غير فعل الخير خسرات  
مكارم لا تخفي وإن كذب الحال

(١) سورة المائدة الآية ١١٦ .

- ٤ - وما طيب الرياض لها ولكن  
 ٥ - ولا عيب فيهم غير أن ذوي الندي  
 ٦ - بكث فقدك الدنيا قديماً بدمعها  
 ٧ - الأرض طرس والرياض سطوره  
 ٨ - والطل في ملك الغصون كلؤلؤ  
 والطير يقرأ والقدير صحيفة  
 ٩ - قال الخطيئة :  
 ندمت على لسان كاد مني  
 فليت بأنه في جوف علم



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

## المحسنات اللفظية

الجناس - التجنيس - أقسامه - فائدته

هو لغة مصدر جانس الشيء الشيء شاكله واتحد معه في الجنس ، واصطلاحاً تشابه الكلمتين في اللفظ <sup>(١)</sup> مع اختلاف في المعنى ، وينقسم قسمين :

١ - تام ، وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء :

( أ ) هيئة الحروف ، أي حركاتها وسكناتها .

( ب ) عددها .

( ج ) نوعها .

( د ) ترتبها .

وهو إما مماثل أو مستوف .

( أ ) فالمماثل هو ما كان اللفظان فيه من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ يُقسم المجرمونَ ما لبثوا غير ساعة ﴿ <sup>(٢)</sup> ، فالساعة الأولى يوم القيامة والثانية واحدة الساعات .

وقول محمود سامي البارودي :

تحملتُ خرفَ المن كل رزية وحلُ رزايا الدهر أحلى من المن

فالمن الأول تعداد الصنائع والنعم نحو: أعطيتك كذا وأحسننت اليك بكذا، والمن الثاني العسل .

( ب ) والمستوفى ما كان اللفظان فيه من نوعين كاسم وفعل ، كقول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

(١) فيخرج التشابه في المعنى نحو: أسد وسبع، أو في مجرد العدد نحو: ضرب وعلم، أو في مجرد الوزن: ضرب وقتل .  
(٢) سورة الروم الآية ٥٥ .

٢ - مركب ، وغير مركب :

( أ ) فغير المركب كالأمثلة التي فرطت .

( ب ) والمركب ما كان أحد ركنيه لفظاً مركباً ، ويسمى جناس التركيب ،  
وينقسم الى قسمين : مركب من كلمتين تامتين ، ويسمى بالملفوف .  
كقول القاضي الفاضل :

عضنا الدهر بنابه      ليت ، راحل بنابه  
لا يوالي الدهر إلا      خاملاً ليس بنابه

ومركب من كلمة وبعض كلمة ، ويسمى مرفوضاً ، كقول الحريري :  
والمكرمها استطعت لا نأته      لتقتني السوود والمكرمة  
وقوله أيضاً :

فلا تله عن تذكار ذنبك وابكه      بدمع يحاكي المزن حال مصابه  
ومثل لعينيك الحمام ووقعه      وروعة ملقاة ومطعم صابه

٣ - متشابه ومفروق ، لأنه إن توافقت المركبة من كلمتين مع غير المركبة  
في الخط لقب بالمشابه كقول بعض البلغاء : يا مغرور أمسك ، وقس يومك بأمسك ،  
وإن لم تنفقا فيه لقب بالمفروق نحو :

لا تعرضن على الرواة قصيدة      ما لم تبالغ قبل في تهذيبها  
فمضى عرضت الشعر غير مهذب      عدوه منك وساوسا تهذي بها

وغير التام ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأربعة المتقدمة :

١ - فإن اختلفا في هيئة الحروف سمي جناساً محرفاً ، والاختلاف قد يكون  
في الحركة فقط ، كقولهم : لا تنال الفرور<sup>(١)</sup> إلا بركوب الفرور ، وقد يكون في  
الحركة والسكون ، كقولهم : البدعة شرك لشرك .

وقول الحريري :

فقلت للاثني أقصر فلاني      سأختار المقام على المقام

(١) الفرور (بالضم) جمع أغر ، وهو الحسن من كل شيء ، (وبالفتح) التعرض للتهلكة .

٢ - وإن اختلفا في العدد سمي ناقصاً ، ويكون ذلك على وجهين :

( أ ) ما كان بزيادة حرف إما في الأول كقوله تعالى : ﴿ والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق ﴾ <sup>(١)</sup> ويسمى مردوفاً ، وإما في الوسط كقولهم : جدي جهدي <sup>(٢)</sup> ، ويسمى مكثفاً ، وإما في الآخر ، ويسمى مطرفاً ، كقول أبي تمام :

يمدحون من أيد عواص عواصم      تصول بأسياف قواض قواضب <sup>(٣)</sup>

( ب ) ما كان بزيادة أكثر من حروف ، ويسمى مذيلاً .

٣ - وإن اختلفا في نوع الحروف اشترط ألا يكون الاختلاف بأكثر من حرف ، وذلك على وجهين :

( أ ) أن يكون هو وما يقابله في الطرف الآخر متقاربي المخرج ويسمى مضارعاً ، والاختلاف إما في الأول كقول الحريري : بيني وبين كنى ليلي دامس وطريق طامس <sup>(٤)</sup> ، أو في الوسط كقولهم : البرايا أهداف البلايا ، أو في الآخر ، كقول الحريري لهم في السير : جرى السيل والى الخير جرى الخيل .

( ب ) أن يكونا غير متقاربي المخرج ويسمى لاحقاً ، والاختلاف إما في الأول نحو : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أو في الوسط نحو : ﴿ فأمما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ﴾ <sup>(٦)</sup> .

أو في الآخر ، كقول البحتري :

أما فات من تلاق تلاف      أم لشاك من الصباية شاف

٤ - وإن اختلفا في ترتيب الحروف سمي جناس القلب ، وهو ضربان :

(١) سورة القيامة الآية ٢٩ .

(٢) الجد الغنى والحظ ، والجهد التعب .

(٣) المواصي جمع عاصية من عصاه ، وعواصم من عصمه حفظه ، وقواض حاكيات بالقتل ، وقواضب قاطعات .

(٤) الكن البيت ، ردامس مظلم ، وطامس بعيد .

(٥) سورة الحمزة الآية ١ .

(٦) سورة الضحى الآيتان ١٠ و ١١ .

- ( أ ) قلب الكل ، كقولهم : حسامه فتح لأولياته ، حتف لأعدائه .  
 ( ب ) قلب البعض ، كقوله ﷺ : « اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » ،  
 وقول بعضهم : رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه ، وأطلق ما بين فكيه .

### تنبيهات

الأول - إذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سمي مقلوباً مجنحاً <sup>(١)</sup> ، كقول ابن نباتة المصري :

ساق يريني قلبه قسوة      وكل ساق قلبه قاسي

الثاني - إذا ولى أحد المتجانسين سمي مزدوجاً ومكرراً ومردداً كما في الحديث : « المؤمنون هينون لينون » ، وكقولهم : مَنْ طلب شيئاً وجدته وجد .  
 وقول البستي :

أبا العباس لا تحسب لشيني      باني من 'حلا الأشعار عار

الثالث - من التجنيس نوع يسمى تجنيس الإشارة ، وهو ألا يذكر أحد المتجانسين في الكلام ، ولكن يشار إليه بما يدل عليه ، نحو :  
 حلقت لحية موسى باسمه      ويهرون إذا ما 'قلبا

فلا شك أنك إذا ما قلبت هرون من آخره الى أوله بصير (نوره) ، لكنه لم يذكرها بلفظها ، بل أشار اليها بقوله : ويهرون إذا ما قلبا .

الرابع - يلحق بالتجنيس شيثان :

- ( أ ) أن يجمع اللفظين الاشتقاق ، كقوله تعالى : ﴿ فاقم وجهك للدين القيم ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقول أبي تمام : فيا دمع أنجدني على ساكني نجد .  
 ( ب ) أن تجمع اللفظين المشابهة وهي ما يشبه <sup>(٣)</sup> الاشتقاق وليس باشتقاق ، كقوله تعالى : ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) لأن اللفظين بمنزلة جناحين من البيت .

(٢) سورة الروم الآية ٣ : .

(٣) لتوافق اللفظين في جميع الحروف أو جلها ، فيتبادر الى الفكر أنها يرجعان الى أصل واحد وليساهما كذلك في الحقيقة .

(٤) سورة الرحمن الآية ٥٤ .

وقول البحتري :

إذا ما رباح جودك هبت صار قول العذول فيها هباء

قال في «أسرار البلاغة» : لا يحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حميداً ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً، أترك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذهبت بمذهبه السباحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

واستحسن تجنيس القائل : حتى نجا من خوفه وما نجا<sup>(١)</sup> . وقول المحدث :

ناظراه فيها جنى ناظراه أودعاني أمت بما أودعاني

لأمر يرجع الى اللفظ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعتك حروفاً مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا بجهولة منكورة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخذلك عن الفائدة وقد أعطاهما وبرهك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاهما، فهذه السريرة صار التجنيس، وخصوصاً المستوفى منه، المتفق في الصورة من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع، *في تكملة علوم العربية*

وقال ابن رشيق في «العمدة» : التجنيس من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك في تكلفه ، وقد أكثر منه الساقة المتعقبون في نظمهم ونثرهم ، حتى برد ورك ، اه .

وقال ابن حجة المموي في «خزانة الأدب» : أما الجناس فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب .

### رد العجز على الصدر - التصدير

هو في النثر جعل أحد اللفظين المكررين<sup>(٢)</sup> أو المتجانسين<sup>(٣)</sup> أو ملحقين<sup>(٤)</sup> بها اشتقاقاً أو شبه اشتقاق في أول الفقرة ، والآخر في آخرها ، فالمكرران نحو :

(١) نجا الأولى أحدث ، والثانية خلص .

(٢) أي المتفقين في اللفظ والمعنى .

(٣) أي المتفقين في اللفظ دون المعنى .

(٤) أي اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبهه .

﴿وتخشى الناسَ واللهُ أحقُّ أن تخشاهُ﴾<sup>(١)</sup> ، والمتجانسان نحو: سائل اللثم يرجع ودمه سائل، والملحقان بها اشتقاقاً ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾<sup>(٢)</sup> وشبه اشتقاق نحو: قال إني لعملكم من القالبي .

وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو في حشوه أو في آخره أو في صدر المصراع الثاني<sup>(٣)</sup> ، فالأول نحو:

تمنت سليمى أن أموت صباية      وأهون شيء عندنا ما تمنت

والثاني كقول الصمة بن عبد الله القشيري :

أقول لصاحبي والعيس تهوى      بنا بين المنيقة فالضمار  
تمتع من شميم عرار نجد      فما بعد العشية من عرار<sup>(٤)</sup>

والثالث كقول أبي تمام :

ومن كان بالبيض الكواكب مغرمًا      فما زلت بالبيض القواضب مغرمًا<sup>(٥)</sup>

والرابع كقول ذي الرمة :

وإن لم يكن إلا معرج ساعة      قليلا فإني نافع لي قليلها

والخامس كقول القاضي الأرجاني :

دعاني من ملامكما سفاها      فداعي الشوق قبلكما دعاني

والسادس كقول الثعالبي :

وإذا البلبال أفصحت بلغاتها      فانف البلبال باحتساء بلبال<sup>(٦)</sup>

والسابع كقول الحريري :

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

(٢) سورة فوح الآية ١٠ .

(٣) فالأقسام ستة عشر حاصلة من ضرب أربعة في أربعة .

(٤) العيس: الابل يخالط بياضها شقرة ، والمنيقة والضمار موضعان ، والعرار: وردة صفراء طيبة الرائحة ، ومن زائدة وما بعدها مبتدأ والظرف قبله خبر ، وما مهمل .

(٥) الكواعب الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، والقواضب السيوف القواطع .

(٦) البلبال الأولى جمع بلبل ، والثانية جمع بلبال وهو الحزن ، واللبال الثالثة جملة بلبلة

(بالضم) ابريق الحمر .

فشفوف بآيات المثاني ومفتون برئات المثاني<sup>(١)</sup>  
والثامن كقول القاضي الأرجاني :  
أملتهم ثم نأملتهم  
فلاح لي أن ليس فيهم فلاح  
والتاسع كقول البحري :  
ضرائب أبدعتها في السباح  
فلسنا نرى لك فيها ضربيا  
والعاشر كقول أبي العلاء :  
لو اختصرتم من الإحسان زرتكم  
والحادى عشر كقول ابن عينة المهلبى :  
فدع الوعيد فما وعيدك ضائري  
أطنين أجنحة الذباب يضير  
والثاني عشر كقول أبي تمام في مرثية محمد بن نهشل حين استشهد :  
وقد كانت البيض القواضب في الوغى  
بواتر وهي الآن من بعده بتر<sup>(٢)</sup>  
( تنبيه ) تركنا المثل الأربعة الباقية الملحقة بالتجانس التي يجمعها الاشتقاق  
الأكبر لقلة استعمالها .  
السجع - شروط حسنة - حكمه - أقسامه  
هو في المنشور بإزاء التصريح الآتي بيانه في المنظوم ، وهو لغة من قولهم :  
سجعت الناقة إذا مدت حنينا على جهة واحدة ، واصطلاحاً أن تتواطأ  
الفاصلتان في النثر على حرف واحد .

### شروط حسنة

- ١ - لا يحسن السجع كل الحسن إلا إذا استوفى أربعة أشياء :
- ٢ - أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السمع .
- ٣ - أن تكون الألفاظ خدم المعاني ، إذ هي تابعة لها ، فإذا رأيت السجع

(١) المثاني القرآن ، ورفات المثاني أي قصائد أوتار الزامير التي ضم طاق منها الى طاق .

(٢) الحصر : البرودة .

(٣) بواتر جمع باتر ، والباتر جمع أباتر أي مقطوع ، وقبل البيت :

نوى في الثرى من كان يحيا به الورى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر

لا يدين لك إلا بزيادة في اللفظ ، أو نقصان فيه ، فاعلم أنه من المتكلف المقوت .

٣ - أن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة .

٤ - أن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى يغاير ما دلت عليه الأخرى حتى لا يكون السجع تكراراً بلا فائدة .

ومنى استوفى هذه الشروط كان حلية ظاهرة في الكلام ، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاماً يخلو منه كما لا تخلو منه سورة ، وإن قصرت ، بل ربما وقع في أوساط الآيات ، كقوله تعالى : ﴿ لو نشاءُ أصبناهم بذنوبهم ، ونطبعُ على قلوبهم ﴾<sup>(١)</sup> .

### أقسامه

هو على ثلاثة أضرب : مرصع ، ومتواز ، ومطرف :

١ - فالمرصع ما اتفقت ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والنقبة كقول الحريري ، فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه ، وقول أبي الفتح البستي : ليكن إقدامك توكلًا ، وإحجامك تأملًا .

٢ - والمتوازي ما اتفق فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين نحو قوله تعالى : ﴿ والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله عز وعلا : ﴿ فيها سررٌ مرفوعةٌ وأكوابٌ موضوعةٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

٣ - والمطرف ما اختلفت فاصلته في الوزن وانفقتا في الحرف الأخير نحو : ﴿ مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله : جنابه محط الرحال ، ونعيم الآمال .

وأيضاً السجع إما قصير نحو : « والمرسلات عرفاً ، فالعاصفات عصفاً » ،

(١) سورة الأعراف الآية ١٠٠ .

(٢) سورة المرسلات الآية ١ .

(٣) سورة الغاشية الآية ١٣ .

(٤) سورة نوح الآية ١٣ .

وإما متوسط نحو: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر ﴾ (١) ، وإما طويل نحو: ﴿ إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أزاكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذا يريكهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقالكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور ﴾ (٢) .

### تنبيهات

الأول - أحسن السجع ما تساوت قرائنه كقوله تعالى: ﴿ في سدر مخضود ، وطلح منضود وظل ممدود ﴾ (٣) ، ثم ما طالت قرينته الثانية كقوله تعالى: ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ (٤) ، أو الثالثة ، نحو قوله عز و علا: ﴿ خذوه ، فذلوه ، ثم الجحيم صلوه ﴾ (٥) ، فلا يحسن أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى كثيراً ، لأن السجع إذا استوفى أمدّه في الأولى بطولها وجاءت الثانية أقصر منها كثيراً ، يكون كالشيء المبتور ، يؤيد ذلك الذوق السليم .

الثاني - الاسجاع مثبتة على سكون أو آخرها ، لأن المزاوجة بين الفقر في جميع الصور لا تتم إلا بالوقف ، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم: ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هو آت ، لم يكن بسد من إعطاء أو آخر القرائن ما يستلزمه حكم الإعراب فتختلف أو آخرها ويفوت السجع .

الثالث - يقال للجزء الواحد من السجع سجعة ، وجمعها سجمات ، وفقرة وجمعها فقر وفقرات وفقرات ، وقرينة لمقارنة أختها ، وتجمع على قرائن ، وللحرف الأخير منها حرف الروي أو الفاصلة .

الرابع - ربما غيرت الكلمة عن موضوعها في تصريف اللغة طلباً للسجع والمزاوجة بين الكلمة وأخواتها ، ألا ترى قوله عليه السلام في تعويذه لابن ابنته :

(١) سورة القمر الآية ١ .

(٢) سورة الأنفال الآيتان ٤٣ و ٤٤ .

(٣) سورة الواقعة الآية ٢٨ .

(٤) سورة النجم الآية ١ .

(٥) سورة الحاقة الآية ٣٠ .

« أعينه من الهامة والسامة ، والعين اللامة ، ، وأصلها الملة لأنها من ألم ، فعبر عنها باللامة لموافقة ما قبلها ، وقوله للنساء : انصرفن مأزورات غير مأجورات ، والأصل موزورات أخذاً من الوزر ، لكنه قال ذلك لمكان مأجورات .

الخامس - يرى بعض العلماء ومنهم الباقلاني وابن الأثير كراهة إطلاق السجع على القرآن الكريم لأنه نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلما يخلو من التكلف والتعسف ، الى أنه مأخوذ من سجع الحمام ، وهو هديره ، وإنما يقال في مثل ذلك فواصل ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿ كتاب "فصلت آياته" ﴾ (١) .

السادس - يرى بعضهم أن السجع غير مختص بالنثر ، بل يكون في النظم ، كقول أبي تمام يمدح أبا العباس نصر بن بسام :

تجلى به رشدي وأثرت به يدي      وفاض به ثمدي وأورى به زندي (٢)  
وقول الخنساء :

حامي الحقيقة محمود الخليفة      مهدي الطريقة نفاع وضرار  
جواب قاصية جزار ناصية      عقاد ألوية للخيال جرار  
وقول الآخر :

ومكارم أوليتها متورعاً      وجرائم ألغيتها متبرعاً

ومنه على هذا الرأي التشطير ، وهو أن يعمل في كل من شطري البيت سجعتان على روى مخالف لروى سجعتي الشطر الآخر كقول أبي تمام :

تدبير معتمد بالله منتقم      لله مرتقب في الله مرتقب (٣)

فالشطر الأول محتو على سجعتين مبنيتين على الميم ، والثاني محتو على سجعتين مبنيتين على الباء .

(١) سورة فصلت الآية ٣ .

(٢) قبله :

سأحمد نصراً ما حييت وإلثني      لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد  
رأثرت صارت ذات ثروة ، والتمد الماء القليل ، وأورى صار ذا وري أي فار .  
(٣) مرتقب أي راغب ، ومرتقب منتظر ثوابه .

## الموازنة

هي أن تكون الفاصلتان <sup>(١)</sup> متساويتين في الوزن دون التقفية كقوله تعالى : ﴿وَتَمَارِقَ مَصْفُوفَةٍ ، وَذُرَابِي مَبْثُوثَةٍ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المائلة .

فالأول كقول البحتري يمدح الفتح بن خاقان ويذكر مبارزته للأسد :

فأحجم لما لم يجد فيك مطعما وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

والثاني كقوله تعالى : ﴿وَأْتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقول أبي تمام من قصيدة يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات :

مها الوحش إلا أن هاتا أو انس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل <sup>(٤)</sup>

مركز تحقيق كتب القليب

هو أن يكون الكلام بحيث لو عكس وبديء بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير الكلام عما كان عليه .

ويجري ذلك في النثر والنظم ، كقوله تعالى : ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل :

« سر فلا كبا بك الفرس »

(١) أي الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين كما في الآية أو المصراعين ، كقوله :

هو الشمس قدرا والملوك كواكب هو البحر جوداً والكروام جداول

(٢) إذ الأولى على الفاء ، والثانية على التاء ، ولا عبرة بتاء التأنيث ، كما بين في علم القافية ، (سورة الناشية) .

(٣) سورة الصافات الآية ١١٨ .

(٤) مها الوحش أي كمها الوحش في سعة الأعين وسوادها ، وقنا الخط أي كقنا الخط في الاستقامة .

(٥) سورة المدثر الآية ٣ .

وقول القاضي الأرجاني :

مودته قدوم لكل هول وهل كل مودته قدوم<sup>(١)</sup>  
وقد يكون في الصراع الواحد ، نحو : « أرانا الإله هلالاً أثاراً » .

### التشريع

هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى إذا وقفت على كل واحدة منها ،  
وإنما يقع ذلك ممن كان ضليعاً متمكناً من صناعة النظم ، بارعاً مقتدراً ،  
كقول بعضهم :

اسلم ودمت على الحوادث مارسا ركناً ثبير أو هضاب حراء  
ونل المراد ممكناً منه على رغم الدهور وفز بطول بقاء

فيمكن أن يذكر على قافية أخرى ، وضرب آخر بأن يقال :

اسلم ودمت على الحوا دث مارسا ركناً ثبير  
ونل المراد ممكناً منه على رغم الدهور

لزوم ما لا يلزم - الالتزام - الشديد - الاعنات

هو أن يلتزم قبل الروي في الشعر ، أو الفاصلة في النثر شيء<sup>(٢)</sup> يتم السجع  
بدونه ، كقوله تعالى : ﴿ فإذا هم مبصرون ﴾ وإخوانهم يدونهم في الغي ،  
ثم لا يقصرون ، وقول الشاعر<sup>(٣)</sup> :

سأشكر عمرأ إن تراخت منيقي أبادي لم 'تقن وإن هي جلت  
ففي غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النبل زلت  
رأى خلقي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

(١) وقيل : « أحب المرء ظاهره جميل لصاحبه وباطنه سليم »  
(٢) أي لو جعلت القوافي أو الفواصل أسجاعاً لم يحتج إلى الاتيان بذلك الشيء وهذا الشيء  
أحد أمور ثلاثة : حرف وحركة معاً كما في الآية والأبيات بعدما ، وحرف فقط : كالقمر  
ومستمر ، في قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر  
مستمر ، وحركة فقط كقول ابن الرومي :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد  
ولا فمسا يبكيه منها وإنما لأوسع مما كان فيه وأرغد  
(٣) هو عبد الله بن الزبير (بفتح الزاي) الأسدي في مدح عمر بن عثمان بن عفان .

## تتمة

قال الإمام عبد القاهر: لا يحسن هذا النوع (المحسن اللفظي) إلا إذا كانت الألفاظ تابعة للمعاني ، فإن المعاني إذا أرسلت على سجيئتها ، وتركت وما تريد ، طلبت لأنفسها الألفاظ ولم تكتس إلا ما يليق بها ، فإن كان خلاف ذلك ، كان كما قال أبو الطيب :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ما له اسم في البديع ، على أنه نسي أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه أنه اذا جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا خير أن يقع ما عناه في عماء وأن يعمل السامع يتغبط خبط عشواء .



مركز تحقيقات كلية الدراسات الإسلامية

## السرقات الشعرية وما يتصل بها

إذا توافق الشاعر أن على اللفظ والمعنى ، أو المعنى وحده ، فإن لم يعلم أخذ الثاني من الأول ، جاز أن يكون من قبيل اتفاق القرائح وتوارد الأفكار من غير قصد الى سرقة وأخذ ، ويسمى ذلك موارد ، ويرشد الى ذلك ابن ميادة لما أنشد ابن الأعرابي قوله لنفسه :

مفيد ومتلاف إذا ما أتيتَه تهلل واهتز اهتزاز المهند

قبل له : أين يذهب بك ، هذا للحطيفة ، قال : الآن علمت أنني شاعر إذ وافقته على قوله ولم أسمع إلا الساعة .

ولذا لا ينبغي لأحد أن يحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم جلية أمره بأن يتيقن أنه كان يحفظ قول من سبقه حينما نظم أو بأن يخبر عن نفسه بأنه أخذ من تقدمه فإن لم يعرف ذلك فالواجب أن يقال : قال فلان كذا وقد سبقه اليه فلان فقال كذا ، حتى يتباعد عن دعوى العلم بالغيب ويسلم من انتقاص غيره ويكون صادقا فيما حكم وقال .

واعلم أن اتفاق القائلين إن كان في الغرض ، كالوصف بالشجاعة ، والسخاء ، والذكاء ، أو في وجه الدلالة على الغرض كوصف الرجل حثال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح ، وقلة الفكر ، ووصف الجواب بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم - لا يعد هذا سرقة ولا استعانة لأن تلك أمور اشتركت فيها العقول وتقررت بحكم العادات واستوى فيها الفصيح والأعجم ، كقولهم في الغزل : إن الطيف يحود بما يبخل به صاحبه ، وفي الممدوح : إن الممدوح يحود ابتداء من غير مسألة ، وفي الرثاء ، إن هذا الرزء أول حادث ، وإن هذا الذاهب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة ، الى أشباه ذلك مما يجري هذا المجرى .

أما إذا احتاج المعنى الى كد الفكر فذاك هو الذي يدعى فيه الاختصاص

والسبق ، لأنه لا يصل الى مثله كل أحد ، فهو جدير بالتفاضل بين القائلين فيقال :  
 إن أحدهما يفضل الآخر وإن الثاني زاد على الأول ، أو نقص ، كما فعل أبو تمام  
 فابتدع معنى جديداً ، ذلك أنه حين أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية  
 التي مطلعها :

ما في وقوفك ساعة من بامس      تقضي حقوق الأربع الادراس  
 حتى انتهى الى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حساتم      في حلم أحنفَ في ذكاء إياس  
 قال الحكيم الكندي : وأي فخر في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب ؟  
 فأطرق أبو تمام ، ثم أنشد :

لا تنكروا ضربي له من دونه      مثلاً شروداً في الندى والباس  
 فالله قد ضرب الأقل لنوره      مثلاً من المشكاة والنباس  
 فهذا معنى ابتكره ولم يتقدمه أحد به ، فمن أتى بعده بهذا المعنى أو يجزء منه  
 عدّ سارقاً له .

وهذه السرقات ، وإن تعددت فنونها وكثرت مذاهبها ، لا تخرج عن ثمانية  
 أنواع ، وهي :

١ - النسخ - الانتحال ، وهو سرقة مذمومة ، وحقيقته أن يأخذ أحد  
 الشعارين معنى صاحبه ولفظه ، كله أو أكثره ، فهو إذاً على قسمين :  
 ( أ ) أن يأخذ لفظ الأول ومعناه ، ولا يخالفه إلا بروي القصيدة ، كقول  
 امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم      يقولون لا تهلك أسى وتحمل  
 أخذه طرفه وأجراه على منواله الأول ، فقال :

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم      يقولون لا تهلك أسى وتحمل  
 ( ب ) أن يأخذ المعنى وأكثر اللفظ ، كقول الأبيروعي :

فقي يشتري حسن الثناء بماله      إذا السنة الشهباء أعوزها القاطر  
 وقول أبي نواس :

فقي يشتري حسن الثناء بماله      ويعلم أن الدائرات تدور

٢ - المسخ أو الاغارة ، وهو أن يأخذ الشاعر بعض اللفظ ، أو يغيّر بعض النظم ، وهو ثلاثة أضرب :

( أ ) أن يكون الثاني أبلغ من الأول لاختصاصه بحسن السبك ، أو جودة الاختصار ، أو الايضاح ، أو زيادة المعنى ، وهو مقبول ممدوح كقوله :

خلقنا لهم في كل عين وحاجب      بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

مع قول ابن نباتة ، وهو بعده :

خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم      عيوناً لها وقع السيوف حواجب

فقد زاد هذا معنى لم يطرقه الأول ، وهو إشارة الى انهزامهم .

( ب ) أن يكون الثاني دون الأول في البلاغة ، وهذا خليق بالرد ، كقول أبي تمام :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله      إن الزمان بمثله لبخيل

مع قول أبي الطيب ، وقد أخذ عنه ، وقصر عن الغاية التي وصل إليها سابقه :

أعدى الزمان سخاؤه فسخاؤه      ولقد يكون به الزمان بخيلاً<sup>(١)</sup>

إذ قوله يكون بلفظ المضارع لم يقع موقعه ، إذ المعنى على الماضي لكن الوزن ألجأ الى ذلك .

( ج ) أن يكون الثاني مثل الأول ، وحينئذ يكون بعيداً من الذم ، والفضل للسابق ، كقول أبي تمام :

لو حار مرتاد المنية لم يجد      إلا الفراق على النفوس دليلاً<sup>(٢)</sup>

مع قول أبي الطيب :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت      لها المنايا الى أرواحنا سبلاً

( ١ ) المعنى أن الزمان سخا به علي ، وكان بخيلاً به ، فلما أعداه سخاؤه أسعدني بضمي اليه وهدأيتي له .

( ٢ ) حار تحير في التوصل الى إهلاك النفوس ، ومرتاد المنية الاضافة فيه للبيان أي مرتاد هو المنية ، والمعنى : لو تحيرت المنية لم تجد لها طريقاً يوصلها لذلك إلا فراق الاحبة .

٣ - السُلخ والإلغام ، وهو أخذ المعنى وحده ، وهو أيضاً ينقسم الى ثلاثة أقسام :

( أ ) أن يكون الثاني ممتازاً بحسن سبكه ، وبلاغته ، ورصانته ، كقول البحاري :

تصد حياء أن تراك بأوجه      أتى الذنب عاصيها فلم مطيعها  
مع قول أبي الطيب ، وهو أحسن منه سبكاً :

وجرم جره سفهاء قوم      وحل بغير جارمه العذاب

وكانه اقتبس من قوله تعالى : ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ (١).

( ب ) أن يكون الثاني دون الأول ، كقول بعض الأعراب :

وريحها أطيب من طيبها      والطيب فيه المسك والعنبر

مع قول بشار ، وقد أخذ منه وقصر عنه في المعنى ، حيث يقول :

وإذا أدنيت منها بصلاً      غلب المسك على ربيع البصل

( ج ) أن يتساوى الأول والثاني ، كقول بعضهم يذكر ابناً له قد مات :

الصبر يحمد في المواطن كلها      إلا عليك فإنه مذموم

مع قول أبي تمام بعده :

وقد كان يدعي لابس الصبر حازماً      فأصبح يدعي حازماً حين يجرع

وهذه الأنواع الثلاثة من الأخذ الظاهر ، أما غير الظاهر فهو ذو 'شعب كثيرة ، أهمها :

٤ - التشابه ، وهو أن يتشابه معنى الأول والثاني ، كقول الطرماح ابن حكيم الطائي :

لقد زاد حباً لنفسي أنني      بغيض إلى كل امرئ غير طائل

مع قول المتنبي :

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٥ .

وإذا أنتك مذمقي من ناقص فهي الشهادة لي يائي كامل

فإن ذم الناقص أبا الطيب كبغض مَنْ هو غير طائل الطرماح ، وشهادة ذم الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرماح لنفسه .

وليس بضائر في التشابه اختلاف الغرضين كأن يكون أحدهما نسيباً والآخر مديحاً أو هجاء أو افتخاراً ، فإن الحاذق مَنْ يتحيل في إخفاء مأخذه بتغيير لفظه والعدول عن الوزن والقافية .

٥ - النقل ، وهو أن ينقل معنى الأول الى غير محله ، كقول البحتري :

'سلبوا فشرقت الدماء عليهم  
محرة فكأنهم لم 'سلبوا'<sup>(١)</sup>  
نقله المتنبي الى السيف فقال :

يبس النجيع عليه وهو مجرد  
عن غمده فكأنما هو مفعد<sup>(٢)</sup>

٦ - أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الأول ، كقول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم  
وجدتُ الناس كلهم غضاباً  
أخذه أبو نواس ، وعم فيه ، فقال ، يستعطف الرشيد لما سجن  
الفضل البرمكي :

وليس على الله بمستنكر  
أن يجمع العالم في واحد

٧ - القلب ، وهو أن يكون معنى الثاني نقبض معنى الأول ، كقول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذينة  
حباً لذكرك فليأمني اللوم  
قلبه أبو الطيب فقال :

أأحبه وأحب فيه ملامة  
إن الملامة فيه من أعدائه<sup>(٣)</sup>

(١) يريد أنهم سلبوا ثيابهم فكانت الدماء الملبسة لاشراق الشمس بمنزلة الثياب لهم .

(٢) النجيع الدم المائل الى البواد ، يريد أن الدم اليابس صار بمنزلة القعد له .

(٣) الاستفهام فيه للانكار ، وجملة وأحب فيه ملامة حالية ، والانكار راجع للجمع بين محبته ومعية الملامة فيه .

فأبو الشيص يصرح بحب الملامة من حيث اشتغال اللوم على ذكر المحبوب ، وهذا محبوب له .

والمتنبي صرح بكرهاتها لصدورها من أعدائه ، وكل ما يصدر من العدو فهو مبغوض ، فكل منها نحا منحى غير الآخر .

٨ - أن يؤخذ بعض المعنى ، ويضاف إليه زيادة تحسنه ، كقول الأفوه الأودي :

وترى الطير على آثارنا رأي عين ثقة أن ستمار

مع قول أبي تمام :

لقد ظلمت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل<sup>(١)</sup>

فقد أفاد الأفواه بقوله : رأي عين قريبها ، لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر ، وهذا القرب إنما كان لتوقعها القريسة ، وبقوله : ثقة أن ستمار ، تأكدها بما هي طامحة إليه .

أما أبو تمام فلم يحجم حول هذا ، ولكنه زاد عليه قوله : إلا أنها لم تقاتل ، وقوله : في الدماء نواهل ، ثم بإقامتها مع الرايات حق كأنها من الجيش ، ومن أجل هذا حسن أن يقول : إلا أنها لم تقاتل ، وهذه الزيادة أكسبت كلامه حسناً وطلاوة ، وإن كان قد ترك بعض ما ألم به الأفوه .

(تنبيه) الأنواع التي ليس الأخذ فيها ظاهراً مقبولة كلها ، بل منها ما يدق فيه الصنع ويخفى فيه مكان الأخذ حق يخرج بحسن التصرف وجودة السبك من حيز الأخذ والاتباع ، إلى أن يكون أشبه بالاختراع والابتداع .

أما ما يتصل بالسرقات الشعرية ، فهو : الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحل ، والتلميح :

١ - الاقتباس ، أن يضمن المتكلم منشوره شيئاً من القرآن ، أو الحديث ،

---

(١) إضافة عقبان إلى الأعلام من إضافة المشبه به للمشبه أي الأعلام التي هي كالعقبان في تلونها وفخامتها لأن الأعلام بمعنى الرايات فيها ألوان مختلفة كالعقبان ، وقوله بعقبان طير متعلق بظلمت أي أنها لزممت فوق الأعلام فألقت ظلها عليها ، والتواهل من نهل إذا روى .

تفخيماً لشأنه وتزييناً لسبكه على وجه لا يشعر<sup>(١)</sup> بأنه منه ، كقول ابن نباتة الخطيب :

« فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون ، ما لكم لا تشفقون فرب السماء والأرض إنه لحق مثل ما انكم تنطقون » .

وقول الحريري : أنا أنبئكم بتأويله ، وأميز صحيح القول من عليه .  
وقول الحماسي :

إذا رمت عنها سلوة<sup>٢</sup> قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر  
ستبقى لها في مضمرة القلب والحشا سريرة حب (يوم قبلى السرائر)

وقول أبي الفضل بديع الزمان الهمداني :

لآل فريغون في المكرمات يد أولا واعتذار أخيراً  
إذا ما حلت بمغناهم ﴿ رأيت نعيماً ومُلْكاً كبيراً ﴾<sup>(٣)</sup>

وقول الحريري : « وكتان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة » .  
فقوله : انتظار الفرج بالصبر عبادة ، لفظ الحديث .

وقول صاحب بن عبّاد :

قال لي إن رقيي سيء الخلق فداره  
قلت دعني « وجهك الجنة حفت بالمكاره »

اقتبسه من الحديث 'حفت الجنة بالمكاره' وحفت النار بالشهوات ،  
والاقتباس ضربان :

( أ ) ما لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي الى معنى آخر ، كما  
تقدم من الأمثلة .

( ب ) ما نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي ، كقول ابن الرومي :

---

(١) أما اذا قال في أثناء الكلام : قال الله تعالى كذا ، أر : قال النبي عليه السلام كذا ،  
فلا يسمى اقتباساً .

(٢) سورة الانسان الآية ٢٠ .

لئن أخطأتُ في مدحك ما أخطأتُ في منعي

لقد أنزلت حاجاتي (بواد غير ذي ذرع)

فهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾<sup>(١)</sup> ، فمعناه في القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات .

نقله ابن الرومي الى رجل لا خبر فيه ولا نفع ، ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره ، كقول بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه :

قد كان ما خفت أن يكونا      إنما إلى الله راجعون

(تتمة) الاقتباس على ثلاثة أقسام :

(أ) مستحسن ، وهو ما كان في الخطب والمواظ .

(ب) مباح ، ما كان في الغزل والرسائل والقصص .

(ج) مردود ، ما كان في الهزل ، كقول الفائل :

أوحى إلى عشيقه      (هيهات هيهات لما توعدون)  
وردفه ينطلق من خلفه      (لمثل هذا فليعمل العاملون)

٢ - التضمين<sup>(٢)</sup> ، وهو أن يضمن الشاعر كلامه شعراً من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر وذي اللسان ، كقول الحريري يحكي ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع :

على اني سأنشد عند بيعي      (أضاعوني وأي فتي أضاعوا)  
المصراع الأخير للعرجي ، وأصله :

أضاعوني وأي فتي أضاعوا      ليوم كربة وسداد ثفر<sup>(٣)</sup>

أما تضمينه فلا تنبيه عليه لشهرته ، فكقوله :

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٧ .

(٢) تضمين البيت فما زاد استعانة وتضمين المصراع فما دونه يسمى رفواً وإبداعاً .

(٣) الكربة : الحرب ، والسداد : سد الثغر بالخيول والرجال ، والثفر : الموضع الذي يخشى منه العدو ، والاستفهام أي أضاعوني وأنا أكمل الفتيان في وقت الحاجة لسداد الثغر .

قد قلت لما أطلعت وجناته      حول الشقيق الغض روضة آس  
أعذاره الساري المعجول ترفقن      ما في وقوفك ساعة من بأس<sup>(١)</sup>

المصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام :

ما في وقوفك ساعة من بأس      نقضي حقوق الأربع' الأدراس

وأحسن التضمين أن يزيد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية  
والتشبيه في قوله :

إذا الوهم أبدى لي لماها وثرها      تذكرت ما بين العذيب وبارق  
ويذكرني من قدمها ومدامي      بحر عواليها ومجرى السوابق<sup>(٢)</sup>

المصراعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب :

تذكرت ما بين العذيب وبارق      بحر عواليها ومجرى السوابق

يريد المتنبي أنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين يحرون الرماح عند مطا الثغرى  
ويسابقون على الخيل ، أما الآخر فأراد بالعذيب تصغير عذب وعزبه شفة الحبيبة  
وببارق ثغرها ، أي ثغرها الشبيه بالبرق وبما بينها ريقها ، وهذه تورية بديعة  
نادرة في بابها ، وشبه تبختر قدما بتمايل الرماح وتتابع دموعه يحريان  
الخيل السوابق .

٣ - العقد ، هو نظم المنشور لا على جهة الاقتباس<sup>(٣)</sup> ، ومن شرطه أن يأخذ  
المنشور بجملة لفظه ، أو بمعظمه ، فيزيد النظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ،  
فعقد القرآن كقوله :

أنلني بالذي استقرضت خطا      وأشهد معشراً قد شاهدوه  
فإن الله خلاق البرايا      عنت لجلال هيبتة الوجوه  
يقول : ( إذا تدانتم بسدين      إلى أجل مسمى فاكتبوه )

وعقد الحديث كقوله :

(١) أطلعت : أبدت ، والشقيق : ورد أحمر .

(٢) اللى : سمرة الشفتين ، ومجرى : رؤوس الرماح .

(٣) فإن كان النثر قرآناً أو حديثاً وأريد نظمه فلا بد أن يغير فيه تغييراً كثيراً ، أو يشير  
إلى أنه من القرآن أو الحديث .

إن القلوب لأجناد مجندة<sup>١</sup>      بالأذن من ربها تهوى وتأتلف  
فما تعارف منها فمو مؤتلف      وما تناكر فهو مختلف  
عقد لقوله ~~تألف~~ : «الأرواحُ جنودُ مجندة ما تعارف منها ائتلف  
وما تناكر منها اختلف» .

٤ - الحل ، وهو نثر النظم ، وشرط قبوله أمران :

( أ ) أن يكون سبكاً جيداً لا ينقص عن سبك أصله .

(ب) أن يكون حسن الموقع مستقراً في محله غير قلق ولا ناب ، كقول  
بعضهم في وصف السيف : أورثه عشق الرقاب ، نحو : فبكى والدمع  
مطر ، تزيد به الحدود محولا ، حل قول أبي الطيب :

في الحد إن عزم الخليط رجلاً      مطر تزيد به الحدود محولا<sup>(١)</sup>

وقول بعض المغاربة : فإنه قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء  
الظن يقتاده ويصدق توهمه الذي يعتاده<sup>(٢)</sup> ، حل قول أبي الطيب<sup>(٣)</sup> :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهُ      وصدق ما يعتاده من توهم

٥ - التلميح ، هو أن يشير الناثر أو الناظم في قرينة سجع ، أو بيت شعر ،  
إلى قصة معلومة ، أو نكتة مشهورة ، أو بيت حفظ لتواتره ، أو مثل رائع ،  
أو حكمة مستملحة .

وأحسنه وأبلغه ما حصل به زيادة في المعنى المقصود ، كقول بعضهم في مליح  
اسمه بدر :

يا بدر أهلك جاروا      وعلموك التجري      وقبحوا لك وصلي  
وحسنوا لك هجري      فليفعلوا ما أرادوا      فإنهم أهل بدر

(١) الخليط من يخالطك وأراد به الحبيب ، ومحول الحدود ذهب تضاربتا .

(٢) القملات الأفعال وحنظلت نخلاته أي صارت كالحنظل والمراد بها نتائج أفكاره .

(٣) قاله يشكو سيف الدولة واسمعه لقول أعدائه .

إشارة الى قوله ﷺ لعمر حينما سأل قتل حاطب <sup>(١)</sup> بن أبي بلعنة ، وكان  
من شهد بدرأ ، لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال : « اعملوا ما شئتم فقد  
غفرت لكم » .

وقول الحريري : بتة بليلة نابغة ، أو ما به الى قول النابغة :

فبتة كأنني ساورقني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم فاقع

وقول آخر :

لعمرو من الرمضاء والنار تلتظي ارق وأحفي منك في ساحة الكروب

إشارة الى البيت المشهور :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار <sup>(٢)</sup>

وقد وقع هذا النوع كثيراً في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ كمثل العنكبوت  
اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت ﴾ <sup>(٣)</sup> ، يشير إلى المثل :  
أزق من نسج العنكبوت وأضعف من بيتها .

مركز تحقيق تكملة تفسير علوم إسماعيل

---

(١) لأنه أرسل خطاباً مع امرأة لأهل مكة سراً يخبرهم بعزم النبي عليه السلام وأصحابه  
على فتحها ، ليكون له يد عندهم ، فعلم النبي ذلك بالوحي .  
(٢) عمرو هو قاتل كليب ، وقد طلب منه ماء حين أجهز عليه وطلب إغاثة فامتنع .  
(٣) سورة العنكبوت الآية ٤١ .

## خاتمة

ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع : الابتداء ، التخلص ، الانتهاء .

١ - فالابتداء هو أن يجعل المتكلم مبدأ كلامه حسن الوصف عذب اللفظ ، صحيح المعنى ، فإذا اشتمل على إشارة إلى المقصود سمي براعة استهلال .

قال ابن رشيق في «العمدة» : إن حسن الافتتاح ، داعية الانشراح ، ومطية للنجاح ، كما جاء في الخبر الشعر قفل أوله مفتاحه ، فعلى الشاعر أن يحوّد ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده ، وليتجنب (ألا وخليلي وقد) فلا يستكثر منها في ابتدائه فإنها من علامات الضعف والتكلان إلا للقدماء وليجعله حلواً سهلاً وقصياً جزلاً ، اهـ .

ومن جيد الابتداءات قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل  
بسقط اللوى بين الدخول فحومل<sup>(١)</sup>

فقد وقف واستوقف وبكى واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد ، وقول النابغة الجعدي :

كليني لهم يا أميمة ناصب  
وليل أفاسيه بطيء الكواكب

وقد فضلوا بيت النابغة على البيت الأول ، لأن الشطر الثاني منه كثير الألفاظ قليل المعنى غريب اللفظ .

وقد كان أبو تمام في الموضع الذي لا يحارى في فخم ابتداءاته لما لها من الروعة والجلال ، كقوله يهني المعتصم بفتح عمورية ، مع أن المنجمين كانوا قد زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

---

(١) السقط : منقطع الرمل حيث يدق ، واللوى رمل معوج ملتو ، والدخول وحومل : موضعان .

السيف أصدق أنباء من الكتب      في حده الحد بين الجد واللعب  
 بيض الصفائح لا سود الصحائف      في متونهن جلاء الشك والريب  
 ومن جيد الابتداءات المستملة على براعة الاستهلال قول حافظ إبراهيم في تحية  
 عام هجري :

أطل على الأكوان والخلق تنظر      هلال رآه المسلمون فكبروا  
 وقول أحمد شوقي في رثاء إسماعيل صبري :

أجل وإن طال الزمان موافى      أخلى يدبك من الخليل الوافي  
 وقوله أيضاً في فوز الأتراك على اليونان :

الله أكبر كم في الفتح من عجب      يا خالد الترك جدد خالد العرب

وربما خان الحظ بعض الشعراء المفلقين وأرقعهم نحس الطالع في مهواة سحابة  
 لا قرار لها إما من غفلة أو غلطة في الطبع أو استغراق في الصنعة وشغلها جس  
 بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب ، واعتبر ذلك بما أنشده ذو الرمة حين  
 دخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من قوله :

ما بال عينك منها الماء منسكب      كأنه من كل مصرية سرب<sup>(١)</sup>

وكان به رمش فهي تدمع أبداً ، فظن أنه عرض به ، فقال : بل عينك ،  
 وأمر بإخراجه .

وقيل إنه لما بنى المعتصم قصره بميدان بغداد وجمع عظماء دولته وجلس فيه  
 في يوم حفل أنشده إسحاق الموصلي :

يا دار غيرك البلى ومحالك      يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

فعلى الخاذق الفطن أن ينظر في أحوال مخاطبين ويختار للأوقات ما يشاكلها  
 فيقصد ما يحبون ويتجنب ما يكرهون سماعه .

٢ - التخلص - الخروج ، هو أن ينتقل الشاعر من فن إلى آخر باحسن  
 أسلوب مع لطف تخيل وحسن تخلص ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة

(١) الكلى جمع كلية (بضم الكاف) والمصرية المعززة ، والسرب الجاري .

الانتقام ، كأنها أفرغا في قالب واحد ، وذلك يحرك من نشاط السامعين ويعين على إصفااتهم ، وأحسنه ما تنهيا للناظم في بيت واحد كقول مسلم بن الوليد يمدح يحيى البرمكي :

أجذك ما تدرين أن رب ليـلة      كأن دجاها من قرونك ينشر  
سريتُ بها حق تجلت بفرقة      كفرة يحيى حين يذكر جعفر<sup>(١)</sup>

ويليه ما جاء في بيتين كقول المتنبي يمدح المغيث بن علي المعجلي :

مررت بنا بين تريبها فقلت لها      من أين جانس هذا الشادن العربا  
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى      ليل الشرى وهو من عجل إذا انتسبا<sup>(٢)</sup>

وأكثر الناس ولوعاً بهذا النوع أبو الطيب ، ولأجله يسقط سقوطاً قبيحاً ، كقوله :

ها فانظري أو فظني بي ترى حرقاً      من لم يذق طرفاً منهم فقد وألا  
على الأمير يرى ذلي فيشفع لي      إلى التي تركتني في الهوى مثلاً<sup>(٣)</sup>  
فقد تمنى أن يكون الأمير قواداً له .

والمأخرون كلهم على الجملة فلما يفوتهم سلوك هذه الطريق ، أما العرب فما كانوا يذهبون هذا المذهب في الخروج من المديح ، بل يقولون عند فراغهم من نعت الإبل وذكر القفار وما هم بسبيله : دع ذا ، وعد عن ذا ، ثم يأخذون فيما يريدون ، ويسمى هذا اقتضاباً ، كقوله :

فدع ذا وسل الهمة عنك بحسرة      ذمول إذا صام النهار وهجرا<sup>(٤)</sup>

أو يأتون بأن المشددة ابتداء للكلام الذي يقصدونه ، وكثيراً ما كان البحثري يسلك هذه الطريقة كقوله :

---

(١) أجذك (بكسر الجيم وفتحها) لا يتكلم به إلا مضافاً ، والمعنى : أيجد منك هذا فنصبه على طرح الباء ، فإذا سبق بالوار فقليل : وجدك ، فهو مفتوح الجيم ليس غير .

(٢) القرب واللدة المساوي في السن ، والشادن : الظبي إذا شدت قرنه وقوي ، واستضحكت : ضحكت ، والثري مأسدة مشهورة .

(٣) الحرق جمع حرقه ما يحده الانسان من لدغة حب أو حزن ، ووال نجا .

(٤) الجسرة الطوية الضخمة من النوق ، والذمول التي تسير ذميلاً أي حثيثاً ، وصام النهار قام قائم الظهيرة واعتدل .

لولا الرجاء لمت من ألم النوى      لكن قلبي بالرجاء موكل  
إن الرعية لم تزل في سيرة      عمرية منذ ساسها المتوكل

ومن الاقتضاب ما هو شبهه بالتخلص كما يقول القائل بعد حمد الله ، أما بعد  
فكذا ، وكقوله تعالى : ﴿ هذا وإن للطاغين لشر مآب ﴾ (١) ، أي هذا  
كما ذكر ، وقول المؤلف : هذا باب ، هذا فصل .

٣ - الانتهاء - الاختتام ، هو أن يختم المتكلم كلامه بأحسن الخواتم ، إذ هي  
آخر ما يبقى منه في الأسماع ، وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بها  
فوجب أن تكون غاية في الجودة وألا يكون سبيل للزيادة عليها ، ولا لأن يؤتي  
بعدها بأحسن منها في رشافتها وحلاوتها وقوتها وجزالتها ، مع تضمنها معنى تاماً  
يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية ، فإن دل على ما يشعر بالانتهاء سمي  
براعة مقطع .

ولقد ختم الله تعالى كل سورة من سور القرآن الكريم بأحسن ختام ، وأتمها  
بما يطابق مقصدها من أدعية أو وعد أو وعيد أو موعظة أو تحميد إلى غير ذلك  
من الخواتم الرائعة .

وقد أجاد سلوك هذا الطريق المتأخرون ، كأبي نواس وأبي تمام والبحتري ،  
ولا سيما المتنبي ، فإنه أتى فيه بالمعجب المعجاب ، فمن ذلك قول أبي نواس  
في المأمون :

فبقيت للعلم الذي تهدي له      وتقاعست عن يومك الأيام

فانظر كيف تضمنت هذه الخاتمة الدعاء بالبقاء مع المدح والإعظام ،  
وقول أبي تمام :

فما من ندي إلا إليك محله      ولا رفعة إلا إليك تسير

وقول ثالث :

فلا حطت لك الهيجاء سرجا      ولا ذاق لك الدنيا فراقا

وقول الأرجاني :

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشعاً      فإني في هذا الزمان فريد

(١) سورة ص الآية ٥٠ .

وقول ابن حجة في بديعته :

عليك سلام نشره كلما بدا به يتغالي الطيب والمسك يختم

### تدريب أول

بين نوع المحسن اللفظي فيما يلي :

- ١ - حمدق الآجال آجال والهوى للمرء قتال
- ٢ - وسميته يحى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل
- ٣ - قد بلينا في عصرنا بأناس بظلمون الأنام ظلماً عنا
- ٤ - يا كلون التراث أكلا لما ويحبون المال حباً جماً
- ٥ - اللهم اعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً
- ٦ - أشكو وأشكر فعلة فأعجب لشاك منه شاكر
- ٧ - قابل بشكرك من قلت عطيتك في الناس أو كثرت واستبقى إيناساً
- ٨ - ولا تم ساخط منهم على أحد (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)
- ٩ - يسار من بجيتها المنايا ويمنى من عطيتها اليسار
- ١٠ - فحوض عدلك عذب مفدق خضر وروض فضلك رحب موتق خضر

### الاجابة

- ١ - في هذا البيت جناس تام مماثل بين الآجال وآجال ، إذ الأولى جمع إجل (بكسر الهمزة) وهو القطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع أجل ، وهو أمد العمر .
- ٢ - فيه جناس تام مستوف بين يحى ويحيا .
- ٣ - فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ونأكلون التراث أكلاً لما يحبون المال حباً جماً ﴾ (١) .
- ٤ - فيه سجع مرصع ، لأن إحدى الفقرتين كالثانية في الوزن والتقفية .

(١) سورة الفجر الآية ٢٠ .

- ٥ - فيه جناس ناقص لاختلافها في العدد .
- ٦ - فيه اقتباس من الحديث الشريف : « لا يشكر الله مَنْ لا يشكر الناس » .
- ٧ - فيه رد العجز على الصدر لوجود أحد اللفظين المتفقين لفظاً ومعنى في آخر البيت ، والآخر في صدر المصراع الثاني .
- ٨ - فيه سبع مرصع لاتفاق كل لفظ من صدره مع نظيره من العجز وزناً وروياً .

### تدريب ثان

- ١ - كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهي      حق تعود لي الحياة وأنت هي
- ٢ - ﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾ ، وإنه لحب الخير لشديد ﴿ <sup>(١)</sup> ﴾
- ٣ - يعشى عن المجد الغبي ولن ترى      في مؤدد أربابا لغير أريب
- ٤ - سل سبيلا فيها الى راحة النفس      من براح كأنها سلسيل
- ٥ - في الحديث : « اللهم إني أدرك بك في نحرهم ، وأعوذ بك من شرورهم » .
- ٦ - ليتهم سموه باسم سوى ذا      إنما التبريع دين قوم
- ٧ - وما اشتهر العمل ، مَنْ اختار الكسل
- ٨ - فلو كانت الأخلاق تحوي ورائة      ولو كانت الآراء لا تتشعب
- لأصبح كل الناس قد ضمهم هوى      كما أن كل الناس قد ضمهم أب
- ولكنها الأقدار كل ميسر      لما هو مخلوق له ومقرب

### الاجابة

- ١ - فيه جناس تام ومفروق للشابه الركنين لفظاً لا خطأ .
- ٢ - فيه جناس مضارع لاختلافها في نوع الحرف مع تقارب المخرج .
- ٣ - فيه ما يلحق بالجناس ، لأنه يجمع اللفظين ، وهما أرب وأريب الاشتقاق .

(١) سورة العاديات الآيتان ٧ و ٨ .

٤ - فيه رد المعجز على الصدر ، لأن أحد اللفظين المتجانسين في آخر المصراع الأول ، والآخر في صدره .

٥ - فيه سجع متواز ، لأن الفقرتين اتفقتا في الكلمتين الأخيرتين .

٦ - فيه تشريع لأن البيت مبني على قافيتين ، إذ يمكن أن يسقط منه شيء ، فيصير :

ليتهم سموه باسم إنفا التشريع دين  
فينقلب من المديد الى الرمل .

٧ - فيه لزوم ما لا يلزم لأن قبل الفاصلة حركة وحرفاً ليسا لازمين .

٨ - فيه اقتباس من الحديث : « اعملوا كل ميسر لما خلق له » .

### قرين أول

- ١ - بقيت لنا نجوم مدى الليالي فإنك ما بقيت لنا بقينا  
٢ - سل طائراً صدع الفؤاد بسحرة أتراه غرد صاعداً أم صادحا  
٣ - واستجب في الهوى دعائي إني لم أك بالدعاء رب شقيا  
٤ - حي 'عربا بالخيف من حي ليلى وأقر عيني السلام هنداً وليلى  
٥ - لا كان إنسان تيمم قاصداً صيداً لما فاصطاده إنسانها  
٦ - رماني زمان فلم يرعوا لعالي المنار وغالي المنال  
٧ - وهن العظم بالبعاد فهب لي رب باللفظ من لدنك وليا

٨ - ودارهم ما دمت في دارهم ، وحيهم ما دمت في حيهم

٩ - له مبسم كالبرق ضياء ولما ، وأعين يخيل لي من سحرهم أنها تسمى

١٠ - كنت أطمع في تجريبك ، ومطايا الجهل تجري بك

## تمرين ثان

- ١ - دعت النوى بفراقهم فتشتتوا وقضى الزمان بينهم فتبددوا  
وهو ذمهم الحالين فما به شيء سوى جود بن ارتقى يحمده  
٢ - فلم تضع الأعادي قدر شاني ولا قالوا فلان قد رشاني  
٣ - وإن أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الأنامل له  
٤ - قال الخطيب ابن نباته ، يذكر أهوال يوم القيامة :

« هنالك يرفع الحجاب ، ويوضع الكتاب ، ويجمع من له الثواب ،  
وحق عليه العقاب ، فيضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة  
وظاهره من قبله العذاب » .

٥ - قال الشافعي رضي الله عنه *تمجيد علوم راسدي*

عمدة الخير عندنا كلمات أربع قالهن خير البريه  
اتق المشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنيه

٦ - قال ابن المعتز :

أرى الجيرة الذين قد دعوا عند سير الحبيب وقت الزوال  
علموا أنني مقم وقلبي راحل فيهم أمام الجمال  
مثل صاع العزيز في أرحل القوم ولا يعلمون ما في الرحال

٧ - قال المتنبي في مطلع قصيدة :

« أراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي »

- ٦
- ٨ - خليلي ما لي لا أرى غير شاعر  
فلا تمجبا إن السيوف كثيرة
- ٩ - وإني جدير إذ بلفتك بالني  
فإن تولني منك الجميل فأمله
- ١٠ - فهمت كتابك يا سيدي  
فهمت ولا عجب إن أهيمما
- فكم منهم الدعوى ومني القوائد  
ولكن سيف الدولة اليوم واحد
- وأنت بما أملت فيك جدير  
وإلا فلاني عاذر وشكور



مركز تحقيقات علوم اسلامی

## فوائد من البلاغة

لقد رأينا القطع الآتية تشمل على فوائد من البلاغة ، فأحببنا وضعها لتكون  
نماذج في التطبيق على الفنون الثلاثة :

قال عبد الله فكري المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ينصح ابنه :

إذا نام غر في دجى الليل فاسهر      وقم للعالي والعوالي وشمر  
وسارع الى ما رمت ما دمت قادراً      عليه وإن لم تبصر النجى فاصبر  
وأكثر من الشورى فإنك إن تصب      تجد مادحاً أو تخطيء الرأي تعذر

مركز تحقيق مكتبة التراث العربي

وقالت عائشة التيمورية المتوفاة سنة ١٣٢٠ هـ :

بيد العفاف أصون عز حجابي      وبمصمقي أسمو على أترابي  
وبفكرة وقادة وقريحة      نقادة قد كملت آدابي  
ما ضرني أدبي وحسن تعلمي      إلا بكوني زهرة الألباب

وقال صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٨٧٤٠ هـ في وصف حديقة :

وأطلق الطير فيها سجع منطقته      ما بين مختلف منه ومتفق  
والظل يسرق بين الدوح خطوته      وللمياه ديب غير مسترق  
وقد بدا الورد مفترأ مباهمه      والنرجس الغض فيها شاخص الحدق  
والسحب تبكي وثمر البرق مبتسم      والطير تسجع من قبه ومن أنق  
فالطير في طرب والسحب في حرب      والماء في هرب والفصن في قلق

وقال في الفخر والحماسة :

|                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| سل الرماح العوالي عن معالينا  | واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا |
| لقد سعينا فلم تضعف عزائنا     | عما نروم ولا خابت مساعينا       |
| قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة | يوماً وإن حكموا كانوا موازينا   |
| إنا لقوم أبت أخلاقنا شرفاً    | أن نبتي بالآذى من ليس يؤذينا    |
| بيض صنائعنا سود وقائعنا       | خضر مرابعنا حمر مواضعنا         |

وقال محمد بن الطيب المغربي في وصف الربيع :

|                              |                         |
|------------------------------|-------------------------|
| ورد الربيع فمرحباً بوروده    | وبنور بهجته ونور وروده  |
| وبحسن منظره وطيب نسجه        | وأنيق مبسمه ووشي بروده  |
| والفصن قد كسى الغلائل بعد ما | أخذت يدا كلون في تجريده |
| والورد في أعلى الفصون كأنه   | ملك تحف به سراً جنوده   |

ومن لامية العجم للطغرائي المتوفى سنة ٥١٥ هـ :

|                             |                                  |
|-----------------------------|----------------------------------|
| حب السلامة يثني عزم صاحبه   | عن المعالي ويفري المرء بالكسل    |
| فإن جنحت اليه فاتخذ نفقاً   | في الأرض أو سلكاً في الجو فاعتزل |
| أبى الله أن أممو بغير فضائي | إذا ما سما بالمال غير مسود       |
| وإن أكرمت قبلي أوائل أسرتي  | فلإني بحمد الله مبتدأ سؤدي       |
| إذا شرفت نفس الفقى زاد قدره | على كل أسنى منه ذكراً وأمجد      |

يقول مؤلفه ، غفا الله عنه :

« فرغت من تهذيب هذا الكتاب وتنقيحه ، بعد وضعه وترتيبه ،  
لتسع خلون من شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وألف هجرية بدينية  
الخرطوم ، حاضرة الديار السودانية .  
والحمد لله أولاً وآخراً .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . »

(تم)



مركز تحقيقات علوم إسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## فهرس الكتاب

| الصفحة | الموضوع                                                 |
|--------|---------------------------------------------------------|
| ٣      | مقدمة الكتاب                                            |
| ٥      | نبذة في تاريخ علوم البيان أو علوم النقد أو علوم البلاغة |
|        | المقدمة                                                 |
| ١٣     | في حقيقة الفصاحة والبلاغة لغة وأصطلاحاً                 |
| ١٥     | الفصاحة                                                 |
| ٢٥     | فصاحة الكلام                                            |
| ٣٤     | فصاحة المتكلم                                           |
| ٣٥     | البلاغة                                                 |
| ٣٥     | بلاغة الكلام                                            |
| ٣٩     | بلاغة المتكلم                                           |
| ٤٠     | تدريب وتمارين                                           |
| ٤١     | علم المعاني                                             |
| ٤٣     | الباب الاول - الخبر                                     |
| ٤٣     | المبحث الأول في تعريف الخبر                             |
| ٤٥     | المبحث الثاني في تأليف الجمل                            |
| ٤٦     | المبحث الثالث في الفرض من إلقاء الخبر                   |

| الموضوع                                  | الصفحة |
|------------------------------------------|--------|
| المبحث الرابع في طريق إلقاء الخبر        | ٤٩     |
| المبحث الخامس في الجملة الاسمية والفعلية | ٥٥     |
| نماذج وتمارين                            | ٥٨     |
| <br>                                     |        |
| الباب الثاني - الانشاء                   | ٦١     |
| المبحث الاول في تعريف الانشاء            | ٦١     |
| » الثاني في التمني                       | ٦٢     |
| » الثالث في الاستفهام                    | ٦٣     |
| » الرابع في الأمر                        | ٧٥     |
| » الخامس في النهي                        | ٧٩     |
| » السادس في النداء                       | ٨١     |
| <br>                                     |        |
| الباب الثالث - التذكير                   | ٨٥     |
| نماذج وتمارين                            | ٨٧     |
| <br>                                     |        |
| الباب الرابع - الحذف                     | ٨٩     |
| المبحث الاول في مزايا الحذف وشروطه       | ٨٩     |
| » الثاني في حذف المسند اليه              | ٩٠     |
| » الثالث في حذف المسند                   | ٩٢     |
| » الرابع في حذف المفعول                  | ٩٣     |
| <br>                                     |        |
| الباب الخامس - التقديم                   | ١٠٠    |
| المبحث الأول في مزايا التقديم وأقسامه    | ١٠٠    |
| » الثاني في تقديم المسند اليه            | ١٠١    |
| » الثالث في تقديم المسند                 | ١٠٥    |
| » الرابع في تقديم متعلقات الفعل          | ١٠٦    |

|     |                                                               |
|-----|---------------------------------------------------------------|
| ١١٢ | الباب السادس - التعريف                                        |
| ١١٢ | المبحث الأول في الفرق بين النكرة والمعرفة والداعي الى التعريف |
| ١١٢ | • الثاني في تعريف المسند اليه بالاضمار                        |
| ١١٤ | • الثالث في تعريف المسند اليه بالعملية                        |
| ١١٥ | • الرابع في تعريف المسند اليه باسم الاشارة                    |
| ١١٦ | • الخامس في تعريف المسند اليه بالموصولية                      |
| ١١٦ | • السادس في تعريف المسند اليه باللام                          |
| ١٢٠ | • السابع في تعريف المسند اليه بالاضافة                        |
| ١٢٢ | • الثامن في تعريف المسند                                      |
| ١٢٣ | تدريب وتمارين                                                 |
| ١٢٦ | الباب السابع - التنكير                                        |
| ١٢٨ | نماذج وتمارين                                                 |
| ١٣٠ | الباب الثامن - التقييد                                        |
| ١٣٠ | المبحث الاول في فوائد التقييد                                 |
| ١٣٠ | • الثاني في التقييد بالمفاعيل ونحوها                          |
| ١٣٠ | • الثالث في التقييد بالتوابع                                  |
| ١٣٣ | • الرابع في التقييد بضمير الفصل                               |
| ١٣٤ | • الخامس في للتقييد بالشرط                                    |
| ١٤٠ | الباب التاسع - الخروج عن مقتضى الظاهر                         |
| ١٤٨ | تدريب وتمارين                                                 |

|     |                                            |
|-----|--------------------------------------------|
| ١٥٠ | الباب العاشر - القصر                       |
| ١٥٠ | المبحث الاول في تعريف القصر لغة واصطلاحاً  |
| ١٥٠ | » الثاني في طريقه                          |
| ١٥٥ | » الثالث في تقسيمه باعتبار الواقع والحقيقة |
| ١٥٦ | » الرابع في تقسيمه باعتبار حال المقصور     |
| ١٥٦ | » الخامس في تقسيمه باعتبار حال المخاطب     |
| ١٥٧ | » السادس في تقسيم مواقع القصر              |
| ١٥٨ | تدريبات وتمارين                            |

## الباب الحادي عشر - الفصل والوصل

|     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| ١٦٢ | تمهيد في دقة مسلكه وعظيم خطره       |
| ١٦٣ | المبحث الاول في وصل المفردات وفصلها |
| ١٦٣ | » الثاني في وصل الجمل               |
| ١٦٥ | » الثالث في الجامع                  |
| ١٦٧ | » الرابع في محسنات الوصل            |
| ١٦٧ | » الخامس في الفصل                   |
| ١٧٢ | تمة                                 |
| ١٧٨ | تدريبات وتمارين                     |

## الباب الثاني عشر - الایجاز والاطناب والمساواة

|     |                                                      |
|-----|------------------------------------------------------|
| ١٨٢ | المبحث الاول في دقة مسلكها واختلاف الأئمة في تعريفها |
| ١٨٢ | » الثاني في الایجاز                                  |
| ١٩٠ | » الثالث في المساواة                                 |

| الموضوع                                                    | الصفحة |
|------------------------------------------------------------|--------|
| المبحث الرابع في الاطناب                                   | ١٩١    |
| المبحث الخامس الايجاز أفضل أم الاطناب                      | ١٩١    |
| أسرار البلاغة في الايجاز والاطناب                          | ٢٠٠    |
| تمارين ونماذج عامة على المعاني                             | ٢٠٢    |
| علم البيان                                                 | ٢٠٧    |
| الدلالة                                                    | ٢٠٩    |
| أبواب الفن                                                 | ٢١١    |
| الباب الأول - التشبيه                                      | ٢١٣    |
| المبحث الأول في شرح حقيقته وبيان جليل فائدته               | ٢١٣    |
| » الثاني في الطرفين                                        | ٢١٤    |
| » الثالث في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى ملفوف ومفروق | ٢١٩    |
| » الرابع في تقسيم التشبيه باعتبار الطرفين الى تشبيه تسوية  |        |
| وتشبيه جمع                                                 | ٢١٩    |
| » الخامس في وجه الشبه                                      | ٢٢٠    |
| » السادس في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى تمثيل وغيره    | ٢٢٥    |
| » السابع في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه الى مجمل ومفصل     | ٢٢٨    |
| » الثامن في تقسيم التشبيه باعتبار الوجه إلى قريب مبتذل     |        |
| وبعيد غريب                                                 | ٢٢٩    |
| » التاسع في الكلام على أدوات التشبيه                       | ٢٣٢    |
| » العاشر في تقسيم التشبيه باعتبار الأداة                   | ٢٣٣    |
| » الحادي عشر في الغرض من التشبيه                           | ٢٣٤    |
| » الثاني عشر في أقسام التشبيه باعتبار الغرض                | ٢٣٨    |
| تدريب وتمارين                                              | ٢٤٢    |

|     |                                                          |
|-----|----------------------------------------------------------|
| ٢٤٦ | الباب الثاني - الحقيقة والمجاز                           |
| ٢٤٦ | المبحث الأول في أقسام الحقيقة                            |
| ٢٤٦ | » الثاني في تعريف الحقيقة                                |
| ٢٤٨ | » الثالث في المجاز وأقسامه                               |
| ٢٤٩ | » الرابع في المجاز المرسل                                |
| ٢٥٩ | » الخامس في الاستعارة ومنزلها في البلاغة                 |
| ٢٦٣ | » السادس في الاستعارة أمجاز لغوي هي أم مجاز عقلي         |
| ٢٦٥ | » السابع في قرينة الاستعارة                              |
| ٢٦٦ | » الثامن في انقسام الاستعارة الى عنادية ووفاقية          |
| ٢٦٧ | » التاسع في انقسامها باعتبار الجامع الى داخل وخارج       |
| ٢٦٧ | » العاشر في انقسامها باعتبار الجامع أيضاً الى عامة وخاصة |
| ٢٦٩ | » الحادي عشر في انقسامها باعتبار الطرفين والجامع         |
| ٢٧٠ | » الثاني عشر في تقسيم الاستعارة الى مصرحة ومكتبة         |
| ٢٧٢ | » الثالث عشر مذهب السكاكي والخطيب القزويني في المكنية    |
|     | » الرابع عشر في تقسيم الاستعارة التصريحية لدى السكاكي    |
| ٢٧٣ | الى تحقيقية وتخيلية ومحتملة لها                          |
| ٢٧٤ | » الخامس عشر في انقسامها الى أصلية وتبعية                |
| ٢٧٧ | » السادس عشر في تقسيمها الى مرشحة ومجردة ومطلقة          |
| ٢٧٩ | » السابع عشر في حسن الاستعارة وقبحها                     |
| ٢٨٦ | » الثامن عشر في المجاز المركب                            |
| ٢٨٩ | » التاسع عشر في المجاز بالحذف أو الزيادة                 |
| ٢٩١ | » العشرون في المجاز العقلي أو المجاز الحكمي              |
| ٢٩٦ | تتمة وفيها مبهان                                         |
| ٢٩٨ | تدارين وتمازين                                           |

|     |                                          |
|-----|------------------------------------------|
| ٣٠١ | الباب الثالث - الكناية                   |
| ٣٠١ | المبحث الأول في تعريفها                  |
| ٣٠٢ | د الثاني في أقسامها من حيث المكنى عنه    |
| ٣٠٥ | د الثالث في أقسامها من حيث الوسائط       |
| ٣٠٦ | د الرابع في حسن الكناية وقبحها           |
| ٣٠٧ | خاتمة                                    |
| ٣١٠ | نماذج وقمارين                            |
| ٣١٤ | مزايا دراسة البيان في سوغ مختلف الأساليب |
| ٣١٨ | علم البديع                               |
| ٣١٩ | أقسام المحسنات - المحسنات اللغوية        |
| ٣٢٢ | المقابلة                                 |
| ٣٢٣ | مراعاة النظر - التناصب - الائتلاف        |
| ٣٢٣ | تشابه الأطراف                            |
| ٣٢٤ | الارصاد - التسهم                         |
| ٣٢٤ | المشاكلة                                 |
| ٣٢٥ | المزاوجة                                 |
| ٣٢٦ | العكس - التبديل                          |
| ٣٢٧ | الرجوع                                   |
| ٣٢٧ | التورية - الالهام - التخدير              |
| ٣٢٩ | الاستغدام                                |
| ٣٣٠ | اللف والنشر                              |

| الصفحة | الموضوع                                |
|--------|----------------------------------------|
| ٣٣١    | الجمع - التفريق                        |
| ٣٣٢    | التقسيم                                |
| ٣٣٤    | الجمع مع التفريق - الجمع مع التقسيم    |
| ٣٣٤    | الجمع مع التفريق والتقسيم              |
| ٣٣٤    | التجريد                                |
| ٣٣٦    | المبالغة - آراء العلماء فيها - أقسامها |
| ٣٣٩    | المذهب الكلامي                         |
| ٣٤٠    | حسن التعليل                            |
| ٣٤١    | التفريع                                |
| ٣٤٢    | تأكيد المدح بما يشبه الذم              |
| ٣٤٣    | تأكيد الذم بما يشبه المدح              |
| ٣٤٤    | الاستنباع - الادماج                    |
| ٣٤٥    | التوجيه - الاهتمام                     |
| ٣٤٦    | الهزل الذي يراد به الجد                |
| ٣٤٦    | تجاهل المعارف                          |
| ٣٤٧    | القول بالموجب                          |
| ٣٤٨    | الاطراد                                |
| ٣٤٨    | تداريب وتعارين                         |

#### المحسنات اللفظية

|     |                                    |
|-----|------------------------------------|
| ٣٥٤ | الجناس - التجنيس - أقسامه - فائدته |
| ٣٥٨ | رد العجز على الصدر - التصدير       |
| ٣٦٠ | السجع - شروط حسنه - حكمه - أقسامه  |
| ٣٦٤ | الموازنة                           |
| ٣٦٤ | القلب                              |

الصفحة

الموضوع

٣٦٥

التشريع

٣٦٦

تممة

٣٦٧

السرققات الشرعية وما يتصل بها

٣٧٨

خاتمة

٣٨٢

قضايا وقضايا

٣٨٧

فرائد من البلاغة

٣٩١

الفهرس



مركز تحقيقات كليات العلوم الإسلامية



طبع في مطابع دار الكتب العلمية

جسر المطار - سنتر الساحل التجاري

هاتف: ٨٤٨٤٨٧ - ٨٤٨٤٨٦ - ٩٦١١ +

بيروت - لبنان